الرابطة الخطرة

شهادة من الداخل

أندرو/ لسلي كوكبورن



ترجمة

أحمد صدقي مراد

العلاقات الخفيّة بين أمريكا وإسرائيل

مقدمة: د. محجوب عمر



الرابطـــة الخطـــرة

العلاقـات الخفيـة
بيـن
أمريكـا و إسرائيـل

شهادة من الداخل

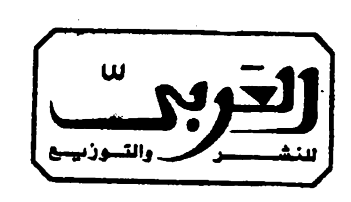
أندرو/ لسلى كوكبورن

مقدمة

د. محجـوب عمـر

ترجمـة

أحمـد صدقـى



مقدمة

د. محجوب عمر

هذا كتاب سيضاف الى سلسلة الكتب التى تتكلم عن الاستخبارات الاسرائيلية والأمريكية . ولكن قارئه سيتبين من الصفحات الأولى أن مؤلف هذا الكتاب ليس متعاطفا مع المخابرات الاسرائيلية ان لم يكن بالفعل من خصومها .

وقد اختار الكاتب أن يبدأ الفصل الأول بمشهد سينمائى مريع يصور قافلة من خمسين سيارة ركاب تنقل سائحين من فنادقهم في تل أبيب على ساحل البحر المتوسط الى معسكر اسرائيلى فى المنطقة الشرقية من مرتفعات الجولان . وأبلغ الكاتب القارىء بأن هؤلاء السائحين قدموا من أمريكا لزيارة معالم اسرائيل وأنهم سيشاهدون الجيش الاسرائيلى أثناء مناوراته .

الذين يعرفون أن المناورات العسكرية الجدية لا تجرى أمام أنظار السائحين سيتساءلون عن سر هذه الترتيبات الاسرائيلية . لذا يفسر الكاتب هذه الزيارة للقراء ويفصلها ليتأكد الجميع أن هذه الزيارة المرتبة بشكل سطحى وساذج هى واحدة من الاستعراضات التي تقدمها السلطات الاسرائيلية للسائحين الأمريكيين كجزء من حملاتها لاقناع المتبرعين الأمريكيين من اليهود وغير اليهود بمواصلة التبرع لاسرائيل .

في هذا المشهد يظهر اسم الجنرال باراك رئيس أركان الجيش الاسرائيلي الحالى ورئيس المخابرات الاسرائيلية السابق كما يظهر وزير الدفاع السابق رابين شخصيا بطائرة هليوكوبتر ويتحدث مع السائحين عن السلام وعن المفاوضات وعن الانتفاضة . ثم يعلن عريف الحفل في الميكرفون أن المعركة ستبدأ قائلا بالانجليزية : " هذا امر عسكرى . . اذهبوا الى مواقعكم وحظا سعيدا " . ويصرح للزوار بالتقاط الصور التذكارية للمعدات والمجندين " ولا تنسوا المجندا أيضا " .

لقد قصد كاتبا الكتاب تقديم هذا المشهد في بداية كتابهما عن العلاقة بين المخابرات الاسرائيلية والمخابرات المركزية الأمريكية بل عن العلاقات بين اسرائيل وأمريكا .

ولابد أن القارىء سيدرك أن مقدمة الكتاب - المقصودة بالطبع - تهدف الي اظهار

الصراع أو طرفى الحكاية باعتبار أن أحدهما يمثل الشر والآخر يمثل الخير أو السذاجة الشديدة والنيات الحسنة . فالسائحون الأمريكيون الذين جاءوا من الولايات المتحدة الى الشرق الأوسط ينبهرون بهذا الانفتاح الكبير الذى يسمح بعرض المناورات وتصويرها ، كما تبهرهم أيضا آلات الحرب ومعداتها والجنود بمظهرهم المرتب والقادة بتواضعهم الكبير والأهم من كل ذلك سيرون بأعينهم أن مرتفعات الجولان التي تطالب سوريا بانسحاب الجيش الاسرائيلى منها ، هى موقع استراتيجى هام يشرف على كل فلسطين المحتلة وبذلك يبرر الاسرائيليون أمام زوارهم كما يبررون للعالم كله احتلالهم لهذا الموقع الذى لاغنى عنه لأمنهم كما يدعون .

وعلى طول الفصول الثلاثة عشر التي يضمها الكتاب يكشف الكاتبان أسرار كثيرة فى العلاقات الأمريكية - الاسرائيلية ، بعضها نشر من قبل فزاده تفصيلا وبعضها أكده الكتاب وكان مجرد شائعات متناثره أو حكايات ناقصة . كما ذكرت أسماء اسرائيلية ترددت من قبل دون أن يعرف دورها فأكد الكاتبان هذا الدور وفصلاه . ومع ذلك فان القارىء لايستطيع أن يبعد عن تفكيره طوال الوقت السؤال عن السبب الذى دفع بالكاتبين ودار النشر التى نشرت الكتاب الى تقديمه فى هذا الوقت بالذات .

اذا اختلف السارقان ظهر المسروق . تلك حكمة عربية قديمة فان طبقناها باعتبار أن الذى يظهر لنا الآن كان مخفيا لنصف قرن من الزمان وأن أطرافه خاصة الطرفين الأساسيين أمريكا واسرائيل يحاول كل منهما تبرئة نفسه أو معاقبة الآخر أو ادعاء ماليس له من القوة والتفوق أو ابدا نية التوبة وفتح صفحة جديدة فى تاريخ العلاقات . أو بعض ذلك أو كل ذلك فى الوقت نفسه .

ان التساؤل عن دافع اصدار هذا الكتاب فى هذا الوقت بالذات وفى الولايات المتحدة الأمريكية ومن دار ذات سمعة ومصداقية هى دار هاربر كولنز هو تساؤل مشروع . فالكتاب يتعلق بحكايات صراع المخابرات وخاصة المخابرات الأمريكية سى آى ايه من جانب، والمخابرات الاسرائيلية الموساد من جانب آخر . ومن السذاجة تصور أن محتويات هذا الكتاب من معلومات قد تم التوصل اليها بمهارة الكاتبين ، وحتى ان كانا على هذا القدر من القدرة والمعرفة بخبايا عمل المخابرات الأمريكية وربما الإسرائيلية فان فى امكان أجهزة الاستخبارات التى تعمل : الـ سى آى ايه والموساد منع نشر هذه المعلومات بطرق عدة لعل أبسطها هو الرشوة أو التخويف أو حتى تدبير الاغتيال .

وليس من المعروف حتى الآن أن ثمة كتاب يصدر عن أسرار المخابرات فى الدول (القوية) دون رضاها أو رضى واحد منها على الأقل ، أى أن الطرف صاحب المصلحة يقوم بتسريب المعلومات وتسليم أطراف الخيوط للكاتب أو المجموعة من الكتاب وفى الوقت نفسه يحجب مايريد من معلومات ويحمى الكاتب دار النشر من محاولات الطرف الآخر

وقف الكتاب أو نشره .

ومن ناحية أخرى فان الطرف المعنى بنشر الكتاب لايقدم كل المعلومات ، وإنما فى صراعه (أو حواره) مع٤سيكتفى بما يعطى للكتاب مصداقية وبما يحقق أهدافه الطرف الآخر . فليس فى العلاقات بين أجهزة الاستخبارات الكبيرة فى العالم قطيعة مهما حدث ، فلقد استقرت العلاقات الدولية منذ قيام الدول الحديثة بل ومن قبل ذلك على بقاء قنوات الاتصال بين أجهزة المخابرات مفتوحة على الدوام لتبادل المعلومات ولتبادل الصفقات وحتى لمنع الخروج عن الخطوط الحمراء فى حالة احتدام الصراع المسلح . ذلك مايعطى لقراءة الكتب عن الاستخبارات مذاقا خاصا فكل شيء مكتوب له أكثر من معنى وكل اسم يذكر له أكثر من وجه واسم بديل وكل واقعة تروى لها مايكملها من تفاصيل ووقائع أخرى فهذه هى ساحة العمل بدون أى التزام بالمبادىء أو الأخلاق أو القواعد أو حتى الانفعالات . كل شيء مسموح به طالما يخدم مصلحة الأمن القومى للبلد الذى يتبعه هذا الجهاز أو ذاك .

* * *

الكتاب منشور فى الولايات المتحدة الأمريكية والكاتبان أمريكيان وسياق الرواية كله يركز علي الوجه القبيح للموساد (المخابرات الاسرائيلية) دون أن يعنى ذلك بالطبع أنه يبرىء الطرف الأمريكى من الاشتراك فى الأفعال المذكورة ولكنه يميل دائما الى تقديم الدور الاسرائيلى باعتباره الطرف المستعد على الدوام للقيام بأعمال قذرة لحسابه الشخصى أساسا وليس لصالح الولايات المتحدة الأمريكية بل واستعداد هذا الطرف - أى اسرائيل - للخروج على مايتم الاتفاق عليه حتى ولو اعترضت الولايات المتحدة الأمريكية.

وبذلك ينضم هذا الكتاب الى سلسلة من الكتب التى صدرت عن الاستخبارات الاسرائيلية أساسا فى العام الماضى والتى من بينها كتاب طريق الخداع لـ " استروفسكى" وكتاب خيار شمشون لـ " سيمور هيرش " وكتاب جديد آخر اسمه وكر اللصوص بالاضافة الى الكتاب الذى نقدم ترجمته هنا .

ولأول مرة تصدر مثل هذه الكتب الاستخباراتية فيبدو وجه اسرائيل قبيحا وقذرا والأخطر من كل ذلك يكشف أن الدولة الاسرائيلية تسعى لاستعمال اليهود فى كل البلاد وأنها قد فعلت ذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو مايستثير مشاعر الأمريكى البسيط الذى ظلت أجهزة الاعلام وتصريحات المسئولين الأمريكيين تقدم له اسرائيل باعتبارها الحليف والصديق والابنة البارة فى منطقة الشرق الأوسط التى تحافظ على مصالح أمريكا والأمريكيين هناك . وكيف أنها - أى اسرائيل - هى واحة الديمقراطية فى صحراء الهمجية العربية .

الآن تصدر المطابع تباعا كتبا ونشرات تكشف ماخفى من وجه اسرائيل أمام الرأى العام الأمريكي وإن كان ذلك يتم بقدر محسوب حتى لاتنفلت المشاعر ضد اليهود فى الداخل وحتى لاتصب هذه الحملة لصالح الأطراف العربية عامة والفلسطينية خاصة فى هذه المرحلة . فلو أن القيادة الأمريكية التى تشجع الآن - أو هى تفعل - نشر مثل هذه الكتب والوقائع التى تكشف وجه اسرائيل كانت صادقة بالفعل فى أهدافها ومراميها لوجه الحق والحقيقة والعدالة وحقوق الإنسان لكان أيسر عليها أن تعود فتسمح لأجهزة الاعلام العالمية وكلها تحت السيطرة الأمريكية تقريبا بنشر الحقائق اليومية عن الانتفاضة الفلسطينية وعن معاناة الشعب الفلسطينى وعن معاناة عرب الجولان وعن معاناة الشعب اللبنانى في جنوب لبنان .

ولكن القيادة الأمريكية اختارت أن تقرص آذان القيادة الاسرائيلية أو أن تلوى ذراعها دون أن تقطع لسانها أو تكسر قدمها . فلا زالت دولة اسرائيل رصيدا أساسيا في المنطقة للولايات المتحدة الأمريكية وذلك على الرغم من حديث كاتبا هذا الكتاب عن انكشاف دور هذا الرصيد وكيف استغله أصحابه أى الاسرائيليين فى الأضرار بالمصالح الأمريكية (الفصل السادس والفصل الثامن) .

لقد كتب أمريكى يهودى صهيونى كبير هو أ . م . روزنتال أحد أبرز معلقى جريدة النيويورك تايمز يوم ٢٣ يوليو ١٩٩١ يحث اسرائيل على قبول اقتراحات وزير الخارجية جيمس بيكر الخاصة بالمفاوضات العربية - الاسرائيلية المباشرة ، وحذر اسرائيل قائلا " ان الرفض الصريح سيطيح بما كانت اسرائيل تحافظ عليه وترعاه ، وماليس معروفا فى محيطها فى الشرق الأوسط ألا وهو الصدق فى كلمتها " . وكان روزنتال يعبر عن رأى جماعة كبيرة من المثقفين اليهود الأمريكيين المناصرين تقليديا للسياسة الاسرائيلية والذين يخشون من آثار المواجهة الدائرة بين ادارة بوش وبين قيادة شامير حول التسوية فى الشرق الأوسط . والأمريكيون الصهاينة يعرفون أكثر من غيرهم أن فى ادراج الرئاسة الأمريكية والمؤسسات الأمريكية أوراق كثيرة وأن من المتوقع أن تنكشف أوراق أكثر .

انهم يخشون أن يتم تذكير الأمريكيين بحقائق ثابتة فى تاريخهم القريب . منها مثلا قيام العملاء الاسرائيليين بنسف مكاتب الاستعلامات الأمريكية فى القاهرة والاسكندرية عام ١٩٥٣ لكى تعتقد الولايات المتحدة أن المصريين هم الذين فعلوا ذلك فتقطع علاقاتها بهم أو تمنع المعونة عنهم فى ذلك الوقت . وقد انكشفت هذه الواقعة واعترفت بها الحكومة الاسرائيلية وعزل بسببها الوزير الاسرائيلى لافون الذى عرفت الفضيحة باسمه . كما أن الأمريكيين المعاصرين يذكرون أن الطيران الاسرائيلى قصف وأغرق سفينة التجسس الأمريكية ليبرتى أمام شواطىء فلسطين المحتلة برغم علمهم

بهويتها الأمريكية مما أدى الى مقتل ٢٤ أمريكيا وجرح ١٧١ . وحتى وقت متأخر أى منذ عشر سنوات تقريبا خرجت اسرائيل صراحة على التوجيهات الأمريكية أثناء غزو لبنان ولم تكتف قواتها باقتحام بيروت الغربية بعد اجلاء المقاتلين الفلسطينين بتعهد من المبعوث الأمريكي فيليب حبيب بعدم احتلال العاصمة اللبنانية ، وانما دبرت وشاركت فى مذبحة صبرا وشاتيلا التى هزت الضمير العالمى . وعندما عادت القوات الأمريكية للمشاركة فى حفظ السلام الى العاصمة بيروت وانتشرت فى جوارها قام الجنود الاسرائيليون بمضايقة جنود البحرية الأمريكية حتى شكى القائد العام الأمريكي قائلا " عقلى لايصدق لماذا يتعرض الأمريكيون للعدوان والمخاطر تلو المخاطر من جانب حليف لهم " بل ان بعض المصادر الأمريكية تشير الآن الى أن المخابرات الاسرائيلية كانت تعلم بأمر عملية اللورى المتفجر الذى أطاح بحياة مشاة البحرية الأمريكية فى منامتهم فى بيروت ولم تحذر الأمريكيين من ذلك .

ولقد ذكرت الكتب الصادرة ، فى العام الأخير سلسلة طويلة من الأعمال الاسرائيلية التى تعارضت فى لحظة من اللحظات مع المصالح الأمريكية والتى سبق للادارة الأمريكية أن أعلنت عن بعضها ولكنها لم تعلن فى حينه تفاصيل مايغضبها وآثاره . من ذلك بالطبع قصة الجاسوس الأمريكى اليهودى جوناثان بولارد التى أعلنت وتم احتواؤها ثم تبين فيما بعد - ومايزال يتضح - أن تفاصيل كثيرة لدى المخابرات الأمريكية يتم تسريبها يوما بعد يوم وأهمها أن الذى نقل معلومات الجاسوس بولارد الى الاتحاد السوفيتى كان اسحاق شامير شخصيا الذى يتهمه البعض الآن بأنه عاش حياته كعميل مزدوج للاتحاد السوفيتى من ناحية والولايات المتحدة الأمريكية من ناحية أخرى* وستكشف الأيام المزيد من أسرار هذه الواقعة خاصة بعد أن بدأ الاتحاد السوفيتى يبيع بعض مالديه من أسرار للولايات المتحدة أو يعلنها لأسباب مصلحية .

هناك اذن مايبرر تصديق الوقائع التى جاءت فى هذا الكتاب دون الوقوع فى أى استنتاجات حول الأهداف التى تبدو مفتوحة النهايات شأن كل السياسات الأمريكية فى هذه المرحلة .

* * * * * * * * * *

يذكر كاتبا الكتاب فى بدايته أن العلاقات الاسرائيلية الأمريكية قد بدأت منذ

* تحتاج هذه الواقعة التى أصبحت الآن فى حكم المؤكدة خاصة بعد الاغتيال المريب للمليارديرروبرت ماكسويل الى مزيد من البحث والدراسة خاصة وأن اسحاق دزنسكى الملقب بشامير من أصل بولندى وحاول أثناء الحرب العالمية الثانية عقد اتفاقات مع النازى والفاشيين فى ايطاليا وتوافق ذلك مع عقد الاتحاد السوفيتى لاتفاقية عدم الاعتداء مع هتلر . والأرجح أن شامير قد اتصل بكل الدول عارضا خدماته مهما كانت قذاراتها وربما مرهما كل منهما أنه عميلها الخاص .

قيام الدولة الاسرائيلية بل وقبلها خاصة بين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومؤسسات الاستخبارات اليهودية الصهيونية وفيما بعد الموساد . وفي مقال لأحدهما وهو أندرو كوكبورن نشره يوم ٧ يوليو ١٩٩١ ، في جريدة واشنطن بوست بعنوان من لانجلي الى تل ابيب : بعد أربعين عاما هل تستحق علاقة الـ سي آي ايه بالموساد ماتتكلفه ؟ ذكر الكاتب كيف أدت الظروف الدولية المحيطة بقيام الدولة الاسرائيلية في عام ١٩٤٨ الى هذا الخيار الاستخباراتي . اذ كانت القيادة الصهيونية والدولة الناشئة تحتاج الى البشر والمال والدعم السياسي وقد وجدت الدعم السياسي من كلا طرفي الصراع الدولي في ذلك الوقت الاتحاد السوفيتي (ستالين) وأمريكا (ترومان) على الرغم من تحفظ دوائر وزارتي الخارجية والدفاع الأمريكيتين وقد جعلها تحفظ هاتين الوزارتين في حاجة الى مصدر لأسلحة وهو ماتوفر لها من المعسكر الشرقي عن طريق تشيكوسلوفاكيا وفي حاجة الى البشر المهاجرين وهو ماأمكن تحقيقه بموافقة ستالين على هجرة حوالي ٢٠٠ ألف يهودي بولندي الى الدولة الجديدة . أما المال فلم يكن من الممكن الحصول عليه الا من الولايات المتحدة الأمريكية مما دفع بأحد الاسرائيليين الكبار الى القول بأن المشكلة هي " كيف يمكن الاستمرار في حلب البقرة الأمريكية دون تقديم أي مقابل ؟ " وكان الحل هو العمل لصالح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية . خاصة والحرب الباردة في أوجها والمعلومات عما يجري داخل دول الكتلة الشرقية قليلة (الستار الحديدي) واستغل بن جوريون حقيقة وجود عشرات الألوف من اليهود القادمين من تلك البلاد الذين يعرفون لغتها ولهم أقارب هناك ليجعل من اسرائيل قاعدة معلومات استخباراتية أساسية للولايات المتحدة الأمريكية في منطقة قريبة جدا من الحدود السوفيتية مما يسمح بالتواصل عن طريق الرسل مع الأقارب وبالتصنت الاذاعي لمختلف اللغات واللهجات ، ومعرفة الأماكن ومتابعة مايجري فيها وكذلك - وهذا هو الأهم - استجواب المهاجرين بدقة وجمع المعلومات الثمينة التي يحملونها معهم . وكانت أكبر ضربة استخباراتية حققتها المخابرات الاسرائيلية بهذه الطريقة هي الحصول على أول نسخة من الخطاب السري للزعيم السوفييتي نيكيتا خروتشوف الذي أعلن فيه ادانة ستالين في فبراير ١٩٥٦ . ومنذ أواخر الخمسينيات اتخذت العلاقات المستترة ابعادا أكثر اتساعا عن ذي قبل فمع " تنامي القومية العربية وسعت المخابرات الأمريكية من روابطها الاسرائيلية وسرعان مابدأت تدفع للموساد ٢٠ مليون دولار سنويا من صندوق الطوارىء الخاص لصالح عمليات اسرائيلية في العالم الثالث ، وكان الاسم الحركي للبرنامج هو جبل ك . ك - وكانت الدول الافريقية حديثة الاستقلال هي هدف هذا البرنامج " (واشنطون بوست ٧ يوليو ١٩٩١) .

تلك كانت البداية ، وتلك كانت ظروفها الدولية والاقليمية . فهل تغيرت الظروف

الدولية والاقليمية التى أدت الى نشوء العلاقة الوثيقة التي بلغت حدا جعلت الجنرال ابراهام تامير مستشار الأمن القومي لوزير الدفاع الاسرائيلى سابقا يشخص العلاقة فى أوائل الثمانينات بأن اسرائيل " كانت نائبا عن الولايات المتحدة " - (المصدر السابق) .

البعض يرجع التوتر الحادث فى العلاقات بين المخابرات المركزية الأمريكية وبين الموساد أى التوتر الحادث فى العلاقات بين أمريكا واسرائيل الى الخلاف الأمريكي - الاسرائيلي حول التسوية السياسية لما أصبح يسمى بنزاع الشرق الأوسط . ويتوقع هؤلاء أن يؤدى هذا الخلاف الى مزيد من كشف الأوراق والأسرار خاصة وأن التجارب الماضية تشير الى سعى القوى الصهيونية والدول الاسرائيلية الى استعمال هذا الجانب من الأعمال القذرة السرية لابتزاز الرؤساء الأمريكيين كما حدث فى واقعة ووترجيت ومن ثم فهم يتوقعون أن تكون اسرائيل هى التى تقف وراء ما أصبح يعرف بفضيحة اطلاق الرهائن الأمريكيين فى ايران والتلميح بدور الرئيس جورج بوش فيها .

وعلى أى حال فإن هذه المعلومات التى يتم تسريبها الآن والتى تستخدم فى هذه المعركة الاعلامية ، لاتقدم جوابا كاملا على أسباب هذا التوتر الظاهر فهى ان كانت قد أشارت الى الخلاف حول الموقف من التسوية فى الشرق الأوسط فانها لاتتناول بشكل موسع تغير الظروف الدولية التى أعطت لاسرائيل مكانتها السابقة فى الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية .

* * *

كان من الطبيعى بعد التغيرات المذهلة التى وقعت فى العالم والتى لم تترك مجالا الا وقلبته تقريبا أن تعيد الدول النظر فى عقائدها العسكرية ومن ثم فى استراتيجيتها الاستخباراتيه .

وعالم اليوم يشهد تغيرات تؤثر مباشرة على دور الاستخبارات كما شهد مناقشات لايكشف الا عن القليل منها حول دور الاستخبارات فى المستقبل خاصة بعد توقف الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية والتى حكمت كل نشاط عسكرى مباشر أو غير مباشر فى النصف قرن الماضى .

لقد بدأ النقاش حول مستقبل الاستخبارات قبل انتهاء الحرب الباردة وذلك عندما أدى التطور التكنولوجى الهائل الى اختراع وسائل تجسس لم تكن معروفة من قبل - وتطوير الوسائل السابقة وبلغ الأمر درجة جعلت القيادات السياسية والعسكرية تتصرف باستمرار عند وضع الخطط أو التقديرات العملياتية على أساس أن الخصم يعرف مالديها كله وأنه لم تعد توجد أسرار عسكرية أو حتى غير عسكرية تخفى عليه .

وتسابقت الدول المتصارعة الى تطوير شبكات الأقمار الصناعية التجسسية حتى أمكن التقاط المكالمات التليفونية من على سطح الأرض وتصوير الأفراد وتسجيل

أحاديثهم. وقد أدى ذلك فى السنوات الماضية الى لجوء الأطراف المتصارعة الى عمليات تمويه واسعة تعتمد على سرعة التحريك والتحرك بحساب فترات الانذار المبكر المطلوبة أى أن يتم تحريك الهدف المتعرض للخطر قبل أن يستطيع الخصم تحليل المعلومات الواردة له عنه ، وتوجيه ضربه استباقية له .

كانت مشكلة وقت الانذار المبكر هى الهاجس الذى يحكم تفكير القادة في جميع غرف العمليات وقد تصور البعض بعد توقف الحرب الباردة وبخاصة بعد انهيار مؤسسات الاتحاد السوفييتي أن مشكلة وقت الانذار المبكر قد انتهت أو هى فى طريقها الى الانتهاء بعد توقيع اتفاقيات نزع السلاح الاستراتيجى النووى وبعد تراجع خطر الضربات الصاروخية الاستباقية لمراكز الصواريخ النووية . ولكن الكثيرين من المفكرين يسارعون الآن الى التحذير من مثل هذا التفاؤل خاصة وأن دعاة تقليص الميزانيات العسكرية يبررون مطالبتهم هذه بتراجع دور القوة العسكرية فى حل النزاعات الدولية .

ويقول العسكريون الذين يعارضون تخفيض الميزانيات العسكرية أن الصراعات فى العالم ستظل تحتاج الى قوة عسكرية للتحكم فيها ولحلها بالردع ان لم يكن بشكل مباشر وأن ثمة قوى اقليمية بازغة ستفرض على الولايات المتحدة الأمريكية والغرب كله الاحتفاظ بقواها العسكرية بل وتطويرها لدرجة تنفيذ مخطط حرب النجوم لتلاشى خطر أى ضربة صاروخية مفاجئة حتى وان كانت بدائية . ويذكر هؤلاء بحربى الخليج وبما حدث فيهما من قتال صاروخى هو الأول من نوعه فى العالم كما يذكرون بحقيقة أن دولا اقليمية كثيرة أصبحت تملك امكانيات تقنية ومادية لصناعة الصواريخ وصناعة الرؤوس الحربية النووية والبيولوجية والكيميائية .

ويتفق هؤلاء العسكريون فى ذلك مع سياسيين يرون أن تراجع صورة الصراع المسلح بين الدول لايعنى تراجع الصراع بأوجهه المختلفة سواء منها العنيف أو غير العنيف.

ويحذرون من انتشار بؤر التوتر فى العالم العرقية والاثنية والدينية والحضارية واحتمال تصادمها (٩٢٣ بؤرة حسبما جاء فى بحث لتد روبرت جور منشور فى مجلة ميديتيرينيان كوارترلى شتاء ١٩٩٠) . كما يحذرون من تطور أساليب الجماعات التى تستخدم العنف الصغير بحيث يمكن أن يصل عنفها الى شكل من الارهاب النووى أو البيولوجى أو الكيميائى .

ويحذر آخرون من أن الصراعات الاقتصادية التي تبرز الآن خاصة بعد ظهور عالم القطب الواحد وانتهاء الحرب الباردة بأن هذه المرحلة قصيرة وأن قوى كاليابان وبعض دول أوروبا بل وحتى الصين ستحتل مواقعها فى نادى الاقطاب وسيحتاج الأمر فى

الصراع معها الى الاستناد الى قوة عسكرية (بما فى ذلك قوة المعلومات أى الاستخبارات)).

ويطالب بعض الاستراتيجيين الآن باعادة تعريف الأمن القومى وذلك بابراز دور القوة الاقتصادية . ويستخلص أحدهم من ذلك أن ذلك معناه الحاجة الى مخابرات اقتصادية أفضل ويقول : " ان الولايات المتحدة لاترغب فى أن تفاجأ بتطورات مثل الانطلاقات التكنولوجية والاستراتيجيات التجارية الجديدة والعجز المفاجىء فى المواد الخام أو الممارسات الاقتصادية الجائرة وغير القانونية التى تضر بالدولة " (ستانس فيلدتيرنر ، الاستخبارات فى النظام العالمى الجديد ، فورين أفيرز ، خريف ١٩٩١) ويضيف أنه بالاضافة الى التحول " نحو المخابرات الاقتصادية فان النظام العالمى الجديد يدعو الى مزيد من التاكيد على المخابرات السياسية فى دول العالم الثالث " . . . ويكرر ماسبق التحذير منه من ظهور صراعات كامنة قائلا " ونحن نعلم أن هناك توجهات عالمية نحو الاستقلال ونحو الديقراطية بصفة عامة . هذه التوجهات ستؤثر على دول هامة مثل يوغوسلافيا ، ورومانيا ، والهند ، وكل الدول العربية ومعظم افريقيا " (المصدر السابق والتشديد لنا) .

سيظل للاستخبارات دورها الهام وقد يتصاعد وستظل العلاقات بين أجهزة الاستخبارات قائمة على كافة مستوياتها واشكالها . ومع أن البعض يقدر أن جانب الاحتكاك العدائى بين أجهزة الاستخبارات سيقل بسبب شيوع المعلومات والانفتاح فيها أو مايسميه البعض الآن بالجلاسنوست أو الشفافية حيث تتزايد الدعوة الى الحرية والكشف عن الأسرار والتعامل فى مجال المعلومات ، الا أن ذلك لايمنع أن الأطراف التى تعيش على هذا الكوكب ستظل تتصارع فيما بينها وستشكل تحالفات فى مواجهة تحالفات وسيكون للاستخبارات دورها فى كل ذلك .

من الذى سيقوم بعمليات المخابرات ؟ ان البعض يتصور أنه طالما كان من الممكن للأجهزة والمخترعات الحديثة أن تحصل على كل المعلومات وطالما كان في امكان " أجهزة الكمبيوتر والعقول الصناعية أن تحلل هذه المعلومات وأن تستنتج منها فان دور العنصر البشرى سيتراجع بالضرورة . وهناك معلومات اعلنها عالم الفيزياء ادوارد تيلر (أريكي) انه يمكن الآن بناء نظام لشبكة الأقمار الصناعية يمكنها أن تنفذ الى أى نشاط متميز على سطح الأرض ليلا أو نهارا ، حتى تحت غطاء من السحب أو من الغابات بشكل متكرر يجعل الافلات أمرا صعبا . مما يجعل القدرة على الاستطلاع فى أى مكان وفى أى وقت ذات قيمة عظيمة فى العالم الجديد . ويقدر هذا العالم الفيزيائى أن هذا النظام التجسسى سيتكلف خمسة بلايين دولار لشرائه وبليون دولار لتشغيله .

ومع ذلك فان التجارب السابقة للقوى الكبرى فى العالم وحتى تجربة حرب الخليج

أن الاجهزة التقنية لايمكنها النفاذ من سحب يمكن أن نسميها " الغيوم الحضارية " ولايمكن لأى عقل صناعى بل ولأى عقل غريب أن يفهم المعلومات الواردة اليه من منطقة حضارية أخرى ، وأن يستنتج توجه أصحاب القرارات فيها . وقد انكشف ذلك بوضوح بسقوط شاه ايران فلم تكن المعلومات تنقص الولايات المتحدة الامريكية ولكن تحليلاتها لم تكن صحيحة كما سبق وانكشف فى حرب اكتوبر المجيدة التى تأكد الآن أن معلومات الحشد العسكرى المصرى والسورى كانت بين أيدى أجهزة المخابرات الأمريكية والاسرائيلية ولكن القيادات السياسية الاسرائيلية بما فيها قيادة المخابرات فشلت فى استخلاص النتائج الصحيحة لأسباب حضارية جعلتهم لايقدرون الدوافع والنوايا العربية كما جعلتهم يبالغون فى قوتهم . وقد حدث الأمر نفسه فى أزمة الخليج التى كشفت عن فشل الاستخبارات الغربية والاسرائيلية فى توقع الاجتياح العسكرى العراقى للكويت وتوقيته (انتقدت أمريكا فيما بعد معلومات المخابرات الاسرائيلية " الموساد " حول مواقع منصات الصواريخ كما فشلت مخابراتها هى فى تحديد مواقع هذه المنصات مسبقا وحتى عدد الصواريخ الموجودة) .

لذلك ينبه استراتيجيون كثيرون الآن فى الغرب الى خطورة الاعتماد على الاستخبارات التقنية وحدها ويحذرون من التخلى عن عنصر الاستخبارات البشرية . . والبعض يضيف تكلفة الاستخبارات التقنية العالية بالمقارنة بتكلفة الاستخبارات البشرية . والبعض يشير الى خطورة حيادية الاستخبارات التقنية التي لاتستطيع فهم المعلومات بشكل حضارى حى .

يقول جورج أ . كارفر الابن فى مقالة له بعنوان الاستخبارات فى عصر المكاشفة (فورين أفيرز صيف ١٩٩٠) " لاتنقسم الاستخبارات البشرية وغيرها من العمليات الى أقسام معزولة عن بعضها ، بعضها مكشوف والآخر مستتر . بل هى تشغل حيزا يتراوح بين استخدام الشخص لعينيه وأذنيه بينما ينخرط فى أنشطة علنية مشروعة ، أو تشجيع الآخرين على فعل ذلك وبين عمليات التخابر الكلاسيكسة المرتبطة بكامل أسلحة العمل السرى . وهذه المراحل المتعددة ليست منفصلة بشكل حاد بحيث تقود احداها الى التى تليها دون تمهيد تقريبا ".

ويوصى كل من كتب في هذا الموضوع خاصة منذ نهاية حرب الخليج الى اعادة النظر فى دور الاستخبارات البشرية دون تضييقه . ويؤكدون على أن هذا التجسس البشرى يجب أن يتم توظيفة باختيارات دقيقه . ويوصى أحدهم القيادة الأمريكية بالقاء "المزيد والمزيد من العملاء البشريين " لأن تلك هى الطريقة الوحيدة للتغلغل الى العقول المعادية" (ستانفيلد ترنر مصدر سابق) .

سيظل دور الاستخبارات البشرية قائما بل سيزداد فكلما قلت فرص حل الصراع

بالأدوات المسلحة الكبيرة (الجيوش) تزيد فرص حل الصراع بأدوات أصغر قد تزداد صغرا حتى تصبح غير مرئية أى سرية وسيزداد العبء بذلك على أجهزة المخابرات البشرية وخاصة فرقها السرية والتنفيذية .

ولكن الأمر لن يكون سهلا بالنسبة لأجهزة استخبارات القوى العظمى التى تقدم نفسها للمجتمع الدولى بإعتبارها حامية الحقوق والقانون والشرعية . ومن ثم لايمكنها أن تعرض نفسها لفضائح استخباراتية بسهولة وسيكون عليها حساب التكاليف المترتبة على انفضاح عميل هنا أو ظهور وثيقة مسروقة هناك قبل أن تقرر زرع هذا العميل أو سرقة هذه الوثيقة .

وسيزداد سوق العملاء المحترفين الذى ظهر منذ سنوات حيث يقوم العميل أو الجاسوس بمهامه لحساب جهتين أو لحساب عدة جهات . وقد أصبح بعضهم الآن يعمل كمؤسسة منفردة تتعامل معها أجهزة الاستخبارات كطرف مستقل .

وكما أن هناك سوقا للعملاء المحترفين هناك أيضا سوق لدول عميلة ، دول بأكملها سواء أقامها المستعمرون فى مخططاتهم لإحكام السيطرة على منطقة من المناطق أو أن هذه الدولة الصغيرة أختارت أن تقدم خدمات استخباراتية لكونها لاتملك شيئا أخر وذلك مقابل المال أو الحماية أو كليهما .

ودولة اسرائيل منذ قيامها هى من النوع الأخير ، بل أنها كانت كذلك قبل قيامها أى منذ أن كانت مجرد منظمات دولية كالوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية وحتى كفرق ومنظمات متوزعة ، بل وكافراد ولقد أصبح معروفا ان حاييم وايزمان عالم الكيمياء والفيزياء اليهودى قدم لبريطانيا العظمى اثناء الحرب العالمية الأولى سر تركيبة كيمائية تسمح بإستكمال التفجير تحت الماء وكان ذلك عاملا هاما للبريطانيين فى حربهم ضد الألمان وقد أخذ مقابل هذا الإختراع الوعد بإصدار وعد بلفور المشهور .

وقد تكررت هذه " العمليات الاستخباراتية الفردية " (أو التى بدت وكأنها فردية)) حتى بعد قيام دولة اسرائيل . وثمة إتهامات بأن الاتحاد السوفيتى قد أسرع بالإعتراف بدولة اسرائيل إثر قيامها مقابل أسرار صناعة القنبلة الذرية التى قدمها له عالم الذرة اليهودى الأمريكى وزوجته جوليوس واثيل روزنبرج اللذان اعدمتهما أمريكا بتهمة التجسس لصالح الاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٣ .

أما واقعة جوناثان بولارد التى يتناولها هذا الكتاب والتى تتناولها جميع الكتب التى صدرت مؤخرا عن الاستخبارات الاسرائيلية فهى لاتحتاج إلى مزيد من التفصيل . والحكاية فى جوهرها هى أن اسرائيل استخدمت يهوديا أمريكيا للحصول على اسرار لم يكن مصرح لها بأن تحصل عليها وانها قدمت هذه المعلومات لخصم الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت وهو الاتحاد السوفيتى . البعض يقول انها أخذت مقابل ذلك

حفنة من المهاجرين اليهود السوفيت والبعض يقول أن شامير بإنتماءاته الايديولوجية وارتباطاته القديمة بالروس فعل ذلك لأسباب أخرى . وفى كل حال من الاحوال فإن من الثابت أن الذين جندوا جوناثان بولارد وأخذوا منه المعلومات كانوا على أعلى مستوى فى الجيش والدولة الاسرائيلية .

والواقع أن الدولة الإسرائيلية منذ أن قامت ، وهى تعرف أو على الأقل يدرك مؤسسوها أنها دولة مصطنعه وزرع غريب فى المنطقة العربية وأن عليها أن تحصل على الحماية والأموال والبشر والسلاح من الخارج . وهكذا فعلت ، كما يحكى الفصل الأول من هذا الكتاب بالفعل عندما يتعرض لمنشأ العلاقة بين المخابرات الاسرائيلية والمخابرات المركزية الأمريكية وهى العلاقة التى توثقت واستمرت وقائمة حتى الآن .

والملاحظ من التفاصيل التى يوردها الكتاب أن المخابرات الاسرائيلية قد أعتمدت فى نشاطها على تجنيد العملاء الأفراد بدلا من زرعهم إلا فيما ندر ، وقد استفادت فى ذلك من انتشار اليهود فى العالم ولم تبال القيادة الاسرائيلية بأنها تعرض بهذه الطريقة الطوائف اليهودية فى أوطانها الأصلية لأخطار الشك والكراهية . بل أنها كانت تكشف أحيانا عن بعض العملاء أو تتركهم لمصيرهم قصدا لإستثارة موجات الشك هذه وجعلها تشمل اليهود بشكل عام فيفر هؤلاء من أجواء الشكوك المحيطة بهم ولا يجدون مكانا سوى فى اسرائيل . كما حدث مع يهود العراق الذين حرقت بعض معابدهم ومقاهيهم على أيدى عملاء اسرائيليين ثم ترك هؤلاء العملاء ليقعوا فى قبضة أجهزة الأمن المحلية .

من ناحية أخرى كانت أجهزة الأمن فى الدول الكبرى ومنها الاستخبارات ، ومازال تعانى من مشكلة زرع عناصرها فى البلاد المستهدفة . خاصة فى بلاد العالم الثالث كالبلاد العربية وأفريقيا وآسيا حيث ينظر الناس إلى الأجانب كغرباء وتقضى التقاليد بعدم التكلم أمامهم بما يعد خصوصيا .

ولقد أدركت القيادة الإسرائيلية منذ البداية هذه الثغرة الضعيفة ومن ثم تقدمت وبسرعة عارضة خدماتها على القيادة الأمريكية ليس فقط لإطلاع الأخيرة على مايجرى فى المعسكر الشرقى وإنما أيضا على مايجرى فى الدول العربية المحيطة ، التى رحل بعض رعاياها اليهود إلى سرائيل .

وتقاطعت رغبة الولايات المتحدة الأمريكية فى ملىء الفراغ الذى ترتب على خروج

القوى الاستعمارية القديمة من القارة الأفريقية مع مصلحة القيادة الاسرائيلية فى التسلل إلى القارة للإشتراك فى نهبها ولمحاصرة الوطن العربى من ناحية أخرى وكذلك لفك الحصار عنها فى مواجهة المقاطعة العربية . وتعهدت القيادة الاسرائيلية بتقديم المعلومات للولايات المتحدة الأمريكية والأغلب أنها كانت وماتزال مستعده لبيع هذه المعلومات لمن يدفع أكثر ولم يكن مطلوبا من الولايات المتحدة الأمريكية فى حالة أفريقيا إلا التمويل وهو ما كانت تقدمه منذ البداية كما جاء فى هذا الكتاب من ميزانياتها الخاصة للطوارىء لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

ثم تطور الأمر بعد ذلك وأصبح على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقدم المال وكذلك الغطاء الضرورى لتغطية العملاء وكثيرا ماتم اختيار يهود أمريكيين ضمن البعثات الدبلوماسية أو بعثات الوكالات الدولية موفرين بذلك الفرصة أمام اسرائيل للتجنيد أو التعاون بسبب الانتماء العقيدى .

بل أن العلاقات فى هذا المجال توسعت بعد ذلك إلى درجة تخصيص برامج خاصة للتنمية والتعاون الدوليين تنفرد فيها اسرائيل بالعمل بحيث تقدم الولايات المتحدة الأمريكية المال والغطاء الدبلوماسى واليافطات المعنوية المطلوبة دون أن تشترك مباشرة ولو بإسمها لتعود مزايا تقديم المعونات معنويا لدولة اسرائيل بإعتبارها هى المانحة وهى التى تقدم المعونة كما أنها هى وحدها التى تحصل على المعلومات مباشرة من تلك البلاد وتقيم الاتصالات الثنائية مع أشخاص الحاكمين .

ولقد نشر مؤخرا باحث أمريكى يدعى دانكان ل . إلى كلارك دراسة حول العلاقات الأمريكية الاسرائيلية فى إطار مايسمى التعاون من أجل التنمية كشف فيه أن قرارا أمريكيا يسمى " بتعديل برمان " صدر منذ عام ١٩٨٥ من الكونجرس الأمريكي بدون اعتراض من أحد رغم القوانين السابقة الخاصة ببرامج التعاون بحيث أعطى شرعية لمشروعات أمريكية اسرائيلية مشتركة للمساعدة فى التنمية فى بلاد العالم الثالث .

ويذكر الباحث الأمريكى أن حكومة ريجان عارضت هذا القانون عند طرحه على الكونجرس الأمريكى ولكنها لم تعمل ضده بنشاط رغم أن وزارة الخارجية الأمريكية أبدت اعتراضا جوهريا يقوم على أن أمريكا لديها بالفعل برامج ثنائية ضخمة بين المؤسسات الأمريكية والبلدان الأقل تطورا عن طريق برنامج وكالةالتنمية الدولية الـ "Aid" فى التعاون العلمى والتكنولوجي وانه لاتوجد حالة مقنعة تدعو إلى وضع برنامج جديد أو بديل بين ثلاثة أطراف . وفيما بعد تم تغيير اسم البرنامج واختفت امريكا من التركيبة الثلاثية وقدمت معونات لإسرائيل مباشرة لتتولى بدورها تقديمها للبلدان الأقل تطورا وخاصة فى أفريقيا .

والباحث لايتناول الموضوع من وجهة نظر التشكيك في الدور الاستخباراتي لإسرائيل وإنما هو يحتج بأن الإدارة الأمريكية تقدم لاسرائيل أموالا كانت من المفروض أن تقدمها للدول الأقل تطورا مباشرة كما أنها تمول من تسميهم اسرائيل بالخبراء بينما يوجد خبراء امريكيون يعملون في المجال نفسه .

ويخلص الكاتب فيما يخلص إلى تقرير مايلي " إن امريكا اللاتينية هي المنطقة الإقليمية الرئيسية التي تتلقى مساعدات اسرائيلية وتأتي بعدها افريقيا ثم آسيا . وبرامج المساعدات الخارجية التي تقدمها تشمل حوالي (٩٠) بلداً منها (٢٥) بلدا ليس بينها وبين اسرائيل علاقات دبلوماسية . والمزايا السياسية التي تعود على اسرائيل من هذه البرامج هي عادة مزايا غير مباشرة مثل تسهيل الدخول إلى بلد من البلدان الأقل تطورا والحصول على تأييد أو امتناع عن التصويت في احدى المنظمات الدولية والمقدرة على الاتصال بالمهنيين وموظفي الحكومة البارزين في البلدان الأقل تطورا وهم من بين أكثر من اربعين ألفا ممن تشملهم برامج التدريب الاسرائيلية ".

والأمر الهام الذي يكشفه هذا البحث هو مايشير إليه الباحث من انه لاتوجد " اي دراسات أمريكية للعمليات أو القوى الفعالة في العملية السياسية للمساعدات الخارجية الأمريكية او البرامج المتعلقة بالدفاع المقدمة لاسرائيل او معها ... في حين ان معظم المساعدات الامريكية الاسرائيلية مساعدات أمنية (العدد السابق) .

ولعل في هذه الملاحظة مايجيب على اسئلة تدور منذ سنوات في مصر حيث يبحث الفنيون عن الدور الاسرائيلي في مختلف مراكز التنمية والبحوث في مصر فلا يجدوه إلا نادرا . والحقيقة هي أن هذه المراكز كما يكشف الباحث الأمريكي تتقدم اسرائيليين أو يهود امريكيين مرتبطين باسرائيل ويتم التمويل امريكيا بالطبع .

وهذا الكتاب يذكر حالات كثيرة كانت فيها العلاقات الاسرائيلية - الأمريكية في مجال المخابرات تغطّى بإعتبارات مقبولة قانونا وبتبرير انساني أو تنموي أو دبلوماسي . وليس من المتوقع حتى في ظل التوتر الحادث الذي يكشف عنه نشر الكتب الأخيرة عن العلاقات الاستخباراتية الاسرائيلية الأمريكية أن تتوقف هذه العلاقات انما هي على الأقل سيتم استبدالها بقنوات أخرى اكثر قبولا وصدقية وتتلائم مع المرحلة المقبلة . وهو ماتستعد له الدولة الاسرائيلية بالفعل ومنذ اوائل الثمانينات .

فبعد سقوط شاه ايران وبعد اتفاقية الصلح المصرية الاسرائيلية ناقشت القيادة الاسرائيلية من جديد عقيدتها العسكرية وكان من بين ماتوصل اليه مفكروها أن أمن اسرائيل القومى سيعتمد على قوة عسكرية بشرية عالية التدريب والتسلح التقنى والجاهزية للإنتقال وفى الوقت نفسه على اسلحة ذكية دقيقه التصويب ثم على شبكة واسعة قوية من الاستخبارات .

وبذلك استمرت القيادة الصهيونية فى اسرائيل فى تعديل أوضاعها لتتلائم مع الخدمات المطلوبة منها أو المطلوبة فى السوق العالمية .

ومع توقع الوصول إلى تسوية فى المنطقة تفتح الابواب أمام التحرك الارائيلى بشريا ، فإن من الفطنة والحكمة الانتباه إلى الدور الاسرائيلى الاستخباراتى الذى سيتزايد بالتأكيد من خلال قنوات مشاريع التنمية والتدريب ونقل التكنولوجيا . . . الغ التى ستتطوع امريكا بتمويلها ، بل وربما طلبت عن حلفائها الاغنياء " اليابان وألمانيا " تمويلها ايضا ، لتفقد هذه المشاريع " حساسيتها " السياسية فى أنظار العرب الذين يستريبون فى أمريكا كما يستريبون فى إسرائيل ويعرفون - أى العرب - أن مالدى اسرائيل من معلومات سيقدم لأمريكا مباشرة على الأقل ، اتفاقية التعاون الاستراتيجي بينها .

* * *

يبقى سؤالان من بين عشرات الاسئلة التى يثيرها هذا الكتاب لعل أولهما فى ذهن القارىء هو لماذا يصدر هذا الكتاب الآن ومامدى صدقية ماجاء فيه وهدفه وفائدته ؟

والسؤال الثانى هو ماإذا كانت الاستخبارات الاسرائيلية والاستخبارات الأمريكية سيواصلان علاقتهما وكيف يمكن أن نحقق حماية أوطاننا وعقولنا ناهيكم عن ثرواتنا واستقلالنا ؟

أما السؤال الأول فقد يجد اجابات كثيرة حول السبب الذى دفع بالكاتبين الزوجين اندرو وليسلى كوكبورن لكتابته ومعظم هذه الإجابات سيكون من قبيل الاستنتاج ولن يعرف قارىء منا السبب فى صدور هذا الكتاب بالقطع واليقين ، ولن يعرف ذلك أحد إلا المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الاسرائيلية . بل إن الكاتبين نفسيهما قد لايكونا على علم بالدافع السياسي الاستخباراتى لإصدار هذا الكتاب ، أو هما يتوهمان .

وأيا كانت استنتاجاتنا وما إذا كانت هناك خلافات بين المخابرات الاسرائيلية والمخابرات الامريكية وأن الأخيرة تريد أن تعيد الأولى إلى داخل حدودها المرسومة لها ، أو أن الأخيرة اى الأمريكية ترد على محاولات الصهيونية لتوريط بوش فى قضية مبادلة الرهائن وتصدير الأسلحة إلى ايران ، أو ما إلى ذلك من توقعات يعلنها أصحابها بسند

من الاستنتاج السياسى ، مهما كانت صحة هذه الاستنتاجات أو عدمها فإن صدور هذا الكتاب وامثاله فى هذه المرحلة بالذات من تاريخ العلاقات الأمريكية الاسرائيلية يعنى أن ثمة صفحة قديمة تطوى وهناك صفحة أخرى جديدة يتم فتحها أو التحضير لها . فالقاعدة كما - سبق الذكر - فى العمل الاستخباراتى أن ماسبق كشفه انتهى .

كذلك يعنى صدور هذا الكتاب أن كل الوقائع التى جاءت فيه صحيحة من ناحية حدوثها ولكن المشكلة هى ماإذا كانت صحيحة فى توصيفها أم لا . فالكتاب مكتوب من وجهة نظر كاتبين أمريكيين لا يخفيان نظرتهما الأمريكية أى انه مكتوب من وجهة نظر مصلحة امريكية وبمقاييس امريكية وليس فيه فى مجمله اساءة تذكر للمجتمع الامريكى ولا وجهه القبيح بل إن الوقائع يجرى سردها دائما لتبرر التورط الأمريكى عن طريق المخابرات المركزية الأمريكية التى يحركها شخص مايحمله الكاتبان مسئولية هذه العلاقة دون أن تتحمل المؤسسة الأمريكية ككل مترتباتها وليس مهما أن يذكر اسم هذا الشخص الذى يتولى مسئولية المخابرات المركزية الأمريكية . فمعظم من ذكروا ماتوا وآخرهم مات فى حادثة مريبة وهو وليام كيسى وهم على أى حال أفراد ولا يمكن تصور أن العلاقة الأمريكية الاسرائيلية في مجال الاستخبارات تخضع لتأثير فرد على الشكل الذى ورد فى وقائع هذا الكتاب .

يخدم صدور هذا الكتاب فى هذه الفترة هدفا آخر بالإضافة إلى إعادة اسرائيل والمخابرات الاسرائيلية إلى حجمها المرسوم فى إطار العلاقة الأمريكية الاسرائيلية ألا وهو هدف تبرئة المؤسسة الأمريكية بمجملها أو على الأقل التبرئة بالاعتذار وتقديم نقد ذاتى لايغير من واقع العلاقة شيئاً .

ومع ذلك فللكتاب فوائد كثيره إذا ماتسلح القارىء بذاكرة جيدة ونظرة فاحصة للأحداث واشخاصها وظروف وقوعها واختلاف تعبيراتها وتوصيفاتها . عندئذ سيكون بين يدى القارىء كمية كبيرة من المعلومات التى كانت خافية والتى جمعها المؤلفان بدأب وحذق . ويمكن للقارىء المعنى أن يستفيد منها فى تحليلاته وبحوثه ودراساته بل وتدريباته على اليقظة والإنتباه .

أما عن السؤال الثانى حول علاقة الاستخبارات الاسرائيلية بالاستخبارات الأمريكية وما إذا كانا سيواصلان علاقتهما فإن الإجابة هى بالقطع نعم . ستظل هذه العلاقة قائمة ويمكن توقع انها ستزداد قوة فما تزال الأسباب التى دفعت اليها منذ نصف قرن من الزمان قائمة بل ان الدولة الاسرائيلية هى احوج للمال الآن أكثر مما

كانت فى ذلك الوقت . كما أن الولايات المتحدة الأمريكية هى أحوج ماتكون للدور الاسرائيلى فى المنطقة العربية أكثر من أى ظرف سابق .

لقد كان يقال أن أمريكا تدعم اسرائيل وتحميها وتريد بقاءها لسببين هما المواجهة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفيتي والنفط ، والآن مع انتهاء المواجهة مع الاتحاد السوفيتى ومع سيطرة أمريكا تماما على النفط واسعاره لعقد كامل على الأقل فإن أهمية اسرائيل فى إطار الاستراتيجية الأمريكية الكونية تعتمد على أنها قاعدة التنصت المباشرة فى المنطقة ليس فقط على القوات المسلحة وإنما على البشر وحياتهم اليومية وابداعاتهم الثقافية والسياسية والفكرية . وهى الأكثر قدرة من جميع الأجانب الغربيين على السفر والتجول إذا انفتحت الحدود الرسمية وهى الأكثر قدرة من جميع وسائل الإذاعة الغربية فى مخاطبة شعوب المنطقة بلغتها ولهجاتها وبإستثناء السينما فإن التليفزيون الاسرائيلى يستعد لاقتحام البيوت فى كافة ارجاء المنطقة بأفكاره المريبة والمنحرفة وافلامه الداعرة . ولن تجد الولايات المتحدة الامريكية فى أى نظام حكم فى المنطقة من ينافس الدولة الاسرائيلية فى هذه المجالات فى خدمتها . فإذا أضفنا إلى ذلك أن الدولة الاسرائيلية هى وتجمعها الاسرائيلى كله قسم من الغرب سلوكا وحضارة فإن المرحلة المقبلة التي يتنبأ لها الكثيرون بأنها مرحلة صراع حضارى محتدم يحقق لإسرائيل الموقع الذى تحدثت عنه الكتابات السياسية والفكرية منذ قرن بأنها قاعدة الغرب المتقدمة فى المنطقة ، عسكرية كانت أو سياسية أو حضارية . ولنضف أنها قاعده الغرب الاستخباراتية .

هل يمكن أن نواجه ذلك ؟

ممكن طبعا وليس الأمر صعبا بل لقد جاء الوقت الذى تصطدم فيه المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الاسرائيلية بصخرة الحضارة العربية فى مواجهة عمليات التجسس والتخريب .

لقد شهد الصراع فى السنوات الماضية اشكالا مسلحة أمكن فيها للقوة الاسرائيلية المدعومة بالقوة الأمريكية وحمايتها مواجهة القوى العربية المؤسسية المسلحة . وفى كافة المعارك التى وقعت كان المراقبون والمحللون والمؤرخون يقيسون النصر أو الهزيمة بالخسائر فى السلاح والأرواح وبمساحات الأرض المسيطر عليها .

ولقد آن الأوان لتقييم المواجهات بين العرب والصهاينة بل والأمريكيين بحسابات أخرى أهمها مدى ماتحقق للغرب عامة وأمريكا والصهيونية خاصة من نفاذ إلى العقول والمشاعر والانتماء . ونظرة واحدة إلى النصف قرن الماضى تكشف دون مبالغة على أن

جماهيرنا العربية محصنة بعقائدها وبتراثها الحضارى ضد كافة محاولات التخريب ومايستتبعه من فساد ويأس وانكفاء وانحرافات وعنصرية ، وتحويل الناس إلى أدوات فى آلة تخدم الشيطان القابع فى تل أبيب أو واشنطن .

ذلك لم يحدث ومازال الحصن الواقى للعرب جميعا هو تعميق الانتماء للوطن وتنشئة الأجيال بالقيم التي تحض على الصدق والإيثار والشجاعة والتضحية وحب الأهل والأوطان وكلها قيم يستهدفها التخريب الأمريكى الصهيونى سواء بإعلامه (الذى هو جزء من الحرب النفسية ضدنا) أو بجواسيسه المخربين (الذين يتسللون من ثغرة الغفلة والأنانية) .

* * *

ثمة فائدة جزئية أخرى لنشر هذا الكتاب لعلها لم تكن فى ذهن من كتبوه ونشروه فى الولايات المتحدة الأمريكية وهى أن يعرف كل من تضعف نفسه أمام إغواء أجهزة المخابرات المعادية أنه سيأتى يوم يلقونه فى صفحة كتاب منشور فتكون فضيحة وتكون نهايته ، كما تلقى النفايات فى مزبلة التاريخ .

* * * * * * * * * *

* * * * * * *

* * *



وزارة الدفاع

فى يوم من أيام الربيع - قبيل بدء الحرب ضد العراق تحركت قافلة تتكون من خمسين سيارة ركاب قادمة من أحد فنادق تل أبيب المطلة على البحر فى اتجاه الشمال . وكان مكتوبا على كل سيارة " فيلا دلفيا " وقد وصلت جميعها بركابهما التسعمائة والخمسين الى معسكر " باراك Barak " فى المنطقة الشمالية من مرتفعات الجولان .

كان معظم الركاب من متوسطى العمر ، يرتدون ملابس مكتوبا عليها " نحن معكم " و " جئنا بطائرات العال " . وكانت رحلتهم الى اسرائيل للتعرف على معالمها وكان هذا اليوم هو اليوم المثير فى زيارتهم فسوف يشاهدون الجيش الأسرائيلى أثناء المناورات .
القوات فى القاعدة العسكرية على أهبة الاستعداد والسيارات والدبابات تروح وتجىء والضباط مشغولون بوضع لافتات باللغة الانجليزية . وكان من ضمن المجموعات مجموعة من المجندات يرتدين ملابس عسكرية براقه . وبدأ الزائرون ينزلون من السيارات ويلتقطون الصور التذكارية للدبابات والمعدات العسكرية ويخصون المجندات بكثير منها . ثم بدأت الميكروفونات فجأة تتحول من الكلام بالعبرية الى اللغة الانجليزية قائلة " سيداتى وسادتى سوف يبدأ العرض بعد خمسة عشر دقيقة . يمكنكم التقاط الصور التذكارية للمعدات والمجندين ولا تنسوا المجندات أيضا " .

وبعد قليل ظهر الجنرال " يوس باليد Yossi Peled " فى مظهر وملبس مقاتل قوى الشكيمة وبدأ يتكلم بالانجليزية ركيكه عن طفولته ومعاناته فى ذلك الوقت من اضطهاد اليهود وكيف اقتنع أنه لا بد من اتحاد اليهود فى العالم . ثم اعطى الميكروفون بعد ذلك لوزير الدفاع شخصيا " اسحق رابين Yitzhak Rabin " الذى كان قد وصل لتوه بطائرة

هليكوبتر . واسحق رابين هو أحد أبطال حرب التحرير وكان يشغل منصب رئيس الأركان خلال حرب الأيام السته . وبدأ رابين حديثه بالتأكيد على ضرورة اتحاد اليهود وأشار فى حديثه الى " الانتفاضه " الفلسطينية قائلا أنه قد جاء لتوه من غزه وأنه خاطب مجموعة من المسئولين الفلسطينين قائلا أن المشكلة الفلسطينية لن تحل إلا من خلال " المفاوضات " وأن القاء الحجارة لن يؤدى الى نتيجة . وقوبل كلامه بتصفيق من المستمعين . وكانت " الانتفاضة " الفلسطينية قد جذبت انتباه كثير من أجهزة الاعلام والصحف الامريكية .

وبعد تبادل الهدايا التذكارية أعلن الميكروفون أن المعركة ستبدأ وقال بالانجليزية "هذا أمر عسكرى . اذهبوا الى مواقعكم وحظا سعيدا . . . " وبدأت الدبابات اطلاق النار وجرى الجنود فى جميع الاتجاهات وهم يطلقون الرصاص وقنابل الدخان على العدو - والذى كان يمثله مجموعة من البراميل - فتطايرت البراميل فى كل اتجاه وهنا صاح الميكروفون بلهجة مسرحية " أنا لا أنصح أحدا أن يكون فى الطرف المعادى للمعركة ! " وأخيرا انتهت المعركة بهزيمة العدو المزعوم . وهنا صاح الميكروفون " سوف ترون الآن سلاح اسرائيل السرى الخطير " وعندئذ بدأ الجنود الأسرائيليون فى الهبوط من دباباتهم وساروا على هيئة طابور العرض وهم يبتسمون كما لو كانوا ممثلين على المسرح وقد انتهوا توا من عرض مسرحيتهم وهم مصطفين لتحية الجمهور .

وحتى عهد قريب كان يوجد كثير من الأمريكيين فى فنادق تل أبيب المطلة على البحر وقد حضروا ليشهدوا مثل هذه الاستعراضات طوال العام . وكانت السلطات الأسرائيلية تأخذهم فى رحلات سياحية ليشاهدوا مرتفعات الجولان التى كانت للسوريين وكانوا يستطيعون ضرب الأسرائيليين بالمدافع منها قبل عام ١٩٦٧ وهى كذلك تطل على القدس وعلى قلعة " ماسادا Masada " على ساحل البحر الميت حيث قامت أخر معركة بين قوات المقاومة اليهودية والحاكم الرومانى فى عام ٧٠ بعد الميلاد .

والغرض الأساسى لمثل هذه الجولات السياحية فى اسرائيل هو جمع التبرعات من الزائرين - ومعظمهم من اليهود - فإن إسرائيل تعتمد اعتمادا كليا على الكرم الامريكى فحصيلة التبرعات فى العام تبلغ حوالى بليون دولار وتبيع الحكومة الأسرائيلية سندات بحوالى ٥٠٠ مليون دولار وتقرضها البنوك الامريكية حوالى البليون دولار أيضا . وكل ذلك يتضاءل بجانب ما تدفعه الحكومة الامريكية وهو ما يبلغ حوالى أربعة بلايين . أى بواقع ١٣٠٠ دولار لكل اسرائيلى فى العام !! ويبلغ الدخل القومى فى اسرائيل حوالى ٢٤ بليون دولار فى العام وهذا يعنى أن اسرائيل تتلقى حوالى ١/٤ الدخل القومى من

مواطنى الولايات المتحدة حتى فى أيام السلم . وقد قال الأستاذ " يهوشا ليبوفيتز Yehoshua Liebowitz " رئيس تحرير دائرة المعارف اليهودية فى وصف هذه الحالة " لقد عاش يهود العالم ما يقرب من ألفى عام دون أى معونة من أحد . والآن أصبح اليهود فى اسرائيل تحت رحمة الأمريكيين !! "

ومن هنا تأتى ضرورة اقناع المتبرعين ومعاملتهم بالمودة واللين حتى يحصلوا على أكبر قدر من التبرعات . فالثمن الذى تدفعه اسرائيل فى القيام بمثل هذه المناورات التى حدثت فى قاعدة " باراك " الأسرائيلية لا يقاس بكمية التبرعات التى تنهال عليها من المشاهدين . وسوف ينطبع فى ذاكرة المشاهدين الأمريكيين منظر هؤلاء المجندين والمجندات الأسرائيليين وهم يقومون بالاستعراض أمامهم بكل فخر كما لو كانوا قد انتهوا من الانتصار فى حرب الأيام الستة .

وقد قال " إريل شارون Ariel Sharon " وهو أحد كبار الجنرالات الذى تحول الى سياسى يمينى أمام هذه المجموعة من الزائرين حين أخذهم الي حدود الخط الاخضر خلف تل أبيب وكانت أمامه خريطة كبيرة لأسرائيل أنه إذا اضطرت اسرائيل للتنازل عن الأراضى المحتلة فإن ذلك سوف يجعلها فى خطر دائم من العرب الذين يسعون لتقطيع أوصالها .

ولكى يستطيع الزائر أن يفهم اسرائيل حق الفهم فعليه أن يبتعد عن مثل هذه الزيارات التى قامت بها مجموعة من فيلادلفيا ويذهب الى شارع " ريهدوف شاؤول هامليك Rehov Shaul Hamalekh " ففى هذا الشارع سوف يجد حائطا عاليا يعلوه سلك شائك وحوله مجموعة من الجنود مسلحين برشاشات أمريكية . ولا يرى خلف الحائط إلا قمم بعض الأبنية . وفى أحد الأماكن يظهر مبنى خرسانى على هيئة مسلة عالية يمكن رؤيتها من أى مكان من المدينة . وقد كانت هذه المسلة خلال يناير سنة ١٩٩١ هى الهدف الأساسى لصواريخ سكود العراقية التى اطلقت على تل أبيب . ويخرج من هذه المسلة عند طبقات مختلفة هوائيات متنوعة غريبة الشكل لا يضاهيها إلا الهوائيات التى تعلو السفارة الأمريكية القريبة منها .

يقع خلف هذه الحوائط أهم واخطر مكان فى اسرائيل كلها : " وزارة الدفاع " ويقول وزير الخارجية الأسرائيلى " دافيد ليفى David Levy " : " نحن نؤمن بشيئين اثنين الرب الاسرائيلى ووزارة الدفاع الاسرائيلية " ويطلق على هذا المبنى كلمة " كيريا Kirya " وهى كلمة عبرية تعنى " المكان " ويشمل " المكان " مكتب وزير الدفاع وموظفيه الذين يقومون بعمل ميزانية الدفاع وشراء الأسلحة كما يشمل مكتب رئيس الأركان ورئيس

المخابرات العسكرية (وهى تختلف عن الموساد) حيث تهتم فقط بالمسائل العسكرية وإن كانت تتنافس مع الموساد أحيانا .

وعلى الجانب الآخر من الشارع نفسه تقع كثير من المبانى الفاخرة مثل بيت أمريكا، آى بى إم ، ببيت آسيا وبعض المبانى الشاهقة ذات الواجهات الزجاجية والمداخل الأنيقة ولمعظم سكان هذه الأبنية علاقة ببيع وشراء الأسلحة ويعمل بها شبكة من كبار الضباط ورجال المخابرات الحاليين والسابقين وتجار الأسلحة ومقاولو الأعمال العسكرية وهم من يطلق عليهم جميعا " المجموعة الأمنية " وحجم عملياتهم يشكل معظم اقتصاد اسرائيل . ورغم ذلك فإن هؤلاء الأشخاص مجهولون لمعظم المجتمع الدولى الخارجى رغم أن حياتهم الشخصية وتصرفاتهم تتناولها كثير من الصحف الاسرائيلية .

وقد حاول أحد الأمريكيين التجسس على " المجموعة الأمنية " حين أرسلت أجهزة التجسس الأمريكية جاسوسا بصفته موظفا فى السفارة الأمريكية لمدة عدة سنوات . وكانت أجهزة المخابرات الأسرائيلية تعلم أنه جاسوس بل لقد كانت تضع تحت يديه بعض المعلومات المصنوعة . وفى ختام مهمته أقاموا له حفل توديع حضرها أحد كبار رجال الموساد واختتمها بكلمة أشاد فيها بمجهود الجاسوس واخلاقه وصفاته كموظف بالسفارة وقال له فى نهايتها " . . . لقد أحببناك فأنت اسرائيلى أكثر من الاسرائيليين انفسهم . فعد الى بلادك الآن ولا تعد إلينا ثانية !! "

ويوجد بالقرب من وزارة الدفاع مبنى صغير يقع فى ٨ شارع " دافيد العازر David Elazar " وتشغله مؤسسة تسمى " سيبات Sibat " ويعرفها كل من له علاقة بتجارة الأسلحة حيث يجب على تاجر السلاح أن يحصل على موافقة رئيس السيبات كى يتمكن من اتمام صفقة السلاح . ويبلغ حجم صفقات السلاح ١,٥ بليون دولار سنويا أى ما يمثل ٤٠٪ من صادرات اسرائيل ويرأس هذه المؤسسة أحد الضباط من خريجى اكاديمية الموساد يدعى " زفى رويتر Zvi Reuter " وكان هذا الرجل من أقوى الرجال فى اسرائيل حتى تقاعد فى عام ١٩٩٠ .

وكانت اسرائيل فى بداية نشأتها فى حاجة الى كثير من المعاونة من واشنطن . فلم يكن لديها موارد تجارية كافية ولكنها كانت تملك ولاء اليهود لها فى جميع انحاء العالم خصوصا وراء الستار الجديدى حيث كان من الممكن تشغيلهم لصالح أمريكا . وكان ذلك هو ما يرغبه جهاز المخابرات الأمريكية الذى يدعى " Central Inteligence Agency " ويرمز له

باختصار C.I.A ومن هنا بدأ التعاون بين وكالة المخابرات الأمريكية فى فيرجينيا واسرائيل .

ومع تزايد الصراع بين الشرق والغرب ليشمل دول العالم الثالث كلها زادت الحاجة للتعاون بين اسرائيل وامريكا فمثلا عندما أصبح عبد الناصر - وهو عدو اسرائيل - عدوا لأمريكا أيضا عندما انضم الى المعسكر الشرقى كان من المفيد أن يكون داخل مصر من يستطيع بسهولة وبدون أن يثير الشبهات من ينقل للوكالة الأمريكية - عن طريق اسرائيل - ما يدور داخل مصر . ولذلك عندما قامت حرب ٦٧ كان من السهل على اسرائيل اقناع أمريكا بأن من مصلحتها سحق جمال عبد الناصر .

إن اسرائيل تعيش بحد السيف ويبدوا أن ذلك مدعاة لسرورها أو على الأقل مدعاة لسرور الإسرائيليين الذين يعملون فى تجارة السلاح وهذا بدوره مداعاة لسرور الأمريكيين أيضا فالاسرائيليون يمكنهم أن يشهدوا بكفاءة السلاح الأمريكى - بصرف النظر عن أنهم يقولون الحقيقة أو يكذبون - كما يمكنهم ترويج السلاح الأمريكى فى حالة كساده . وفى المقابل يمكنهم الأستفادة من بعض الأسرار التكنولوجية الموجودة فى السلاح الأمريكى . وليس من الضرورى على أى حال أن يحب الأمريكيون الأسرائيليين ففى عالم السلاح والمال ليس هناك مجال للعواطف والانفعالات .

ومن هذه البداية البسيطة بدأت العلاقة تنمو واستفاد الطرفان من ذلك . وعندما استسلم الروس وانهوا الحرب الباردة كان من من المتوقع أن تنتهى علاقة اسرائيل بالوكالة الأمريكية - أو على الأقل تضعف - ولكن فى هذا الوقت بدأ صدام حسين غزو الكويت وبدأت مرحلة جديدة فى هذه العلاقة .

وقد كان " رويتر " هوتانى شخص يتولى رئاسة " سيبات " أما الرجل الأول فقد انتقل الى الطرف الأخر من الشارع وبدأ يتاجر فى السلاح ! !

يوجد فى الطابق العاشر من مبنى IBM الفخم شركة تسمى " إيجل Eagle Corporation " يرأسها رجل يدعى " شابيك شابيرو Shapik Shapiro " وهى (رسميا) شركة تتاجر فى المهمات العسكرية المساعدة مثل الخيام والملابس والأحذية وما أشبه ذلك . ولكنها فى الحقيقة تتاجر فى السلاح وعل ينطاق واسع من أفريقيا الوسطى حتى الشرق الأقصى وقد بدأ " شابيرو " حياته العملية فى عام ١٩٤٠ مع شخص يدعى " تيدى كوليك Teddy Kollek " فى الولايات المتحدة حيث كان كوليك يعمل فى التجارة الخفية للأسلحة بين

الولايات المتحدة والاسرائيليين وكانت الولايات المتحده لا ترحب بتزويد الأسرائيليين بالسلاح . وكانت مهمة كوليك وشابيرو وغيرهم أن يرسلوا أى قطعة سلاح تقع تحت ايديهم الى اسرائيل (فلسطين فى ذلك الوقت) وغيرهم وأخيرا عندما توثقت الصلة بين أمريكا وأسرائيل ساعد شابيرو فى المفاوضات للحصول على الأسلحة من أمريكا لاسرائيل . وفى النهاية أصبح رئيسا لهيئة " سيبات " وحريصا على ارضاء الأمريكيين .

ورغم أن شابيرو أمضى وقتا طويلا فى الولايات المتحدة إلا أنه اكتسب المظهر الأوربى الذى يكتسبه معظم الأسرائيليين فى المجتمع الراقى الاسرائيلى حيث يطلقون على أنفسهم "صابرا الاشكنازى البيض White Ashkenazi Sabra " والأشكينازى هم اليهود من أوربا الشرقية ووسطها الذين هاجروا واستوطنوا فلسطين وأصبحوا نواة اسرائيل واصبحوا حكاما لها حتى وصول السفارديم اليهود " Sephardis " من شمال أفريقيا والبلاد العربية وكونوا حزب الليكود (يوجد بعض الأشكينازى فى حزب الليكود أيضا مثل مناحم بيجن) . إما الصابرا فهو اليهودى الذى ولد فى اسرائيل . ويوجد أيضا اليهود من أصل أمريكى ويسمون "النحل Wasps " وأهم سمة لهم هى التعالى والغرور ولهم علاقات وطيدة مع الأمريكيين .

وإذا كان قليل من الناس قد سمعوا عن " السيبات " وأعتقد أنه لا يوجد من لم يسمع من قبل عن " الموساد " وهو جهاز التجسس الأسرائيلى فمنذ اختطاف مجرم الحرب النازى أودولف ايخمان Adolf Eichmann من البرازيل فى عام ١٩٦٠. أصبحت سمعة الموساد – وهو الجهاز المقابل لوكالة المخابرات الأمريكية C I A – مدوية كمثل أعلى للكفائة والعمليات السرية الناجحة والتجسس . وليس من السهل على أى شخص – خصوصا الأجنبى – دخول هذا الجهاز الذى يقع مبناه فى شارع " هدار دافنا Hadar Dafna " والعمل فى هذا الجهاز يدور فى سرية تامة ولا يتعامل الموظفون باسمائهم الحقيقية بل لهم اسماء حركية . ولا تعود لهم اسماؤهم الحقيقية إلا إذا تركوا العمل فى الجهاز . وغالبا ما توكل إليهم الأعمال ذات العائد المجزى والمركز المرموق وغالبا ما يكون ذلك فى نفس الحى الذى يقع فيه الجهاز .

وعلى سبيل المثال فإنه يوجد شخص يدعى ديفيد كمش David Kimche " يشغل شقة فى المبنى العالى المسمى " بيت أسيا Asia House " فى الدور الثالث فيه وعلى بعد خطوات من مبنى الموساد . وهيئة كمش لا توحى بتاتا بزنه من أعتى وأخطر الجواسيس التى انتجتها اسرائيل . إنه يفوق شابيرو فهو خبير بالقواعد التى تحكم العلاقة بين امريكا واسرائيل فى عالم تتشابك فيه قواعد الدبلوماسية مع التجسس وتدور فيه علاقات خفية

.وقد التحق كمش بالموساد فى عام ١٩٥٠ وعمل فى المكتب الأفريقى حيث تمكن من اختراق اسرار الدول الأفريقية التى استقلت حديثا . ثم عمل فى اثارة الأكراد ضد العراق فى بداية عام ١٩٦٠ . وقد ترك كمش الموساد فى عام ١٩٨١ لاستيائه من عدم ترقيته الى رئيس الجهاز وعمل مديرا عاما فى وزارة الخارجية . واستغل مهنة التجسس المتأصلة لديه فى العمل كرئيس مكتب الاتصال مع حكومة ريجان ، وقد اشتهر بنشاط فيما يسمى بعملية ايران كونترا وعمليات أخرى كثيرة لم يذكر عنها شيء . وقد ترك كمش العمل الحكومى فى عام ١٩٨٥ وعمل مع الشخص الذى يمتلك بيت آسيا وهو الملياردير اليهودى شاؤول نحميا أيزنبرج Shaul Nehemiah Eisenberg .

ولكى نفهم اسرائيل يجب أن نعلم شيئا عن ايزنبرج فاسرائيل لها كثير من الأغنياء ولكن ايزنبرج هو أغناهم جميعا . فهو يمثل قوة وسيطرة تجارة السلاح والتجسس والديبلوماسية مجتمعين !! ويخاطب رئيس الاستخبارات الأمريكية ومستشارى الأمن القومى الأمريكى مباشرة ويعمل سفيرا لاسرائيل لدى أمريكا ولكنه يجرى بأقصى سرعة إذا سمع جرس رئيس الموساد يناديه من الحجرة المجاورة وهناك "نكته" تطلق عليه معناها " هل تملك دولة اسرائيل ايزنبرج أم أن ايزنبرج هو الذى يمتلك دولة اسرائيل ؟ ! " .

وقد ولد ايزنبرج فى بولندا ثم نزح الى المانيا فى عام ١٩٢٠ ثم منها الى شنغهاى أثناء الاضطهاد النازى لليهود فى المانيا ثم منها الى اليابان حيث بدأ ثراؤه يظهر وإن كان بطرق غير معروفة حتى يومنا هذا وربما يرجع ذلك الى زواجه من امرأة يابانية واستطاع ان يعمل اتصالات بعد الحرب مع الصين الشيوعية ووسع أعماله لتشمل الشرق الأقصى . وله الآن أعمال فى معظم أنحاء العالم من مصانع للأسمنت ومصانع للكيماويات فى كوريا الى مناجم فى شيلى وأمريكا الوسطى .

وفى عام ١٩٦٨ هاجر ايزنبرج الى اسرائيل . وقد كرمته الحكومة الأسرائيلية باصدار قانون خاص به ليعفيه من الضرائب ويطلق عليه " قانون ايزنبرج " ورغم أن أعماله تشمل انشطة كثيرة إلا أن نشاطه الرئيسى هو السلاح . ويمتلك ايزنبرج طائرة بوينج ٧٢٧ تكاد تكون بيتا ثانيا له ويستعملها فى اسفاره العديدة . ويتعامل ايزنبرج بكثرة مع الصين وصفقاته فى السلاح معها تشمل طلقات المدافع صواريخ أرض أرض وأرض جو وأجهزة توجيهها وطائرات حربية . والواقع أن صاروخ ايستوند Eastwind الصينى الذى باعته الصين الى المملكة العربية السعودية قام العلماء الاسرائيليون

بتمويل واشراف من ايزنبرج بتطويره !

وسكان شارع شاؤول هاملك يفخرون بمستواهم الثقافى العالى . وليس لديهم تعصب دينى ولا براعون المحرمات الدينية فى ماكلهم ويقتنون التحف النادرة فعلى سبيل المثال يقتنى دافيد كمش تحفا نادرة فى غرفة مكتبه مهداه اليه من الامبراطور بوكاسا امبراطور افريقيا الوسطى المعزول ومن شاه ايران ومن موبوتو . ولكن هذه التحف الرائعة بالرغم من قيمتها الفنية لا تستطيع أن تبين " مقدار " ما تكلفته ولكنها تبين النجاح السياسى الرائع الذى حققه مقتنيها فى عملياته المختلفة .

وقد استفادت اسرائيل من اليهود الامريكيين الذين كونوا من أنفسهم جماعة تمارس الضغط على أمريكا لصالح اسرائيل . وليس هذا فقط هو ما استفادته اسرائيل ولكنه يضاف الى ذلك حسن استخدامهم للتبرعات واستغلال مراكز القوى الأمريكية لخدمة الأوضاع فى بلدهم وتنمية المصالح المشتركة بين البلدين مما لا يعرفه الا القليل من الناس .

****

*****

***

أصدقاء فى كل مكان

فى كل عام يحج عشرات الآلاف من الناس الى متحف " ياد فاشيم Yad Vashem " . ويعرض هذا المتحف نماذج مأساوية للاضطهاد النازى لليهود . ويقع هذا المتحف فى شارع هرتزل فى غرب مدينة القدس . ويمتلىء بكثير من الصور التى تمثل أعمال القتل الجماعى والتعذيب غير المعقول والتى ما تزال تؤدى للشعور بالتعاطف والرثاء لاسرائيل والاسرائيليين .

وإذا سرت بعد المتحف ستجد طريقا ينحرف الى اليمين ويهبط الجبل ويؤدى الى غابة القدس وهذه الغابة ليست من زمن بعيد ، وأشجارها من البلوط ، مما لبس معتادا فى هذه المنطقة . وستجد هنا وهناك فى الغابة أشجار الزيتون المزروعة منذ سنين طويلة تتخللها قنوات جافة تشير الى الزارعين القدامى الذين قاموا بزراعتها ورعايتها . ونشبه هذه الغابة المتحف الذى فى شارع هرتزل حيث أنها تحوى أجساد الأبطال الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل نشأة أسرائيل . وتتناثر هنا وهناك لوحات من الجرانيت كتبت عليها بالعبرية أو الانجليزية أسماء القتلى .

وسوف تجد فى مكان غير بعيد من هذه الغابة قبل وصولك الى طريق القدس – تل أبيب لوحة أخرى مكتوب عليها بالانجليزية والعبرية " جيمس جيسس انجلتون ١٩١٧ – ١٩٨٧ James Jesus Angieton فى ذكرى صديق طيب " وقد كان " إنجلتون " طوال خمس وعشرين عاما من أقوى رجال وكالة المخابرات الامريكية (C. I. A.) وأكثرهم غموضا . وقد ساهم فى كثير من الأحداث المثيرة فى عالم التجسس ولو أن الأسرائيليين يعتبرونه من أقرب الناس إليهم وأقاموا له هذا المدفن تكريما له . وإنه لمن الغريب حقا أن يحظى أحد رجال وكالة المخابرات الأمريكية بهذا التكريم من جانب اسرائيل إذ أن اسرائيل فى بدء

نشأتها لم تكن من أصدقاء الولايات المتحدة بل كانت لها روابط واتصالات قوية مع الاتحاد السوفيتى ! وقد قال " إيزار هاريل Issar Harrel " وكان رئيسا للموساد فى بداية تكوين الدولة الاسرائيلية - قال " لماذا يحبنا الأمريكيون فى بدئ الأمر ؟ ! لقد كنا مجموعة من الروس ، الروس الشيوعيين . فلماذا يثق فينا الامريكيون !! " ولكن الوضع قد تغير الآن فقد أصبحت اسرائيل حليفا وصديقا للولايات المتحدة منذ وقت طويل لدرجة أنه من الصعب تذكر الوقت التى كانت فيه اسرائيل على غير وفاق معها .

ولقد ولد معظم مؤسسى اسرائيل فى مدينة " منسك Minsk " وما حولها ووصلوا الى اسرائيل فى أوائل هذا القرن مدفوعين باضطهاد السامية الذى حدث بعد فشل ثورة ١٩٠٥ فى روسيا . وجلبوا معهم ولاء شديدا للصهيونية الذى يؤكد ضرورة وجود دولة خاصة لليهود . ولكنهم جلبوا معهم أيضا ولاءهم للثورة الأشتراكية . وقد كان " دافيد بن جوريون David Ben Gorion " الذى وصل اسرائيل عام ١٩٠٦ هو مؤسس حزب " بولاى صهيون Poalei Zion " وهو الحزب العبرى الاشتراكى الديموقراطى ومن أهم أركان ما كان يردده الشيوعيون " إن تاريخ الأمة هو تاريخ الصراع الاجتماعى الطبقى . . . إن العملية الثورية (فى فلسطين) تلعب فيها الطبقات العاملة المهاجرة اليهودية الدور الرئيس . "

وقد تدفقت مجموعات جديدة من اليهود على فلسطين من روسيا وأروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الأولى . وكان معظمهم مؤمنين بمبدأ المزارع التعاونية المسماة "بالكيبوتز Kibbutz " والتى بدأت منذ القرن التاسع عشر وكان تمويلها يتم بواسطة عائلة روتشيلد . ومع ازدياد حركة الكيبوتز تكون ما يعرف باتحاد النقابات الصناعية " الهستدروت Histadrut " الذى يجمع بين الفكرة الصهيوني وانشاء " اتحاد العمال اليهود فى فلسطين " . وقد أصبح هذا الاتحاد القوة العظمى فى المجتمع اليهودى فى فلسطين . ثم تكون حزب " الماباى Mapai " وهو حزب عمال الأراضى اليهود عام ١٩٣٠ وتضامن مع حزب الهستدروت وسيطر الحزبان ليس فقط على الحركة العمالية بل أيضا على الوكالة اليهودية التى كانت تعتبر الجهاز السياسى لليهود قبل تكوين الدولة الأسرائيلية وكانت مهمتها جمع التبرعات وتنظيم الهجرة الى فلسطين . . . الخ . وأصبحت تمثل الدولة اليهودية فى فلسطين تقريبا .

وسطع نجم بن جوريون فى السماء السياسية وكان اسمه "دافيد جرين David Gruen" وهو مولود فى قرية روسية اسمها بلونسك Plonsk وتسمى باسم بن جوريون عند وصوله الى فلسطين فى عام ١٩٠٦ وهو اسم أحد الابطال اليهود الذين قاوموا الرومان : ولم يكن بن جوريون متدينا بل كان ملحدا واتخذ من الصهيونية دينا له ! وقد تمكن بن جوريون من قيادة السفينة الصهيونية الى الاستقلال بعد أربعين عاما . وإن تمكنه من قيادة الحركة الصهيونية قبل وبعد الاستقلال ليؤكد أن الدولة الصهيونية قد تاثرت كثيرا بسياسته

وسارت طبقا لخططه . وكان هدفه الأساسى هو خلق دولة يهودية - مهما كانت صغيرة - على أمل أن تنمو بعد ذلك . وهذا يوضح لماذا قبل أن تبدأ اسرائيل بمساحة أقل مما هو مذكور عنها فى التاريخ . وقد صرح مرة الى صديق له وكان ذلك فى عام ١٩٤٧ - أن خطته هى تهجير أكبر عدد من يهود العالم الى اسرائيل مع انشاء جيش قوى وهيكل اقتصادى متين . فإذا تم كل ذلك فهو على يقين أن الدولة اليهودية سوف تتوسع إما بالتفاوض مع جيرانها العرب أو بأى طريقة أخرى . وقد كان بن جوريون - مثل معظم زملائه فى الحركة الصهيونية - مثقفا . ولم يكن لديه شىء أحب من التنقيب فى المكتبات غن الثقافة أو الكلام عن الفلسفة اليونانية فى وقت فراغه ! ولكن كل ذلك لا يمكنه أن يحجب الشخصية الحقيقية له وهى تصميمه وجبروته فى أن يصل الى هدفه المختار . ورغم مظهره المسالم فإن اصدقاءه يؤكدون أنه كان شديد الحقد والغل . والدليل على ذلك أنه رغم أنه أصبح رئيسا للوزراء ومن السياسيين المعروفين الناجحين والمحترمين فى العالم فإنه لم يتورع أن يبحث عن قبر " ارنست بيفين Ernest Bevin " - وكان أحد وزراء الخارجية البريطانيين الذين عارضوا اقامة الدولة اليهودية - ووطأه بقدمه ! !

وقد واجه بن جوريون وضرب الماباى معارضه سياسية قبل وبعد الاستقلال . فقد كان يوجد من الاحزاب اليمينية ما يدعى " المراجعون Revisionists " وهم نواه حزب "الليكود Likud " الآن فى اسرائيل وكانوا غير راضين عن اتجاهات بن جوريون الاشتراكية ومعاملته غير الحازمة مع العرب وعلى الجبهة اليسارية من الماباى كان هناك حزب " المابام Mapam " وكان بن جوريون يطلق عليهم اسم " اليهود الشيوعيون " بدلا من " الصهيونيين الاشتراكيين " وهو الأسم الذى كان بن جوريون يطلقة على حزبه . وناصرت اتحادات العمال وبعض الاحزاب اليسارية الصغيرة وجماعات الكيبوتز " حزب المابام وكانوا يطلقون على روسيا اسم " وطنهم الاشتراكى الثانى " !

وقد انعكست الاختلافات الحزبية الصهيونية على المنظمات العسكرية . ونظرا لأن بن جوريون كان رئيسا للوكالة اليهودية فقد أخذ على عاتقه مسئولية قيادة قوات الدفاع اليهودية ضد الحكم البريطانى والسكان العرب . وكانت هذه القوات تسمى " الهاجاناه Haganah " . وقد حارب العسكريون من حزب " المابام " ضد الانجليز تحت اشراف الهاجاناه ولكنهم فى نفس الوقت كان لهم قياداتهم وتشكيلاتهم الخاصة المسماه " بالماخ Palmach " التى كانت تعتبر قمه الخبرة العسكرية .

وكان لـ " المراجعين " قواتهم العسكرية الخاصة المسماه " أرجون Argon " تحت قيادة " مناحم بيجن Menachem Begin " بل والمجموعة الأكبر تشددا المساماه " ليهى Lehi " تحت قيادة اسحق شامير Yitzhak Shamir " وكانت " ليهى " قد انفصلت عن " أرجون " أثناء الحرب العالمية الثانية حينما أرسلت " ليهى " خطابا الى هتلر تدعوه فيه الى إقامة تحالف

بينهما يحقق مصالح الطرفين - اليهود النازى - فى أروبا ! !

استمر بن جوريون فى تحقيق حلمه بانشاء دولة يهيودية فى اصرار شديد . ولكنه كان على استعداد لأن يكون على شيء من المرونة للوصول الى هذا الفرض . ولذلك وافق - مؤقتا - على مشروع الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية . وعلى الرغم من أن بن جوريون شجب أعمال اليهود الأرهابية والدموية = رسميا - مثل تفجير فندق الملك داوود وشنق بعض الجنود الانجليز وجلدهم بالسياط - إلا أنه استطاع أن يستغلها لتحقيق غرضه أحسن استغلال .

ونظرا لمرونة بن جوريون السياسية لذلك لم يكن غريبا عليه أن يحاول الاستفادة من كل القوى العظمى التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية فلكى تظهر الدولة اليهودية الى الوجود كان لا بد من تواجد ثلاثة عناصر : السلاح ، الناس ، المال ، وكان هو على استعداد لعمل أى شيء للحصول على أى منها . وفى ذلك الوقت كان الاتحاد السوفيتى بقيادة ستالين هو الدولة الرئيسية - من الدول العظمى - التى رحبت باسرائيل . فبعد عدة سنين وأثناء الحرب البارده رفع اندريه جروميكو Andrei Gromyko يده فى اجتماع الأمم المتحدة - وكان يشغل مندوب الاتحاد السوفيتى فيها - وقال " بهذه اليد اعلن وجود دولة اسرائيل " وكان ذلك أثناء نظر مشروع تقسيم فلسطين فى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ وكان من ضمن ما قاله " لليهود الحق فى انشاء دولة لهم " والقى اللوم على الدول الغربية التى لم تسارع بالاعتراف بحق اليهود الشرعى فى دولتهم . وتعتبر خطبته من افصح وأقوى ما قيل فى هذا الشان فى مجتمع دولى . وقد استغل ستالين ما قاله جروميكو بخصوص انشاء دولة اسرائيل . فقام بتحطيم اتحاد اليهود السوفييت الذى كان قد أنشيء خلال الحرب العالمية الثانية لمقاومة النازى . ومن وجهة نظر ستالين الشخصية فإنه كان يعتقد أن أحسن مكان لقيام دولة اسرائيل هو شرق سيبيريا .

ولقد كان هناك - على أى حال - منطق فى موافقة الروس على قيام دولة اسرائيل ومناصرة المقاومة اليهودية للاحتلال الانجليزى لفلسطين . فقد كان العالم العربى كله يدور فى فلك الدول الغربية وكان الانجليز يسيطرون على حكومة مصر والعراق والأردن ودول الخليج . وكانت المملكة السعودية تشايع أمريكا منذ بدأت شركة ستاندرد أويل ابحاثها من البترول فيها . أما سوريا ولبنان فقد كانوا تحت الاحتلال الفرنسي . ولم يكن الدعم الدبلوماسى هو كل ما قدمه ستالين لقيام دولة اسرائيل . فقد ساعد على تزويد المنظمات الصهيونية - الهاجاناه والبالماخ - باطنان من الأسلحة والذخيرة من دول الكتلة الشرقية خصوصا تشيكوسلوفاكيا . وقد رصدت وكالة المخابرات الامريكية حركة جوية تكاد تكون منتظمة بين دول الكتلة الشرقية واسرائيل لنقل الذخائر والأسلحة وكانتهذه الطائرات تهبط فى مطارات مهجورة فى فلسطين أو فى جنوب لبنان . وفى مارس سنة

١٩٤٨ - قبيل اعلان استقلال اسرائيل فى مايو ١٩٤٨ - كانت هناك طائرات نقل تنقل حوالى سبعة اطنان من الأسلحة فى الرحلة الواحدة وكل ذلك كن يحدث تحت أنف السلطات الانجليزية فى فلسطين .

وقد لاحظت وكالة المخابرات الأمريكية - التى كانت قد أنشئت منذ عام واحد فقط - لاحظت هذا الموضوع أيضا وكتب رئيسها فى ذلك الوقت - أبريل ١٩٤٨ - مذكرة رفعها للرئيس الأمريكى قال فيها " إن تهريب الأسلحة يؤدى الى موقف يضر الأمن القومى للولايات المتحدة وهو فى مصلحة الدول غير الصديقة لنا " . كما لاحظت الوكالة أيضا أن تشيكوسلوفاكيا هى المصدر الرئيسى للسلاح .

وقد صدرت أيضا طائرات من طراز رمسر شميت والسبتفاير التى كانت ذات سمعة جيدة خلال الحرب العالمية الثانية والتى كونت نواه سلاح الطيران الاسرائيلى . وقد تم تدريب ما يزيد على خخمسة آلاف اسرائيلى فى قواعد عسكرية مختلفة فى تشيكوسلوفاكيا وأطلق على هذه المجموعة من المقاتلين اسم مجموعة " كلمنت جوتوالد Klement Gottwald " وهو اسم أحد القواد الشيوعيين التشيك . وقام سلاح الطيران التشيكى بتدريب طيارى اسرائيل . ويقدر قيمة ما أرسل من العتاد الحربى - فى ذلك الوقت - بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار تم دفعهم بالذهب والعملات الصعبة . وقد قام اليهود أيضا بتهريب طائرة عسكرية أمريكية حديثة - طراز B. T. 13 فى ذلك الوقت - الى تشيكوسلوفاكيا وكذلك رادار حديث الصنع للانذار المبكر . وكانت الكتلة الشرقية غير متقدمة فى هذا الشأن وساعدهم ذلك فى صناعتهم الحربية وكانوا فى غاية الشكر والامتنان للأسرائيليين على هذا الصنيع .

ويضاف عنصر أخر فى غاية الأهمية لليهود بالنسبة لعلاقتهم مع السوفييت وهو (الناس) . حيث لا يقل هذا العنصر أهمية من السلاح ويحتاجه الصهاينة بشدة وبسرعة . إن يقع تحت سيطرة الكتلة الشرقية كثير من اليهود الذين تحتاجهم اسرائيل للهجرة اليها. فكان لابد من التفاهم مع ستالين لكى يسمح بهجرة اليهود وقد استجاب لهم ستالين فى ذلك . ففى خلال السنين الثلاثة التى تلت الحرب هاجر حوالى ٢٠٠٠٠٠ يهودى من بولندا وروسيا الى اسرائيل . وتبعهم آلاف من رومانيا وهنغاريا وبلغاريا . وقد عرضت بعض حكومات الدول الشرقية أن تقوم بتدريب اليهود المهاجرين تدريبا عسكريا أيضا قبل ذهابهم لاسرائيل ! !

وكان على اليهود المهاجرين تدبير هجرتهم بأنفسهم دون مساعدة من الحكومات . وقد أنشئت هيئة خاصة من اليهود لمساعدتهم على الهجرة . ومن الطريف أن اسم هذه الهيئة كان " موساد اليها بت Mossad Aliyah Bet " ومعناها " هيئة الهجرة غير الشرعية " والعالم يعرف كله أن كلمة موساد تعنى هيئة المخابرات الاسرائيلية وهى كلمة معناها

بالعبرية " الهيئة " أو المعهد " وقد أطلق كلمة " الموساد " على هيئة المخابرات الاسرائيلية بعد ذلك عندما تم حل هيئة الهجرة .

وكان " الموساد " فى بداية نشأته عبارة عن مزيج من هيئة للتجسس ووكالة للسفر تشرف علي نقل عشرات الآلاف من اليهود عشرات الآلاف من الأميال . ولم يكن الأمر يشمل تجهيز وسائل الاعاشة والنقل والأمان خلال رحلات اليهود ولكنه كان يشمل أيضا رشوة المسئولين بالحكومات والضرائب والجوازات والجمارك لتسهيل رحلة هؤلاء الآلاف . ورغم أن ستالين قد وافق على انتقال وهجرة اليهود إلا أن كثيرا من الحكومات الشرقية علي وجه الخصوص كانت تثير العقبات والصعوبات لكى تحصل من المهاجرين اليهود على أكبر كمية من النقود قبل هجرتهم . وقد أطلق الموساد على عمليات الرشوة للمسئولين لكى يسهلوا عمليات الهجرة لليهود لاسرائيل " مصاريف التزييت " وقد اشتكى بن جوريون فى مذكاراته بهذا الخصوص فقال " . . . فى رومانيا لا يمكنك عمل أى شىء بدون نقود من أدنى المستويات حتى اعلاها . حتى (الحزب الشيوعى) يطلب نقودا ! !

وقد أبرم فى عام ١٩٤٦ اتفاق مع الحكومة الرومانية يسمح لحوالى خمسين الفا من اليهود بالهجرة . وقد أصرت الحكومة الرومانية على أن يترك المهاجرون كل ممتلكاتهم فى رومانيا . وفاوضهم الموساد فى أن يدفع عن كل مهاجر مبلغ ما لكى يسمح له بأخذ ممتلكاته معه عند الهجرة . ولكن حرس الميناء التركى فى البسفور - الذى يجب أن تمر خلاله السفن خلال رحلتها - أصر على أخذ نصيبه من الرشوه وإلا لن يسمح بمرور السفن . وتم دفع مبلغ كبير من المال له فى مقابل ذلك . ولم يقف الأمر عند حد رشوة المسئولين الأجانب بل لقد تم خلال الموساد نفسه عمليات رشوة أيضا نال فيها كبار المسئولين وصغارهم فى الموساد نصيبهم من " مصاريف التزييت " ! !

من هذا يتضح أن كل شىء يتم كان لا بد له من النقود فشراء السلاح وشراء الذمم ونقل الافراد ومصاريف الدولة فى اسرائيل كل ذلك يحتاج الى دولارات - ملايين من الدولارات والمكان الوحيد الذى يمكن الحصول منه على دولارات هو الولايات المتحدة الأمريكية .

لقد اهتمت امريكا مؤخرا بالشرق الأوسط . أما قبل ذلك فكانت روسيا وانجلترا وفرنسا هم أصحاب الاهتمام الرئيس فى هذه المنطقة . فانجلترا - على سبيل المثال - كانت ترتعد خوفا من أن يتدخل الروس فى هذه المنطقة ويقطعوا عليها الطريق الى الهند ولم يهتم الامريكيون إلا عندما اكتشفوا البترول فى صحراء السعودية فى عام ١٩٣٠ . وبدءا من عام ١٩٤٥ أصبحت آبار السعودية من أهم المناطق التى لا تريد أمريكا أن تتعرض للخطر وحمايتها أصبحت من أهم واجبات أجهزة الأمن الأمريكية .

وقد صرح الرئيس " هارى ترومان Harry Truman " ذات مرة أن وزير الدفاع جميس فورستال James Forestal " قد حذره عدة مرات من أن العرب قد يحرمونهم من كنوز البترول الموجودة فى أرضهم وقد أيده وزير الداخلية " روبرت لوفت Robert Lovett " فى ذلك قائلا " إن الأجناس المختلفة فى فلسطين سوف تتيح فرصة ذهبية للاتحاد السوفييتى للتدخل فى هذه المنطقة . وقد أدت مثل هذه التحذيرات الى أن تنظر الولايات المتحدة الى اسرائيل على أنها بلد معاد وحظرت بيع الأسلحة لها فى عام ١٩٤٧ .

وعلى الوجه الآخر كانت هناك الجالية اليهودية فى أمريكا وتمثل حوالى ٣٪ من السكان ويتركز كثير منها فى نيويورك وعندما كانت هذه المعارك محتدمه كانت هذه الجالية قد نظمت نفسها الى حد كبير . ومعظمها – وليس جميعها – كانت تناصر إنشاء دولة يهودية فى اسرائيل وكانوا على استعداد لامدادها بالأموال فى سبيل هذا الغرض . فقد مولوا عملية الهجرة من الكتلة الشرقية وكذلك عمليات شراء الأسلحة من التشيك وأيضا الرشاوى التي دفعت للمسئولين وكذلك لرئيس الوزراء الايرانى ليعترف باسرائيل . ولم يقتصر دور اليهود الامريكيين على مجرد كتابة الشيكات بل تعداها الى خدمات أخرى كثيره فمثلا شركة الطيران التى قامت بنقل الرادار المتقدم الى تشيكوسلوفاكيا هى شركة يملكها يهودى أمريكى يعمل فى مجال تهريب السلاح ويدعى آل شفيمر Al Schwimmer وقد لعب دورا خطيرا فيما بعد في فضيحة " ايران كونترا " بعد ذلك ببضع سنين . وقد كان شفيمر طيارا فى شركة T. W. A. وكانت له ميول صهيونية شديدة ويمتلك طاقة كبيرة جدا على العمل كما أن له موهبة اقناع الآخرين بالعمل لحسابه ويملك أنف يشم به رائحة النقود . وقد عمل بعد ذلك فى جهاز المخابرات الأسرائيلى .

ونظرا للحظر الذى فرضته الحكومة الأمريكية على تصدير الأسلحة لاسرائيل فقد اضطر المهربون للعمل فى الخفاء . ويذكر أحد كبار مهربى الأسلحة لاسرائيل واسمه "مايور تيدى كولك Mayor Teddy Kollek " كيف أنه أرسل " شفيمر " لرشوة رؤساء جمهوريات أمريكا الجنوبية بحقيبة ملأى بالنقود وكيف اتصل بالمافيا لشحن الأسلحة . وتضيف مثل هذه الحكايات الغموض والرهبة لعملية انشاء اسرائيل . وإن كانت تبدو ضئيلة بالنسبة لما تم من عمليات على مستوى عال لعبت فيه النقود الصهيونية الدور الكبير .

" إن الديموقراطيين دائما فقراء ويبحثون عن النقود باستمرار وهذه هى نقطة الضعف فيهم " . كانت هذه هى المقولة السائدة عن الحزب الديموقراطى الأمريكى فى ذلك الوقت وكان هارى ترومان يعرف هذه الحقيقة . و كان لنشاته السياسية أثر فى ذلك . فقد كان هناك شخص يدعى " توم بندرجاست " Tom Pendergast " هو الذى يمول نشاطه السياسى وهذا الشخص كان أحد ملوك القمار فى مدينة " كنساس Kansas " فى ولاية

" ميسوريا Missouri " وكان ترومان يقدره تقديرا عظيما . ورغم تعاطف ترومان الشخصي لما أصاب اليهود من اضطهاد في أوروبا فإنه لم يكن يؤيد قيام دولة يهودية في فلسطين . فقد كان يعتقد أنها ستكون دولة عنصرية بالاضافة إلى أنه لم يكن يريد معارضة مستشارية . ولكن لم يمض وقت طويل حتى أملت الظروف السياسية شروطها عليه وجعلت ترومان يغير موقفه تغييرا كليا .

وقد كتب أحد المؤرخين اليهود عن دور الرئيس ترومان في انشاء الدولة اليهودية فقال " . . . نمت خلال فتره حكم الرئيس ترومان الأولي بمجموعة صغيرة جدا من اليهود وانضموا الى مجتمع الرئيس واعتبروا أنفسهم سفراء للصهيونيين الذى كانوا يحركونهم في الخفاء لصالح دولة اسرائيل النامية " . وقد بدأت علاقة هذه المجموعة بالرئيس ترومان أثناء فتره ترشيحه لمنصب نائب الرئيس في عام ١٩٤٤ . فقد قام بتمويل حملة الانتخابية أحد الأغنياء الصهيونيين ويدعى " ديوى ستون Dewey Stone " . ولكن المعركة الفاصلة التي دارت في عقل ترومان بهذا الخصوص كانت في نوفمبر عام ١٩٤٧ حين اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة لبحث مشروع تقسيم فلسطين الى شقين : عربي وصهيوني . وكان أعداء الصهيونية - وعلى رأسهم المسئولين في الحكم لا يوافقون على التقسيم في حين أن الصهاينة و " اللوبي " اليهودى في البيت الأبيض يضغطون على الحكومة الأمريكية لكى توافق على التقسيم . وكان ترومان يظهر أمام الشعب الأمريكي في صورة الشخص الحازم ذى الرأى السديد في حين أنه كان يخفى بذلك شخصيته الضعيفة المترددة . وقد كان رد الفعل الأول بالنسبة لترومان في موضوع التقسيم هو أن تقبل أمريكا هذا المشروع ولكنها لا تضغط على الدول الموالية لها في أن تقبله وبهذا يمكنه أن يضرب عصفورين بحجر واحد . يعترف بفضل الصهاينة الذين دفعوا مصاريف حملته الانتخابية وفي الوقت نفسه يرضى المسئولين المشاركين معه في الحكم . وقد اكتشف الصهاينة في آخر لحظة هذه الخطة ونجحوا في أن يقنعوا ترومان في أن يأمر الدول التي تدور في فلك أمريكا تماما - مثل الفيلبين وهايتي وليبريا كي تصوت في صالح التقسيم وأن يهدد فرنسا بقطع المعونة الأمريكية في حالة عدم موافقتها على التقسيم . هذا بالاضافة الى دول أمريكا اللاتينية الذين كانوا على استعداد لاطاعة أوامر أمريكا بالاضافة الى أن بعضهم كان على استعداد لأخذ رشاوى في هذا السبيل . وبهذه الخطة وافقت الأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين .

وقد نال ترومان مكافأته في انتخابات عام ١٩٤٨ فقد جمع لـ " ايب فاينبرج Abe Feinberg " وهو أحد غلاه الصهاينة الأغنياء مبلغ ١٠٠٠٠٠ دولار لحملته الانتخابية - وهو مبلغ لا يستهان به في ذلك الوقت . وقام كثيرون أيضا من الصهاينة بمثل ذلك . وقد قال أحد أقطاب الحزب الديموقراطي ويدعى " ستيفن سميث Stephen Smith " أن ما جمعه

الصهاينة لمناصرة حملة ترومان الانتاخبية كان حوالى مليونى دولار وهو ثمن موافقته على تقسيم فلسطين . وبعد اعادة انتخاب ترومان رئيسا للولايات المتحدة كان من أول من وافق على التقسيم واعترف بدولة اسرائيل وهو شيء لم يكن يوافق عليه فى أول الأمر .

إن تحول ترومان لمناصرة الصهيونية كان فوزا رائعا ولكن ذلك لم يجعل اسرائيل تقطع علاقاتها مع الشرق وتتحول كليه نحو الغرب فإن هذا ماكان يعتبره بعض الصهاينة بمثابة الكفر لأن معظمهم كان من رأيه أن تبقى اسرائيل محايدة مهما تبرع لهم الصهاينة الأمريكيون بملايين الدولارات . وقد قوبل وصول السفير السوفييتى فى تل أبيب بمظاهرة ترحيب من الأسرائيليين رغم أن وصوله كان فى منتصف الليل . وقد احزنت هذه الواقعة الدبلوماسيين الامريكيين فى اسرائيل . وكان الشعور المشايع للسوفييت قويا جدا في الجناح العسكرى للبالماخ الذي كان ينتمي سياسيا لحزب المابام اليسارى. ولذلك فعندما انتصرت اسرائيل فى حربها مع الدول العربية عام ٤٨ التى بدأت مباشرة بعد اعلان استقلالها قام بن جوريون بحل " البالماخ " وأظهر ترحيبه بتحالف عسكرى مع الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد تقاطر على اسرائيل - أثناء حربها مع العرب - عديد من المتطوعين فى جيشها من المحاربين المحترفين الذين خاضوا الحرب العالمية الثانية بعضهم مدفوعا بإمانه بالصهيونية والبعض الآخر اغراءا بالنقود . وكان من اشهر المتطوعين المؤمنين بالصهيونية كولونيل امريكى يدعى " دافيد ماركوس David Marcus " وقد ترقى فى الجيش الأسرائيلى حتى وصل الى قائد منطقة بيت المقدس . وقد قتل بعد ذلك بواسطة القناصة. وهناك شخص آخر يدعى " فريد جرونيش Fred Grunich " وهو يهودى أمريكى من غلاه الصهاينة وكان يعمل كولونيلا فى الجيش الأمريكى أيضا . وعمل فى جهاز المخابرات العسكرى مع الجنرال ايزنهاور . فقد ذهب هذا الشخص الى اسرائيل فى عام ١٩٤٨ عندما نصحه " تيدى كولك Teddy Kollek " بذلك وكان عمره حينذاك ٣٢ سنة واتخذه بن جوريون مستشارا عسكريا . ولم يكن محبوبا من الضباط فى الجيش الأسرائيلى لشده انتقاده للضبط والربط فى الجيش . واعتقد الضباط أنه جاسوس أمريكى . ولم يكن هذا الرأى بعيدا عن الصواب كثيرا . فقد حاول جرونيش أن يجعل الجيش الأسرائيلى كوحدة من وحدات الجيش الأمريكى فى تنظيمه وتسليحه ولم يعجب ذلك قادة " البالماخ " ورفضوا أن يكون جيشهم مرتبطا بأمريكا الامبريالية وأن تكون بلدهم احدى القواعد الأمريكية وكان معظم القادة السياسيين يعارضون ارتباط اسرائيل بالمعسكر الغربى . وكان هناك قلة ترغب فى تحالف مع الاتحاد السوفييتى ولكن الأغلبية كانت ترغب فى أن تكون اسرائيل على الحياد. وكانت المشكلة أن اسرائيل ترغب فى الحصول على المال وكذلك على مليونين من اليهود السوفييت . ولم يكن من السهل الحصول على الرغبتين

فى وقت واحد وكانت رغبتهم فى الحصول على المال عاجلة وملحة . وقد قامت المجموعة اليهودية الأمريكية بتمويل صفقات السلاح وعمليات " التزييت " فى الدول المختلفة ولكن هذا الكرم الشخصى لا يكفى لكى تعيش منه اسرائيل . فقد خططت اسرائيل - على سبيل المثال - لاستيعاب ٢٣٠٠٠٠ مهاجر معظمهم من أوروبا الشرقية وبعض الدول العربية - مثل العراق - ولما كان كل مهاجر يحتاج لمبلغ ٢٠٠٠ دولار على الأقل لتوطينه فمعنى ذلك ان اسرائيل تحتاج الى ٥٠٠ مليون دولار تقريبا كل عام زيادة عن العام الذى قبله لاستيعاب المستوطنين !

وكانت موارد اسرائيل ضعيفة الى حد كبير . فصادراتها فى عام ١٩٤٩ كانت لا تتجاوز ٤٠ مليون دولار معظمها حمضيات - برتقال ويوسفى وليمون - وصناعة تقطيع الماس المشهور بها اليهود . وكانت نسبة البطالة فى المهاجرين حوالى ١٠ ٪ وقد تلقت اسرائيل ١٠٠ مليون دولار من الجماعات اليهودية الأمريكية ولكن مثل هذا الكرم لا يكفى . لا بد مد دعم من احدى الدول الغنية خصوصا الولايات المتحدة . ومن الغريب زن الحزب الاشتراكى الاسرائيلى هو أول من أكد هذه الحقيقة .

وقد بدأت اسرائيل تستعد لأول انتخابات للكنيست فى نهاية عام ١٩٤٨ . ولم يكن ترومان قد اعترف رسميا باسرائيل نظرا للضغوط الواقعة عليه من المسئولين الأمريكين ولو أنه كان يوجد مبعوث أمريكى فى اسرائيل يدعى " جيمس ماكدونالد James MacDo-nald " وهو صهيونى متعصب رشحه " اللوبى " الصهيونى الأمريكى رغم أنف رجال السياسة الامركيين . وانتهز ماكدونالد فرصة الانتخابات وحذر حكومته من قوة الجماعات اليسارية الاسرائيلية وأنه ما لم تضمن الولايات المتحدة لأسرائيل قرضا مناسبا فإن السوفييت سوف يملكون ناحية الأمور . وأكد على أن يكون القرض غير مشروط بأى شروط سياسية . وقال أن هذا القرض سوف يكون عونا لبن جوريون وحزبه " الماباى " ضد حزب " المايام " الاكثر ميلا لليسار . وكان بن جوربون يكره حزب " المابام " ويعتبره قريبا جدا من الاتحاد السوفييتى وقد قال أحد مؤيديه " إنننا نملك (طابورا خامسا) فى الولايات المتحدة ولكن الروس يملكون (طابورا خامسا) فى اسرائيل " ولكن كل ذلك لا ينفى أن الكتلة الشرقية لديها عدد كبير من اليهود المطلوب تهجيرهم الى اسرائيل وتعتبر أحد المصادر الهامة للأسلحة ، ولو أن بعض المعلقين الاسرائيليين يحاولون اخفاء توريد التشيك للأسلحة لاسرائيل حتى بعد حرب التحرير وذلك بموافقة الاتحاد السوفيتى . فقد أرسلت تشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٥٠ ما يقرب من ربع احتياجات الجيش الاسرائيلى من السلاح . وكانت حكومة تل أبيب لا ترغب فى وقف هذا المورد من السلاح

طالما أنه لا يوجد دولة بديله ولقد طلب الاسرائيليون سلاحا من أمريكا ولكن أمريكا رفضت الطلب وقد علق أحد المسئولين الاسرائيليين على ذلك بقوله " إن العقبه الكبرى فى مسألة توريد امريكا سلاحا لنا هو هيئة الأركان الأمريكية فهى ليست متأكدة من نياتنا فى حالة قيام حرب عالمية ثالثة .

كان استقدام المهاجرين الى اسرائيل يحتل الدرجة الأولى من الأهمية . فقد قال بن جوريون فى خطبه له فى يناير سنة ١٩٥٠ " إن أمن اسرائيل يعتمد كلية على الهجرة . لا يمكننا الاكتفاء ببضعة آلاف من المهاجرين فقط . فهناك مهاجرون فى بولندا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا . فإذا كان هناك أى أمل فى احضار مهاجرين يهود من الكتلة الشرقية فلابد أن نحاول " وكان السوفييت سعداء ببقاء اسرائيل على الحياد فى حين أن الأمريكيين لم يكونوا كذلك .

وقامت الحرب الكورية فى عام ١٩٥٠ وكان لا بد من معرفة موقف اسرائيل . وقد كان " موسى شاريت Moshe Sharett " وزير خارجية اسرائيل فى ذلك الحين يأمل أن تظل اسرائيل على الحياد . ولكن بن جوريون حسم هذا الأمر وأعلن أن اسرائيل ستنحاز الى الغرب . فقد كان يهمه أن يثبت للولايات المتحدة أن اسرائيل تعترف لها بالجميل حيث أقرضتها قرضا غير مشروط وأيضا علي أمل أن يحصل علي قروض أخري مقابل ذلك ـ كما أن مندوب اسرائيل فى الأمم المتحدة " أرثر لورى Arthur Lourie" أخطرهم أن الكونجرس الأمريكى سوف يحدد موقف الولايات المتحدة من جهة المعونات الخارجية للدول طبقا لموقفها من الحرب الكورية وقد قامت الولايات المتحدة بتجميد القروض الصغيرة لاسرائيل لاستيائها من موقفها المتردد بين الشرق والغرب . وعندئذ لم يتردد بن جوريون فى الانحياز الكامل نحو الغرب بل ابدى استعداده لارسال قوات رمزية من اسرائيل لتحارب مع الولايات المتحدة فى كوريا ! وقد اعترض موسى شاريت على ارسال القوات الرمزية وخذل مجلس الوزراء بن جوريون فى هذا الشأن وإن كان وافق على أن تنحاز اسرائيل كلية الى بأمريكا . وبالرغم من ذلك فقد حاولت اسرائيل الاحتفاظ بحيادها بين الشرق والغرب فى بعض المسائل السياسية الأخرى . وهكذا سارت السياسة الأسرائيلية فى تذبذب وقد عبر أحد السياسيين عن هذا الموقف قائلا " كيف تستطيع اسرائيل أن (تحلب البقرة) الأمريكية ولا نقدم لها شيئا فى مقابل ذلك ؟ !

ولكن الموقف لم يكن بهذا الشكل تماما . فقد كان لدى اسرائيل شيء نقدمه (للبقرة الامريكية) ولكنه بقى فى طى الكتمان . فإن نجاح اليهود الباهر فى خلق دولة اسرائيل

فى فلسطين يرجع الى حد كبير الى أعمال التجسس والأعمال التى تتم فى الخفاء . وهذه الأعمال تعتمد بالدرجة الأولى على اليهود المنتشرين فى أرجاء العالم ومنهم من يدعى هانك جرينسبن Hank Greenspun ومنهم أيضا اثنان من كبار المسئولين فى الولايات المتحدة من الوفد الأمريكى بالأمم المتحدة وكان لهما فضل كبير أثناء التصويت لصالح تقسيم فلسطين . كذلك كانت هناك هيئة يهودية قبل استقلال اسرائيل تدعى " شاى Shai " كان لها ثلاث مهام رئيسية فى فلسطين : مقاومة الادارة الانجليزية مقاومة العرب الفلسطينيين والتخلص من المعارضين لبن جوريون من الصهيونيين أنفسهم . وقد كان لهذه الأنشطة أثر كبير . فلم تتمكن السلطات البريطانية من التغلب على الحركة الصهيونية لوجود كثير من اليهود داخل الادارة البريطانية وقد كان لهيئة " شاى " مجهود كبير عندما حضرت لجنة من كبار أعضاء الكونجرس الأمريكى والبرلمان البريطانى الى فلسطين سنة ١٩٤٦ لتحكم بين العرب واليهود . فقد تطوع شخص يدعى " بوريس جوريل Boris Guriel " - وكان فى الحقيقة أحد رجال " شاى " - تطوع لمرافقة اللجنة وتسهيل عملها . وكان دائما دمث الخلق ومجاملا لجميع أعضاء اللجنة وتقبلوا هم مساعدته شاكرين . ولكنه كان فى الواقع يتجسس عليهم وينقل أخبارهم أولا بأول الى بن جوريون وكان يرتب شهودا تشهد أمام اللجنة لصالح اسرائيل فجاء تقرير اللجنة لصالح الجانب الاسرائيلى .

وكان من عادة بن جوريون أن يعتمد على الشباب من أمثال " جوريل " ويتغاضى عن آراء بعض الكبار أمثال " شاريت " وزير الخارجية . وقد نجحت سياسة بن جوريون فقد كان يشرف شخصيا ومباشرة على اعمال " الأمن والتجسس " ولا يعتمد على البرلمان فيما يختص بالسياسة الخارجية والأمور العسكرية . وبمجرد أن خرج الانجليز من فلسطين أعلن استقلال اسرائيل وكان لأجهزة الأمن الاولوية . وأمر بن جوريون بتصفية " شاى " وانشاء ثلاثة أجهزة منفصلة بدلا منها : ١ - المخابارات العسكرية : وهى مختصة بأمور الجيوش العربية والتخسس عليها وكان يشرف عليها وزير الدفاع حيث أوكل اليه أيضا الرقابة على الصحف . ٢ - المخابرات الخارجية : والتى رأسها " جوريل " وكانت تحت رئاسة وزير الخارجية . ٣ - البوليس السرى : الذى سمى " شن بث Shin Beth " وهو خاص بالأمن الداخلى وكان يرأسه رجل روسى الأصل اسمه عزرا هاريل Isser Harel .

لا يذكر التاريخ شيئا كثيرا عن : رافن شيلواه Reuven Shiloah " بالرغم من أنه كان مستشارا لبن جوريون فى أمور الجاسوسية فى الأعوام الأولى . وذلك بالرغم من أن "شيلواه " كان له تاثير كبير على اسرائيل الناشئة وكان أحد مؤسسى هيئة " شاى " فى

أوائل الثلاثينات . وقد تعلم فى بغداد وكان خبيرا بالعرب أكثر من أى شخص من رؤسائه. وقد كون خلال الحرب العالمية الثانية فرقة عسكرية حاربت بجانب القوات الانجليزية . وعندما انتهت الحرب كانت هذه الفرقة فى هولندا وقامت هذه الغرفة بتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين ثم انتقلت الى ايطاليا . وهناك أيضا ساعدة على هجرة اليهود عبر موقعها فى ايطاليا . وكان شيلواه يمتلك عقلا ذكيا ويؤمن بالقضية الصهيونية إيمانا راسخا . وقد لعب " شيلواه " دورا هاما جدا - وإن كان لا يعرفه الكثير - فى أثناء حرب التحرير وحروب اسرائيل مع العرب .

رغم أن جميع الحكام العرب كانوا مصرين على سحق اسرائيل فى مهدها فإن الملك عبد الله كان غير موافق - سرا - على هذه السياسة . فقد دارت بينه وبين شيلواه وموشي ديان وآخرين من المقربين لبن جوريون مفاوضات سرية صحبها كثير من " التزييت " أنتهت الى اقتراح عدم قيام دولة فلسطين طبقا لما أوصت به الأمم المتحدة وبدلا من ذلك يضم الملك عبد الله - بموافقة اسرائيل ومساندتها - الضفة الغربية الى مملكته .

ولم يكن لشيلواه وظيفة رسمية فى جهاز المخابرات الأسرائيلى - كانت وظيفته الرسمية رئيس تحرير جريدة حزب الماباى - ولكن عند اعادة تنظيم جهاز المخابرات فى عام ١٩٥١ نقلت تبعيته من وزير الخارجية الى رئيس الوزراء مباشرة وأطلق عليه اسم "الموساد " وتم تعيين شيلواه رئيسا له ولم يكن لديه شك فى الجبهة التى تنحاز اليها اسرائيل . فقد كان قلبا وقالبا مع الغرب وبمجرد ما أعلن بن جوريون تأييد اسرائيل لأمريكا فى حرب كوريا اقتراح " شيلواه" مزيدا من التعاون مع أمريكا وبدأ بالاتصال بالمخابرات الأمريكية . وفى أول الأمر لم ترحب وكالة المخابرات باتصالها مع الموساد . فقد كانت تعلم تماما كل ما تقوم به اسرائيل من أعمال خفية ومنها صفقات الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا وأن هناك اتفاقا بين الحكومتين لتدريب فريق من الأسرائيليين المتعصبين على عمليات الاغتيالات السياسية .

أثارت خطة تقسيم فلسطين الحرب بين العرب واسرائيل وأرسلت الأمم المتحدة مبعوثا خاصا هو الكونت " فولك برنادوت Folke Bernadotte " - وهو دبلوماسى سويدى ساهم فى اخراج اليهود الأوربيين خلال الحرب العالمية الثانية - الى فلسطين لايجاد حل لهذه المشكلة . وقد اقترح برنادوت وجهة نظر جديدة بالنسبة للتقسيم لم تعجب اليهود اذ أنها من وجهة نظرهم تعطى الكثير للعرب . وفى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ - فى اليوم

التالى لتقديم برنادوت لخطته - اغتيل فى القدس بواسطة مجموعة من جماعة ليهى شديده التطرف التى يرأسها اسحق شامير .

ومن الطريف أنه بعد عدة سنوات تقابل اسحق شامير وكان وزيرا للخارجية اسرائيل حينئذ - مع أحد المسئولين فى الأمم المتحدة ويدعى " براين أوركهارت Brian Urquhart " وحياه شامير قائلا " . . . لم يكن لى شرف التعامل مع أى مندوب من الأمم المتحدة من قبل " فرد عليه المندوب قائلا " هذا ليس صحيحا باسيادة الوزير فقد تعاملت مع الكونت برنادوت من قبل اليس كذلك ؟ ! "

وأبدت حكومة بن جوريون أسفها الشديد لمقتل برنادوت وقامت باعتقال بعض أعضاء جماعة ليهى . وقد علمت إدارة المخابرات المركزية أنه فى نفس يوم مقتل برنادوت قدمت الحكومة الأسرائيلية حوالى ثلاثين جوازا للسفر الى الحكومة الشيكية مع رجاء منح أصحابها تأشيرة دخول الى تشيكوسلوفاكيا وسافروا جميعا فى اليوم الثانى لاغتيال برنادوت وكان من بينهم اثنين كان قد قبض عليهم بعد الاغتيال مباشرة وأفرج عنهم فورا قدسا ليسافروا الى تشيكوسلوفاكيا ! !

وقد اقتنع المسئولين فى واشنطن أن اغتيال برنادوت تم بموافقة بعض المسئولين بالحكومة الأسرائيلين - على الأقل - وأن المنفذين قد تلقوا تدريبا على عملية الاغتيال فى إحدى الدول الشيوعية وأنها ساعدت أيضا على هروبهم بعد التنفيذ . وقد تم تكليف جهاز المخابرات الأمريكي بكتابة تقرير عن الحادث . وقد تم الافراج عن جميع المعتقلين بعد اسبوعين من الحادث وأصبح واحد منهم من أقرب أصدقاء بن جوريون . ومن المدهش أن تقرير جهاز المخابرات الأمريكى لم يظهر اطلاقا ! وتراقب أجهزة المخابرات الأمريكية النشاط الصهيونى فى أمريكا ولكن هذا النشاط يتم فى سرية شديدة لدرجة أنه من الصعب معرفة مدى نشاطه .

انشأت وزارة الحرب الأمريكية جهازا ضخما للتنصنت على مخابرات العدو واختراق شفرته . وقد استمر هذا الجهاز فى العمل بعد الحرب . وفى خلال عام ١٩٤٥ - ١٩٤٦ تمكنت وحدة - فى غاية السرية - من هذا الجهاز من اختراق الشفرة الاسرائيلية . ومن خلال ذلك تمكنت من معرفة جميع التحركات الصهيونية فى امريكا وأعمال الرشوة التى يقومون بها بالمبالغ والأسماء لمسئولين أمريكيين . ولكن لأسباب سياسية لم يصرح بنشر هذه المعلومات . وكان من ضمن قوانين هذه الهيئة هو عدم تشغيل الأمريكيين من

أصل يهودى لأنه لايمكن ضمان ولاء هؤلاء الناس للولايات المتحدة .

ويرجع نشاة وكالة المخابرات المركزية الى هيئة تسمى " مكتب الخدمات الاستراتيجيه Office of Strategic Services O. S. S. " وكان برأسة شخص يدعى " وليم دونافان William Donavan " وقد تم انشاء هذا المكتب قبيل دخول أمريكا الحرب . وقد أنشاه الرئيس روزفلت لشعوره بانه يحتاج الى معاونة دونافان - وكان محام من الأعضاء البارزين فى الحزب الجمهورى - لاقناع الحزب بدخول أمريكا الحرب - قبيل معركة بيرل هاربر - ولم يكن لهذا المكتب نشاط ظاهر - رغم ما يدعيه دونافان - فقد كان نشاط المخبارات الرئيس ياتى من تمكن وحدات المخابرات العسكرية - فى الجيش والأسطول - من اختراق شفرة المخبارات اليابانية والألمانية ومعرفة تحركات العدد عن طريقها . ولذلك انحصر نشاط هيئة .O. S. S فى مساعدة حركات المقاومة السرية ضد اليابات والألمان فى الشرق الأقصى وأوروبا . وقد عبر عن ذلك الكولونيل " كارتر كلارك Carter Clark " رئيس المخابرات العسكرية بقوله " إن مكتب الخدمات الاستراتيجية .O. S. S قد أجاد عمليات انقاذ الطيارين فى بورما ولكنى لا أعلم أنه قام باى عمليات للمخابرات " .

وبعد الحرب مباشرة ثم حل مكتب الخدمات الاستراتيجية وظهرت الحاجة لانشاء هيئة تتولى أعمال التجسس والمخابرات خصوصا بعد حادثة بيرل هاربر على أن نتولاها رئاسة مدنيه وتم الاتفاق عل يتكوين " وكالة المخبارات المركزية " .C. I. A وهى اختصار لـ " Central Intrligence Agency " . وكانت وكالة المخابرات فى أول الأمر تشبه مكتب الخدمات الاستراتيجية الى حد كبير بل إن كثيرا من العاملين فى المكتب التحقوا بخدمة الوكالة وكان هناك وجه شبه آخر وهو أن رجال المخابرات العسكريين كانوا غير متعاونين اطلاقا مع رجال الوكالة ولم يسمحوا لرجال الوكالة بالاطلاع على رسائل العدو إلا ما كانوا يريدون هم أن يطلعوهم عليها . وقد وضع هذا التصرف الوكالة فى وضع حرج خصوصا بالنسبة لعلاقة الاتحاد السوفييتى مع الولايات المتحدة . فنظرا للموقف العدائى بينهما كان لا بد للوكالة من معرفة ما يدور داخل الاتحاد السوفييتى . ولما كانت المخابرات العسكرية لا تتيح لهم الفرض للاطلاع على رسائل الشفرة التى كانت تتبادل بين رؤساء الاتحاد السوفييتى وبعضهم أو بينهم والخارج فقد بدأت وكالة المخابرات البحث عن مصادر خاصة بها تعمل داخل الاتحاد السوفييتى والكتلة الشيوعية التى تدور فى فلكها . وكان بديهيا أن ترسل الوكالة "عملاء" لها داخل الاتحاد السوفييتى . ولكن تبين للوكالة أن هذا شبه مستيحل . فكان لابد حينئذ من البحث عن " أصدقاء " يمكنهم أن يقوموا بهذه المهمة . وقد ظهر شخص كان على استعداد للقيام بهذه المهمة وهو الجنرال الألمانى " رينهارد جهلن

Reinhard Gehlen " وكان أكبر شخص يقوم بالتجسس لحساب الألمان فى الجبهة الشرقية وقد أراد أن يضمن الأمان لشخصه بالانضمام للأمريكيين قبل انتهاء الحرب . وقد تم اتصاله بهم وبدأ يعمل لحسابهم وأمدهم بمعلومات كثيره وخطيره عن طريق عملائه المنتشرين فى أوربا الشرقية وروسيا. وقد وثق الأمريكيون فيه لدرجة أن بلغت جملة ما دفعوه اليه نظير هذه المعلومات حتى عام ١٩٥٥ ما يزيد عن مائة مليون دولار ! !

ولم يكن من الممكن الاتصال بعملاء الجنرال الألمانى لأخذ المعلومات منهم مباشرة وكان لابد من البحث عن أشخاص آخرين يمكن مناقشهم " وتفريغ " كل ما لديهم من معلومات عن الكتلة الشرقية . وهنا ظهرت فكرة الاتصال بالمهاجرين الاسرائيليين - عن طريق اسرائيل طبعا - فهم قد عاشوا طوال حياتهم فى الكتلة الشرقية وأصحاب مستويات مختلفة يمثل جميع شرائح الشعب ومعلوماتهم " طازجة " .

وهكذا كان لاسرائل شيء تقدمه " للبقره الحلوب " - أمريكا - فى مقابل " اللبن " الذى تأخذه منها ! ! مئات الآلاف من المهاجرين الذين تركوا روسيا السوفياتيه أو الكتلة الشرقية حديثا . وكان لدى اسرائيل أيضا جهاز كامل للمخابرات مزود بضباط يعرفون جميع اللغات . وكان الخوف الوحيد من هذه الطريقة هو وجود أقرباء لهؤلاء المهاجرين لم يهاجروا بعد - أو لن يهاجروا - وقد يتعرضوا لبعض الأخطار . وقد أكد " الموساد " أنه لا يتعامل مع اليهود فى البلاد الذين هم مستوطنين فيها حتى لا يعرضهم لأى أخطار ولذلك كانت هناك فضيحة مدوية للموساد عندما قبض على " جوناثان بولارد Jonathan Pollard " وهو أمريكى يهودى متعصب للصهيونية أثناء قيامه بالتجسس لحساب " الموساد " فى السلاح البحرى الأمريكى . ثم جاء بعد ذلك الكتاب الذى كتبه شخص يدعى " فكتور استروفسكى Victor Ostrovisky " وهو يهودى كان يعمل فى الموساد ويقول المؤلف أن الموساد يعتمد على جميع اليهود المنتشرين فى العالم فى التجسس ويحصل منهم على أى معلومات قد تفيده ويسميهم " سايانيم Sayanim " ولا يمكنه العمل دون دون مساعدتهم . ومن المؤكد أن بن جوريون ومعظم من عملوا معه أمثال شيلواه لم يترددوا فى الاستعانه باليهود فى البلاد المستوطنين بها . وقد ظهر هذا واضحا عند زيارة " بن جوريون " لامريكا فى مايو ١٩٥١ بغرض بيع سندات لصالح اسرائيل بمبلغ مليار دولار . فلقد نجحت رحلته الى أقصى حد وخرج جميع يهود نيويورك يحيونه وغمر موكبه بالزهور طوال سيره فى شارع برود واى ولم يكن هذا إلا تعبيرا عن الرابطة القوية التى تربط المجتمع اليهودى الأمريكى بالدولة الاسرائيلية رغم البعد الكبير عنها .

وقد كان لرحلة بن جوريون فرض آخر - خفى - غير جمع التبرعات لصالح اسرائيل . فقد اجتمع مع مدير وكالة المخابرات الأمريكية " والتر بيدل سميث Walter Bedell Smith " ونائبه " الان دالاس Allen Dulles " وقال لهم مباشرة أن جهاز المخابرات الاسرائيلى سوف يضع نفسه فى خدمة الوكالة ولكن يجب أن يبقى هذا سرا . وقد وافق المدير ونائبه على ذلك وأبديا ترحيبهم بهذا العرض . ونظرا لسرية العرض فإن اسرائيل استمرت " علنا " فى سياسة الحياد . وقد قال وزير خارجية اسرائيل الى وزير الدولة الأمريكية بعد بضعة أشهر من زيارة بن جوريون " قد يكون من المفيد للولايات المتحدة أن يظل الاتحاد السوفييتى على علاقات طيبة معنا ويسعدنا أن تتفقوا معنا فى هذا الرأى " وبعد شهر من زيادة بن جوريون سافر " شيلواه " الى واشنطن لبحث تفاصيل التعاون مع المسئولين فى الوكالة الأمريكية وفى اكتوبر ١٩٥١ سافر جميس جيسس انجلتون James Jesus Angleton " أحد كبار المسئولين بالوكالة الأمريكية الى تل أبيب فى أول زيارة له - وقد تلاها عديد من الزيارات بعد ذلك - وتم الاتفاق على أن يكون هو حلقة الاتصال الرئيسية بين الموساد والوكالة الأمريكية . وظل كذلك الى أن مات وكرمته اسرائيل بدفنه فى الحديقة المقامة خارج بيت المقدس . وقد قال عنه تيدى كولك " لقد رأى جيمس فى اسرائيل حليفا حقيقا فى وقت عز فيه وجود الأصدقاء " .

وقد تم أول اتصال بين انجلتون وجهاز المخابرات الاسرائيلية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . ويقال أنه قد تأثر كثيرا بما لا قاه اليهود من تعذيب على يد النازى ولذلك ساعد على هجرة اليهود سرا قبل استقلال اسرائيل فقد كان موجودا فى ايطاليا فى ذلك الوقت وقد تم تجنيده لصالح اسرائيل عن طريق مكتب الخدمات الاستراتيجية " O. S. S. " وعندما تم حل مكتب الخدمات ذهب الى سويسرا وظل على اتصال بمخابرات اليهود عن طريق شخص يدعى " وليام كوين William Quinn " حيث قام بعدة خدمات لليهود جعلته موضع حسد وغيره من رجال الجيش والتجسس اليهود . وعندما تكونت وكالة المخبارات الأمريكية C I A عام ١٩٤٧ كان انجلتون منغمسا حتى أذنيه فى عالم التجسس فى أوربا فانضم الى الوكالة . وفى عام ١٩٥١ عندما حدث اجتماع بن جوريون مع مدير وكالة المخابرات الأمريكية لم يكن انجلتون قد أصبح رئيسا لادارة مكافحة التجسس بعد . ولكنه أصبح رئيسا لها فى عام ١٩٥٤ . وأصبح أيضا مسئول الاتصال بإدارات المخابرات الحليفة . وهى وظيفة هامة وخطيرة وقد احتفظ بها حتى نهاية حياته العملية . وكان يستغل هذه الصفة فى فرض رأيه أحيانا عل يالوكالة الأمريكية فإذا قال " . . . إن مصادرى فى الموساد تقول كذا وكذا " فرضا فلا يوجد من يستطيع أن يكذبه أو يتحرى عن ذلك حيث أنه كان هو الوحيد الذى يمكن عن طريقه - وعن طريقه فقط - الإتصال بالمخابرات الاسرائيلية . وقد

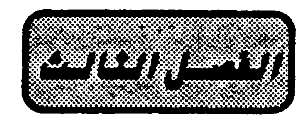
أحب انجلتون الاسرائيلين ولكنه استغلهم لفرض آرائه ورغباته على الوكالة الأمريكية . وربما أحب الاسرائيليون انجلتون وكانوا يبالغون فى مديحه وارضاء غروره حتى يستفيدوا من معلوماته فى عالم المخابرات والتجسس .

وبعد قراءة هذه المعلومات فإنه من المفيد أن نلقى نظرة فاحصة على مقر انجلتون فى غابة القدس . القبر التى صنعه له اصدقاؤه والعارفون بفضله فى جهاز المخابرات الأسرائيلية . سوف نلاحظ أن الكتابة ليست محفورة فى الحجر ولكنها مكتوبة على شريحة من البلاستيك ومثبته بمسمارين فى الحجر . وربما بعد سنة سوف يكون هذا المكان مليئا بالمخلفات من العلب المحفوظة الفارغة والعمامة والأشجار والحشائش الميته . وسوف نجد هنا وهناك بعض العظام . فلا يوجد شىء يثير عاطفتك فى هذا المكان .

****

******

***



عقبات على الطريق

قام الناخبون الأمريكيون فى عام ١٩٥٢ بإقصاء الحزب الديمقراطى - صديق اسرائيل - عن الحكم وتولى الجنرال دوايت ايزنهاور Dwight Eisenhauer وحزبه الجمهورى القيادة من البيت الأبيض . وقد أيد هذا التغيير فكرة " شيلواه " فى ضرورة التعامل - سريا - مع جهاز المخابرات الأمريكى . وميزة هذا التعامل هو استمرار وجود صلة بين البلدين بصرف النظر عن الظروف السياسية وقد استغل الأسرائيليون هذه العلاقة فى تحسين علاقاتهم السياسية مع الولايات المتحدة عندما كانت الظروف غير مواتية لهم .

وبالرغم من أن شيلواه كان السبب الرئيسى فى وجود هذه العلاقة ولكنه لم يجد الوقت الكافى ليستمتع بها ويجنى ثمارها . فقد كان هناك من يتربص به من رجال المخابرات الاسرائيليين الأقوياء ليطيح به وهو " عزرا هاريل Isser Harel " الذى كان مسئولا عن مكتب شئون اليهود فى هيئة " شاى " التي كانت موجودة قبل الاستقلال . وبعد الاستقلال وبعد حل هيئة (شاى) واعادة تشكيل جهاز التجسس أصبح " هاريل " مسئولا عن ادارة الأمن الداخلى " شن بت Shin Beth " . وقد ولد " هاريل " من عائلة غنية فى روسيا وهاجر الى فلسطين فى عام ١٩٣٠ بأوراق مزورة . وقد تأثر بالاشتراكية عندما تم تأميم مزارع الكروم التى كان يملكها والداه بعد الثورة البلشفية وقد عمل فى الكيبوتز لفترة وجيزه ثم فى تصدير البرتقال . وربما كان قد أصبح أحد كبار الأغنياء فى تل أبيب لو استمر فى هذا العمل إلا أنه تم تجنيده فى مخابرات " الهاجاناه " التى وجد فيها متعه حياته . وحتى أواخر أيامه كانت كل اهتماماته تنحصر فى التجسس

والصهيونية وكانت أى معارضة لرأيه تثير فيه الغضب والتحدى .

وقد قام بن جوريون فى سبتمبر ١٩٥٢ بفصل " شيلواه " من رئاسة الموساد وعين بدلا منه " هارل " وذلك بالاضافة الى عمله كرئيس " لشن بت " . وقد تميزت فترة رئاسة هاريل للموساد بتحطيم أى محاولة - ولو طفيفة - للنيل من سمعة بن جوريون السياسية. وكان يقوم بزرع أجهزة التصنت فى أمكنة اجتماع الأحزاب المعارضة - حزب المابام مثلا - وإذا تبين له وجود أى اعتراض - ذى قيمة - على سياسة الدولة فإن المعترض لا يظهر له أثر بعد ذلك . ولم يكن معروفا عنه أنه يلجأ الى تعذيب المعارضين - إلا قليلا - ولكن مقدرته كانت تتجلى فى إسكاتهم أو اخفائهم من المسرح السياسى . وقد كان يملك قدرة هائلة على التركيز فقد علم نفسه الانجليزية فى ستة أسابيع بعد أن أصبح رئيسا للموساد وذلك لكى يستطيع التفاهم مع مندوب الوكالة الأمريكية . وقد قال عنه الأمريكيون " إن المعلومات التى وصلتنا عن الكتلة الشيوعية من الموساد خلال فترة رئاسة " هاريل " لها أكثر كثيرا من مجموع المعلومات التى وصلتنا من الدول الديمقراطية مجتمعه " . وكانت مهمة الموساد هى استجواب المهاجرين من الكتلة الشرقية وروسيا وابلاغ الوكالة الأمريكية بحصيلة الاستجواب . وقد هاجر فى الفترة من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٥ حوالى ثلاثمائة الف مهاجر من الكتلة الشيوعية معظمهم من البولنديين الذين هاجروا الى روسيا واستوطنوها خلال وبعد الحرب العالمية الثانية وكانت عملية الاستجواب تتم فى سرية تامة وبواسطة ضباط مخابرات من المهاجرين السابقين من الكتلة الشرقية وقد أمكنهم - عن هذا الطريق - الوصول الى أسرار لم يصل اليها أحد من قبل . ولم يكن هاريل محبوبا من كثير من العاملين بالموساد فقد كانوا يتهمونه بأنه ينسب أعمال الآخرين الناجحة الى نفسه .

وقد اعترض بعض المسئولين فى الحكومة الأسرائيلية على " الاتفاق " بين الموساد ووكالة المخابرات الأمريكية فقد قال أحدهم " إن عملية استجواب المهاجرين الروس قد تسىء الى موقفنا مع روسيا . يجب علينا أن نوقفها وإذا أراد الأمريكيون معلومات فليفعلوا ذلك بانفسهم وليدفعوا ثمن ذلك " . ولكن لسوء الحظ دفع يهود الكتلة الشرقية هذا الثمن بانفسهم فقد منع ستالين هجرة اليهود الى اسرائيل واتخذ موقفا معاديا من الصهيونية بدلا من موقفه الحيادى قبل ذلك . وليس من المعروف الى أى مدى تاثر ستالين بتسرب معلومات عن الاتحاد السوفيتى - عن طريق المهاجرين اليهود - الى أمريكا . ولكن من المؤكد أن الروس ادانوا اسرائيل لهذا السبب وقد أدان ستالين المجتمع اليهودى فى روسيا واضطهدهم خصوصا بعد موقف اسرائيل من الحرب الكورية واتخذت

السياسة الروسية موقفا معاديا للسامية بعد عام ١٩٥١ بشكل واضح وقد تبين هذا بجلاء عندما تم اعتقال الشيوعي التشيكي « رودلف سلانسكي Rudolph Slansky " وأعوانه وكان منهم أحد عشر شخصا من اليهود . وقامت الشرطة السرية بتعذيبهم حتى اعترفوا بانهم كانوا يتجسسون لحساب اسرائيل وجاء في قرار اتهامهم " . . . وبعد قيام دولة اسرائيل استقل الأمريكيون الدبلوماسيين الأسرائيليين في التخسس لحسابهم . . . " ووقع المتهمون اقرارا يدينوا فيه الصهيونية ودولة اسرائيل وكانت هذه أول مرة تدان فيها الدولة الاسرائيلية وتلصق بها كلمة " الصهيونية " صراحة وقد تم قطع العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل وروسيا في أوائل عام ١٩٥٣ . ورغم أن السوفييت قد قرروا بصفة قاطعة أن اسرائيل تدور في فلك الغرب فإن الادارة الجديدة في الولايات المتحدة لم توف اسرائيل حقها من الشكر . وقد وصف هاريل سقوط الديموقراطيين وتولى الحزب الجمهوري الحكم في الولايات المتحدة بأنه أدى الى تغيير شامل في العلاقة بينهما . وكيف أن وزير خارجية أمريكا في عهد الجنرال ايزنهاور - " جون فوستر دالاس - John Foste Dulles " - الذي أعلن أن سياسة أمريكا هي الحياد بين العرب واليهود هي في الواقع ممالئة للعرب وفي غير صالح اسرائيل . وهذا القول فيه مبالغة كثيرة فإن " جون فوستر دالاس " نفسه قد نصح الرئيس ترومان بضرورة سرعة الاعتراف باسرائيل - في عام ١٩٤٨ - حتى لا تندفع هذه الدولة الوليدة الى احضان الشيوعية . ولكن ذلك لم يمنع ايزنهاور ودالاس من اتخاذ موقف حازم من اسرائيل في سبتمبر ١٩٥٣ عندما صرحت اسرائيل بنيتها في تحويل مسار نهر الأردن الى أرضها متحدية في ذلك قرار الأمم المتحدة . فقد استدعى دالاس حينئذ السفير الاسرائيلي في واشنطن وأخطره بأن أمريكا ستوقف مساعداتها لاسرائيل لهذا السبب وفي أول الأمر لم تعلن أمريكا هذا على العالم ولكن بعد شهر من هذا الحادث قامت فرقة من الجيش الأسرائيلي تسمى " الوحدة ١٠١ " برئاسة أحد الذين لمعوا بعد ذلك في قيادة الجيش الأسرائيلي - " اريل شارون Ariel Sharon " - بالهجوم على قرية أردنية تسمى " قبية Kibya " ونسفت ٤١ منزلا ومدرسة على من فيها . وقد قتل في هذا الحادث ٥٣ مدنيا تحت انقاض منازلهم . وقد استشاط ايزنهاور غضبا من هول الحادث وأعلن - على العلم - نبأ وقف المعونة الأمريكية لاسرائيل . وقد هاج " اللوبي الصهيوني " في الكونجرس وألمح بن جوريون الى اتجاهات فوستر دالاس المعادية للسامية المزعومة . وفي أيام الرئيس ترومان كان من الممكن احتواء هذه الأزمة في البيت الأبيض ولكن هذه الأيام قد ولت واجتمع مجلس الوزراء الأسرائيلي بعد يومين من اعلان وقف المعونة الأمريكية ليبحث الميزانية الجديدة بنقص قدره ٥٠ مليون دولار وطلب وزير المالية الأسرائيلي مزيدا من التبرعات من يهود أمريكا ولكن مستشار " بن جوريون " حذره من أن يهود أمريكا لن يتبرعوا إذا ساءت العلاقات بين امريكا واسرائيل . واضطر

مجلس الوزراء الاسرائيلي ان يعلن تخليه من مشروع تحويل نهر الأردن بعد ثمانية أيام من الأزمة وأعادت أمريكا المعونة المالية لاسرائيل . وكانت هذه هي المرة الأولى التي تستخدم فيها أمريكا سلاح وقف المعونة كوسيلة للضغط على اسرائيل - ويعتبر هذا الحادث شاذا نظرا لتعاطف امريكا المستمر مع اسرائيل ولكن يظهر أن الدافع له هو تخوف امريكا من انتشار الشيوعية وفي سبيل ذلك كانوا على استعداد لمجاملة العرب على حساب اسرائيل لو اقتضى الأمر .

ولكي تزيد الأمور تعقيدا وجدت اسرائيل نفسها في مواجهة حاكم جديد وخطير في الوطن العربي . فحتى ذلك الوقت كانت اسرائيل تجد مساعدات كثيرة نتيجة وجود حكام ضعفاء ومنحلين فيه . فقد كان رئيس الوزراء العراقي مرتشيا وكذلك ملك الأردن ورئيس سوريا . وكان الملك فاروق - في مصر - معروفا بعدم اهتمامه بالأمور العامة . فقد قامت ثورة في مصر في عام ١٩٥٢ ينزعها مجموعة من الضباط يسمون أنفسهم " الضباط الأحرار " وقامت بطرد الملك والأستيلاء على الحكم بقيادة الجنرال نجيب . ولكن في عام ١٩٥٤ تبين أن الجنرال نجيب كان مجرد واجهة للثورة وأن القائد الحقيقي لها هو جمال عبد الناصر الذي تولى السلطة بعد ذلك وأزاح محمد نجيب من الحكم . وكان عبد الناصر في الوقت أولا وأخيرا مصر يا وطنيا وكان همه الأول الخلاص من حوالي ثمانين ألف عسكري بريطاني يحتلون مصر بزعم الدفاع عن قناة السويس والنهوض بالبلاد . ولم تزعج هذه الأهداف - في أول الأمر - أمريكا . فقد أبدى عبد الناصر كراهيته للشيوعية ورغبة في أن يكون علاقات جيده مع الولايات المتحدة . ولم يعجب هذا الانقلاب بن جوريون على الاطلاق فقد صرح - عقب حرب السويس عام ١٩٥٦ - أنه كان يخشى دائما ظهور قائد ذي شخصية قوية وشجاع من العرب يرفع من روحهم ويغير من شخصيتهم ويجعلهم أمة من المحاربين كما حدث في تركيا عند ظهور كمال أتاتورك وأنه يخشى أن يكون عبد الناصر هو ذلك القائد . ولكي يزداد الأمر سوءا فقد كان لجمال عبد الناصر علاقة وثيقة بوكالة المخابرات الأمريكية من خلال أحد المسئولين فيها وهو " كيرمت روزفلت Kermit Roosevelt " . وروز فلت هذا كان قد ساعد على اعادة شاه ايران الى العرش بعد الثورة التي قامت ضده في أوائل الخمسينات وقد أرسلته الوكالة قبل ثورة يوليو بعدة شهور ليتصل بجماعة الضباط الأحرار وحدث تفاهم كبير بين روزفلت وجمال عبد الناصر لدرجة أن الوكالة الأمريكية ساعدت الضباط الأحرار أثناء احداث الانقلاب . فقد قام روزفلت بالصرف بلا تحفظ من أموال الوكالة الأمريكية السرية على نجاح الثورة . وسار كل شيء - في أول الأمر على الأقل - على مايرام ولم يكتف عبد الناصر بصداقة أمريكا فقط ، بل لم يبد عداوة ضد اسرائيل أيضا وقد أسر عبد الناصر الى روزفلت أنه

يرجع هزيمة اسرائيل للعرب فى عام ٤٨ الى القيادات والانجليز والاسرائيليين بالترتيب . وكان عبد الناصر حريصا على تسليح الجيش المصرى بأسلحة أمريكية حيث أن حاله لم يتغير منذ عام ١٩٤٨ - وكان وسيطه فى ذلك روزفلت والوكالة الأمريكية . وكان روزفلت سعيدا بالعلاقة الخفية بين عبد الناصر والوكالة الأمريكية .C. I. A وضغط بكل قوته على الحكومة الأمريكية كى توافق على صفقه الأسلحة وكانت أمريكا تخشى إغضاب الانجليز إذا تمت هذه الصفقة . وكان لدى روزفلت ميزانيه سرية ضخمة له حرية التصرف فيها، حريصا على صداقة ناصر فاتفق مع الوكالة على أن تبنى لناصر برجا قويا للارسال حتى يتمكن من توصيل إذاعته الى جميع اتحاد الشرق الأوسط . ولكن عندما تغيرت الأحوال وتبدل الأصدقاء اضطرت الوكالة لبناء ابراج مشابهة للارسال فى بلاد أخرى حتى تستطيع أن ترد على ما يذيعه عبد الناصر من " صوت العرب " ولكى يزيد روزفلت من صداقة عبد الناصر لأمريكا فقد أهداه - عن طريق أحد مساعديه - مبلغ ثلاثة ملايين دولار فى عام ١٩٥٣ كهدية شخصية . وقد غضب عبد الناصر لذلك - فقد ظن أن الأمريكيين يعتبرونه عميلا لهم - وبدلا من أن يرفض النقود قام ببناء برج ضخم أمام فندق النيل هيلتون وأسماه " برج روزفلت " ! ولم يتورع عبد الناصر من أن يطلب من روزفلت بصراحة أن تساعده الوكالة الأمريكية فى انشاء وتدريب وكالة للمخابرات المصرية والأمن الداخلى على غرار ما هو موجود فى الولايات المتحدة الأمريكية : ولكن الوكالة الأمريكية اعتبرت أن مثل هذه الأمور حساسه جدا ولا يجب أن تقحم نفسها فيها بصفة مباشرة . وقد إقترح " الن دالاس Allen Dulles " - الذى تولى رئاسة الوكالة بعد انتخاب ابزنهاور - أن يقوم وكيل عنهم بهذا الأمر . وكان هناك فعلا من يستطيع أن يقوم بهذا العمل بدلا من وكالة المخابرات ويكونخاضعا لها وتحت اشرافها ولم خبره كافيه بهذا العمل . وهذا الشخص كان " جهلر Gehler " الزعيم النازى الذى تعاون مع أمريكا قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية وكان قائدا للمخابرات الألمانية فى الجبهة الشرقية .

وكلف " جهلر " أحد مساعديه " أوتوسكورزنى Otto Skorzeny " وهو أحد رؤساء فرقة الصاعقة الالمانية وكان مفضلا لدى هتلر . وقبل سكورزنى المهمة وطلب زيادة المصروفات المخصصة له من عبد الناسر . وقد قام بتجنيد كثير من قدامى النازيين ومن ضمنهم قائد " الشبيبه الهتلرية " - ألواز برونر Alois Brunner - وقد قام برونر فى أيام هتلر بتعذيب وحرق اليهود فى أفران الغاز ويقدر عدد الذين أمر بحرقهم بحوالى مائة وثلاثين الفا من اليهود . وقد حكم عليه الفرنسيون بالاعدام غيابيا كمجرم حرب . ورغم وجود النازى فى مصر وبالقرب من ناصر فإن ذلك لم يؤثر فى وجهة نظره لاسرائيل وكان يصرح للمسئولين الامريكيين أنه على استعداد للسلام مع اسرائيل إذا تم الأمر

بدبلوماسية .

وقد أزعجت علاقة ناصر بامريكا ، أسرائيل الى أبعد حد . فقد كانت اسرائيل فى هذا الوقت - عام ١٩٥٤ - ترغب فى مزيد من الأسلحة الأمريكية ولكنها لا تريد قواعد امريكية فى أرضها . وقد صرح موسى شاربت قائلا " . . . إن قبولنا للقواعد امريكية فى اسرائيل سيزيد من اعتمادنا عليها ويقلل من اعتمادنا على انفسنا . . . " وقد كانت المشكلة أن أمريكا لم يكن لديها الرغبة فى آن يكون لها علاقة عسكرية خاصة مع اسرائيل فقد كان يهمها أن تبنى حائطا قويا ضد الشيوعية من البلاد العربية . ففى ابريل عام ١٩٥٤ - على سبيل المثال - وافقت أمريكا على تزويد العراق بالأسلحة . وكان كل ما تستطيع اسرائيل أن تقدمه هو العلاقات السرية بينها وبين يهود الجبهة الشرقية .

وفى نوفمبر عام ١٩٥٣ صرح بن جوريون فجأة أنه سيعتزل الحياة السياسية وانزوى فى احدى المستوطنات فى صحراء النقب . وقد صور أصدقاؤه هذا العمل على أنه قمة السياسة والحكمة ولكن من ناحيته هو فقد وجد أن سياسته المنتمية الى الغرب لم تكسب منها اسرائيل شيئا فلا تزال اقتصاديات اسرائيل سيئة والأغذية توزع بالبطاقات . ولما كان الحزب الصهيونى قد فاز باغلبية كبيره فى آخر انتخابات فقد رأى بن جوريون أن يعتزل السياسة وحزبه فى القمة . وقد خلفه فى رئاسة الوزارة موسى شاربت . وهو من الصهيونيين المخضرمين وكان وزيرا للخارجية منذ نشأة اسرائيل وقد اكتسب سمعة أنه من مؤيدى السلام " الحمائم " حيث أنه كان ينتقد اسلوب بن جوريون وموسى ديان فى غاراتهم الدموية على العرب ردا على غارات - مزعومة - من العرب .

وقد قام شاربت وهو رئيسا للوزارة بوقف الغارات الأسرائيلية على الدول المجاورة بل أنه وافق على أن يدخل فى مفاوضات مع عبد الناصر وأخذ موافقه الكنيت على ذلك . وكان اقتراحه هو السماح للسفن الإسرائيلية للمرور فى قناة السويس وفى مقابل ذلك توقف الغارات الاسرائيليه على العرب وكذلك غارات العرب على اسرائيل . ولكنه لم يذكر شيئا عن اللاجئين الفلسطينيين ذلك لأن " حبه للسلام " لم يبلغ هذه الدرجة ! والواقع أن ما اقترحه شاربت هو نفس ما اقترحه مناجم بيجين - وهو من محبتى الحرب (الصقور) - فى اتفاقية " كامب ديفيد " بعد ذلك بحوالى ٢٥ سنة وكلفت مصر انفصالا عن جيرانها العرب لمدة طويلة . ورغم أن بيجين استطاع أن يقود سفينة المفاوضات فى كامب دافيد الى النهاية فإن شاربت لم يستطع ذلك .

وفى يوليو ١٩٥٤ ألقيت بعض القنابل الحارقة فى القاهرة والإسكندرية فى أماكن من ضمنها المكتب الاعلامى الأمريكى فى المدينتين وتسبب ذلك فى بعض الأضرار الطفيفة

وكان الغرض من ذلك - كما يبدو - هو الاضرار بالمصالح الأمريكية المصرية المشتركة وأن هناك من يعارض اتجاه مصر نحو الغرب . ولكن التحقيقات قد اثبتت أن من قام بهذه المحاولات هو من المخابرات الاسرائيلية والغرض منها أن تؤجل انجلترا انسحابها من قناة السويس والاضرار بعلاقة عبد الناصر بامريكا . وتبين أن من قام بهذه العمليات هم من اليهود المصريين (وكان لا يزال هناك بعض اليهود يقيمون فى مصر) الذين فى خدمة المخابرات الاسرائيلية ! ومن الملاحظ أنه رغم الهزيمة المخزية للعرب فى عام ٤٨ فلم يحدث أى حادث انتقامى ضد اليهود المصريين الذين يقيمون فى مصر منذ عهد البطالمة ! ولا يعرف حتى الآن خلفية هذه العملية ولكنها تعرف فى اسرائيل باسم عملية لافون نسبة الى " بنحاس لافون Pichas Lavon " وكان وزيرا للدفاع بعد اعتزال بن جوريون . ورغم أن بن جوريون ترك وزارة الدفاع إلا أنه ترك خلفه شخصين مخلصين له هما موشى ديان رئيسا للاركان وشيمون بيريز مديرا عاما للوزارة . وقد كان لفشل هذه العملية صدى مدو ضد سمعة جهاز المخابرات الاسرائيلية وقد استمرت التحقيقات لمعرفة من الذى أصدر أمرا بالعملية الفاشلة فى مصر . وكان لافون هو كبش الفداء فى هذا الصدد بادىء الأمر واجبر على الاستقالة . وطلب موسى شاريت رئيس الوزراء من بن جوريون أن يعود وزيرا للدفاع مرة ثانية وقبل بن جوريون ذلك . ومع استمرار التحقيقات فى هذا الأمر فقد اتضح أن لافون لم يصدر أمرا بعملية مصر . وأن الأمر الذى صدر قد تم تزويره على لافون . وقد تبين آخر الأمر أن الذى أصدر أمر بهذه العملية وقام بتزوير أمضاء لافون عليها ضابط من المخابرات العسكرية يدعى " بنيامين جبلى Bejamin Gibli " بتعليمات من موشى ديان أو ربما من بن جوريون شخصيا ! ويبدو أن الغرض من هذه العملية كان خلق مشاكل بين العلاقات المصرية والغرب وكذلك ضرب مباحثات السلام التى كان شاريت يزمع القيام بها . وقد فشلت العملية فى ذلك فقد التزم الانجليز بالنسحاب من القناه واكتشفت الوكالة الأمريكية للمخبارات أن عملية لافون كانت من ترتيب الصهيونيين واستمر عبد الناصر فى رغبتة فى اجراء محادثات السلام . بل لقد استغل " كرمت روزفلت " الحادث لكى يسرع بمفاوضات السلام . وبينما كان يتم استجواب المتهمين الاسرائيليين فى الحادث على يد البوليس المصرى أبرق روزفلت الى هاريل (رئيس الموساد الاسرائيلى) باقتراح لعبد الناصر أنه على استعداد لبدء مفاوضات السلام مع اسرائيل اذا أعلنت اسرائيل أن الأخوان المسلمين تعاونوا مع اليهود فى القيام بهذه العملية . فقد كان عبد الناصر يقوم بحملة شديدة ضد الاخوان المسلمين وقد حاولوا اغتياله فى اكتوبر ١٩٥٤ . وقد وافق "هاريل" على ذلك شريطة أن لا يعدم أى من المتهمين فى هذه العملية . وبينما كانت الاتصالات دائرة لبدء المحادثات بين مصر واسرائيل ، صدر حكم المحاكم المصرية بشنق اثنين من المتهمين الاسرائيليين . وقد حاول

" دالاس " أن يجعل عبد الناصر يخفف حكم الاعدام ولكن عبد الناصر رفض ذلك بحجة أن وافق على شنق ستة من الاخوان المسلمين الذين حاولوا اغتياله وليس من المحكم اعدام الأخوان وتخفيف الحكم على الاسرائيليين . وقد اقتنعت الوكالة الأمريكية بهذه الحجة ولكن هاريل كان عنيدا ولم يوافق .

كانت هذه هي الأيام الذهبيه لوكالة المخابرات الامريكية . ففى ١٩٥٣ قام كرمت روزفلت وآخرون - ومنهم نورمان " شفار تزكويف " الذى لعب ابنه دورا هاما فيما بعد فى حرب الخليج " H- Norman Schwarzkopf " - باعادة شاه ايران الى الحكم . وفى السنة التالية دبروا انقلابا فى جواتيمالا . وأقاموا شبكة من الجواسيس والعملاء فى فيتنام الجنوبية بعد انهزام الفرنسيين أضف الى ذلك أن شقيق رئيس الوكالة - جون فوستر دالاس - كان وزيرا كل ذلك جعل للوكالة الامريكية للمخابرات حرية كبيرة فى عملياتها الخفية واتصالاتها الدبلوماسية حول العالم . وكانت هذه الحرية واضحة خصوصا فى الشرق الأوسط مع مصر واسرائيل . فكل منهما كان يعتبر حليفا لأمريكا وعدوا للشيوعية العالمية وكان أى ذكر للشيوعية فى ذلك الوقت يثير الرعب فى أمريكا . ففى عام ١٩٥٤ على سبيل المثال انزعجت اسرائيل لاتهام أمريكا لها بعدم ولائها للغرب وسارعت لتنفى عن نفسها هذه التهمة ونجحت فى اقناع أمريكا بولائها التام للغرب . ولكن عبد الناصر لم يستطع أن يقنع أمريكا بذلك .

وبعد اسبوع من تولى بن جوريون وزارة الحربية قامت مجموعة من رجال المظلات الأسرائيليين بغارة وحشية على أحد مواقع المصريين فى قطاع غزه وقتلت سبعا وثلاثين مصريا وجرحت العديد منهم وعادت الى موقعها فى إسرائيل . وقد قال أحد مراقبى الأمم المتحدة فى هذا الشأن " . . . كانت الغاره من أسوأ الاحداث فى تاريخ مصر واسرائيل وأكدت أنه لن يوجد سلام أو نزع سلاح بين مصر واسرائيل بل سيكون هناك دائما حرب " وكان عبد الناصر قد زار قطاع غزه قبل هذا الحادث ببضعة أيام وأكد أنه لن يكون هناك حرب . وقد قلب هذا الحادث موازين الأمور فى رأس عبد الناصر وقرر أن يحمى حدوده حتى لا تتعرض لحوادث مشابهة . وقد كانت هذه الغارة سببا غير مباشر لسوء العلاقات بين مصر وأمريكا الامر الذى كان يهدف اليه الأسرائيليون من عملية لافون . وكان موسى شاريت يعلم ذلك جيدا . وقد كان عبد الناصر لا يزال يامل فى الحصول على اسلحة من الولايات المتحدة حتى هذه اللحظة . وقد استاء جون فوستر دالاس من ذهاب عبد الناصر الى مؤتمر عدم الانحياز فى باندونج لأن دالاس لا يؤمن بعدم الانحياز ويعتقد أنه مجرد غطاء للتعاطف مع السوفيت ولذلك تردد فى تزويد مصر بالسلاح المطلوب وعندئذ بدأ عبد

الناصر مفاوضاته مع السوفييت ليحصل منهم على السلاح ووافقوا على مبادلة السلاح بالقطن المصرى ولكن من خلال تشيكوسلوفاكيا . وجن جنون الاسرائيليين عندما عرفوا بخبر الصفقه وحجمها وعلموا أن مصر سوف يكون تسليحها مساويا لاسرائيل وسارعوا الى ابلاغ أمريكا بأمرها واتخذوها دليلا على تعاطف عبد الناصر مع السوفييت.

وفى اكتوبر سنة ١٩٥٥ استدعى بن جوريون موشى ديان من باريس وطلب منه الاستعداد لحرب ضد مصر فى صحراء سيناء ويبدوا أن بن جوريون قد تأكد من أنه لايمكن التعامل مع عبد الناصر إلا بالقوة بالاضافة الى أنه كان يريد فتح مضيق تيران - المغلق ضد الملاحة الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ فى البحر الأحمر - ليسمح بمرور السفن التجارية الاسرائيلية الى شرق أفريقيا والشرق الأقصى . وهكذا تزايد الاندفاع نحو الحرب . ومن المدهش أن وكالة المخابرات الأمريكية استمرت فى محاولة تقريب الدولتين - مصر واسرائيل - عن طريق تدبير اجتماع سرى بين عبد الناصر وبن جوريون . وقد أشار شاريت الى ذلك فى مذكراته إذ قال أن فى عام ١٩٥٥ - قبل عام من حرب السويس - عرضت الوكالة مشروع تزويد اسرائيل بالسلاح الأمريكى مقابل عقدهم صلحا مع مصر . وذلك أثناء زيارة شاريت للولايات المتحدة فى أكتوبر . وبعد الزيارة بشهر أرسلت الوكالة الأمريكية رئيسها دالاس لعبد الناصر وقد أفاد دالاس بأن عبد الناصر ليس لديه مانع ولكنه لا يؤمن برغبة اسرائيل الحقيقية فى السلام. وما لم تكن الوكالة الأمريكية تعرفه هو أن اسرائيل نفسها كانت على استعداد لطلب السلاح من الروس إذا لم تستجب أمريكا لطلباتها . فقد ذكر شاريت فى مذكراته فى ١٤ فبراير سنة ١٩٥٦ " هل أنا على صواب فى تأخير اتصالى بالشرق للحصول على السلاح ؟ ما هو أسلم طريق يمكن اتباعه ؟ لقد قال ب . ج . (بن جوريون) أ علينا الاتصال بالسوفييت فورا ولكنى لاأرتاح لهذه الخطوة إلا بعد أن تفقد الأمل من الأمريكيين .

وقد سارت الخطة الأمريكية بعد ذلك على خير ما يرام فقد أعطت أمريكا الموافقة الى فرنسا كى تبيع اثنى عشر طائرة قاذفة مقاتلة كان من المزمع اعطاؤها الى " حلف شمال الاطلنطى NATO " الى اسرائيل وبذلك قطعت الطريق على اسرائيل للجوء الى الاتحاد السوفييتى لطلب السلاح وذلك فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٦ وأصبحت علاقة اسرائيل بفرنسا شبه اتحاد كامل . وهناك من الأسباب ما دعى اسرائيل وفرنسا الى تكوين علاقات وثيقة . ففى الخمسينات كان الذين يتولون الحكم فى فرنسا معظمهم من رجال المقاومة الفرنسية الذين ذاقوا أهوال التعذيب مع اليهود فى معسكرات النازى وقد كانت الحرب الجزائرية من أهم اسباب تقارب الفرنسيين والاسرائيليين . فقد قام

الجزائريون بثورة ضد الفرنسيين فى عام ١٩٥٤ . ولم يصدق الفرنسيون أن الجزائر يمكن أن تطالب بالاستقلال بعد ١٢٠ عاما من الاحتلال الفرنسى واعتقدوا أن سبب الثورة هو تحريض عبد الناصر لهم من القاهرة . ولم يفت الأسرائليين أن يستغلوا هذا الرأى فقد قال شيمون بيريز فى يونيو ١٩٥٥ جملته الشهيرة " إن كل فرنسى يقتل فى الجزائر وكل مصرى يقتل فى غزه يشكل خطوة نحو تقوية الروابط بين فرنسا واسرائيل " ! وقد كان تشجيع عبد الناصر للجزائر - فى الحقيقة - تشجيعا أدبيا فى أغلبه . فقد وضع قواد المقاومة الجزائرية أن المصريين لم يرسلوا لهم إلا قليلا من الأسلحة والنقود ! ولم يصرحوا بحقيقة الأمر خوفا من حدوث انقسام فى الصف العربى وكان عبد الناصر سعيدا بهذا لأن ذلك يجعله أحد الزعماء المشهورين فى العالم الثالث وصدق الفرنسيون ذلك لأنهم كانوا يريدون ارجاع سبب فشلهم فى قمع الثورة الى جهة أخرى . وأيد الاسرائيليون ذلك حتى يزداد اقتناع فرنسا بارسال اسلحة الى اسرائيل لمحاربة عبد الناصر . وهكذا كان جميع الاطراف حريصين على تصديق أن عبد الناصر يمد ثورة الجزائر بالسلاح والمال .

وكانت صفقات الأسلحة بين فرنسا واسرائيل تتم فى سرية تامة بين وزراء الحرب فى البلدين ودون أن يشترك فيها وزراء الخارجية وكذلك كانت العلاقة بين البلدين . فلم تكن أمريكا تعلم بمداها . ورغم أن أمريكا قد وافقت على بيع اثنى عشر طائرة الى اسرائيل فإن العدد الحقيقى من الطائرات وكذلك الدبابات والأسلحة التى قدمتها فرنسا لاسرائيل أكثر من ذلك جدا . وقد تم ذلك قبل أن يستطيع عبد الناصر أن يتم صفقته مع التشيك . بالإضافة الى تفوق الأسلحة الفرنسية فى النوع . وهكذا فى بداية عام ١٩٥٦ كان لدى الأسرائيليين خطه من وكالة المخابرات الامريكية لبدء محادثات السلام مع عبد الناصر وكانت تسمى " عملية كامليون Operation Chameleon " كما وافق الأمريكيون على تزويدهم بالسلاح من فرنسا وأقنعوا العالم العربى بأن جميع المتاعب فى الشرق الأوسط سببها عبد الناصر . وفى نفس الوقت كانت المخابرات الاسرائيلية تعمل جاهدة فى تجميع المعلومات لأمريكا من المهاجرين من الكتلة الشرقية . ولا يوجد بيان يوضح كمية المعلومات ونوعيتها التى كانت " الموساد " تنقلها عن طريق استجوابها للمهاجرين من الكتلة الشرقية ولكن فى خريف عام ١٩٥٦ أتت العلاقة بين الموساد ووكالة المخابرات ثمارها بشكل لم يكن أحد يتوقعه . ففى فبراير ١٩٥٦ ألقى " نيكيتا خروستشوف Nikita Khru-shchev " خطابا " سريا " فى المجلس الأعلى السوفيتى وقد اتهم فيه ستالين بالقسوة والفساد والقتل الجماعى وتدمير اقتصاديات الاتحاد السوفييتى بسياساته الخرقاء . ولم يكن قد تجرأ أحد من قبل على اتهام " ستالين " باى من هذه التهم بل كان دائما قائدا للحركة الشيوعية فى العلم ومنزها عن اى خطأ . وكانت هذه الخطبة سرية ومنعت عن

الصحافة ولم يسمعها إلا كبار أعضاء الحزب . وحاولت الوكالة الامريكية للمخابرات - بطبيعة الحال - معرفة مادار فى هذا الاجتماع والحصول على نسخة من خطبة خروشتشوف ولكنها فشلت . بل لقد أرسلت جاسوسا مخضرما الى يوغسلافيا يدعى " روبرت أمورى Robert Amory " فى محاولة للحصول على نسخة من الخطة ولكنه فشل أيضا . وقد استطاعت اسرائيل الحصول على نسخة كاملة منها وقدمتها الى الوكالة الأمريكية التى تقبلتها بالشكر والامتنان . وقد استطاع أحد رجال الوكالة الامريكية الحصول على " الخطبة السرية " فى نفس الوقت تقريبا ولكن الموساد كان أول من قدمها لرئاسة الوكالة . وقد أمر (الن دالاس) رئيس الوكالة بإذاعة هذه الخطبة فى الراديو ونشرها فى عدد نيويورك تايمز فى ٥ يونيو سنة ١٩٥٦ ولكنه نسب الحصول عليها الى رجال الوكالة وأغفل مجهود الموساد فى هذا الشان وقد أحدث نشر خطبة خروشتشوف دويا كبيرا فى أوربا الشرقية وساعد على زيادة الكراهية للاحزاب الستالينية الحاكمة وخصوصا فى هنغاريا . وقد أصر هاريل - رئيس الموساد - على عدم طلب أى شىء مقابل ذلك وقال " يكفى أن كبار المسئولين الأمريكيين ممتنين لما قمنابه فى هذا السبيل وسوف يساعد هذا على تكوين فريق من المشايعين (اللوبى) لاسرائيل فى الجهات العليا ! "

بعد فشل عملية كاميلون - التى كانت تهدف لاجتماع بن جوريون وعبد الناصر سرا لبحث امكانيات السلام بين البلدين بدأت الأسلحة الفرنسية تتدفق على اسرائيل وفى نفس الوقت بدأت العلاقات بين عبد الناصر وأمريكا ينتابها البرود نظرا لتقرب عبد الناصر المستمر الى روسيا ثم اعترافه بالصين الشيوعية كل ذلك دفع جون فوستر دالاس الى سحب عرضه السابق لتمويل السد العالى فى أسوان . عندئذ قام عبد الناصر بتأميم شركة قنال السويس - وله كل الحق فى ذلك - فرأت كل من فرنسا وانجلترا أن ذلك يمكن أن يكون ذريعة لغزو عسكرى لتحرير القناة ولسبب أهم من ذلك وهو تحطم قوة ناصر فى نفس الوقت فاتفق الاثنان مع اسرائيل على أن تقوم اسرائيل بالهجوم على سيناء وعندئذ تحتل بريطانيا وفرنسا القناة لحمايتها وبحجة محاولة انهاء الحرب . وقد تم كل هذا التخطيط دون أن تعلم الولايات المتحدة عنه شيئا . ولم تخبر الموساد الوكالة الأمريكية بأى شىء عن ذلك ولو أن تجمعات الأساطيل الفرنسية والانجليزية فى البحر الأبيض قد رصدتها طائرة الاستطلاع " يوتو U2 " وكانت هذه أول مرة تستعمل فيها هذه الطائرة للتجسس . وفى ٢٦ اكتوبر وصلت برقية من الملحق العسكرى الأمريكى فى تل أبيب تفيد أن سائقه - وهو جندى احتياطى فقد ذراعا وساقا وعينا قد استدعى للاحتياط - وقد ارسلت هذه البرقية الى الوكالة لتحليلها . ويبدوا أن الملحق العسكرى الأمريكى فى تل أبيب لم يكن يدرى أهمية استدعاء سائقه الى الخدمة ولكن " روبرت أمورى Robert

Amory" نائب رئيس الوكالة وجد أن هذا العمل لا يعنى الى أمرا واحدا وهو قيام الحرب وقال " تأكدت أن الحرب ستكون ضد مصر لان الحرب ضد الأردن لا تستدعى استدعاء الاحتياطيين الموقتين مثل سائق الملحق العسكرى . ولما كان اليوم الجمعة والسبت عطلة لليهود فإنه من المتوقع الهجوم يوم الاثنين وأفضيت بمخاوفى الى " آلن دالاس " رئيس الوكالة الذى أمر بجمع لجنة الطوارىء وبينما أنا أتكلم مع دالاس فتح باب جانبى فجأة ودخل منه إنجلتون - صديق اسرائيل - وقال أنا لا أوافق على ما قاله أمورى فقد كنت " معهم " الليلة الماضية وقد قال " الاصدقاء " أن هذه مناورات على الحدود الأردنية . عندئذ فقدت شعورى وصحت فى دالاس بأعلى صوتى " اتى انقاضى ١٦٠٠٠ دولار فى السنة من دافعى الضرائب كنائب لك ولا عطيك النصيحة طبقا للمعلومات المتاحة لذى . فإما أن تصدقنى أو تصدق هذا العميل الاسرائيلى لدينا " وأشرت بيدى الى انجلتون واجتمعت لجنة الطوارىء وقررت " مراقبة الموقف عن كثب ! " وفى اليوم التالى - وكان يوم سبت - اجتمع الاخوة دالاس لمراجعة خطبة سوف يلقيها فوستر دالاس فى المساء وكان من ضمن الخطبة جملة تقول " إن الولايات المتحدة لا تضمن استمرار السلم فى الشرق الأوسط " عندئذ قال أمورى " سيدى الرئيس إذا قلت هذه الجملة واندلعت الحرب فى اليوم التالى فسوف يقول العالم كله أنك كنت متواطئا مع اسرائيل . وأنا واثق أن الحرب سوف تندلع بعد منتصف ليل غد " وقد كان " أمورى " يتوقع أن يذهب دالاس الى أيزنهاور فورا ويخطره بهذا الوضع ولكنه لم يفعل وقد علم " أمورى " بعد ذلك أن " انجلتون " قابل دالاس ثلاث مرات من مساء السبت الى مساء الأحد ويمكن للقارىء استنتاج ما شاء له من الاستنتاجات ! ولم تتضح الأمور عند دالاس إلا فى مساء الأحد ٢٨ اكتوبر إذ أن الاسرائيليين قد قرروا به وأرسل برقية الى " هاريل " - رئيس الموساد - يحتج فيه على عدم اخطاره بالحرب قبل ذلك وأنه كان يأمل أ تكون العلاقة بينهما مبنية على " الثقة المتبادلة والاخلاص " . وقد رد عليه " هاريل " ببرقية يقول له نصها " إنى اعتقد أن المسئولين فى الولايات المتحدة - وأنت من ضمنهم - قد اقتنعوا بأنه لا سبيل للمفاوضات مع ناصر وأن الطريقة الوحيدة للتعامل معه هى تقليم أظافره وابعاده عن الحكم . إن الخلاف بيننا ليس فى المبادىء ولكنه فى الطرق التكتيكية " .

ولقد نجحت الحرب - من وجهة نظر اسرائيل - نجاحا كبيرا ولم تكن هناك خسائر جسيمة إلا عند اقتحام ممر " متلا " الذى أمر به الجنرال ابريل شارون متحديا أوامر القيادة العليا وأوغر صدر زملائه الضباط نظرا لما ألحقه بالجيش من خسائر جسيمة .

وقد استشاط أيزنهاور غضبا عندما علم بما حدث فقد قام حلفاؤه - المزعومون - بالحرب قبل أيام من انتخابات الرئاسة الأمريكية وكذلك قام الروس بسحق الثورة فى

هنغاريا فى نفس الوقت تقريبا . وصمم ايزنهاور على أن لا يجنى المعتدون ثمار عدوانهم خصوصا بعد أن كانوا السبب فى تدخل روسيا فى الشرق الأوسط وتهديدهم باستعمال قوة السلاح فى اجبار المعتدين على الانسحاب . فأمر ايزنهاور بوقف المعونة المالية لبريطانيا وهدد اسرائيل بأنه سوف يساند قرار الأمم المتحدة وسوف يجعل تبرعات يهود أمريكا لاسرائيل خاضعة للضرائب وقال دالاس لأحد النواب المشايعين لاسرائيل (اللوبى) " أنا أعلم أنه من الصعب بل مستحيل تقريبا فى هذه البلد اتخاذ قرار ضد مصلحة اسرائيل ولكننى سوف أحاول " .

ورغم كل هذه الاضطرابات فى المستويات العليا فإن الموقف بين الدولتين من ناحية أجهزة المخابرات لم يكن سيئا بالمرة بل استمر بشكل عادى بصرف النظر عما حدث فى المستويات السياسية . وقد حدثت اضطرابات شديدة أثناء الاعتداء على مصر فى العلاقات الدبلوماسية بين أمريكا واسرائيل واستمرت لعدة شهور بعدها ولكن العلاقات الحسنة بين مخابرات الدولتين استمرت لدرجة أن وجهات النظر كانت تتبادل بين الدولتين من خلال أجهزة المخابرات وليس من خلال القنوات الدبلوماسية الشرعية ! وقد انتهت أزمة السويس لصالح اسرائيل ، فرغم أن اسرائيل أعادت الأرض التى استولت عليها إلا أنها فازت بحق مرور سفنها فى خليج العقبة . والأهم من ذلك أن العلاقات بين أمريكا والعرب قد تطورت لصالح اسرائيل .

ولقد اصبح عبد الناصر بعد حرب السويس زعيما للعرب جميعا يحاول كثير من زعمائهم التشبه به . ولو أن الولايات المتحدة الأمريكية رأت أن ظلال الشيوعية السوداء قد بدأت تخيم على مصر فبدأت العلاقات السياسية بينهما ينتابها البرود فأدى ذلك الى تقارب أكثر بين مصر وروسيا . ويقول هاريل - رئيس الموساد - أن الضغط على اسرائيل لكى تنسحب من سيناء كان أكبر خطأ سياسى وعسكرى لأمريكا واسرائيل . وأن الموقف كان سيتغير لو استمرت اسرائيل فى احتلال سيناء بل إن ذلك كان سيؤدى بالضرورة الى سقوط عبد الناصر وتقلص النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط .

وقد اتفقت وجهة نظر وكالة المخابرات الأمريكية مع " هاريل " لدرجة أن الوكالة خططت لاغتيال عبد الناصر وذلك بعد أن قال ايزنهاور فى إحدى خطبه " إنى اتمنى الخلاص من مشكلة عبد الناصر " فـفسرتها الوكالة أنه لا مانع لديه من اغتيال عبد الناصر وبدأت تعد الخطة لذلك . وعندما علم جون فوستر دالاس بذلك سارع بافهامهم أن ايزهاور كان يعنى أنه يأمل تحسن العلاقات مع عبد الناصر وليس قتله . ولكى يجعل ذلك مفهوما

لكل من اسرائيل وانجلترا وفرنسا سارع بالتصريح أن الولايات المتحدة " ترغب فى تحسين علاقتها مع عبد الناصر " .

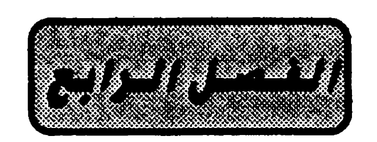
وقد باءت كل المؤامرات فى الشرق الأوسط بالفشل بعد ذلك فقد دبر " كرمت روزفلت " مؤامرة لقلب نظام الحكم فى سوريا وانتهت بقيام " المتآمرين السوريين " بفضح المؤامرة لجهاز المخابرات السورى وقدموا الرشاوى التي دفعت لهم ومعها أسماء الضباط من وكالة المخابرات الأمريكية الذين خططوا لها . وفشلت مؤامرة أخرى كانت تدير لتجعل العراق تحارب سوريا وذلك بأن حدث انقلاب فى العراق - لم تدر به المخابرات الأمريكية أو الاسرائيليه - قامت به جماعة مواليه لعبد الناصر ضدد الحكم الملكى فى العراق . كل ذلك جعل موقف الولايات المتحدة الامريكية فى الشرق الأوسط أكثر سوءا. ولكن على الوجه الآخر فقد ساعدت هذه الأحداث نفسها على تقوية العلاقات بين امريكا واسرائيل من جانب المخابرات حتى أن الان دالاس رئيس الوكالة الامريكية للمخابرات قال " . . . اعتقد أن ماحدث حتى الآن يجعل جهاز المخابرات الاسرائيلى هو الجهة الوحيدة الباقية التى يمكن اعتمادنا عليها " وقد قال دالاس ذلك فى اجتماع له عام ١٩٥٨ مع ويلبر ايفيلاند Wilbur Eveland وهو أحد الخبراء الامريكيين الذين تستعين بهم وكالة المخابرات الأمريكية . وقد قرر دالاس بعد ذلك أن أعمال وكالة المخابرات الخفية فى الدول العربية سوف تتعاون تعاونا وثيقا مع جهاز المخابرات الأسرائيليى (الموساد) - الذى ينوب عنه فى الوكالة الأمريكية جيمس انجلتون - ليس ضد العرب ولكن ضد عدونا المشترك "الروس" .

ولقد مرت سبع سنوات منذ عرضت اسرائيل معاونتها على وكالة المخابرات الأمريكية عن طريق استجوابها للمهاجرين من الكتلة الشرقية . وقد تعرضت هذه العلاقة لعقبات على الطريق وقد اثمرت رغم ذلك وكانت ثمرتها أن الموساد الآن تلعب دورا رئيسيا فى معاونة الولايات المتحدة فى الحرب الدائرة فى الشرق الأوسط ومناطق أخرى فى العالم . وفى المقابل فقد صمم بن جوريون على الحصول على معاونة الولايات المتحدة فى صناعة السالح الرهيب " القنبلة الذرية " الذى جعل العلاقة الخفية بين البلدين تزداد عمقا .

****

*****

**



الأسلحة النووية

جلس جيمس كونران James H. Conran على منضدة خارج احدى الحانات فى أوائل صيف عام ١٩٨٩ وبعد أن طلب شيئا ياكله بدأ يندب حظه التعس وفشله فى وظيفته . وذلك كله كان بسبب اكتشافه تلاعبا فى أوراق الابحاث النووية لصالح دولة أجنبية . وكان يجب على المسئولين تقدير هذا الدور الذى قام به كونران وتشجيعه لولا أن هذه الدولة الأجنبية هى " اسرائيل " .

وهذه القصة بدأت منذ عام ١٩٧٥ عندما عين كونران - وهو مهندس متخصص فى الابحاث الذرية - فى " هيئة الطاقة الذرية الامريكية Atomic Energy Commission " ثم منها الى " هيئة تنظيم الطاقة النووية Nuclear Regulatory Commission " وهى التى حلت محل الهيئة الأولى . وقد أتاحت له وظيفته الاطلاع على جميع الملفات السرية الخاصة بالأبحاث والدراسات واطلع عليها جميعا - فعلا - فيما عدا ملفا واحدا عنوانه " المواد والمعدات النووية فى مشروع أبو لو بنسلفانيا Nuclear Material and Equipment Corporation of Apollo Pennsylvania " وأصر كونران على الاطلاع على هذا الملف . ومع الحاحه الشديد وافق رؤساؤه على اعطائه إياه . واكتشف كنران من الملف أن مشروع أبولو فى بنسلفانيا عمل خصيصا لتصنيع اليورانيوم الخاص بالقنبلة الذرية وأن هذا اليورانيوم نقل بطريقة غاية فى السرية الى اسرائيل . وأن هذا العمل بدأ منذ عام ١٩٦٠ . وذهل كونران من هذه المعلومات واتصل برئيس هيئة الطاقة النووية التى يعمل بها فوجد أنه على علم بذلك ونصحه بعدم الكلام فى هذا الموضوع . فلم يقتنع كنران واتصل " بهيئة المباحث

الفدرالية F. B. I " فأرسلت من يصحبه الى أحد المسئولين فى وكالة المخابرات الأمريكية C I A الذى لم يبد اهتماما كبيرا بالموضوع وخرج " كنران " من عنده وهو مصمم على الاتصال بأعلى جهة وهى الكنجرس مهما يكن فى ذلك من مخاطره . وبدأ فعلا اتصالاته بعضو الكنجرس المنتخب عن ولايته . ولم يعجب هذا التصرف مدير الهيئة النووية واتهم كنران بنشر معلومات سرية وأبعده عن وظيفته الأصلية الى وظيفة تافهة مع التوصيه بعرضه على طبيب نفسى ! ! وصدم كنران بهذا التصرف وقام فى ٤ أبريل عام ١٩٧٧ بكتابة خطاب الى رئيس الهيئة النووية يقول فيه " . . . إن الوقائع والتطورات التى مرت خلال الثمانية عشر شهرا التى عملت فيها بالهيئة لتوحى الى بأن هناك خلل شديد ومخيف فى المبادىء التى تعمل بها الهيئة . . . "

ولم يهتم أحد بأن يقول لكنران أنه تجاوز كل حدوده بدخوله منطقة الاتصالات الخطرة بين وكالة المخابرات الأمريكية واسرائيل وأن أى شىء قد يحدث إلا أن تذاع أسرار الوكالة وقد شكلت لجنة من الكونجرس لبحث شكوى كونران ولكن كل ما استطاعت أن تطلع عليه هو بعض أوراق متناثرة ومذكرات مشوشة بخط كونران قام الأسرائيليون بتزويرها ودسوها فى القضية حتى لا يصل الكونجرس الى شىء ذى قيمة . وقد قام عضو الكونجرس موريس أودال Morris Udall رئيس اللجنة الداخلية فى المجلس بادانة عملية أبولو ووضعها على نفس مستوى ووترجيت وكوريا جيت . ولم يستطع " أودال " أن يعرف من خلال التحقيق الذى قام به واستمر لمدة سنة كاملة - حتى صيف عام ١٩٧٨ - كيف تم تهريب ٢٠٦ رطل - حوالى ١٠٠ كج - من اليورانيوم المشع من مصنع أبولو وكذلك مستندات وأوراق سرية . فقد وقف فى طريقه " مكتب المباحث الفدرالى F. B. I" ووكالة المخابرات الأمريكية C I A " ولم يقتصر الأمر على أودال فقد قام عضو الكنجرس الديموقراطى " جون دنجل John Dingell الذى يرأس اللجنة الاقتصادية بدراسة هذه القضية لمدة ثلاثين شهرا ولم يصل فيها الى نتيجة أيضا إلا أنه وضع فى تقريره تقصير كل من هيئة المباحث الفدرالية ووكالة المخابرات المركزية فى عدم استجوابهم لكثير من الشهود ومحاولة طمس معالم القضية وقد وضع تقريرا بين فيه ذلك إلا أن هذا التقرير وضع عل يالرف وتراكمت فوقه الأتربة . ولم يكن الرئيس " فورد " هو الوحيد الذى حاول تغطية هذا الموضوع الحساس باغفاله التقارير التى كتبت فى عهده . بل تلاه أيضا الرئيس كارتر فقد قام عضو الكونجرس بيتر ستوكتون Peter Stockton فى عهده بوضع تقرير عن هذه الواقعة ولكنه قال " . . . جميع التقارير التى تمس هذا الموضوع والتى وضعها اللجان الرسمية لم تصل فيه الى نتيجة . "

ومنذ أن قامت طائرة التجسس " يوتو U - 2 " بتصوير صحراء النقب فى عام ١٩٦٠ وظهر فيها المفاعل الذرى الأسرائيلى " لاستخدام الذره فى الأعمال السلمية " وكل رئيس للولايات المتحدة يسأل اسرائيل عنه . ولكن فى السر وليس فى العلن ١٩٦٠ بعد تسع سنوات من التعاون بين الدولتين **تقابل بن جوريون مع جون كندى فى فندق والدورف** استوريا . وكان بن جوريون قلقا للضغط الأمريكى على اسرائيل كى تكف عن الابحاث الذرية . وعرض كندى على بن جوريون أن تمد أمريكا اسرائيل باحدث الأسلحة التقليدية المتقدمة فى مقابل أن تتوقف الأبحاث الذرية الأسرائيلية . وقد وافق بن جوريون **وتوقفت الأبحاث الذرية الاسرائيلية** - ليس بسبب وعد بن جوريون ولكن بسبب التكاليف المالية الباهظة وعسر اسرائيل المالى فى ذلك الوقت - وأرسلت أمريكا طوفانا من أحدث الأسلحة لاسرائيل وبعد قليل استأنفت اسرائيل ابحاثها الذرية رغم وعد بن جوريون . وأصبح موضوع المفاعل الذرى الاسرائيلى مصدر قلق لكل رئيس أمريكى بعد ذلك . ويقول ستوكتون فى تقريره عن الحادث " . . . عندما قال ريتشارد هلم Richard Helm مدير وكالة المخابرات فى عام ١٩٦٨ للرئيس جونسون أن هناك مواد ذرية تشحن لاسرائيل لم يقل له الرئيس جونسون (اطلب السفير الأسرائيلى فورا لمقابلتى) ولكنه بدلا من ذلك صاح قائلا (لا تقل شيئا لأى انسان أخر وخصوصا دين راسك وروبرت ماكنامارا) " وهما مساعدا الرئيس جونسون !! " Dean Rusk , Robert Mc Namara " وقد أبلغ " ليفى أشكول Levi Eshkol " الرئيس جونسون أن البرنامج الذرى متوقف فى اسرائيل . واستمر جونسون فى ارسال مزيد من الأسلحة التقليدية المتطورة ولكن فى عام ٩٦٨ وافق الرئيس على ارسال طائرات فانتوم ف - ٤ F - 4 Fantom القاذفة المقاتلة القادرة على حمل قنبلة نووية لاسرائيل ! وقد حاول نائب وزير العربية بول نيتز Paul Nitze وقف ارسال الطائرات الى اسرائيل باتصاله بنائب وزير الدفاع لشئون الأمن ولكن الأخير قال " **أسف لا يمكننى وقف بيع هذه الطائرات فإنهم (أى الأسرائيليين) سوف يلجأون الى الرئيس وسوف يلغى قرارى** " !

ولم يكن عصر الرئيس " نيكسون Nixon " مختلفا عن من قبله فبعد ثلاثة أشهر من تولى نيكسون الرئاسة - مايو سنة ١٩٦٩ حدث إجتماع بين الرئيس مع هنرى كيسنجر Henry Kissinger مستشار الرئيس للأمن القومى ومدير وكالة المخابرات " C I A " وآخرين وكان الموضوع الرئيس هو امتلاك اسرائيل لمفاعل ذرى وتصنيعهم للقنبلة الذرية . وقد قال كيسنجر " لا أرى ضررا فى أن تمتلك اسرائيل قنبلة ذرية . إن هذا يعنى أننا لن

نضطر للدفاع عنهم " !! أما عن موضوع سرقتهم لليورانيوم من بنسلفانيا . فلم يذكر عنها شيء . وكل هذه الاجتماعات تمت فى سرية تامة فالبيت الأبيض غير مستعد لنشر مايدور داخله من أحاديث ولكن حدث تسرب غير متوقع إطلاقا لهذا الموضوع . فقد نشرت جريدة محلية تصدر فى مدينة بتسبرج Pitts burgh تسمى الأدفرتايزر Advertiser خبرا صغيرا يقول " يغادر مطار بتسبرج مرة أو مرتين فى الشهر عالم شهير فى الطبيعة يدعى الدكتور " X " الى مطار نيويورك ثم يطير منها الى تل أبيب على متن طائرات " العال " الأسرائيلية . والدكتور X واحد من أشهر العلماء الأمريكيين فى المواد الذرية وهو يعمل الآن ومعه بعض زملائه " مستشارا " لبعض الشركات فى اسرائيل وأمريكا فى شئون " المواد المشعة " . وقد نشر هذا الخبر فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٦٩ والدكتور " X " هو الدكتور " زالمان مردفاى شابيرو Dr. Zalman Mordechai Shapiro " ويعرفه مكتب المباحث الفدرالية" F. B. I منذ مارس ١٩٤٩ وكتب عنه منذ ذلك التاريخ وحتي يوليو ٧٤ ـ ٤١ تقريرا جميعهم (سرى للغاية) . وقد كان شابيرو أحد العلماء النابهين فى هيئة الطاقة الذرية الأمريكية . وعندما تم حل هذه الهيئة قام الدكتور شابيرو بتأسيس مشروع أبوللو بتسلفانيا المذكور أتفاقى ديسمبر ١٩٥٦ - فالحكومة الأمريكية تسمح للأفراد والشركات الخاصة بالعمل فى الابحاث الذرية تحت اشرافها - وشابيرو صديق لاسرائيل أيضا وأبوه يهودى أرثوذكس من لتوانيا ومتعصب للصهيونية بشكل كبير . وذهب شابيرو الى أحد أبطال حرب التحرير " دافيد لوفنتال David Lowenthal " عندما أراد أن يؤسس شركته . وقد أعطاه لوفنتال قطعة أرض كان مقاما عليها مصنعا قديما للطوب فى ضاحية أبولو Apollo بالقرب من مدينة بتسبرج Pittsbugh ونظر لصلات شابيرو القوية بالادارة الأمريكية فقد تلقى طلبات عديد لتوريد اليورانيوم النشط . ورغم أن هذه الشركة كانت تتعامل مع ٢٦ عميلا منهم اسرائيل إلا أن كثيرا من الناس يؤكدون أنها أنشئت لتخدم اسرائيل فى المقام الأول . ويؤكد ستوكتون فى تقريره أن الوكالة الأمريكية للمخابرات كانت على علم تام بنشاط مشروع " أبولو بتسلفانيا " ويؤكد جون هادون John Haddon " الذى كان يعمل مندوبا للوكالة الأمريكية فى تل أبيب أن المشروع أنشىء لصالح اسرائيل منذ بدايته وأن الذى قام بتمويله هو لوفنتال الذى يملك " مصنع أبولو للصلب " المجاور للمشروع وقد ذكر تقرير لمكتب المباحث الفدرالى " F. B. I " أن " لوفنتال " قام بتمويل مشروع أبولو بحوالى ثلاثة ملايين دولار وكان عضوا فى مجلس ادارته . ولكن " تيودور شاكلى Theodore Shackley " نائب مدير الوكالة لم يكن مقتنعا بدور " مشروع أبولو " فى توريد المواد المشعة لاسرائيل وقد قام بفصل " كارل داكيت Carl Duckett " - وهو مستشار علمى فى الوكالة - من وظيفته فجأة بحجة أنه مدمن للشرب لأنه هو الذى أخطر الوكالة

ومكتب البحوث الفدرالى بدور " مشروع أبولو " فى توريد المواد المشعة الى اسرائيل ! ويقول الجنرال " Alfred Starbird الفريد ستاربيرد " وهو جنرال متقاعد من سلاح الطيران الأمريكى فى شهادة له أن الوكالة الأمريكية " CIA " قد تمكنت من الحصول على قطعة من اليورانيوم المشع من المفاعل الأسرائيلى وبفحصها تاكد الخبراء أن خامتها مماثلة لخامة اليورانيوم المستخرج من " أوهايو Ohio " وهى من نفس الخامة التى يستعملها مشروع أبولو . وعندما سؤل الجنرال ستاربيرد عن مصدر معلوماته قال أنها من " شاكلى" نفسه ! ! وعندما سؤل " شاكلى " نفسه فى هذا التعارض بين أقواله رفض التعليق وعندما سئل هادون - مندوب CIA فى تل أبيب - عن دور انجلتون فى الموضوع قال " لا أعتقد أن انجلتون له دور ايجابى فى هذا الشان ولكنه كصديق لاسرائيل لم يمانع فى أن تحصل اسرائيل على هذا السلاح كى تستطيع أن تدافع به عن نفسها ! وقد وصف هادون العملية بأنها " باهرة " فهى أكثر تعقيدا من عملية تهريب الأسلحة التى بدأ بها " آل شفيمر Al Schwimmer " حياته العملية فهى تحتاج للمال والحماية والتعاون كما تحتاج لمهندسى ذرة وعلماء فى العلوم النووية .

وقد بدأت الشكوك تحوم حول مشروع أبولو منذ عام ١٩٦٢ وقد لاحظت الجهات المسئولة أن هناك تسيبا فى حصر اليورانيوم الخام للمشروع كما لاحظت نشاط الهيئات الاسرائيلية فيه . وقد قال المسئولون فى ذلك أن هذا المشروع ليس فقط لتوريد اليورانيوم النشط لاسرائيل ولكنه أيضا مجال مفتوح للتجسس على قدرة الولايات المتحدة الأمريكية النووية فقد كان للفنيين بالمشروع الحق فى الاطلاع على اخر الابحاث النووية الأمريكية تحت مظلة هيئة الطاقة النووية الأمريكية . وقد كتب " ووترز I. A. Waters " وهو مسئول الأمن فى هيئة الطاقة النووية فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٦٢ التقرير التالى " بالتفتيش على النظام الأمنى فى مشروع أبولو تبين لنا عدم رغبة الإدارة فى وضع نظام أمنى محكم . وقد وجدنا بالإضافة الى ذلك أن : " هناك اتفاق للتعاون بين المشروع ودولة اسرائيل لكى يكون المشروع هو وكيل اسرائيل فى الولايات المتحدة بالنسبة للخبرة والتدريب والحصول على المواد النووية . . . وقد وجدنا فى قسم البلوتونيوم عالم اسرائيلى فى شئون الطاقة يعمل كزائر فى هذا القسم وذلك طبقا للاتفاق بين المشروع واسرائيل " . وقد لاحظت اللجنة الأمنية أنه يسمح للزائرين للمشروع بالاطلاع على الوثائق السرية الخاصة بالبلوتونيوم دون رقابة . والعالم الإسرائيلى الزائر كان " يزور " المصنع منذ مارس ١٩٦١ - التقرير مكتوب فى فبراير ١٩٦٢ - كما " زاره " أيضا " افرايم لاهاف Ephraim Lahav " المستشار العلمى لاسرائيل فى

واشنطن فى ديسمبر ١٩٦١ . ورغم خطورة ما جاء بتقرير هيئة الطاقة الذرية الأمريكية عن الأمن والسرية فى المصنع ، فلم يحرك أحدا ساكنا فى هذا الشأن .

وعندما لاحظت هيئة الطاقة الذرية فى عام ١٩٦٧ أثناء قيامها بالتفتيش على مشروع أبولو اختفاء ٥٧٢ رطلا من اليورانيوم المشع من المخازن افترضت اللجنة أن ٣٦٦ رطلا منها قد فقدوا من جراء التشغيل . وقد علق أحد كبار المتخصصين فى الذرة على ذلك أن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان مصنع أبولو يعمل سبعة أيام فى الأسبوع ولمدة ٢٤ ساعة يوميا منذ أكثر من مائة عام !! وقد فرضت لجنة التفتيش غرامة قدرها ٩٢٩٠٠٠ دولارا على المشروع بسبب اليورانيوم المفقود . وقد تدهور العمل فى المشروع فى منتصف الستينات ولكن " شابيرو " تمكن من الحصول على مليون دولار كقرض من " بنك ميلون Mellon Bank " وحاول رفع غرامة هيه الطاقة الذرية ولكنه لم يوفق . وقد قال " شارلز كيلر Charles Keller " أحد كبار المسئولين فى جهاز الطاقة النووية " أنا لا أدرى كيف تستطيع هذه الشركة ممارسة الضغط على الحكومة الى هذا الحد . إنه من الواجب عدم اعطائهم يورانيوم أو عقودا جديدة على الاطلاق حتى تتضح الأمور . ولكن يبدو أننى أصرخ فى واد " وقد أشار أحد تقارير هيئة الطاقة فى عام ١٩٧١ ال يان " هيئة المباحث الفدرالية F B I " قد وجدت صلات قوية جدا بين مشروع أبولو واسرائيل وأن المشروع هو الصلة بين اسرائيل والولايات المتحدة - الصلة غير المشروعة - للحصول على معلومات عن الطاقة الذرية وأن أبولو قد أسس مع اسرائيل شركة جديدة يمتلك كل منهما النصف تسمى " ايسوراد ISORAD " ويتكون مجلس ادارتها من رئيس هيئة الطاقة الذرية الاسرائيلية ومدير الابحاث بها ومدير أحد البنوك ورئيس هيئة تصدير الموالح الاسرائيلية وكان الغرض من هذه الشركة اجراء ابحاث حول تعقيم الموالح بواسطة الاشعاع الذرى لحفظها من التلف أثناء التصدير . ولكن تبين لهيئة المباحث الفدرالية الأمريكية (F. B. I.) أن هذه الشركة لم تجر أى تجارب فى هذا الشأن !! وقد أتاحت هذه الشركة - أيسوراد - لشابيرو الفرصة لكى يكون دائما على اتصال بالمستشار العلمى الاسرائيلى فى واشنطن ومع رئيس هيئة المشتريات بها دون أن يكون فى ذلك مدعاة للشك .

ولم يكن شابيرو مسجلا كعميل لاسرائيل ولكن الحكومة الأمريكية كانت تعتبره كذلك . وقد وصف " إدجار هوفر Edgar Hoover " - رئيس هيئة الطاقة الأمريكية - مشروع أبولو بانه " إدارة مشتروات وزارة الدفاع الأسرائيلية فى أمريكا - قسم

التموين" ولم تتمكن هيئة المباحث الأمريكية " FBI " من تالتصنت على تليفون شابيرو إذ أنه كان مجهزا بجهاز " للتشويش " خاص لا يمكن من التقاط المكالمات إلا بجهاز مماثل على تليفون الطرف الآخر .

وبعد تكوين شركة " رايسوراد " بدأ شابيرو يقوم بشحن مواد مشعة - خاصة بتعقيم الفاكهة - الى اسرائيل . وكانت هذه المواد المشعة مصرح بتصديرها . وقد قال أحد رجال هيئة المباحث الفدرالية أنه من اسهل استبدال المواد المشعة الخاصة بتعقيم الفاكهة بأخرى من المستخدمة فى صناعة القنابل دون أن يستطيع أحد اكتشاف الأمر لأن كلمة "مواد مشعة " المكتوبة على صندوق الشحن - فى كلتا الحالتين - سوف تمنع أى شخص من الفحص الدقيق . خصوصا وأن الفترة التى اختفت فيها الـ ٢٠٠ رطل من المواد المشعة العربية هى فى نفس فترة شحن المواد المشعة الخاصة بتعقيم الفاكهة . كما أن شحن مواد التعقيم الاشعاعية كان يتم أثناء الليل وتحت حراسة مسلحة . كما لاحظ بعض الأشخاص حركات مريبة فى مشروع أبولو لشحن بعض الثناديق تحت حراسة مسلحة . وقد تلقى هؤلاء الأشخاص - ومنهم بعض الموظفين من هيئة الطاقة الذرية الأمريكية ومن موظفى ميناء الشحن - تحذيرات تليفونية أو مكتوبة بضرورة التزامهم " الصمت " على ما شاهدوه من أحداث " وإلا . . . " .

وقد عبر أحد المسئولين لهيئة الطاقة الذرية الأمريكية أن الأمر ليس مجرد شحن مواد مشعة عسكرية الى اسرائيل بل يتعداها الى وجود " مجموعة " تعمل لصالح اسرائيل فى مجال القوة النووية العسكرية . وقد تمكن مكتب المباحث الدرالية " FBI " بناء على طلب وكالة المخبارات المركزية CIA من كشف النقاب عن قضية " بولارد Pol-lard' لصدر حكم ضد " جوناثان بولارد Jonathan Pollard " بالسجن مدى الحياة . وهو يقضى هذه العقوبة الآن فى سجن " ماريون Marion " بولاية إيلونوى Illinois المعروف بشدة الرقابة عليه حيث أدين بالتجسس لصالح اسرائيل . وقد تمكن بولارد من تصوير الاف المستندات والوثائق الخاصة بأدق اسرار تسليح الجيش الأمريكى التى لا ترغب امريكا أن تشاركها مع حلفائها . وقد تم تجنيد بولارد بواسطة منظمة " لاكام LAKAM " وهى منظمة مشبوهة للتجسس لصالح اسرائيل . وقد تمكنت هذه المنظمة من العمل فى سرية تامة داخل الولايات المتحدة لعشرات السنين الى أن تم افتضاح أمرها عند القبض على هذا الجاسوس . ورئيس هذا الجهاز فى وقت هذا الحادث كان يدعى " رافييل إيتان Rafael Eitan" وقد زار إيتان مشروع أبولو فى ١٠ سبتمبر عام ١٩٦٨ وهو من أشهر

الجواسيس الاسرائيليين . وقد بدأ غرام " رافى " إيتان بالجاسوسية منذ أن كان سنه عشر سنوات وشاهد فيلم " ماتا هارى " عن الجاسوسية . وقد تحقق حلم " رافى القذر Stinking Rafi " - وهو الاسم الذى اشتهر به فى الجيش - فى عام ١٩٥١ عندما استدعاه " ايسار هاريل Isser Harel " الجاسوس الشهير الذى كان رئيسا للموساد . واثناء خدمة ايتان فى جهاز "الشاباك Shaback " - وهو جهاز الأمن الداخلى الأسرائيلى - ظهر نبوغه . ثم ارسل بعد ذلك مع مجموعة من زملائه وقام بخطف مجرم الحرب النازى " ايخمان Eichman "كما ساهم فى اعتقال الجاسوس الروسى " اسرائيل بير Israel Beer " . ولا يبدو ايتان - من الوجهة الصحية - صالحا لمهنة الجاسوسية . فهو ضئيل الحجم ويعانى من قصر النظر ويتناول كمية كبيرة من الفيتامين يوميا - حوالى ٤٠ حبة كل يوم - ويكاد أن يكون أصم لا يسمع ! فقد أصيب فى سمعه فى أواخر الأربعينات عندما هاجم محطة رادار بريطانية فى فلسطين ويلبس سماعه طبية منذ ذلك الحين . وقد أصيب بجراح عندما حاول تهريب جماعة من الأسرى اليهود فى معسكر بريطانى فى عتليت .

عمل ايتان فى عام ١٩٦٨ كمندوب " للموساد " فى جهاز " الاكام " الاسرائيلى للتجسس فى أمريكا وذلك أثناء زيارته لمشروع " أبولو " . وقد إنشىء جهاز " لاكام " خصيصا لتتجسس على الأبحاث النووية فى امريكا . فقد كانت اسرائيل مصممة على انتاج القنبلة الذرية وكان " بن جوريون " مغرما بفكرة ضرورة حصول اسرائيل على القنبلة الذرية وانتهز فرصة العلاقة القوية بين فرنسا واسرائيل لمفاوضتهم فى الحصول على مفاعل ذرى . وقد تم اختيار " ديمونه " فى صحراء " النقب " لتكون مركزا للدراسات والابحاث السرية للأسلحة النووية . ولا يمكن لأى شخص التجول بالقرب من " ديمونه " دون أن يعتقل .

وقد قام " فرنسيس بيران Francis Perrin " رئيس هيئة الطاقة الذرية الفرنسية بزيارة لاسرائيل فى عام ١٩٤٩ وتم توقيع اتفاقية التعاون النووى بين البلدين فى عام ١٩٥٣ . وقد ذهب كثير من العلماء الأسرائيليين الى ضاحية " ساكلى Saclay " بالقرب من باريس حيث يوجد " معهد الدراسات النووية الفرنسى " ومبنى ضخم يضم مفاعلات نوويا. وقد حصل العلماء الاسرائيليون على ابحاث الذرة الفرنسية التى كانت ذات فائدة كبيرة لهم وحصل الفرنسيون على اختراع اسرائيل لصناعة " الماء الثقيل " وعندما وافقت فرنسا على شحن مفاعل ذرى قدرته ٢٦ ميجاوات الى اسرائيل وافقت الحكومة الاسرائيلية بالاجماع على استغلال هذا المفاعل فى البحاث النووية الحربية . وقد استقال

ستة أعضاء من هيئة الطاقة الذرية الاسرائيلية احتجاجا على هذا القرار ولم يبق إلا عضو واحد فقط فى هذه الهيئة وهو الدكتور " إرنست دافيد برجمان Ernst David Bergman " وهو صديق شخصى " لزالمان شابيرو Zalman Shapiro " وقد صرح برجمان فى احدى محاضرات " لقد عارض كثير من قادة البلك اتجاه اسرائيل للابحاث الذرية الحربية ولولا بعد نظر بن جوريون وارادته الحديدية لما تمكنت اسرائيل من ذلك " وقد قال المعارضون للمفاعل على المشروع " . . . إنه مغامرة سياسية سوف تثير العالم ضدنا " وقد قال عنه أيضا أحد البارزون فى حزب المباى - حزب بن جوريون - " . . . إنه كارثة سياسية واقتصادية وعسكرية " . وقد عارض مشروع المفاعل كثير من القادة الاسرائيليون منهم ايجال الون Yigal Allon أحد البارزين فى حرب التحرير وقائد الكوماندو فى " البالماخ Palmach" وكذلك اسحق رابين الذى اصبح رئيسا للاركان فى عام ١٩٦٤ ومنهم أيضا اريل شارون Ariel Sharon " أحد " الصقور " الاسرائيلية الذى كان يفضل الأسلحة التقليدية . ورغم كل هذه الاعتراضات فقد تغلب رأى بن جوريون . وقد تم بناء المفاعل فى منطقة ديمونه فى صحراء النقب وتقع فيها مستوطنة كئيبة المنظر ومتربة . وقد اطلق بن جوريون على المفاعل اسم " مصنع النسيج " أو " محطة المضخات " . وفى عام ١٩٦٣ قال شيمون بيريز - وكان نائبا لوزير الدفاع عن مفاعل ديمونه أنه سيحيل صحراء النقب الى جنة وذلك عن طريق تحليه مياه البحر . وسوف يكون لاسرائيل بلايين من الأمتار المكعبة من المياه الحلوه سنويا لاستغلالها فى زراعة الصحراء . وكانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تعلم تماما الغرض الذى انشأ من أجله مفاعل ديمونه وكانت تعتبره مثلا لدكتاتورية بن جوريون فى الحكم . وقد قال ألن دالاس رئيس الوكالة عن هذا الموضوع " . . . وقد قام بن جوريون دون علم وزرائه فى عام ١٩٥٦ ببناء مفاعل نووى للبلوتونيوم الذى يمكن استخدامه - إذا اقتضى الأمر فى صناعة قنبلة ذرية . ولم يعلم بذلك الموضوع إلا عدد قليل من المقربين اليه" .

ولم تعتبر الوكالة الأمريكية أن مشروع المفاعل النووى الأسرائيلى هو نتيجة لحرب السويس ولكنه نتيجة لعقده " الأمن " الأسرائيلى فى عقلية بن جوريون فقد بدىء فى تنفيذه فى عام ١٩٥٥ ولكن حرب ٥٦ هى التى أقنعت وكالة المخابرات الأمريكية بالمعاونة سرا فى هذا الشان . فقد قال أحد المسئولين فى الوكالة الأمريكية ويدعى " ويلبر إيفيلاند Wilbur Eveland " أن بن جوريون رفض أن تنسحب قواته من سيناء وغزة الآ إذا وعدت امريكا باسلحة لحمايتها من الصواريخ الروسية بعيدة المدى التى سوف تعطيها روسيا لسوريا ومصر . ولذلك صدرت الأوامر السرية للوكالة الأمريكية لحماية اسرائيل من

احتمال استخدام اسلحة روسية متطورة للهجوم عليها . ومما يؤسف له إن أيفيلاند هذا قد توفى الآن ولا يمكننا ما إذا كانت الأوامر التى صدرت للوكالة تشمل الأسلحة النووية واليورانيوم النشط من مشروع أبولو الذى بدأ العمل بعد ثلاثة شهور فقط من حرب السويس . وقد تم الانتهاء من بناء مفاعل ديمونة ذو القبة الفضية اللامعة وسط صحراء النقب فى عام ١٩٦٣ وعمل به ٢٧٠٠ عالم وفنى . وكانت الرمال المخبطه به تفحص يوميا للتأكد من أن أحدا لم يقترب منه . ويعلم الطيارون أن أى طائرة تحلق فوقه سوف تضرب بالقنابل فى الحال . ويتكون قلب المفاعل من سته أدوار تحت الأرض ويدعى " ماخون ٢ Machon II " وقد قام شخص يدعى " مردخاى فانونو Mordechai Vanunu " بالتقاط صور داخل ماخون ٢ بآلة تصوير لمدة ٤٠ دقيقة . وهذا المفاعل كان جزءا من صفقة أبرمت مع الحكومة الفرنسية أثناء فترة رئاسة " جى موليه Guy Mollet " للحكومة وقام المهندسون الفرنسيون ببنائه طبقا للتصميمات الفرنسية . وقد كذب الرئيس الفرنسى " دى جول Charles de Gaule " عندما صرح فى عام ١٩٦٠ أن التعاون الفرنسى الاسرائيلى فى مجال الذرة قد توقف فقد وافق على استمرار العمل فى المفاعل الاسرائيلى الذى يمكن عن طريقه يحويل البلوتونيوم الى قنبلة نووية .

ولم تعط فرنسا المفاعل الذرى لاسرائيل مجاملة منها بل كان ذلك فى مقابل أن تزودها اسرائيل - عن طريق جواسيسها - بتفاصيل صناعة الرءوس النووية الصغيرة التى استطاعت الولايات المتحدة اتقان صناعتها بدرجة كبيرة . وقد قام بمهمة التجسس ونقل هذه المعلومات " مشروع أبولو " الذى جاء ذكره قبل ذلك . فقد قام "لوتون جايجر Lawton Geiger " وهو أحد كبار المسئولين فى هيئة الطاقة الذرية الأمريكية بكتابة خطاب شديد اللهجة الى " زالمان شابيرو " المسئول عن مشروع أبولو يحذره فيه من اتصاله بالهيئة الفرنسية للطاقة .

وقد عمل العلماء الاسرائيليون خلال الفترة من ١٩٥٧ / ١٩٦٠ مع العلماء الفرنسيين من شركة " داسولت Dassault " لتصميم الطائرة " الميراج " القاذفة وتطويرها لتستطيع حمل أسلحة ذرية . وشارك الأسرائيليون فى التجارب الذرية الفرنسية التى أجريت فى صحراء الجزائر . وعندما زار بن جوريون الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ فى عهد الرئيس ايزنهاور - الذى كان حريصا على التوازن فى العلاقات الأمريكية الاسرائيلية - قال له أن الأسلحة الذرية لن تحدث توازنا فى القوى فى الشرق الأوسط إذ أنه من المستعبد أن يعطى الروس أسلحة ذرية لمصر . وفى صيف العام نفسه - ١٩٦٠ - أخطرت

وكالة المخابرات الأمريكية " C I A " ايزنهاور بمشروع مفاعل ديمونه وأن اسرائيل يمكنها بواسطته صناعة قنبلة ذرية كل عام . ولا نستطيع أن نعفى حكومة ايزنهاور من تورطها فى البرنامج الذرى الاسرائيلى ، فمعهد وايزمان الاسرائيلى - الذى تجرى فيه أغلب الأبحاث الذرية الاسرائيلية - كان معظم تمويله ياتى من الحكومة الأمريكية وكانت واشنطن تعلم أيضا أن أبحاث اسرائيل الذرية " لأغراض السلم " تقع تحت سيطرة " وزارة الدفاع ".

وعندما انتخب " كندى Kennedy " رئيسا للولايات المتحدة تلقت حكومته تقريرا عن نشاط مفاعل " ديمونه " وكتب الرئيس كندى عندئذ خطابا دبلوماسيا لبن جوريون يطلب منه بادب أن يسمح لهيئة الطاقة الدولية الذرية بالتفتيش عل يمفاعل " ديمونه " وقد انزعج بن جوريون من ذلك الخطاب وسافر فى مايو سنة ١٩٦١ الى نيويورك للاجتماع مع كندى لأنه كان يخشى إذا عرف فى اسرائيل أن أمريكا غير موافقه على المشروع النووى الاسرائيلى فإن المعارضين للمشروع فى اسرائيل سوف تقوى شوكتهم ويتمكنوا من وقف المشروع . واجتمع الاثنان فى والدورف استوريا ووافق بن جوريون على أن يسمح بتفتيش " المفاعل " من آن لأخر (ولا يعنى هذا تفتيش " المشروع " كله) ! وفى مقابل هذا وافق كندى على تزويد اسرائيل بصواريخ هوك Hawk المضادة للطائرات بناء على طلب بن جوريون وهو سلاح متقدم لم تكن امريكا تنوى بيعه لدولة أخرى . وفى نهاية الأجتماع أخذ كندى بن جوريون فى ركن بعيد وقال له " إنى أعلم أن أصوات اليهود فى أمريكا هى سبب نجاحى فى الانتخابات وأنا مدين لهم بذلك فهل هناك شىء أخر يجب على عمله ؟ " ويقول بن جوريون أنه دهش لهذا القول ورد قائلا " عليك أن تعمل لخير هذا العالم "

وفوجىء العالم فى نفس الوقت - نوفمبر ١٩٦١ - بوجود علماء المان يعملون فى القاهرة وقاموا سرا بصناعة صاروخ موجه فى مصر . وموضوع وجود الألمان فى مصر كان معروفا لاسرائيل ولوكالة المخابرات الأمريكية . والحقيقة أن اسرائيل كانت تعلم ذلك منذ حوالى سبع سنوات ولكنها استغلت تمكن العلماء من صناعة الصاروخ لكى تعجل بالمساعده الأمريكية لها فى مجال الذرة باعتبارها عامل التوازن الوحيد ضد الصواريخ .

وقام " شيرمان كنت Sherman Kent " رئيس الوكالة الأمريكية فى مارس ١٩٦٣ بكتابة تقرير يفيد أن القنبلة الاسرائيلية سوف تضر المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط وقال فيها :

" بالرغم من أن اسرائيل متفوقه عسكريا على اعدائها العرب أفرادا أو مجتمعين فإن امتلاكها للقنبلة الذرية سيزيد من شعورها بالأمان ويجعلها أكثر عنفا فى علاقاتها معهم مستخدمة ميزة أنها تمتلك القنبلة الذرية وسوف يرهبها العرب لذلك ويتوجهوا للاتحاد السوفييتى لكى يحميهم من جبروتها وسف يكون ذلك فى غير صالح أمريكا ".

وبعد شهر واحد من هذا التقرير سافر شيمون بيريز - صديق بن جوريون الصدوق فى مثل هذه الأمور - الى واشنطن لكى يحسم الأمر مع كندى وتكلم معه عن الصاروخ المصرى وضخم الأمور الى حد كبير وأعطى وعدا لكندى أن اسرائيل لن تكون البادئة باستعمال القنبلة الذرية فى الشرق الأوسط . وبعد مزيد من المناقشات وموافقة بيريز على أن تقوم امريكا بالتفتيش على " اجزاء فقط " من مفاعل ديمونه وافق كندى على ان تستمر امريكا فى مساعدة اسرائيل فى برنامجها الذرى .

وكما توقع كنت فى تقريره فقد وضع مفاعل " ديمونه " الأمريكيين فى موقف حرج خلال عام ١٩٦٤ . فقد تلقى السفير الأمريكى فى مصر تعليمات باستغلال موضوع الصاروخ المصرى الى أبعد مدى - رغم أن الجميع يعلم أن مصر لم تكن البادئة فى سباق التسلح - وأن ينبه عبد الناصر الى أن اسرائيل " سوف " تبدأ برنامجا ذريا بمعاونه الولايات المتحدة لمجابهة خطر الصواريخ المصرية وأن عبد الناصر سوف يكون الخاسر فى هذا السباق . وقد قام العلماء الأمريكيون بزيارة " ديمونه " فى نفس العام وأفادوا أنهم لم يجدوا أى علامة على وجود اليورانيوم النشط اللازم لعمل القنبلة الذرية فى المفاعل . (ولكن ذلك لا يدل على أن الاسرائيليين لا يحصلون عليه من جهة أخرى) .

عندما وصل الجاسوس الاسرائيلى " رافاييل إيتان " الى مشروع " أبولو " كى يتجسس لحساب " لاكام " كان يصحبه رئيس " لاكام " فى أمريكا المدعو " ابراهام هرمونى Avraham Hermoni " . وكانت وظيفة " هرمونى " " الرسمية " فى السفارة الاسرائيلية هى "المستشار العلمى " وكان بصحبتهما أيضا " ابراهام بندر Abraham Bendor " الذى قال أنه موظف بادارة الالكترونيات فى اسرائيل وفى حقيقة الأمر فإنه كان موظفا فى هيئة " شين بت Shin Beth " الاسرائيلية وهى الادارة المسئولة عن الأمن الداخلى فى اسرائيل . وقد أجبر على الاستقالة من هذه الادارة عندما تبين أنه قام بقتل أسيرين فلسطينيين (وقد ذهب ليعمل بعد ذلك عند " شاؤول ايزنبرج ") . وكان الغرض من هذه الزيارة هو تقدير مدى الضرر الذى حدث لمشروع أبولو بعد معرفة موضوع اختفاء اليورانيوم النشط وكان لدى " شابيرو " كم هائل من الوثائق السرية الخاصة بالذرة كما كان له عديد من الصلات لمعظم العلماء الأمريكيين فى الذرة . وقد حضر " هرمونى "

اجتماعا فى منزل "شابيرو" مع أحد عشر عالما امريكيا فى الذرة . وقد كان مكتب المباحث الفدرالية FBI يتابع حركات "شابيرو" ليعرف مدى تورطه فى التجسس لحساب اسرائيل . وكتب عن "هرمونى" أنه "يرجح أن يكون جاسوسا اسرائيليا" وقال فى تقاريره أن شابيرو يتجول كثيرا فى انحاء الولايات المتحدة ويبحث عن العلماء المتعاطفين مع اسرائيل ليقنعهم بالعمل فى مفاعل ديمونه . وقد بذل شابيرو جهدا مضنيا فى هذا الشأن الأمر الذى جعله ذائع الصيت فى هيئة "لاكام" . وقد تقابل "شابيرو" كثيرا مع شخص اسرائيلى يدعى "جريهام كافكافى Jeruham Kafkafi" الذى كانت المباحث الفدرالية تعتقد أنه على اتصال برئيس "لاكام" المدعو "هرمونى" وقد كتبت تقريرا فى شأن كافكافى وهارمونى الى وزارة الخارجية تطلب فيه ابعادهما عن البلاد باعتبارها "غير مرغوب فى وجودهما" "Persona non grata" لأنهما متوركان فى اعمال جاسوسية.

وقد قال "شابيرو" للمحققين أنه لم يتبادل الأسرار مع الزوار لمشروع "ابولو" أو يبيع لهم "اليورانيوم النشط" . وقد كتب ادجار هوفر - رئيس الوكالة الأمريكية للمخابرات - تقريرا فى عام ١٩٦٩ يقترح فيه عدم التعاقد مع شابيرو فى المشاريع السرية.

وقد تم بيع "مشروع أبولو" الى "اتلانتيك رتشفيلد Atlantic Richfield" فى عام ١٩٧٠ وظل شابيرو يعمل بها كمستشار لبضعة أشهر ثم فصل بعدها . وحاول شابيرو أن يعمل فى شركة أخرى لها نشاط فى الأسلحة الذرية لكنه لم يوفق ورفض البيت الأبيض ووزارة الداخلية الأمريكية استمرار التصريح له بالاطلاع على التقارير السرية وانتهى به الأمر الى العمل فى شركة وستنجهاوس . ولكن من غير المعروف ما إذا كان شابيرو قد استمر فى التجسس لحساب اسرائيل بعد ذلك أم لا .

فى أوائل عام ١٩٧٦ اجتمع بعض رجال الأعمال المعروفين للتعرف على نشاط وكالة المخابرات الأمريكية CIA . وكان "كارل داكيت Carl Duckett" كبير الفنيين يشرح لهم نشاط الوكالة . وقد قال لهم فى خلال حديثه معهم أن اسرائيل تمتلك من "عشرة الى عشرين" سلاحا ذريا . وقد وصلت هذه الملاحظة الى الصحافة . وقد اضطر رئيس داكيت فى ذلك الوقت "جورج بوش George Bush" الى الاعتذار عن هذا النشر الذى وصفه بانه "مؤسف" . ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى استقال داكيت تحت ستار "حالته الصحية"

إن المجهود الكبير الذى بذلته خمسة حكومات أمريكية متعاقبة لكى تتستر على نشاط اسرائيل فى الأسلحة الذرية وتجسيسها داخل الولايات المتحدة الأمريكية يوحى أن الولايات المتحدة تساعد وتبارك هذا النشاط وقد قال " دنيس هايلى Dennis Healey " - وزير الدفاع الانجليزى فى الفترة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧٠ فى مذكراته " إنه من غير الواضح ما إذا كانت اسرائيل تتلقى المساعدات من امريكا لتطوير وتصنيع اسلحة ذرية بموافقة من واشنطن أم لا . ولكنه من الواضح أنهم يعلمون كل شيء عن ما يدور فى اسرائيل فى هذا الشأن . وعلى أى حال ليست هذه هى المرة الأولى التى تتعارض فيها سياسة امريكا - العملية - مع اسرائيل مع ماتعلنه امريكا من مبادىء " .

ويعتقد " البيت الأبيض " أنه ليس هناك ضرورة لكى يعلم الشعب ذلك - وهذا يناسب القيادة الأسرائيلية بالطبع . وقد كتب " مردخاى فانونو Mordechai Vanunu " - وهو المهندس الاسرائيلى الذى عمل فى المفاعل الذرى فى ديمونه لمدة ثمان سنوات واختطفه الموساد من روما بعد هروبه ليحكم عليه بالسجن - كتب فى مذكراته فى يوليو ١٩٨٧ من سجن عسقلون يقول : " لا تزال الحكومة لا تعترف بوجود اسلحة ذرية فى الجيش الأسرائيلى . هناك تلميحات عن ذلك ولكنهم يرفضون خضوع مفاعل ديمونه للتفتيش الدولى . ونظرا لذلك فإنه من الصعب أن يتعاون الجميع بطريقة تمنع وقوع كارثة فى المستقبل . فربما تؤدى معلومات خاطئة أو مدسوسة فى وقوع " مذبحة نووية " .

وفانونو - الذى يقضى عقوبة السجن المؤبد فى سجن عسقلون - شخصية غريبة ومعقدة . فهو من " السفارديم " - عائلته نزحت من مراكش الى اسرائيل - وقد كانت العائلة ترغب فى الاستيطان فى حيفا ولكن السلطات الاسرائيلية أجبرتهم - باستعمال وسائل التهديد والقهر - على استيطان بيرسبع فى ظروف قاسية كادت تقضى على الأب . واضطر الأب للعمل اليدوى الذى لم يعتد عليه . وقد نشأ فانون فى ظروف تدعو الى اليأس كمواطن من الدرجة الثانية - لأنه من السفارديم - مما جعله يصادق العرب المقيمين فى اسرائيل - الذين يعتبرون مواطنين من الدرجة الثالثة . وقد لفت نظر " الشين بث Shin Beth " وهو جهاز الأمن الداخلى الاسرائيلى وذلك عندما وقف فانونو فى اجتماع عام للفلسطينيين ونادى بوجوب انشاء دولة فلسطينية وهو جرم لا يغتفر فى اسرائيل .

وقد التقط فانونو ٥٧ صورة فوتوغرافية دامغة داخل المفاعل الذرى فى ديمونه

ومعها نموذج للقنبلة الهيدروجينية المصنعة داخله وكذلك صورة للمعدات والأجهزة الخاصة بتصنيع البلوتونيوم مما لا يجعل أى مجال للشك فى أن اسرائيل تملك ترسانة كبيره من الأسلحة الذرية . وقد أظهرت هذه الصور مدى القصور فى الجهاز الأمنى الاسرائيلى وقد زاد من هذا القصور . موافقتهم على مغادرة فانونو لمبنى المفاعل ثم سفره الى هيفا ثم الى موسكو وبعدها الى بانجكوك . ومن الغريب أن فانونو لم يعرض اسراره على موسكو - فقد كان فى امكانه أن يفعل ذلك - ولكنه تنقل فى عواصم كثيره من العالم فى محاولة لجذب انتباه المسئولين الى الصورة التى التقطها . وأخيرا وقع فريسة لأحد الأفاقين - سجين سابق - فى استراليا يدعى " أوسكار جيريرو Oscar Guerrero " الذى وجد فى معلومات فانونو كنزا يحقق أطماعه . وقد جرى " جيريرو " الى القنصلية الاسرائيلية فى سيدنى وأخطرهم بما يحمله فانونو معلومات ولكن الغريب أن القنصلية لم تحاول اختطاف فانونو أو سؤاله ولكنها اتصلت بتل أبيب التى ردت قائلة إن منصب فانونو فى مفاعل ديمونه لا يمكنه من الحصول على المعلومات أو الصور التى يزعم أنه التقطها ! إلا أن القنصلية قامت برصد تحركات فانونو - الذى بدأ يعمل كسائق تاكسى - بواسطة سبعة من رجال الموساد . ولم يتخذ الموساد أى اجراء ضد فانونو إلا عندما بدأ فانونو يروى قصته لجريدة " لندن سنداى تايمز London Sunday Times " وقد تأخر نشر قصة فانونو فى الجريدة الأمر الذى جعله يشعر بالقلق والضيق فاستغل الموساد حالته النفسية وأرسلوا فى أثره احدى عميلاتهم وهى شقراء تدعى " شيريل هانين بنتوف Sheryl Hanin Bentov " التى أوقعته فى شباكها وسافر معها الى روما حيث قامت بتحذيره فى الفندق ودخل عملاء الموساد واختطفوه الى اسرائيل . ولم يحاول الموساد اختطافه من لندن إذ أنهم وعدوا مسز تاتشر رئيس الوزراء أنهم لن يقوموا بهذا العمل فى انجلترا ! وقد انتقد الموساد هيئة "شن بث Shin Beth "وهى الهيئة المسئولة عن الأمن الداخلى فى اسرائيل لتركهم فانونو يغادر اسرائيل فى أول الأمر .

وقد فضح موضوع فانونو جميع أجهزة الأمن الاسرائيلية فيما يخص مفاعل ديمونه ولكن الحكومة الاسرائيلية مازالت تصر على أن اسرائيل لن تكون البادئة باستعمال الأسلحة النووية فى الحرب . وهذا غير ممكن بطبيعة الأحوال . ذلك لأن الولايات المتحدة تحتفظ باسلحتها النووية فى منطقة الشرق الأوسط فى قاعدة الظهران بالسعودية وهى موجهة ضد الاتحاد السوفييتى وستكون هي أول أسلحة تطلق فى الشرق الأوسط وبذلك لاتكون اسرائيل هى أول من يطلق اسلحة نووية فى المنطقة . ولكن رجال البيت الأبيض ووكالة المخابرات الامريكية كانوا متورطين مع اسرائيل فى هذا الشان لدرجة أنهم لم يفطنوا إلى هذه الخدعة . أو تغاضوا عنها .

وأسلحة اسرائيل النووية هى " عفريت " السياسة الامريكية فى الشرق الأوسط .
فعندما حطم المصريون والسوريون دفاعات اسرائيل فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ فى يوم كيبور علم الامريكيون أن اسرائيل قد " رفعت الأغطية " عن الأسلحة النووية فى صحراء النقب . وبدأت الأسلحة الأمريكية تتدفق على اسرائيل وكلما زادت نيران الأسلحة زاد احتمال استعمال السلاح الذرى . وقد صرح أحد المسئولين فى حكومة " ريجان " أن خطة اسرائيل النووية تشمل طائرات اسرائيلية تحمل قنابل ذرية موجهة للمدن السوفييتة الهامة مثل "أوديسا " فى جنوب روسيا .

وعندما بدأت حكومة " بوش " تخطط سياستها فى الشرق الأوسط فى بداية حرب الخليج كان السلاح النووى الأسرائيلى هو صاحب الأولوية . وفى خريف ١٩٩٠. عندما احتل صدام حسين الكويت كان السؤال الذى يدور فى الحكومة الأمريكية ووكالة المخابرات : ماذا ستفعل اسرائيل إذا استعمل صدام حسين الأسلحة الكيماوية والبيولوجيه ؟ !
وهكذا تظل الأسلحة الذرية الاسرائيلية كالسيف المعلق بخيط واه فى سياسة الشرق الأوسط .

****

*****

***



التجسس بالإنابة

إن السر الذى تتشاركه كل من أمريكا واسرائيل بشأن امتلاك الأخيرة للقنبلة الذرية قد جعل الروابط بينهما أكثر قوة نظرا لأن كلا منهما لم تصرح به على مدى السنين . ولكن كلما تعاقب الرؤساء فى البيت الأبيض وفى وكالة المخابرات المركزية تبين لهم أن تضخم حجم المفاعل الأسرائيلى فى ديمونه يساعد أمريكا فى الحرب الباردة فى الشرق الأوسط . وقد صرح آلن دالاس - رئيس الوكالة الأمريكية للمخابرات - فى عام ١٩٥٨ لويلبر إيفيلاند Wilbur Eviland " - أحد مستشارى الوكالة فى شئون الشرق الأوسط بأن المخبارات الأسرائيلية هى الحليف الوحيد الذى يمكن لوكالة المخبارات الأمريكية الاعتماد عليها . وقد علق " ايفيلاند " على هذا التصريح بقوله " إنه كمن يعتمد على ثعلب فى حراسة حظيرة دواجن " .

أرسل الرئيس ايزنهاور ١٤٠٠٠ جندى من مشاه البحرية الى بيروت فى يوليو ١٩٥٨ . ويعتبر هذا أكبر عدد من الجنود أرسل للشرق الأوسط قبل حرب الخليج . وكان ذلك بسبب حدوث اضطرابات فى لبنان أثناء الانتخابات التى حاولت وكالة المخبارات الأمريكية التدخل فيها بعنف لصالح الولايات المتحدة . وقد انتقلت عدوى الاضطرابات الى الأردن بدرجة هددت سلامة العرش الأردنى والملك حسين . ولما كان الملك حسين يمت بصلة قرابة للملك فيصل ملك العراق وقتئذ فقد حاول الملك فيصل - ملك العراق - مناصرة الملك حسين وارسل فرقة مدرعة بقيادة العميد " عبد الكريم قاسم " . ولكن عبد الكريم قاسم بدلا من أن يذهب للأردن لنجدة الملك حسين قام بانقلاب دموى فى العراق واطاح بالملك فيصل والأسرة الحاكمة وقتل معظمهم وأعلن مناصرته لنظام عبد الناصر فى مصر . وخاف ايزنهاور أن يحدث فى لبنان ما حدث فى العراق فأمر القوات بالنزول

الى بيروت . وقد علق بن جوريون على الأحداث قائلا " نحن فى أيام تاريخية لن تتكرر "
وبعد ثلاثة أيام من هذا الحادث - أى فى ٢٤ يوليو ١٩٥٨ كتب بن جوريون خطابا الى ايزنهاور يعبر فيه عن خوفه الشديد على المستقبل الأردن ولبنان والسعودية . فهم فى خطر السقوط فى أيدى عبد الناصر . وكذلك ليبيا وايران . ثم أضاف " ولكى نبنى سدا عاليا ضد اتحاد عبد الناصر والسوفيت والمد الذى يصحبه فقد بدأنا توثيق الصلة بيننا وبين البلاد التى تقع على الدائرة الخارجية للشرق الأوسط . . . وليس بالضرورة أن يكون هذا تحالفا رسميا ولكنه يمكن اعتباره تنظيما تستطيع أن يقاوم التوسع الروسى من خلال عبد الناصر " .

وما كان بن جوريون يعنيه هو خلق اتحاد خارج الدول العربية . فالدول العربية عدوة لاسرائيل ولكن حول حدودها دول ليس بينها وبين اسرائيل أى عداوة وتخشى من امتداد الخطر الشيوعى وهم حلفاء لأمريكا . وهو يقصد بالتحديد تركيا وايران اللتان تحيطان بالعراق وسوريا بالاضافة كذلك الى اثيوبيا التى تحد الدول العربية من الجنوب وقد رحب ايزنهاور ودالاس بالفكرة وباركاها . وكما هى العادة فى السياسة الاسرائيلية بدأت الخطة بالمندوبين التجارين يتبعهم مباشرة بائعوا الأسلحة . ويرجع الفضل فى هذه الخطة الى ابسار هاريل رئيس الموساد فى ذلك الوقت وإن كان بعض الأسرائيليين يرجعونها الى " ريفن شيلواه Reuven Shiloah " مستشار بن جوريون فى شئون المخابرات الذى صرح بأنه " يريد بناء سد ضد الطوفان السوفيتى الناصرى عن طريق تكوين قوة حربية وبوليسية فى هذه البلاد تستطيع ضرب أى محاولة للانقلاب . . . وهذه الدول تحظى بثقتنا ومحبتنا " .

وقد كشف تقرير سرى للوكالة الأمريكية عن هذا السر - تم كتابته فى عام ١٩٧٦ ووقع فى يد الطلبة الايرانيين الذين احتلوا السفارة الأمريكية فى عام ١٩٧٩ - ذكر فيه أنه قد تم انشاء اتحاد بين أجهزة مخابرات الدول الثلاثة - اسرائيل (Mossad)وتركيا (T.N.S.S.) وايران (SAVAK) - يسمى اتحاد التريدنت (Trident) لتبادل المعلومات الأمنية بين البلاد الثلاثة وعلى أن يتم الاجتماع بينهم على مستوى الرئاسة كل ستة أشهر.

وهذه المعلومة الصغيرة تبين أحد أوجه النشاط لهيئة المخابرات الاسرائيلية إلا أنها لا تذكر شيئا عن علاقتها بوكالة المخابرات الامريكية . ولذلك لا يوجد فى هذا التقرير أى اشارة على أن " ترايدنت " تشكل جزءا من نسيج كبير يعمل فيه الموساد لصالح الوكالة الأمريكية فى العلم الثالث مقابل المال . فإذا كانت هناك دولة تجد الوكالة صعوبة فى اختراقها لسبب أو لآخر فإنها تعهد للموساد بهذه المهمة للصالح

العام وتطلق الوكالة الأمريكية على هذه العمليات الأسم الكودى " جبل ك ك K. K. Mountain " .

تدفع الوكالة الامريكية " معونات " الى اصدقائها الأجانب . ومن هؤلاء " الأصدقاء " الجنرال الألمانى " جهلن Gehlen " الذى كان مسئولا عن مخابرات الجبهة الشرقية فى أيام هتلر وتعاون مع الامريكيين قبيل انتهاء الحرب . وكذلك كان بعض الملوك والرؤساء العرب وتدفع هذه الرشاوي الخفيه مباشره من أقرب مركز للوكالة . ولكن عملية " جبل ك ك " كانت مختلفة فقد كان الموساد يتقاضى " اتعابه " من المركز الرئيسى مباشرة من ميزانية سرية لا تصرف إلا بتوقيع من رئيس الوكالة شخصيا فالعلاقة حساسة جدا ولا يجب أن يعرف أن " الموساد " يتقاضى " أتعابا " من الوكالة وطبقا لما يقوله مسئول سابق فى الوكالة الأمريكية فإن ميزانية " عملية جبل ك ك " بلغت بين ١٠ الى ٢٠ مليونا من الدولارات خلال الستينات ويعتبر هذا مبلغا كبيرا إذا علمنا أن ميزانية الوكالة . كلها كانت ٦٥٠ مليون دولار فى الستينات علما بأننا كنا نقاتل فى جنوب شرق آسيا فى ذلك الوقت . ولا ننسى أن اسرائيل كانت تكسب أكثر من ذلك بكثير إذا أخذنا فى الحسبان المكاسب التجارية التى كانت تعود عليهم من صفقات السلاح وغيرها . مثال ذلك " شركة رينولدز للأنشاءات Reynolds Construction Co. " الاسرائيلية التى أوكل إليها انشاء شبكة مواصلات سرية فى ايران وتركيا كما أسند إليها انشاء خمسة مطارات فى اثيوبيا .

وكانت أمريكا مرتاحة للتقارب الاسرائيلى التركى . فتركيا دولة غير عربية ومسلمة ولها رصيد لا يستهان به من البترول ويهم أمريكا أن تدور فى فلكها . أما بالنسبة لايران فإن الصداقة بين اسرائيل وايران تعود الى زمن الامبراطور الايرانى " قورش العظيم " الذى حرر اليهود من عبودية البابليين . وقد ساهم العملاء الاسرائيليون فى ايران فى تشجيع الصداقة الايرانية الاسرائيلية ولكن السبب الحقيقى وراء اعتراف ايران باسرائيل - فى عام ١٩٥٠ - كان سببه تقديم رشوة قدرها ... ٤٠٠ دولار لرئيس الوزراء الايرانى فى ذلك الوقت - محمد سعيد - وكان هذا المبلغ فوق طاقة اسرائيل وانزعج مجلس الوزراء الاسرائيلى لضخامته بل اعترض بعضهم على تقديم هذه الرشوة من ناحية المبدأ . ولكن تمت الصفقة أخيرا بمباركة شاه ايران وموافقة مجلس الوزراء الاسرائيلى وبدأت مرحلة صداقة طويلة بين اسرائيل وايران امتدت على مدى ثلاثين عاما. وبصرف النظر عن النواحي السياسية فإن بين اسرائيل وأيران عوامل مشتركة تساعد على التعاون فكلاهما يكره العرب . وكلاهما لديه علاقات متينة مع الولايات المتحدة خصوصا مع وكالة المخابرات

الأمريكية . وكل منهما يملك شيئا لا يملكه الآخر ويحتاج اليه . فايران لديها البترول وقد بدأت تصدره لاسرائيل فى عام ١٩٥٤ واسرائيل لديها الخبرة فى أعمال المخابرات والدفاع والأمن القومى . ومن وجهة نظر شاه ايران فإن اسرائيل تملك النفوذ اليهودى فى أمريكا بصفة خاصة والعالم بصفة عامة. ويروى " دافيد كمش David Kimche " - وهو أحد كبار الجواسيس الاسرائيليين - أنه كلما كانت تظهر مقالة فى احدى الجرائد تهاجم الشاه أو الايرانيين كان الشاه يطلب الموساد ويحتج على أن اليهود سمحوا لهذه المقالة أن تظهر فى الجرائد . وعبثا يحاول " كمش " أن يقنع الشاه أنهم لا يملكون جرائد العالم ولا بنوك العالم أيضا رغم أن معظم الناس تظن ذلك . ويروى " حاييم هرتزوج Chaim Herzog " - رئيس اسرائيل حاليا - الذى تعامل كثيرا من شاه ايران عندما كان رئيسا للمخابرات العربية " . . . إن صاحب الجلالة كان يرى فى كل اسرائيلى حلقة اتصال بواشنطن . " !

وكان الشاه يرى فى امريكا حليفا لاغنى عنه . فالوكالة الأمريكية للمخابرات - بمعاونة الانجليز - هى التى استقطت حكومة مصدق عام ١٩٥٣ وأعادت الشاه الى العرش ثانية . ثم ساعدته بعد ذلك بسيل من مالمعونات المالية والحربية وكسبت فى مقابل ذلك ليس فقد مجرد حائط بين الشيوعية والخليج ولكن أيضا نظاما يحمى مصالح الغرب فى النفط . وقد ظهر تأثير ذلك جليا عندما حدثت أزمة السويس بعد ذلك . وقد وضع ايزنهاور فى سياسته نصب عينيه استقرار حكم الشاه فى ايران ليجعل منه سدا ضد روسيا . وقد ظهر هذا بجلاء أكثر عندما حدثت الثورة الموالية للنظام الروسى فى العراق والتى جعلت ايران أكثر أهمية فى نظر واشنطن وذهب جزء كبير من المعونة الأمريكية لايران فى سبيل تشكيل نظام دقيق للبوليس السرى . وتم فى عام ١٩٥٧ انشاء تشكيل السافاك SAVAK وهو اختصار جملة " جهاز المخابرات والأمن الداخلى للبلاد " باللغة الفارسية . وتم تقسيم الجهاز الى أقسام مختلفة . فالقسم الثانى كان اختصاصه المخابرات الأجنبية والقسم السابع كان اختصاصه تحليل المخبارات الاجنبية والثامن كانت مسئولية مقاومة التجسس الاجنبى . أما القسم الثالث فكان اختصاصه " الأمن الداخلى " وهو الذى جعل من السافاك جهازا يرهبه الايرانيون جميعا ويدل اسمه علي الوحشيه والقهر . وهنا وجدت الوكالة الأمريكية فائدة للاسرائيليين فرغم أن مصدق وجماعته قد تم التخلص منهم بواسطة الوكالة - تحت قيادة رئيسها الهمام " كيرميت روزفلت "- إلا أن الحزب الشيوعى الايرانى كان لا يزال قوة لا يستهان بها . ويمثله حزب " توده " . ورغم أن هذا الحزب كان معظم قادته فى المنفى إلا أن الشاه كان يعتبره التهديد الحقيقى له . وتعامل مع أعضائه بمنتهى القسوة والعنف . وينفى رجال الوكالة بكل شدة أنه كان لهم دخل فى أعمال التعذيب والوحشية التى كان يعامل بها سيئو الحظ الذين

ينتمون - أو يظن أنهم منتهون - لحزب توده - فقد كان هذا الجانب من الخبرة من اختصاص رجال الموساد أو طبقا لتوجيهاتهم .

ويرجع أول لقاء بين الموساد والسافاك الى عام ١٩٥٧ فى الخريف عندما تقابل عزرا هاريل - رئيس الموساد - مع الجنرال تيمور بختيارى - أول رئيس للسافاك - فى روما وقد اتفق الاثنان على أن أكبر أخطار تهدد العالم هما : عبد الناصر والسوفييت وقد كان هذا الاتفاق مناسبا لاسرائيل والاسرائيليين خصوصا من كان منهم له صلة بأعمال المقاولات . وكان " ياكوف نيمرودى Yacov Nimrodi " أحد هؤلاء المقاولين الذين استفادوا من الاتفاق . ونيمرودى يعيش فى تل أبيب وقد بنى منزله صورة طبق الأصل من البيت الأبيض . وهو مليونير ولد فى القدس عام ١٩٢٧ من عائلة هاجرت من منطقة الأكراد فى العراق . وفى صباه تم تجنيده فى هيئة " شاى Shai " وهى هيئة التجسس التى كانت موجودة قبل الموساد بواسطة ضابط يدعى " اسحق نافون Yitzhak Navon " الذى كان يعمل سكرتيرا لبن جوريون ثم أصبح الآن رئيسا لاسرائيل . ونظرا لاجادة نمرودى للعربية فقد كان مفيدا لمنظمة " الهاجاناه " و " شاى " الذين كان معظم رجالهما من أوربا الشرقية . وقد عمل خلال حرب التحرير فى منطقة الأردن وانتقل منها بعد الحرب الى المخابرات العسكرية . وقد كون صداقة متينة بينه وبين " إريل شارون " فى أوائل الخمسينات . وكان عام ١٩٥٥ هو نقطة التحول فى حياة " نمرودى " عندما تم تعيينه فى طهران وعاش فيها ثلاثة عشر عاما . وقد قال مرة لأحد الصحفيين الأسرائيليين " إذا جاء اليوم يمكننا أن نتكلم فيما قمنا به من أعمال فى ايران فسوف ينتابك الرعب . إنه فوق ما تتخيل " ! وقد وصف " شارون " " نمرودى " بقوله " إنه مهندس العلاقات الايرانية الاسرائيلية وقد كان له تأثير كبير فى النواحى الاقتصادية والسياسية بما فيها ثورة الأكراد ضد العراق " . وقد اهتم الاسرائيليون بالأكراد منذ زمن بعيد يعود الى اوائل الثلاثينيات . وهم قوم منتشرون فى العراق وإيران وتركيا وروسيا . ولكن أكثرهم يعيش فى العراق فى منطقة غنية بآبار البترول . وقد قام الأكراد فى عام ١٩٦١ بثورة مسلحة ضد الحكم العراقى مطالبين بالانفصال . ولم يقدر لهذه الثورة النجاح لانها لم تلق مسانده من الدول المجاورة - ايران وتركيا وروسيا - لأن ذلك معناه انفصال مناطق الاكراد من هذه الدول أيضا . وقد وجد شاه ايران فى هذه الثورة ضد العراق ما يشغل العراق عن مناوأته وطلب من اسرائيل مساندة الأكراد لأن فى ذلك مصلحة لايران ولاسرائيل معا . وقام فعلا " دافيد كمش " بزيارة للاكراد فى عام ١٩٦٥ وكان أول

مسئول اسرائيلى يقوم بزيارة لهم . وفى العام التالى قام أحد وزراء اسرائيل " أريه إلياف Aryeh Eliav " بزيارة ثانية . وفى نفس الوقت كان " ياكوف نمرودى " يخطط مع زميله من " السافاك " والقيادة الحربية الايرانية المساعدات للأكراد . وكانت معظم المساعدات عبارة عن أسلحة وتدريب عسكرى للمتطوعين. وقبيل بداية حرب الأيام السته فى يونيو ١٩٦٧ اقترح العراق ارسال لجنة لبحث وقف اطلاق النار حتى يتفرغ العراق لحرب اسرائيل . ورد عليه مسئول من الأكراد برفض هذا الاقتراح . وفى الحقيقة كان هذا المسئول " الكردى " هو أحد "المستشارين" الاسرائيليين . ومن المؤكد أن الشاه كان لا يرغب فى نجاح ثورة الاكراد ضد العراق ولكنه تظاهر بالمساعدة لهم حتى يعمل على اضعافهم وتفشل ثورتهم حتى لا يتأثل بها الأكراد فى ايران .

وكانت الولايات المتحدة تؤيد باستمرار ثورة الأكراد فى العراق حتى تنهك قوتها . وقد اجتمع الرئيس نيكسون وهنرى كيسنجر مع الشاه فى طهران عام ١٩٧٢ واتفقوا على أن يستمر الأكراد فى الثورة ضد العراق وتم الاتفاق على أن تتدخل وكالة المخابرات الأمريكية (C. I. A.) فى الأمور . وقد اعتمدت ميزانية قدرها ١٦ مليون دولار للوكالة للصرف منها على هذه العملية خلال السنوات الثلاث التالية وقدم الشاه مساهمة كبيرة فى هذا الموضوع أيضا . وقد تم هذا الاتفاق فى جو شديد من السرية حتى لا يصل نباه الى وزارة الخارجية الأمريكية فتعارض فيه . وقد جاء فى مذكرة سرية للوكالة تاريخها مارس ١٩٧٤ ما نصه " إننا نعتقد أن الشاه لا يرحب بقيام دولة كردية فى العراق ونحن كذلك من هذا الرأى . ولكننا نرى أن استمرار القتال بين الاكراد والعراق سوف يضعف الجانبين الأمر الذى نجده ملائما لمصالحنا من جميع الوجوه ! " وقد عقد الشاه مع صدام حسين اتفاقا فى مارس ١٩٧٥ اتفقا فيه على أن يغلق الشاه حدوده مع اكراد العراق وقامت اسرائيل وأمريكا بوقف مساعداتها للاكراد بالرغم من وعود كمش والياف ونمرودى لهم وبالرغم من هدية رئيس الأكراد " لنانسى كيسنجر " عند زواجها والتى كانت عبارة عن عقد من الذهب واللؤلؤ . وقد علق كيسنجر على ذلك بقوله " يجب أن لا يخلط الانسان بين أعمال المخابرات والأعمال الاجتماعية " !

ورغم أن " نمرودى " لم يكن يتعاون مع الأكراد حينذاك إلا أنه يشير الى الثلاثة عشر عاما التى قضاها في طهران بانها " أحلى أيامه " فإنه كان لا يضطر للعمل فى الخفاء بل كان يمارس سلطاته واتصالاته على أعلى مستوى بالرغم من عدم وجود علاقات دبلوماسية كاملة بين اسرائيل وايران . وكان الزائرون الأسرائيليون ينتابهم الدهشة

عند رؤيتهم كبار القوم الايرانيين ينتظرون بالساعات فى مكتب " نيرودى " ليحظوا بمقابلته كى يقضى لهم حاجاته عند الشاه أو كبار المسئولين الايرانيين ورغم أن التعليمات "لتيرودى" كانت أن يعمل بهدوء إلا أنه كان كثيرا ما يخرج عن هذا . فقد طبع مرة بطاقة مكتوب عليها " الملحق الحربى الاسرائيلى " ووقعت هذه البطاقة فى يد السفير المصرى فى طهران الذى طلب تفسيرا من وزير الحربية الايرانى الذى صرح أن اسرائيل ليس لها ملحق حربيتى فى طهران لكى ينقذ الموقف .

وكان " نيرودى " ضابطا برتبه عميد فى جيش الدفاع الاسرائيلى ولكنه كان ينفق بسخاء لا يتناسب مع مرتب عميد اصلاقا . إلا أن ذلك لم يلفت نظر ضيوفه الاسرائيليين الذى كان منهم وزراء ورؤساء وزراء وكبار رجال الجيش الاسرائيلى . وكان هذا الكرم يمتد الى صغار الضباط أيضا فربما يكون لهم نفع مستقبلا . وقد كتبت فى هذا الأمر جريدة " دافاف Davav " الاسرائيلية وألمحت الى قيام " نمرودى " برشوة المسئولين وتقديم هدايا لهم وقد نفى " نمرودى " ذلك وقال أن له كثيرا من الحاسدين والحاقدين وأن هذه الاشاعات من صنعهم .

وقد غادر " نمرودى " طهران فى عام ١٩٦٨ . وقد كان يطمع فى أن يكون حاكما للضفة الغربية التى احتلتها اسرائيل بعد عام ١٩٦٧ ولكنه لم يوفق . وعندئذ قال " نمرودى " " إنهم بذلك يدفعونى لأن أكون مليونيرا " واستقال من الجيش وحزم متاعه ورحل الى طهران ثانية . وهنا ظهرت قيمة الاتصالات والصداقات التى كونها فى الماضى . وأصبح " نمرودى " الرجل الأول فى العلاقات الاقتصادية الاسرائيلية الايرانية . وأصبح وكيلا لشركات اسرائيلية كبيره تعمل فى ايران وحصل منها على عمولات ضخمة فى سبيل تصريف منتجاتها فى اسرائيل وأهمها شركات للطيران والأسلحة والالكترونيات . وكون شركة لتوريد أجهزة لتحلية مياه البحر كسب من ورائها مبالغ طائلة ومع مرور الوقت ازدادت رغبة الشاه فى زيادة حجم الجيش الايرانى وازدادت معه اطماع الاسرائيليين فى الانتفاع من وراء ذلك . وقد قام " شيمون بيريز " فى ربيع عام ١٩٧٧ عندما كان وزيرا للدفاع بتوقيع اتفاقية للتعاون النووى الايرانى الاسرائيلى فى مجال الصواريخ عابرة القارات قامت بمقتضاه ايران بتمويل مشروع للأبحاث بمبلغ مليار جنيه على هيئة بترول تصدره الى اسرائيل وعليها أيضا تجهيز مطارات ومصانع ومواقع ومنصات لاطلاق الصواريخ على أن تستفيد ايران من نتائج هذه الابحاث . وعندما اجتاحت ثورة الخمينى البلاد اجتاحت معها هذا المشروع ومعظم أموال نيرودى فى ايران . ويدعى تيرودى أن خسر ستة ملايين دولار بسبب

ثورة الخميني . ولكن ذلك لم يعن انتهاء " نمرودي " في ايران فإنه - كالأمريكيين - لم يكن قد انتهى بعد من نشاطه في ايران .

عندما وجه " بن جوريون " رسالته الخاصة بالتحالف مع الدول المحيطة بالدول العربية الى " ايزنهاور " قال " . . . إن لدينا - الاسرائيليين - صلات مع الدول النامية وثقة متبادلة مع . . . والامبراطور الاثيوبي " . وترجع هذه العلاقة الحسنة مع الامبراطور هيلاسيلاسي امبراطور اثيوبيا وبن جوريون الى بداية عام ١٩٤٨ عندما تمت أول صفقة سلاح بين تشيكوسلوفاكيا واسرائيل . فقد رغب الطرفان في أن تظل هذه الصفقة سرا لا يعرفه أحد وانتهى الأمر بان تتم الصفقة باسم اثيوبيا على أن يكون بن جوريون هو ممثلها . ومنذ ذلك الحين صارت هناك روابط حسنة بين اسرائيل واثيوبيا . ولما كان الامبراطور الاثيوبي يعادي للشيوعية ويطل على السودان - احدى الدول العربية - وله شواطيء على البحر الأحمر فإنه يصبح نقطة انطلاق قوية يمكن الوصول منها الى الدول الأخرى خصوصا وأنها نالت استقلالها في عام ١٩٥٠ .

وقد استمر " ايسر هاريل " - رئيس الموساد - في سياسته بارسال " خبراء " اسرائيليين في أمور الأمن الداخلي للامبراطور وعندما حدث تهديد للامبراطور عام ١٩٦٠ أرسل هيلاسيلاس اشارة استغاثة للاسرائيليين وانقذوا الامبراطور من انقلاب كان متوقع حدوثه . ويقول الجنرال الاسرائيلي " ماتتياهو بيليد Matityahu Peled " أن الخبراء الاسرائيليين انقذوا الامبراطور هيلاسيلاس ثلاث مرات على الأقل من انقلابات كادت أن تنجح . ولكن أخيرا فشل الاسرائيليون في عام ١٩٧٤ وانخلع الامبراطور من العرش .

وقبل أن تحدث المجاعة في اثيوبيا كانت اثيوبيا مصدرة للحم . وقد امتلك الموساد شركة في اثيوبيا لتصدير اللحم تدعى " انكودا Incoda " وكانت من انجح الشركات في هذا المجال ويقول أحد مديريها " . . . انكودا كانت محطة للتجسس الاسرائيلي في أفريقيا . وكان لدينا مخازن رهيبة للأسلحة وكان اسمنا يستخدم لتغطية أعمال الموساد الخفية . والجواسيس الذين كانوا يرسلون للبلاد العربية كانوا يختارون من رجالنا . وقد استمرت العلاقة الحسنة بين اسرائيل واثيوبيا حتى بعد الانقلاب الماركسي الذي اطاح بهيلاسيلاس في عام ١٩٧٤ . إذ أن النظام الجديد اتخذ من اسرائيل وسيلة توصله بالولايات المتحدة عند الضروره . وحتى عام ١٩٩٠ كانت العلاقة حسنة لدرجة أن اثيوبيا طلبت من اسرائيل قنابل عنقودية - المحرم استخدامها في الحروب - لضرب القبائل المعارضة للحكم وقد سبب هذا استياء للولايات المتحدة التي اعترضت على

الصفقة ولكن حرب العراق جعلتهم يتناسونها . وقد ساندت اثيوبيا الولايات المتحدة فى مجلس الأمن وهذا جعلها تبارك صفقة القنابل العنقودية .

وقد رأت اسرائيل أن تقوم بالعمل لصالحها - بالنسبة للبلاد الأفريقية التى استقلت حديثا فغمرت البلاد الأفريقية بالخبراء فى الزراعة والرى ليجعلوا من الصحارى أراضى قابلة للزراعة . وقد رحب الافريقيون بالاسرائيليين فى افريقيا على اساس أنه ليس لديهم أى ميول - أو اتجاهات - استعمارية مثل الأوربيين . وعندما أعلن استقلال البلاد الأفريقية واحدة وراء الأخرى كان الباب مفتوحا على مصراعيه لمن يشاء الدخول . ولم يستطع الجنس الأبيض الدخول ولكن الاسرائيليون دخلوا وكانوا أول من ثبت أقدامه فى القارة السوداء بعد خروج المستعمرين الأوربيين .

وهكذا أصبحت اسرائيل المكان المثالى لأى دولته ترغب فى الحصول عى معلومات عن افريقيا سواء للوكالة الامريكية للمخابرات أو غيرها . ولم يحصل الاوربيون على معلومات كثيرة بالنسبة لأفريقيا وكانوا يدفعون مقابل ما يحصلون عليه من معلومات . أما بالنسبة لرجال الوكالة الأمريكية فكانوا يدفعون صاغرين من خلال اتفاقياتهم السابقة مع الموساد (عملية جبل ك ك) .

وقد تطورت معاونة اسرائيل للبلاد الافريقية بعد قليل فقد بدأت اسرائيل بارسال خبراء فى الرى والزراعة والأسماك والانشاءات لمعاونة هذه البلاد على التطور . ولكن بعد قليل من الوقت تبين أن جميع هذه الدول محتاجه الى السلاح وإلى تدريب الأفراد عسكريا وبوليسيا . وقد سرت اسرائيل لهذا التحول وبدأت ترسل خبراء فى التدريب العسكرى والأمن القومى والمخابرات والأسلحة .

ويمكن معرفة مدى اهتمام اسرائيل بأفريقيا فى خلال الستينات من تقرير كتبه "اسرائيل ليور Israel Lior " الذى كان يعمل سكرتيرا حربيا لرئيس الوزراء " ليفى أشكول " فى ذلك الحين فقد طاف خلال عامى ٦٥ & ٦٦ بهذه البلاد بصحبة الجنرال " ابراهام تامير Avraham Tamir " - الذى سنلتقى به مرة ثانية فيما بعد - للتعرف على مدى نشاط اسرائيل العسكرى فى هذه البلاد . وقد قال " ليور " فى تقريره " لقد كان الاسرائيليون فى قمة نشاطهم فى هذه البلاد سواء النشاط العسكرى أو المدنى . ففى كل بلد تقريبا يوجد خبراء عسكريون ومدنيون " . وعندما وصلوا الى أوغندا - المستعمره البريطانية سابقا - وكانت تحت حكم الرئيس ميلتون أوبوتى قابلهم السفير الاسرائيلى " يورى لوبرانى Uri Lubrani " الذى كان يعمل مستشارا للشئون العربية فى مكتب بن جوريون ثم أصبح سفيرا

لأثيوبيا ثم سفيرا فى ايران . وقد أخذهم لوبرانى لمقابلة " عبدى أمين " الذى كان يعمل نائبا لرئيس الأركان حينئذ وقال لهم السفير أن " عبدى أمين " هو " رجل اسرائيل " فى أوغندا .

وفى العام التالى قام " ليور " بجولة ثانية فى القارة السوداء وكان فى صحبته هذه المرة رئيس الوزراء " ليفى أشكول Levy Ashkol " . وقد تنافست الدول الافريقية فى فخامة اجراءات استقبال رئيس الوزراء الأسرائيلى .وبدأت الزيارة بداية طيبة . فقد استقبلهم رئيس الدولة فى المطار . ووعد أن يتوسط فى مساعى السلام بين العرب واسرائيل كما وعد أيضا بزيارة اسرائيل فى المستقبل القريب . وفى ساحل العاج استقبلهم رئيس الدولة . وكان هناك حرس شرف لتحية أشكول فى المطار . وقد تاثر أشكول كثيرا بفخامة موكبه الذى ضم كوكبه من راكبى الدراجات النارية واصطف عل يالجانبين جمهور غفير لتحيته هو ورئيس الجمهورية .

وعندما وصلوا الى زائير قابلتهم مشكلة دبلوماسية فيبدو أن موبوتو - رئيس زائير - أمر بشنق أربعة من معارضيه من الوزراء وخشى أشكول أن يعتبر الشعب هذه الزيارة موافقه على هذا العمل . ولكن مر الأمر بسلام واستمرت الزيارة فى برنامجها . وكان ضمن البرنامج استعراض فرقة من " البنات المظليين " قام بتدريبهن خبراء اسرائيليون وتتراوح اعمارهن بين الخامسة عشر والعشرين . وقد سال " ليور " أحد مرافقيه عن السر فى رغبة " موبوتو " فى تكوين فرقة نسائية من المظليين فكان الرد : "إنهن سوف يقمن باستعراض للقفز فى يوم التحرير ! " وقد استقبل اشكول استقبالا حافلا فى مدرسة المظلات من المدربين والمتدربات !

ومهما كانت تصرفات موبوتو موضع نقد فى زائير فإن مدرسة المظلات ساعدت على توطيد العلاقة بين زائير واسرائيل . ففى أحد الأيام كانت زائير - الكنجو سابقا - تشكل قلقا كبيرا فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٦٠ . وكان البيت الأبيض قلقا للاتجاهات اليسارية التى كان ينهجها رئيسها فى ذلك الوقت " باتريس لومومبا Pa-trice Lumumba " لدرجة أن الوكالة الأمريكية خططت لقتلة . وقد جاءت نهاية لومومبا على يد بعض معارضيه قبل أن تشرع الوكالة فى قتله بالسم الذى أرسلته على عجل الى زائير .

وخلف لومومبا فى رئاسة زائير الرئيس " جوزيف كازافوبو Joseph Kasavubu الذى رحبت به واشنطن وكانت ميوله غربية بالاضافة الى أنه كان ميالا الى اسرائيل وقام بزيارتها رسميا فى عام ١٩٦٣ . وتم فى هذا العام أيضا تدريب كتيبة من الحرس الجمهورى بواسطة خبراء من الجيش الاسرائيلى كما وصل حوالى ٢٥٠ جنديا من الكونغو الى اسرائيل للتدريب . وعلى رأس هؤلاء الجنود كان الجنرال " جوزيف موبوتو " !

وقد حصل موبوتو عل يشارة رجال المظلات الاسرائيلية فى نهاية الزيارة وكان فخورا جدا بها . وكان لموبوتو صديق حميم اسرائيلى يدعى " ماير مايوحاس Meir Meyouhas " يعمل فى الموساد وقد هاجر من مصر . وقد ظهر اسمه كأحد الذين قاموا بتفجير القنابل فى السفارة الأمريكية والانجليزية فى القاهرة فيما يعرف " بفضحة لافون " وكان دوره فى العملية لا يدعو الى الفخر . فقد كلف بوضع المتفجرات فى أحد الأماكن وتقاضى فى سبيل ذلك مبلغ ١٥٠٠ دولار . ولكنه لم يقم بهذا العمل وعندما طالبه رئيسه برد المبلغ رفض ذلك وهدده إذا طلب منه هذا المبلغ ثانية . وقد قبض عليه بعد هذه العملية وصدر ضده حكم مخفف وأفرج عنه فى عام ١٩٦٠ ثم سافر بعد ذلك الى الكنجو وتصادق مع موبوتو الذى بزغ نجمه بسرعة من " شاويش " فى الجيش الكنجولى أيام البلجيكيين الى أن وصل الى قيادة الجيش . وقد لازم " مايوحاس " صديقه " موبوتو " فى الكنجو لمدة خمس وثلاثين عام . وعندما تولى " موبوتو " الحكم فى انقلاب عام ١٩٦٤ - بمساعدة وكالة المخابرات الأمريكية - قام بتغيير اسمه الى موبوتو سى سى سيكو Mobutu Sese Seko " وجمع ثروة تعتبر من أكبر الثروات التى يملكها شخص واحد . وقد تضخمت ثروة " مايوحاس " بنفس النسبة وأصبح من أهم الشخصيات الأسرائيلية فى زائير .

وكان " ليور " مستائا من نوعية الأشخاص الذين تتعامل معهم اسرائيل فى أفريقيا وزاد استياؤه عند التقاء البعثة فى أوغندا مع " عيدى أمين " الذى أصبح رئيسا لها فعند وصولهم الى أوغندا أقام لهم عيدى أمين حفل عشاء فاخر حفل بالرقصات القبائلية . وعندما جاء وقت تبادل الهدايا بين الطرفين قدم الجانب الاسرائيلى لعيدى أمين رشاش "اوزى " صناعة اسرائيلية . فأمسك عيدى أمين بالرشاش فى يده وأطلق صيحات مزعجة تعبر عن الفرح بطريقة اثارت الرعب بين الحاضرين . ثم أخذنا فى اليوم التالى لزيارة الحديقة النباتية التى يقال أن معظم أفلام طرزان قد تم تصويرها فيها .

ولم تكن اسرائيل وحدها هى التى تعتبر " عيدى أمين " (رجلها) . فالانجليز أيضا كانوا يعتبرون عيدى أمين (رجلهم) أيضا . فقد وصل الى رتبة مساعد فى الجيش عندما كان البريطانيون يحتلون أوغندا وكانوا يعتبرونه شديد الولاء للتاج البريطانى ولو أنه ينقصه بعض الذكاء . وقد اختبروا ولاءه فى حربهم ضد قبائل ماو ماو فى كينيا عام ١٩٥٠ فقد ظهرت قسوته لدرجة أنهم أطلقوا عليه لقب " جندى المشنقة " (عشماوى) .

أثار الرئيس " أوبوتى Obote " - رئيس أوغندا فى الستينات - قلق الغرب فى لندن وواشنطن . ليس بسبب قسوته فى معاملة شعبه أو دكتاتوريته فى الحكم ولكن لأنه قام بتأميم بعض الشركات الأجنبية وبدأ يقود حركة الاحتجاج ضد جنوب أفريقيا التى

تتمتع بصداقة الغرب . ولم يرض الاسرائيليون عن اتجاه أوغندا الى اليسار بالاضافة الى أنهم كانوا قلقين على مستقبل عملائهم . وقد انتاب عيدى أمين القلق فى فبراير عام ١٩٧١ من أن أوبوتو سوف يتخلص منه فنصحه الكولونيل " باروخ بارليف Baruch Barlev المستشار العسكرى الاسرائيلى وكذلك جهاز المخابرات الانجليزية (MI- 6) بالاسراع بالقيام بانقلاب والاطاحة بالرئيس " أوبوتى " وقد استجاب عيدى أمين للنصيحة وقام بانقلاب ضد أوبوتى بمساعدة فرقة من المدرعات تحت قيادته وقبيلته التى كانت موجودة على حدود السودان ونجح الانقلاب تماما ونصب عيدى أمين نفسه رئيسا لأوغندا . وكان أول ما قام به هو الغاء تاميم الشركات الأجنبية واعادة العلاقات الطبيعية مع جنوب أفريقيا ورحب بمزيد من المساعدات الاسرائيلية فى البلاد وقد سعد أصدقاء عيدى أمين بذلك كثيرا ونالهم الخير الكثير من ورائه وخصوصا تاجر السلاح الاسرائيلى " شابيك شابيرو Shapik Shapiro " الذى قال " لقد قمنا بصفقات تفوق الوصف فى هذا الوقت " .

لقد حدثت مذابح كثيره فى العالم وفى أوغندا نفسها من بعد عهد " عبدى أمين " ولكن يحسن بنا أن نستعرض أعمال هذا الرجل حتى نتعرف عل يشخصيته خصوصا وأن أمريكا وانجلترا واسرائيل كانوا يساندونه فبمجرد أن تولى السلطة قام " بتطهير " الجيش من المعارضين لحكمه وقتل مئات من الجنود . وقد قام رجال " أمين " باغتيال اثنين من الصحفيين الأمريكيين الذين حاولا القيام بتحقيق صحفى فى هذا المجال وهما "نيكولاس سترو Nicolas Stroh وروبرت سيدل Robert Seidele " ورغم هذا لم تتاثر علاقة وكالة المخابرات الأمريكية مع أمين واستمرت على خير ما يرام لمدة عام بعد الاغتيال . ويقدر عدد من أمر " أمين " بقتلهم من الأوغنديين خلال فترة حكمه من ١٩٧١ حتى ١٩٧٩ بحوالى ثلاثمائة ألف شخص . ويقال أنه كان من عاداته الشخصية أكل جزء من أكباد اعدائه بعد قتلهم !

وقد استمر " شهر العسل " بين عيدى أمين والاسرائيليين لمدة عام بعد توليه السلطة وكان حلم أمين فى هذا الوقت هو غزو تنزانيا حيث لجا إليها خصمه أوبوتى . وقد طلب " أمين " من الاسرائيليين أن يقنعوا أميركا بان تبيع له طائرات فانتوم وأسلحة أخرى متطوره تمكنه من غزو تنزانيا ولكن اسرائيل لم تستطع اجابته الى طلبه . وفى النهاية

قام بطرد المستشارين الاسرائيليين من الجيش . ولكن طرد المستشارين لم يعن انتهاء عملية " جبل ك ك " فى أوغندا .

ومن أشهر علامات الوجود الاسرائيلى في أوغندا ما يسمى " بمعجزه عنتيبى " التى كتبت عنها كتب كثيره وأفلام سنمائية . فقد قامت جماعة فلسطينية فى عام ١٩٧٦ باختطاف طائرة ركاب اسرائيلية وأجبرتها على الهبوط فى مطار عنتيبى بالقرب من كمبالا العاصمة . ووافق مجلس الوزراء الاسرائيلى - بعد كثير من المناقشات . . . على القيام بعملية عسكرية لتحرير الرهائن وقد كلف شيمون بيريز كلا من " يوسف سوين Yosef Soen " - الذى كان مديرا لمطار عنتيبى عندما كانت اسرائيل تعاون أوغندا - وكذلك " موشى بيديخى Moshe Bedich i " الذى كان يعمل قائدا لطائرة أمين الخاصة بمعاونة " باروخ بارليف Ba-ruch Bar Lev " الذى كلفه شيمون بيريز بتنفيذ العملية التى نجحت نجاحا باهرا وعاد الرهائن سالمين الى اسرائيل بفضل معاونة ومعرفة كل منهما لتفاصيل المطار الدقيقة . كما يرجع الفضل الأول فى نجاحها الى جاسوس انجليزى يعمل فى كينيا - يدعى " بروس ماكنزى Bruce Macken-zie " وكان يعمل مستشارا لجومو كينياتا. الذى أقنع الحكومة الكينية بالموافقة على تزويد الطائرات الاسرائيلية المكلفة بالعملية بالوقود فى كينيا - ولم تكن الطائرات تستطيع الطيران بلا توقف دون التزويد بالوقود . وقد قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتدريب كثير من رجال عبدى أمين على عمليات التعذيب فى " مدرسة التعذيب التابعة " للاكاديمية الدولية للبوليس International Police Academy " التى تقع فى جورج تاون George Town كما دربوهم أيضا على اعمال الأمن الداخلى وباعوا لهم ١٢ طائرة هليكوبتر للأعمال البوليسية .

وقد كشفت احدى العمليات التجارية التى تمت بين الامريكين وعيدي أمين عن بعض تفاصيل العلاقة بين وكالة المخابرات الأمريكية والموساد وهى تلقى أيضا الضوء على صورة حية من صور عمليات " جبل ك ك " التى توضح مدى التعاون بين الجهازين .

وتبدأ القصة بالصداقة التى قامت بين عيدى أمين ومعمر القذافى بعد أن أنهى الأول علاقته مع اسرائيل . فقد بدأت العلاقة بتبادل الزيارات بين الرئيسين . وبينما كان الرئيسان يتكلمان داخل طائرة الرئيس القذافى الخاصة - وهى من طراز " جرومان

جلفستريم ٢ النفاثة Grumman Gulfstream II Jet " فى احدى هذه اللقاءات ابدى الرئيس عيدى أمين اعجابه بالطائرة وتجهيزاتها وامكانياتها الفنية. وكان من الممكن أن تمر هذه الملاحظة العابرة بلا أى رد فعل لولا أن هذه الطائرة بالذات قد اشترتها ليبيا من شركة سويسرية تدعى " زيمكس للطيران Zimex Aviation " وهى مشهورة بأنها المورد الرئيسى للطائرات والطيارين لقادة العالم خصوصا القادة العرب . ورئيسها رجل يدعى " هانز تسيجلر Hans Ziegler " وهو يهودى صهيونى من عملاء الموساد . وقد وصف أحد المسئولين فى الوكالة الأمريكية للمخابرات المعلومات التى قدمتها هذه الشركة للموساد بأنها " أعظم ما حصل عليه الموساد من معلومات فى العشرين سنة الماضية ! "

وقد كانت طائرة القذافى مزودة بأجهزة تصنت وبذلك كانت كل كلمة تخرج من ركابها أثناء الطيران تسجل . ولذلك وصل تعليق عيدى أمين على الطائرة الى صاحب الشركة " تسيجلر " الذى نقله بدوره الى شركة أمريكية تدعى " بيج ايروايز Page Airways يملكها أمريكى من أصل ايرلندى يدعى جيمس ويلموت James Wilmot " الذى كون ثروته من معاملات مشبوهة مع وكالة المخابرات . ويقدر حجم التعاملات بين ويلموت والوكالة منذ عام ١٩٣٩ حتى الآن بحوالى ١٠٠ مليون دولار . وكما هى العادة فى الولايات المتحدة فإن معظم رجال الأعمال الأغنياء يتجهون الى السياسة عن طريق تمويلهم للحملات الانتخابية واسهامهم للتبرعات للأحزاب السياسية المختلفة . وكان " ويلموت " ينتمى للحزب الديموقراطى وله فى بالحزب صديقان هما " هوبرت همفرى Hubert Humphrey ودانيل أنوى Daniel K. Inouye " من اصدقاء اسرائيل وعضوان فى مجلس الشيوخ وعندما علم ويلموت برغبة عيدى أمين في شراء الطائرة أمر نائبه " شارلز هانر Charles Hanner " بالسفر مع زيجلر الى كمبالا واغراء عيدى أمين بشراء الطائرة من شركة بيج وتقابل الاثنان فعلا مع عيدى أمين فى انترناشيونال هوتيل فى كمبالا واستطاعا اقناع أمين بشراء الطائرة من شركة بيج . وقد نال " تسيجلر" عمولة قدرها ١٠٠٠٠٠ دولار فى هذه الصفقة . وقامت شركة بيج باهداء عيدى أمين سيارة كاوبلاك مطيله بالفضة . وحصل " هامر " على عقد قيمته ٦ مليون دولار لبناء القنصلية الأمريكية فى كمبالا . واستفادت شركة بيج بعد ذلك فوائد كثيره من علاقتها مع عيدى أمين ، فقد استطاع " هانر " أن يبيع الى عيدى أمين طائرة " لوكهيد ١٠٠ Lockheed L 100 " ويحصل منه على عقد لصيانة الطائرتين وتوريد طاقم الطيارين . وقد باع هذين العقدين لشركة امريكية أخرى مقابل عمولة دسمة . وكانت هذه الشركة هى " شركة الجنوب للنقل الجوى Southern Air

Trans " الموجودة فى " ميامى " وهى احدى الشركات الامريكية التى كانت تعمل لحساب الوكالة الأمريكية للمخابرات وقد اقتضى العقد ارسال اثنى عشر شخصا للقيام بالصيانة للطائرتين فى كمبالا بصفة دائمة . وكان بعضهم من عملاء الوكالة الأمريكية . ولم يخرج الأسرائيليون خالى الوفاض فقد باعوا لعبدى أمين - عن طريق شركة زيمكس - طائرتين " بوينج ٧٠٧ " وأجرو له عدة طائرات أخرى للنقل . ويلاحظ أن أوغندا دولة ليس لها شواطىء بحرية . فكل ما تستورده أو تصدره ينقل عن طريق البر أو الجو . بل إن معظمه يتم عن طريق الجو نظرا للعلاقات السياسية غير الطيبة بين البلاد الأفريقية وبعضها . ولذلك كانت صفقات الطائرات التى تمت من الأهمية بمكان بالنسبة لأعمال التجسس بالاضافة الى الفوائد المادية التى عادت على الشركات . ويقدر ما حصل عليه ويلمت صاحب شركة بيع الأمريكيةبما لا يقل عن ٢٢ مليون دولار من عيدى أمين . وليس معروفا كم استفادت الشركات الاسرائيلية ولكن ذلك لن يكون أقل كثيرا من الأمريكين وقد استفاد عيدى أمين كذلك ليس فقط من ناحية تنظيم وكفائه النقل الجوى بل أيضا من المساعدات التى كانت تقدمها له كل من المخابرات الأسرائيلية والأمريكية ومعاونتهما له فى صراعة مع اعدائه .

وقد قام عيدى أمين بالتخلص من مئات الألوف من معارضيه ويقول أحد وزرائه فى مذكراته : " هناك مكان يدعى (شلالات أوين Owen Falls) وكان أحد ثلاثة أماكن مفضلة لالقاء جثث أعداء عبدى أمين ويقدر عدد من القى بجثثهم فى الفترة من يوليو ٧١ حتى أبريل ٧٧ - فترة حكم عبدى أمين - بما يزيد عن ١٤٠٠٠٠ قتيل هذا بخلاف ما التهمته التماسيح أو انجرف مع التيار وهم حوالى ١٠٠٠٠ اخرين وبذلك يبلغ من تخلص منهم (أمين) بحوالى ١٥٠٠٠٠ شخص هذا بخلاف الاف أخرى ربما ألقى بهم فى الغابات أو أماكن مجهولة . والواقع أن القتلى لا يمكن حصرهم وهذا البيان ما هو إلا تقدير أقل كثيرا من الحقيقة .

ويقول فرانك تيربل Frank Terpil وهو أحد العملاء المشبوهين لوكالة المخابرات الأمريكية أنه قام خلال عام ١٩٧٧ بتوريد ما قيمته ٣,٢ مليون دولار من الأسلحة والذخائر الى عبدى أمين عن طريق جسر جوى من لندن الى عنتيبى قامت به طائرة بوينج ٧٠٧ يمتلكها جاسوس الموساد المعروف ايزنبرج وذلك تحت سمع وبصر رجال المخابرات الانجليزية ووكالة المخابرات الأمريكية والموساد - بالطبع - ولم يحرك أحد منهم

ساكنا . وقد حاولت أجهزة الأمن الأمريكية مفاضاة شركة بيج ولكن باءت محاولاتها بالفشل بسبب " المصلحة القومية " وقد انتهى الموضوع على أى حال بالانقلاب ضد عيدى أمين ثم قام القذافى بالاستغناء عن خدمات شركة " زيمكس " للطيران بعد ذلك .

ولم يكن التعاون بين الوكالة الأمريكية والموساد محصورا على أوغندا . فقد قال " جون ستوكويل Hohn Stockwel l " رئيس الوكالة فى رواندا أنه قد صدرت إليهم تعلميات بأن يتعاملوا مع رجال الموساد . " كاصدقاء وزملاء " وكان هذا يحدث فعلا . وقد أتيح لستوكويل رؤية ثمار التعاون الاسرائيلى الأمريكى فى المخابرات عن قرب عندما كان مسئولا عن أعمال الوكالة فى " انجولا " عام ١٩٧٥ . فقد قررت البرتغال - بعد الانقلاب الذى حدث ضد الفاشيست فيها عام ١٩٧٤ - الانسحاب من أفريقيا . وخاف هنرى كيسنجر من أن يتولى الحكم فى انجولا أحد الأحزاب الشيوعية فيها - حزب MPLA - وكان فى الحقيقة جزيا ماركسيا فطلب كيسنجر من الوكالة الأمريكية التدخل بكل قوتها لمنع ذلك من الحدوث كما لجأ الى جنوب افريقيا واسرائيل للمساعدة . وقد طلب كيسنجر من اسرائيل ارسال قوات الى انجولا ولكنها رفضت ووافقت على ارسال اسلحة فقط وقد وافقت جنوب أفريقيا على التدخل بالقوات المسلحة وأرسلت فعلا كتيبة من جنودها عبرت الحدود وتوغلت فى انجولا ولكن " كوبا " لم ترضى عن هذا الوضع وأرسل كاسترو قواته التى أجبرت قوات جنوب افريقيا على التقهقر الى الحدود . وهكذا تركت القوات المضادة للشيوعية لتقاتل وحدها . ولكن فى واقع الأمر كان يعاونها جنوب افريقيا ومعها فى الخفاء اسرائيل . وهذا أيضا مثال لعلميات " جبل ك ك " الأمريكية الاسرائيلية . ولقد تمتعت اسرائيل بمزايا كبيرة فى افريقيا . لأن الدول الأفريقية الحديثه رحبت ببعثاتها ومعاوناتها . ولكنها بدأت تفقد هذه المزايا تدريجيا عندما اتضحت علاقاتها مع جنوب افريقيا العنصرية - كما سيأتى ذكره فيما بعد - وتبين ايمانها بمبدأ تميز العنصر الأبيض وترحيبها بسياسة جنوب افريقيا العنصرية . وقد ظهر هذا واضحا خلال حرب ١٩٧٣ المسماة بحرب يوم كيبور . فقد قطعت واحد وعشرون دولة أفريقية علاقاتها مع اسرائيل تحت ضغط الدول العربية المصدرة للبترول وسياسة تل أبيب العنصرية ولا يعنى هذا فشل عملية " جبل ك ك " تماما كما يبدو مما تقدم فقد قامت المخابرات الاسرائيلية فى زائير بقيادة " ماير مايوهاس Meir Meyouhas " الصديق الصدوق لموبوتو باللازم لمعاونة الوكالة الأمريكية لخلخلة النظام فى انجولا .

وقد قامت اسرائيل فى أوائل عام ١٩٨٠ بمحاولات مستميتة لإعادة علاقاتها الطيبة مع الدول الأفريقية السوداء وقد قام بهذه المحاولة أثنان هما دافيد كمش ومعه

افراهام تامير Avraham Tamir الذى كان مرافقا " لاسرائيل ليور " في أوغندا . ومنذ اللحظة الأولى وجد " ليور " أن القادة الأفريقيين يعتبرون أن لاسرائيل قوة خارقة وأنها تملك - أو على الأقل تسيطر - على اقتصاديات العالم وجميع وسائل الاعلام وخصوصا فى الولايات المتحدة .

وقد كان موبوتو من هذا الرأى أيضا فعندما زاره " تامير " ومعه " أريل شارون " طلب منهم " موبوتو " - وكان ذلك فى أواخر عام ١٩٨١ - أن يبذلوا جهدهم لكى يوافق الكنجرس الأمريكى على الاعانة الامريكية المرتقبة لزائير . ومن الغريب أن اسرائيل تمكنت من عمل ذلك مما أثار دهشة كل الناس وظنوا أن اسرائيل تستطيع صنع المعجزات . وفى مقابل ذلك أعاد موبوتو العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل وزائير . وهكذا ساعدت اسرئيل موبوتو فى واشنطن وساعدها موبوتو فى اعترافه بها كما كانت ترغب . واستمرت اسرائيل فى تبادل المنفعة مع الأمريكيين . ويبين المصير المؤسف التى آلت إليه " تشاد " فى الآونة الأخيرة مثلا واضحا لذلك . فقد وضعت أمريكا واسرائيل " حسين حبرى " على قمة السلطة فى تشاد فى عام ١٩٨٢ . وقامت الوكالة الأمريكية بتدريب رجاله على بأعمال الأمن والمخابرات وقامت اسرائيل بتدريب رجال البوليس السرى وكان حرسه الخاص مكونا من الاسرائيليين ورجال البحرية السابقين . وكانت ليبيا هى المقصودة من ذلك كله فقد كان " ريجان " يعتبر " معمر القذافى " عدوا مخربا . ولما كانت "تشاد " لديها حدود مع ليبيا ولها مشاكل معها بهذا الخصوص فإن " حبرى " يعتبر وسيلة مثالية لاستمرار القلاقل فى ليبيا . وقد حاولوا الضغط على فرنسا لاسال قوات لمناصرة صبرى . وبعد فشل الغارة على طرابلس فى أبريل ١٩٨٦ التى كان الغرض منها قتل القذافى قام الخبراء الاسرائيليون بتدريب قوة قدرها ٢٠٠٠ شخص معارضين للقذافى من الأسرى الليبيين . وتم التدريب فى تشاد نفسها والبلاد المجاورة بما فيها زائير . ويبدوا أن الخبراء الاسرائيليين كانوا مولين من المملكة العربية السعودية . ولقد تم كل هذا دون أن تكتب الجرائد الأمريكية شيئا منه واعتمده الكنجرس الأمريكى دون مناقشة .

وفى ديسمبر سنة ١٩٩٠ قامت مجموعة من الثوار من جنوب السودان بخلع حبرى من السلطة وقام الفرنسيون بسحب قواتهم من تشاد وفر حبرى من البلاد واضطرت الولايات المتحدة الى سحب قواتها بسرعة وجمعتهم فى زائير .

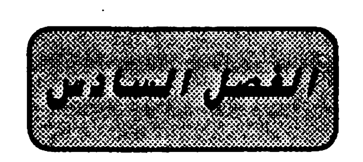
ويتبين من ذلك أن التعاون بين الوكالة الأمريكية واسرائيل قد استمر حتى نهاية الثمانينات . ولكن هناك بعض المؤشرات التى تشير الى قرب انقضاء هذا التعاون الخفى الوثيق . فبانتهاء الحرب الباردة يبدو من المستبعد أن يهدد السوفييت بدخول القارة السوداء وهذا يوضح عدم اهتمام ادارة بوش الآن بها . وقيام حرب الخليج فى يناير سنة ١٩٩١ أثار موجة من الكراهية لأمريكا واسرائيل فى العالم الثالث . وقد قيل فى تأييد ذلك - على سبيل المثال - أن " موبوتو " رئيس زائير قد قام بتسليم الليبيين المقيمين فى زائير . والمعارضين لحكم القذافى إليه مخالفا بذلك العهود التى قطعها على نفسه لأمريكا وذلك بعد الضرب المكثف الذى تعرضت له العراق فى الحرب فى مقابل وعد من ليبيا بمعاونة زائير .

وهكذا فإن عملية " جبل ك ك " تشبه الى حد كبير القنبلة الذرية الاسرائيلية - راجع فصل ٤ - فى أن كلاهما غير معترف به - رسميا - وموجود فى الحقيقة - سرا - لأنه يمثل قلب العلاقة السرية بين الولايات المتحدة واسرائيل . وقد كان من السهل اخفاؤه لأن نتائجه تظهر فى أماكن بعيدة من العالم الكبير . ولكن عملياته تتوارى خجلا بالمقارنة بما حدث فى الصراع الذى هز العالم عندما انفجر فى عام ١٩٦٧ . لقد كانت حربا معروفة ولكنها تخفى فى طياتها كثيرا من الأسرار السوداء .

* * * * * * * * * * *

* * * * *

* *



المكسب الاستراتيجى

كان أحد كبار المسئولين بالوكالة الأمريكية للمخابرات يستعرض الصراع بين السوفييت وحلفائهم فى الشرق الأوسط وبين الكتلة الغربية ذلك الصراع الذى انتهى - من وجهة نظره - بحرب ١٩٦٧ فقال " لقد اثبتت اسرائيل - فى ذلك الوقت - أنها الغنم الاستراتيجى للغرب فى الشرق الأوسط " .

ومن الغريب أن توصف حرب ١٩٦٧ بهذا الوصف . فالواقع عن حرب ١٩٦٧ أن العرب بقيادة عبد الناصر قد تجمعوا لمحاربة عدوهم التقليدى اسرائيل ولكنهم اصيبوا بهزيمة منكرة يستحقونها خلال ستة أيام وكان على الشرق الأوسط أن يتعايش مع احتلال اسرائيل للأرض العربية لعدة سنوات بعد ذلك . فلماذا يصف ذلك المسئول اسرائيل بأنها المكسب الاستراتيجى للغرب ؟ لكى نجيب على ذلك علينا أن نعود الى ما بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ .

لقد غضب " ايزنهاور " وحكومته من هجوم الاسرائيليين على مصر دون أخذ رأى أمريكا . فقد كانوا من الحماقة لدرجة أنهم كذبوا على زملائهم فى الوكالة الأمريكية بهذا لخصوص ، غير أن أمريكا اتفقت بعد الحرب مع اسرائيل على أن عبد الناصر كان يشكل تهديدا لمصالح الغرب فى الشرق الأوسط فنجاح عبد الناصر فى تحدى انجلترا وفرنسا قد شجع " الوحدة العربية " فى الشرق الأوسط التى شكلت تحولا خطيرا فى هذه المنطقة . ولقد كانت سياسة الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية قاصرة على الاهتمام بالمملكة العربية السعودية لما لها من أهمية استراتيجية لوجود البترول فى أراضها كما وضح ذلك بجلاء الرئيس جورج بوش . وتشكل " الوحدة العربية " تهديدا خطيرا لمصالحهم فى البترول جيث بتمتع عدد قليل من الدول العربية التى تقع تحت حكم الفرد ويسيطر

عليها الأمريكيون بثروة طبيعية هائلة تطمع الدول الفقيرة فى المنطقة فى مشاركتهم فيها كمصر وغيرها التى تقع تحت تأثير السوفييت . وهذا السبب وحده كاف لكى لا تتعاطف الولايات المتحدة مع عبد الناصر . وقد صرح الرئيس ايزنهاور مرة لريتشارد نيكسون - الذى أصبح رئيسا للولايات المتحدة بعد ذلك - فى يوليو عام ١٩٥٨ " أن عبد الناصر يسعى للحصول على هذه الثروة - ثروة البترول - لكى يحصل على المال والقوة التى تساعده على تحطيم الغرب " . وقد حاول جون كندى التخفيف من الصراع بين أمريكا وناصر وقام بشحن معونات غذائية من القمح الى مصر لاعتقاده أنه يمكن الاحتفاظ بعلاقات صداقة بين الدولتين . وفى مقابل شحن القمح الى مصر كان هناك على الجانب الآخر تصعيد فى شحن الأسلحة إلى اسرائيل وتزويدها بأحدث الأسلحة المتطورة مع طلب أمريكا من اسرائيل أن توقف برنامجها الذرى (راجع الفصل الرابع) . وقد ذهب بن جوريون الى أمريكا من أجل مناقشة هذه المواضيع فى مايو ١٩٦١ . وقد اعتقد كندى أنه قد توصل مع بن جوريون الى الاتفاق على وقف البرنامج الذرى الاسرائيلى والسماح للأمريكيين بالتفتيش على مفاعل " ديمونه " مقابل حصول اسرائيل على صواريخ " هوك Hawk " المضادة للطائرات .

ولم تشكل صفقة صواريخ هوك الأمريكية لاسرائيل مكسبا كبيرا لجيشها - حيث أن الطائرات قاذفة القنابل يمكن مقاومتها بواسطة الطائرات المقاتلة - ولكن هذه الصفقة - كما قال قائد السلاح الجوى الاسرائيلى الجنرال " موتى هود Motti Hod " قد " كسرت الحاجز " بالنسبة لمزيد من الصفقات العسكرية بين الدولتين . ورغم ما ابداه الرئيس جون كيندى من التعاطف - الظاهرى - مع عبد الناصر فإنه قد تعاطف مع اسرائيل بشكل أكبر من الرئيسين الذين سبقاه . فقد أكد لجولدا مائير فى عام ١٩٦٢ وهى وزيرة الخارجية الاسرائيلية أن أمريكا واسرائيل قد أصبحتا حليفين فى " جميع الأحوال De facto allies " . وحدث أيضا فى عام ١٩٦٢ فى مملكة " اليمن " - التى كانت لا تزال تعيش فى العصور القديمة - أن توفى حاكمها - وكانت الوفاة طبيعية رغم كل التوقعات - ولما كانت اليمن تجاور المملكة السعودية ولها الحق - تاريخيا - فى جزء لا يستهان به من السعودية فقد حظى هذا الحدث باهتمام كبير من ناحية الرياض والاسرائيليين والوكالة الأمريكية للمخابرات وعبد الناصر . حيث تشكل اليمن قطعة مهمة من الأرض لكل هؤلاء .

وكانت اليمن - فى هذا الوقت - مقسمه الى قسمين : اليمن الجنوبية التى تقع تحت السيطرة البريطانية وفيها ميناء عدن ذو القيمة الاستراتيجية الكبيرة بالنسبة للوجود البريطانى فى الخليج الفارسى واليمن الشمالية - حتى عام ١٩٦٢ - الذى كان يحكم حاكم طاغية يدعى " الامام أحمد " والذى كان يؤمن بأساليب الحكم القديمة التى تقضى بأسر أبناء القبائل ووضعهم تحت سيطرة الحاكم فى قصره حتى يضمن ولاء القبائل

له . ولم تكن الحياة سيئة لهؤلاء " الأسرى " فقد كان " الإمام أحمد " يصحبهم معه عندما كان يذهب لايطاليا للعلاج - وكثيرا ما كان ذلك يحدث - مما كان يسبب مضايقات كثيرة للمسئولين الايطاليين . وقد حاولت المخابرات المصرية اغتيال " الامام أحمد " ولكن المؤامرة فشلت وتوفى . الامام وفاة طبيعية فى سبتمبر ١٩٦٢ ولم يكد ابن الامام يتولى الحكم حتى قام عبد الناصر بانقلاب فى اليمن واعلان الجمهورية وهرب الامام الصغير وقاد حربا أهلية ضد الانقلاب بمعاونة القبائل المجاورة على حدود السعودية وبتمويل من المملكة السعودية التى كانت تخشى أن يقوم عبد الناصر بمؤامرة أخرى تقصى الحاكم السعودى ذاته .

وقد تطورت الأمور الى حرب على نطاق واسع لاستعراض القوة . فقد بدأ الروس فورا بعمل جسر جوى الى القاهرة لمساعدة الجموريين . وقد أوضح هذا للامريكيين قدرة الروس على النقل الجوى للمسافات الطويلة . وسببت هذه الحرب قلقا كبيرا للوكالة الأمريكية للمخابرات لاعتقادهم أنها ستكون الذريعة لروسيا لكى تتدخل فى منطقة الشرق الأوسط الغنية بالبترول . وقد حاولت الوكالة استغلال الحرب لتقليص النفوذ الروسى فى الشرق الأوسط حيث أوعزت الى الأمير فيصل - العقل المفكر فى المملكة - أثناء زيارته لأمريكا فى عام ١٩٦٢ أن يعرض عل يعبد الناصر معونة سعودية مقابل استغنائه عن مساعدة الروس . وقبل الأمير هذا المبدأ ولكن للأسف عند عودته من أمريكا فى طائرته الخاصة استمع - بمحض الصدفة - الى اذاعة صوت العرب من القاهرة - التى كان " كرمت روزفلت " قد بنى لها البرج الاذاعى بالمعونة الامريكية لوكالة المخابرات " ولسوء الحظ كانت هذه الاذاعة فى ذلك الوقت تبث شتائم وسفاهات موجهة ضد الحكام السعوديين أثارت اشمئزاز الأمير وغضبه فقرر عدم السير فى هذه الخطة . وقد وصف مؤرخ انجليزى موقف البيت السعودى من عبد الناصر بقوله " كان عبد الناصر يمثل للأسرة السعودية الشيطان بعينه ويكرهونه أشد من كراهيتهم للاسرائيليين ويكرهون حكم عبد الناصر ذا الاتجاه الشيوعى مثل كراهيتهم للصهيونية " .

ومهما كان شعور الوكالة الامريكية مخالفا لشعور المملكة السعودية فقد اتفقنا بالنسبة لعبد الناصر والحكم الشيوعى . ولم يكن الروس يقومون بتشغيل الجسر الجوى بين مصر وروسيا فقط ولكنهم كانوا يحاربون مع المصريين فعلا . فقد اثبت ذلك النقاط المراسلات اللاسلكية الشفرية المتبادلة بين الجهتين فقد بدأوا فى نوفمبر ٦٢ ارسال وحدات مقاتلة من مطار غرب القاهرة - وهو مطار حربى كبير - مكونة من طائرات قاذفة طراز " تى يو ١٦ TU 16 " بقيادة طيارين من الروس ومعهم مصرى واحد للتخاطب بالراديو . وكانت تطلى هذه الطائرات بالعلامات المصرية وكثيرا ما كانت تطير فوق الرياض أثناء العمليات .

ولقد انتاب السعوديين الرعب - ولهم الحق فى ذلك - مما يجرى فى جنوب بلادهم وشاركهم فى ذلك رجال الوكالة الامريكية وقرروا وضع حد للتدخل الروس فى المنطقة . ولكن المشكلة كانت أن بعض الأجهزة الحكومية الأمريكية لاتشاركهم نفس الشعور فقد كان البعض من المسئولين الحكوميين يرون مساندة الحركات التحررية فى العالم الثالث - مثل نهرو فى الهند وتكروما فى غانا وعبد الناصر فى مصر - وأن لا نصبغ علاقاتنا بهذه الدول بنفس الصبغة التى تراها وكالة المخابرات . ولكن رجال الوكالة لم يكونوا من هذا الرأى وبدأوا فى مساعدة الحركة المضادة لعبد الناصر فى اليمن . وكذلك فعل الأسرائيليون .

وقد تمكنت الوكالة الأمريكية من تقديم العون للملكيين فى اليمن بفضل اسرائيل . فمن ضمن المهاجرين الاسرائيليين كانت هناك مجموعة من يهود اليمن هاجروا اليها بعد الاستقلال مباشرة . وقد عاش يهود اليمن معيشة تقرب من معيشة العصر الحجرى فى اليمن وكان هناك فارق رهيب بينهم وبين المهاجرين من أوربا الشرقية . وقد تمكنت اسرائيل من تهجير حوالى خمسين الف مهاجر من اليمن اليها فى الفترة من ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٠ فى عملية جوية شهيرة أطلقوا عليها عملية " البساط السحرى " وقد أمكن بفضل الوكالة الأمريكية اعادة بعض اليهود الذين من أصل يمني من اسرائيل الى اليمن مرة أخرى وذلك لتدريب اليمنيين على استعمال الأسلحة الحديثة . وكان من الضرورى اخفاء دور اسرائيل فى هذه العملية لأن الحرب فى اليمن كانت تعتبر من الأمور العربية الداخلية وأى تدخل - خصوصا من اسرائيل - سوف يزيد الأمور تعقيدا . وعملية التدريب كانت تتطلب أولا أسلحة وقد وفرتها اسرائيل . ولكى تخفى اسرائيل مصدر الأسلحة كانت ترسلها الى ايران حيث يعاد تغليفها حتى لا يعرف أنها من اسرائيل وتشحن الى اليمن وأما المدربون فكانوا من الاسرائيليين من أصل يمنى الذين هاجروا منذ عام ٤٨ / ٥٠ بعد أن يخفوا شخصيتهم الاسرائيلية . وقد شكل الملك فيصل - الذى تولى الحكم فى السعودية من أخيه الملك سعود بعد انقلاب سلمى فى عام ٦٤ - صعوبة أخرى فى هذا الشأن فرغم كرهه لعبد الناصر فقد كان يحمل لليهود كراهية أشد وكان لا بد من اخفاء هذه الحقيقة عنه. وقد تعاونت الوكالة الأمريكية مع بعض كبار رجال القصر الملكى السعودى فى هذا الشأن وأمكن اخفاء دور اسرائيل فى حرب اليمن عن الملك فيصل .

ورغم الفزع الذى انتاب السعودية واسرائيل والولايات المتحدة بسبب حرب اليمن فإن عبد الناصر فشل فى السيطرة على اليمن كما فشل ايضا فى احتلال السعودية . وكانت حرب اليمن مكلفة جدا بالنسبة لمصر فقد قام بها حوالى ٧٠٠٠٠ جندى - أى ما يقرب من ثلث الجيش المصرى - واستعملت فيها القنابل المتفجرة والغازات السامة بكثرة.

وقد كان الموقف - من وجهة نظر الوكالة الأمريكية - يعتبر مزعجا . ليس فقط لأن الجيش الذى يناصره السوفييت قد أصبح قريبا من المناطق الاستراتيجية الأمريكية ولكن لأن قادة الحكم فى أمريكا أبدو عدم الاهتمام أيضا . فقد أبدى الرئيس كندى استخفافا بالأمر أما نائب الرئيس الأمريكى - لندن جونسون - فقد كان مشغولا بحرية الخاصة فى جنوب شرق أسيا . وقد أصبح من الصعوبة بمكان لفت نظر القيادة الامريكية الى التغلغل الماركسى عبر البحر الأحمر .

ولكن ذلك لم يمنع الوكالة الأمريكية من بذل أقصى جهدها فى نواحى أخرى من الحرب الباردة . فقد قاموا - فى العراق مثلا - بمساعدة الانقلاب ضد عبد الكريم قاسم الذى قاده حزب البعث فى فبراير ١٩٦٣ بعد أن حكم قاسم العراق من ٥٨ حتى ٦٣ وقد قال أحد قادة الوكالة فى هذا الشأن " لقد كان هذا الانقلاب - ضد قاسم - من أروع أعمالنا فى الشرق الأوسط " . وكان من أهم أسباب نجاح الانقلاب هو أن الوكالة قامت بامداد حزب البعث بقائمة الشيوعيين قبل الانقلاب . وكان من ضمن أعضاء حزب البعث المغمورين تشخص شديد المراسى يدعى " صدام حسين " من بلدة ريفية تدعى تكريت " . وفى نهاية هذا العام قام حزب موالى لعبد الناصر يطرد البعثيين من الحكم فاضطر حزب البعث أن ينحنى للعاصفة حتى سنحت له الفرصة مرة ثانية للاستيلاء على الحكم فى بغداد فى عام ١٩٦٨ .

وقد كان اهتمام عبد الناصر فى هذا الوقت منصبا على ما يريد الاسرائيليون أن يفعلوه بمياه نهر الأردن أكثر من اهتمامه بما يدور من مذابح على ضفاف نهر دجلة . تلك المشروعات التى بسببها أوقف ايزنهاور معونته لإسرائيل حتى تعدل عنها وقد تم تسوية الوضع بعد ذلك واستأنف الاسرائيليون العمل فى المشروع . وهو باختصار نقل مياه نهر الأردن عن طريق مواسير ضخمة تخترق اسرائيل الى صحراء النقب لاستصلاحها . وهذا المشروع - إذا تم - سوف يحرم البلاد العربية المجاورة لاسرائيل من الانتفاع بمياه الأردن فإن حوالى ٧٧ فى المائة من أرض الأردن سوف تتحول الى صحارى .

وكان أكثر من شعروا بالقلق هم السوريون وذلك لنشاط الاسرائيليين فى مرتفعات الجولان بالقرب من الحدود السورية وهى أراضى احتلتها القوات السورية فى حرب ١٩٤٨ وقد اعتبرت أراضى منزوعة السلاح طبقا لاتفاق الهدنة الذى تم بعد الحرب . وقد حاولت اسرائيل عدة مرات احتلال الأرض بارسال قوات مسلحة على هيئة فلاحين وكان السوريين يقومون بإطلاق النار عليهم . وكلما تقدم العمل فى مشروع تحويل مياه نهر الأردن - وكان ذلك خلال عام ١٩٦٣ - كلما زاد ضغط السوريين على عبد الناصر لكى يفعل شيئا يوقف به تقدم المشروع خصوصا وهو يتولى زعامة العرب ولذلك كان عبد الناصر فى موقف حرج فإذا كان هو قادرا على محاربة اليمن فهو يعلم يقينا أنه ليس

نداً لاسرائيل فى ذلك الوقت . ولذلك فقد دعى عبد الناصر الى عقد قمة عربية فى القاهرة فى أوائل عام ١٩٦٤ للاتفاق على سياسة موحدة ضد اسرائيل ولم يكن غرضه بالقطع هو اعلان " الجهاد " ضد اسرائيل بل العكس هو أن يلزم سوريا أن لا تقوم بعمل مفاجئ وبلا حرص لكى تدفعه الى الحرب وحصل عبد الناصر على تأييد مؤتمر القمة لانشاء " جبهة تحرير فلسطين " لنفس الهدف أى حتى لا يقوم الفلسطينيون بأعمال مفاجئة وغير مسئولة ضد الاسرائيليين تدفع الدول العربية الى حرب هم على غير استعداد لها . ولم يكن عبد الناصر يهدف بذلك أن يكون " رأس حربة " لتحرير فلسطين كما يبدو للوهلة الأولى ولكن غرضه كان جعل الفلسطينيين ملتزمين بسياسة معينة . وقد قام عبد الناصر بعقد مؤتمرات أخرى على مستوى القمة ولكنها كانت تفشل فى توحيد الصفوف . وقد قام بعض الفلسطينيين المناوئين لأحمد الشقيرى - الذى اختاره عبد الناصر ليرأس جبهة تحرير فلسطين - قاموا بتكوين جبهة مناوئه اطلقوا عليها اسم " فتح " وقاموا بأولى هجماتهم من سوريا فى أول أيام عام ١٩٦٥ على مشروع اسرائيلى للمياه .

وبينما كان عبد الناصر يناضل لكى لا تحدث ضربة غير محسوبة ضد اسرائيل كان موقفه كزعيم للعرب - بغير منازع - يتزعزع . فقد قامت حركة " القوميين العرب " - التى أستغلها عبد الناصر للوقوف فى وجه " حزب البعث " خارج مصر - على سبيل المثال يرفض زعامته فى عام ١٩٦٥ . وعلى صعيد أخر حدث انقلاب فى الجزائر ضد صديقه " بن بلا " فى صيف عام ٦٥ . وفى مراكش تم القبض على الزعيم المراكشى " المهدى بن بركه " - أحد اصدقائه بمساعدة المخابرات الفرنسية وقتل بالتعذيب . كما تم اقصاء الرئيس "سوكارنو" رئيس اندونسيا بانقلاب ساعدته الوكالة الأمريكية للمخابرات . ولكي يزداد الامر سوءا فقد قام الرئيس الأمريكي" لندون جونسون " بقطع المعونة الغذائية عن مصر التى كان قد قررها الرئيس كندى من قبل وأبدى الرئيس السوفييتى - الذى خلف خروشتشوف عام ١٩٦٤ عدم الاهتمام بدول العالم الثالث كسلفه وقال لعبد الناصر فى ابريل سنة ١٩٦٥ فى موسكو أن الروس سوف يخفضون المعونة الاقتصادية لمصر ولو أنهم أصروا على أن تستمر حرب اليمن . ولم تغير كل هذه المصائب من وجهة نظر الوكالة فى بأن عبد الناصر خصم لدود للولايات المتحدة هو وحلفاؤه من الروس وأنه يشكل تهديدا خطيرا للملكة العربية السعودية وأنه لابد من التخلص منه . وقد شاركتهم فى هذا تماما اسرائيل .

وقد سافر الى واشنطن " مائير أميت Meir Amit " رئيس الموساد الذى خلف " ايسار هاريل " للتباحث مع الوكالة الامريكية فى الخطط الواجب اتباعها من الجانبين للتخلص من عبد الناصر فقد كانت اسرائيل منزعجة من سيطرة الروس على جنوب

البحر الأحمر الذى يبعد عن مدى الطيران الممكن لطائراتهم . وقد حاولوا جهدهم للحصول على حق استخدام مطارات للهبوط فى أثيوبيا ولكنهم فشلوا وكانت خطة " أميت " هى تكوين حلف من اسرائيل والأردن والمملكة العربية السعودية تتحالف معه الولايات المتحدة للتصدى للتغلغل الشيوعى . وقد كان مثل هذا التحالف موجود بشكل خفى كما ظهر أثناء عملية معاونة اليمنيين الملكيين . وكان هذا التحالف سوف يشمل وجودا عسكريا أمريكيا فى الخليج وسوف يفرض ضغطا متزايدا على الجهاز العسكرى الأمريكي الذى كان مشغولا تماما في حرب فيتنام . واستدعي هذا التخطيط المقترح اللجوء الى جيمس انجلتون صديق اسرائيل الصدوق لكى يضغط على زملائه من اعضاء الوكالة المتخصصين فى الشئون العربية لكى يساندوا هذا الاقتراح .

وفى فبراير سنة ١٩٦٦ وقعت حادثتان ترجحان انتشار النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط . الأولى اعلان بريطانيا أنها سوف تنسحب من ميناء عدن - المجاور لموقع عبد الناصر فى اليمن - وذلك قبل عام ١٩٦٨ وبذلك سوف تتخلى عن وظيفتها " كعسكرى بوليس الخليج " وبعد يومين من هذا التصريح البريطانى وقع الحادث الثانى وهو انقلاب عسكرى فى سوريا بقيادة أحد الضباط الشبان يدعى " حافظ الأسد " الذى كان أكثر اتجاها لليسار من سابقه ومن غلاة حزب البعث الذين فقدوا ثقتهم فى عبد الناصر واعتبروا أنفسهم ندا له . وانضمت سوريا كلية الى المعسكر الشيوعى ولأول مرة فى تاريخها يدخل البرلمان السورى عضو شيوعى . ولكن ما خفى من العين فى ذلك هو أن حزب البعث السوري له مبادىء أخرى تختلف عن الحزب الشيوعى ورغم أن زعيم الحزب الشيوعى السورى قد سمح له بالعودة الى البلاد إلا أنه كان محروما من المشاركة السياسية الفعالة فى الحكم .

وقد ناصر السوفييت هذا الانقلاب بعد قليل من التردد ووعدوا بتقديم معونات اقتصادية وعسكرية والمساهمة فى مشروع سد الفرات .

قام رئيس الوزراء السوفييتى الكسى كسيجين Alexei Kosygin فى مايو سنة ١٩٦٦ بزيارة للشرق الأوسط كمحاولة لشد أزر الدول المتعاطفة مع روسيا لتستطيع أن تتصدى للتعديدات الموجهة إليها من الأمريكيين والسعوديين والاسرائيليين وقد اقترح كسيجين قيام حلف بين مصر وسوريا والجزائر والعراق . ولكن سوريا والعراق كانا على خلاف شديد نتيجة خلافات بين جناحى حزب البعث الحاكم فى كل منهما بالاضافة الى أن معاونة روسيا لسوريا فى انشاء سد الفرات سوف يحرم العراق من الانتفاع بجزء كبير من مياه النهر . وكانت سوريا ومصر على علاقة سيئة بينهما كان عبد الناصر على غير وفاق مع النظام الحاكم فى الجزائر نظرا لقيامهم باعتقال صديقه بن بللا . وكانت الوكالة الأمريكية في هذه الأثناء تتابع الموقف من كثب وهي متاكدة من فشل محاولة الاتحاد

السوفييتى فى تنظيم الاتحاد العربى ، رغم المبالغات الصهيونية فى هذا الشأن . وقد تمكنت الوكالة خلال فترة حكم " كندى " ومهادنته لنظام عبد الناصر من اعادة اتصالاتها بأصدقائها القدامى أمثال صلاح نصر رئيس المخابرات المصرية ، الذى كان يتغامز على الاقتراح السوفييتى باقامة حلف بين الدول العربية .

وكان عبد الناصر يعلم أن الاقتراح السوفييتى غير ممكن تحقيقه . وأنه بصرف النظر عما يقوله السياسيون القدامى فإن زمام المبادرة فى يد اسرائيل . وقد قال مرة فى اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى مايو سنة ١٩٦٥ عندما اعترض السوريون عل موقفه من قوة الطوارىء الدولية التى سمح لها عبد الناصر بالبقاء على الحدود المصرية فى حين رفضت اسرائيل دخولها أراضيها " يجب أن يكون لنا خطة واضحة قبل أن أقوم بطرد قوة الطوراىء الدولية . ماذا يجب أن نفعل إذا هاجمت اسرائيل سوريا ؟ هل أهاجم أنا اسرائيل ؟ إذا اسرئيل هى التى تملك زمام المبادرة ويجب علينا أن يكون زمام المبادرة فى أيدينا . وقد كانت القيادة السورية - لسوء حظ عبد الناصر - التى تولت الحكم فى البلاد عام ١٩٦٦ تؤوى الفصائل الفلسطينية التى تهاجم اسرائيل . وكان " ياسر عرفات " قائد " فتح " - وهى أكبر مجموعة من الفصائل الفلسطينية - يحبذ القيام بهجوم على اسرائيل قبل أن تكبر ويصبح تحطيمها أكثر صعوبة . ولو أن السوريين لم يكونوا متفقين فى هذا الرأى مع عرفات إلا أنهم رحبوا بقيام الفلسطينيين بالهجمات على الحدود ليداروا بذلك ضعف قواتهم وعجزهم فى السلاح والعتاد . ولقد نجح عبد الناصر فى اقناع السوريين بوقف هجمات الفدائيين الفلسطينيين على اسرائيل ولكن ذلك لم يغير من سياسة اسرائيل .

وبالعكس من سياسة السوريين فإن الملك حسين ملك الأردن بذل جهده لوقف هجمات الفدائيين فقد كان هدفه - أن يعيش فى هدوء واستقرار وسط تلك المنطقة المليئة بالقلاقل والاضطرابات . ولسوء حظه فقد قام بعض الفدائيين فى اكتوبر ونوفمبر ١٩٦٦ ببعض الغارات ضد الاسرائيليين وقتلوا ثلاثة منهم وجرحوا أحد عشر شخصا . فقام الاسرائيليون فى اليوم التالى بغارة على بلدة اردنية على الحدود بواسطة طابور مدرع قوامه أربعة آلاف جندى اسرائيلى وطردوا أهلها منها وقاموا بنسف ١٢٥ منزلا فيها ومستشفى ومدرسة ومصنعا وقد ثارت ثائرة الفلسطينين اللاجئين بالأردن وقاموا بمظاهرات ضد الملك حسين وهتفوا بسقوط الملكية وطلبت منظمة التحرير الفلسطينية بعقد مؤتمر للجامعة العربية وطالبت الجيش الأردنى بالثورة ضد " الملك الخائن " وطالب النظام الحاكم فى سوريا بالثورة ضد " عرش الخيانة " وصبت اذاعة " صوت العرب " جام غضبها على " الملك الصغير " ورد راديو عمان باتهام عبد الناصر بانه يتخفى خلف قوة الطوارىء الدولية . وقام الملك حسين بعد ذلك باغلاق مكاتب المنظمة الفلسطينية فى عمان

والقى بقادتها فى السجن وقد وصف أحد المعلقين السياسيين الغارة الاسرائيلية على الأردن بأنها زادت من ثورة العالم العربى وأشعلت الخلافات بينهم ودفعتهم الى حافة الهاوية . ومن الصعب الاعتقاد أن ذلك كله قد حدث بدون ترتيب مسبق . على أن الجبهة السورية قد ظلت فى حالة توتر طوال شتاء عام ١٩٦٦ . وفى ابريل عام ١٩٦٧ أعلنت الصحافة الاسرائيلية أن الحكومة قررت زراعة جزء من الأرض المنزوعة السلاح التى كان السوريون يصرون على أنها تابعة لهم .

وفى ٧ ابريل سنة ١٩٦٧ أى بعد أربعة أيام من تصريح الصحافة الأسرائيلية قام جرار اسرائيلى يحرث المنطقة المشار إليها فامطرته المدفعية السورية بالقنابل فاندفعت القوات الاسرائيلية - التى كانت معباة مسبقا - مهاجمة الحدود السورية بالدبابات والمدفعية والطائرات . وقتل فى هذا الهجوم حوال يمائة جندى سورى واسقطت ست طائرات سورية دون أى خسارة من الجانب الاسرائيلى . وقد كان للضربة الاسرائيلية لسوريا رد فعل على عبد الناصر . فقد عايره السوريون بجبهته وتساءل السعوديون لماذا لم يهاجم عبد الناصر الجبهة الجنوبية وقالت أن الذى يتوقع من عبد الناصر أنه سيهاجم اسرائيل فإنه سوف ينظر وقتا طويلا جدا . ونعى عليه الأردن سماحة للسفن الاسرائيلية بالمرور فى مضيق تيران .

وفى نهاية ابريل ١٩٦٧ تلقى عبد الناصر تحذيرا من السوفييت من أن الاسزائيليين سوف يقومون بمهاجمة سوريا . وفى ٨ مايو قامت بعثه سوريه بزيارة القاهرة حاملة نفس التحذير السوفييتى ومن الصعب التكهن ما إذا كان لدى السوفييت أى شواهد تدخل على الهجوم الاسرائيلى على سوريا . فإذا كان زعمهم هذا من ضرب الخيال فإنهم بذلك يدفعون المنطقة الى حافة الحرب ربما على أمل التخلص من اسرائيل وإذا كان لديهم ما يؤيد ذلك فإنهم قد قاموا بتحذير صديق مهزوز . وقد ادعى عزرا وايزمان فى عام ١٩٧٢ أنه لم يكن فى نيه اسرائيل شن هجوم واسع المدى على سوريا وأنهم بعد حادثة ضرب الجرار الاسرائيلى واسقاط الطائرات السورية سحبت اسرائيل قواتها الى الشمال . وعلى أى حال فإن اسرائيل لم تعمل على تهدئة الموقف بعد ذلك فقد صرح الجنرال اسحق رابين فى راديو اسرائيل بتاريخ ١١ مايو " سوف يأتى اليوم الذى تدخل فيه الى دمشق لكى تتخلص من الحكومة السورية إذ يبدو أن العمليات الحربية هى التى يمكنها أن توقف تهديدات اعدائنا بالحرب ضدنا " . وبعد يوم واحد م هذا التصريح الفظ من رابين - الذى لم تنشره الصحف الاسرائيلية - صرح الجنرال " أهارون باريف Aharon Yariv " رئيس هيئة المخابرات الحربية الاسرائيلية لمندوبى الصحف عقب احدى هجمات الفدائيين على الحدود السورية الاسرائيلية فقال " . . . يجب أن توضح بجلاء للسوريين أننا لا يمكن أن تقبل الاستمرار بهذا الشكل وأعتقد أن الطريقة الوحيدة لكى يفهموا ذلك هى القوة . . .

وعلينا أن نستعمل القوة لكي يقوم المصريون باقناع السوريين بذلك . . . وأعتقد أن الطريقة الوحيدة المؤكدة لهذه المشكلة هي عملية حربية على نطاق واسع " . ورغم أن ياريف كان يهدد سوريا إلا أنه كان يعلم أن عبد الناصر سوف يتحمل النتيجة لأنه لا يستطيع أن يقف ساكناً أمام الأحداث .

وعلينا أن نلاحظ أنه رغم المخاوف السابقة من تدخل الروس لصالح حلفائهم السوريين فإن ياريف لم يلق بالا لذلك فى تصريحاته فقد أشار الى أن السوفييت قد استغرقوا أربعة عشر يوما بعد معركة ٧ أبريل لكى يعلقوا عليها . وأنه فيما عدا احتمال قيام السوفييت بسباب الاسرائيليين أو بوقف هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل - التى كانت قائمة على اشدها فى ذلك الوقت - فإن السوفييت لن يقوموا بأى عمل ضد الاسرائيليين فى أغلب الأحوال . وقد كان الجنرال " ياريف " يردد - فى حقيقة الأمر - نفس المزاعم التى كان اعداء ناصر فى الأردن والسعودية يرددونها عبر اجهزة الاعلام : عبد الناصر ضعيف - الزعيم العربى الأوحد لن يحرك ساكنا - سوف تكون سوريا تحت رحمة اسرائيل . كل ذلك لكى يدفعوا عبد الناصر للتحرك فى حالة هجوم شامل على سوريا . وضعت تصريحات ياريف فى عناوين الصفحات الأولى فى جريدة " نيويورك تايمز New York Times "

وبدأ عبد الناصر يتحرك بعد هذا السيل من الاداعاءات الذى وصفه " بالصفاقه الاسرائيلية " . فأمر فى ١٤ مايو بتحريك فرقتين من الجيش الى سيناء . وعندما سمع كبار القادة لإسرائيليين بذلك أثناء اجتماعهم للاحتفال بيوم التحرير لم يبد عليهم الاهتمام ولم تصدر أى أوامر بالتعبئة العامة . ورغم هذا الاستعراض للقوة فإن عبد الناصر كان يعاير بانه يحتمى خلف قوات الأمم المتحدة فقام رئيس الأركان المصرى فى ١٦ مايو بطلب سحب قوات الطوارىء الدولية من قطاع غزه . ولم يشر الطلب الى القوة الموجوده فى شرم الشيخ على خليج العقبة التى يؤمن وجودها مرور البواخر الاسرائيلية للبحر الأحمر والمحيط الهندى . وقد أصر سكرتير الأمم المتحدة " يوثانت " - لأسباب غير مقنعة - أن انسحاب أى قوة من قوة الطوارىء يعنى انسحاب كل القوة من المنطقة . فاضطر عبد الناصر أن يطلب انسحاب كل أفراد قوة الطوارىء الدولية .

ورغم أن تدعيم الجيش المصرى فى سيناء بفرقتين لا يعد عملا من أعمال الحرب - فقد قام عبد الناصر فى عام ١٩٦٠ بتدعيمها قبل ذلك - إلا أن غلق المضايق فى وجه الملاحة الاسرائيلية يعتبر كذلك وقد استغرق عبد الناصر ثلاثة أيام لاتخاذ قرار اغلاق المضايق ربما على أمل أن يحاول طرف ثالث حل هذه المشكلة . ولكن لم يتحرك أحد فاحتل عبد الناصر شرم الشيخ فى ٢١ مايو واعقبه بتصريح قال فيه أنه يغلق خليج العقبة ضد أى سفينة تحمل بضاعة استراتيجية الى اسرائيل . فاصدرت القيادة الاسرائيلية أمرا

بالتعبئة العامة وقررت بدء الهجوم فى ٢٥ مايو .

وحتى هذه اللحظة كان معظم العالم فى حالة ترقب . واسرائيل الصغيرة محاطة باعدائها من كل جانب . ولكن السوريين – من جانبهم – كانوا يعلمون أن نصف قواتهم المدرعة – ٥٠٠ دبابة – غير صالحة للعمل وأن سلاح الطيران ليس به إلا ١٠٠ طائرة طراز ميج ١٧ التى عفى عليها الدهر وجيشهم ملىء بالمؤامرات ونصف ضباطهم معتقلون أو منغمسون فى المؤامرات . وكان أقصى ما فعلته سوريا فى اتجاه الحرب هو تفجيرها لسيارة ملغومة على الحدود الأردنية وقتل فى هذا الحادث واحد وعشرون اردنيا . وقام الملك حسين بقطع علاقاته الدبلوماسية مع سوريا .

وبالرغم من ضخامة الجيش المصرى – مئتى الف جندى نظامى – فقد كان ثلثه موجود فى اليمن ولم يكن فى حالة استعداد لحرب شاملة فقد قام عبد الناصر بتعيين عدد كبير من ضباطه فى الشركات والوظائف المدنية . ووصف أحد الجنود الاسرائيليين الحال عندما دخلوا غزة قائلا " عندما وصلنا الى قيادة الجيش المصرى وجدنا جميع الضباط العظام المصريين قد وقفوا فى طابور واحد وهم يرتدون ملابس عسكرية أنيقة ومع كل منهم جندى يحمل حقيبة فيها ملابس رئيسه استعدادا للاعتقال إلا القائد الأعلى فقد كان الجندى يحمل له حقيبتين ! وقد حدثت مشكلة كبيرة عندما كان لابد من فصل الجنود عن الضباط " . إن الجندى ينظر للضابط كمثل أعلى ولم يكن المثل الأعلى للجيش المصرى – ممثلا فى الفريق عامر – مثلا طيبا فقد كان معروفا عنه تدخين الحشيش

وعلى الناحية الأخرى كان الجيش الاسرائيلى جيشا عركته التجارب وله خبرة طويلة فى الحروب . وكان رؤساؤه أمثال رابين ووايزمان وشارون وغيرهم ذوى خبرة طويلة منذ حرب التحرير وقبلها وكان تسليحه جيدا ليس فقط بأسلحة اسرائيلية ولكن أيضا باسلحة أجنبية تمثل قمة التطور مثل طائرات " الميراج " الفرنسية وكثير من الأسلحة والذخائر الأمريكية .

وعندما قام عبد الناصر باغلاق مضيق نيران وجد الاسرائيليون ذريعة للحرب . ولا يخفى أن ذلك كان بسبب ضغط الاسرائيليين على الحدود السورية والأردنية وهذا يوضح بجلاء أن رجال الحرب الاسرائيليين كانوا يعرفون ماذا يصنعون . ولما تصاعد الموقف اجتمع قادة اسرائيل فى الأيام العشرة الاخيرة من مايو لبحث الموقف . ويحكى أن فى ٢٣ مايو أثناء أحد هذه الاجتماعات انتابت اسحق رابين نوبة انهيار عصبى وطلب الاستقالة من رئيسه عزرا وايزمان فقال له وايزمان " . . . إنك سوف تكون بطلا قوميا سوف تصل الى قناة السويس والأردن . . . " وأمام هذا الاغراء عدل رابين عن استقالته . فقد كان الجنرالات الاسرائيليين يعلمون أنهم يستطيعون اجتياح وتحطيم الجيش المصرى فى أي وقت ولكن رئيس الوزراء ليفى أشكول كان يريد الانتظار حتى يرى الضوء الأخضر

من واشنطن . فلم يكن يريد أن يقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه بن جوريون عام ١٩٥٦ عندما هاجم مصر دون اذن من الامريكيين وحرم من أن يجنى ثمار انتصاره . ولكن بينما كانت اسرائيل تستعد للحرب بداو كان الامريكيين يرغبون فى حل سلمى للمشكلة الخاصة بمضيق تيران وبذلك يحرمون الاسرائيليين من ذريعة بدء الحرب .

وقد انتاب المؤيدون لاسرائيل فى أمريكا الخوف - كما انتاب الاسرائيليين انفسهم - من التهديدات الدموية التى كانت تتوالى من العواصم العربية ضد اسرائيل . وكانوا يخشون أن تتحطم اسرائيل تحت جحافل الجيوش العربية . ولكن الرئيس الأمريكى " ليندون جونسون Lyndon Johnson " كان يعلم الحقيقة . فقد اخبره رجال الوكالة الأمريكية للمخابرات أن اسرائيل ليست معرضة لخطر قاتل على الاطلاق وأن عبد الناصر ليس على استعداد للدخول فى حرب فبعد اغلاق المضايق اتصلت الوكالة بصديقهم صلاح نصر سائلة إياه عن حقيقة الأمر . فاضطجع " نصر " فى كرسيه وقال لهم " لا تخشوا شيئا إننا سنذهب بالمشكلة الى لاهاى " يقصد محكمة العدل الدولية .

ولم يكن الرئيس الأمريكى جونسون يولى المشكلة اهتماما كبيرا ولكنه كان يخشى من تدخل السوفييت لصالح عبد الناصر مما يؤثر على المصالح الامريكية فقام بتهدئة الاسرائيليين ووعدهم بمائة عربة مدرعة وقطع غيار وتحسينات للصواريخ " هوك " وعشرين مليونا من الدولارات كقرض . وقام " أبا إيبان Abba Eban " وزير الخارجية بالسفر الى واشنطن لتدعيم الجبهة الدولية نظرا لصلاته القوية واسلوبه السياسى فى معاملة الدول الاجنبية . وقد توقف خلال رحلته فى باريس حيث قابل الجنرال دى جول الذى قال له إن اسرائيل سوف تفقد تاييد فرنسا إذا بدأت بالهجوم أولا . ولكن هذا التحذير لم يكن ذا فائدة كبيرة حيث أن اسرائيل لم تكن تعتمد على المعدات العربية الفرنسية كما كانت أيام حرب ١٩٥٦ . وتوقف " ايبان " بعد ذلك فى لندن حيث أخبرته الحكومة البريطانية - بحسن نيه أو بسوء نيه - أنها سوف تقوم بتاييده معنويا ليس أكثر . وعندما وصل إيبان الى الولايات المتحدة وجد برقية من رابين فى انتظاره تطلب منه اخطار الامريكيين أن المصريين والسوريين على وشك الهجوم عليها وأن على امريكا مساندة اسرائيل عسكريا وإلا فسوف تقوم اسرائيل بالهجوم وحدها .

وكانت الحكومة الأمريكية - شأنها فى ذلك شأن الحكومة الاسرائيلية - متأكدة أن هذا الاحتمال بعيد الحدوث . ولكن الحكومة الاسرائيلية حرصت على عدم ابلاغ مؤيديها من الأمريكيين بهذا الوضع بل على العكس قامت بتضخيم التهديدات التى كان عبد الناصر يقولها فقد قال عبد الناصر فى ٢٦ مايو " إذا قامت اسرائيل بالهجوم ضد سوريا أو مصر فإن الحرب ضد اسرائيل ستكون عامة " وبعد يومين قال " إذا اختارت اسرائيل الحرب فإننا نرحب بذلك " وهكذا استمر عبد الناصر فى الدعوة للحرب - رغم أن أصدقاءه

الروس قد نصحوه أن لا يكون البادى بالهجوم ، وإن كان يضمن تهديداته بانه لن يطلق الرصاصة الأولى . ولكن هذا التحفظ لم يكن يشفع له دوليا فى الغرب بل أدت تصريحاته الى مزيد من الضغط على جونسون .

وقد حاول كل من " أرثر جولدبرج Arthur Goldberg " مندوب امريكا فى الأمم المتحدة وأبى فورتاس Abe Fortas وكلاهما من مشايعى اسرائيل الضغط على الرئيس جونسون كى يوافق على الهجوم على مصر ولكنه لوح لهم بتقرير الوكالة الأمريكية للمخابرات الذى تؤكد فيه أنه لو قامت حرب بين اسرائيل ومصر فإن مصر ستهزم فى ستة أيام وأكدت الوكالة هذا التقرير بتقرير آخر فى ٢٥ مايو سنة ١٩٥٦ . وهكذا عاد أبا إيبان الى اسرائيل ثانية دون أن يحصل على موافقة صريحه من امريكا على مهاجمة مصر .

وبينما كل هذه المساعى السياسية قائمة كان الجنرالات الاسرائيليون فى منتهى الهدوء فقد كانوا واثقين من النصر ولكنهم أرادوا أن تضع الحكومة الاسرائيلية وقتا محددا تنهى فيه اتصالاتها السياسية يبدأ بعدها الجيش فى التحرك نظرا لانهم يعتقدون أن الوقت ليس فى صالحهم وأن عنصر المفاجأة - التى تعتمد عليها الجيش الاسرائيلى - سوف يضيع تأثيره بمضى الوقت ، ويجعل الموقف أكثر صعوبة بالنسبة للجيش . وكاد الموقف ينقلب الى " تمرد " من الجيش ضد الحكومة لترددها فى الهجوم خصوصا بعد أن رأت الحكومة عودة " الاحتياط " الى الحياة المدنية . ولكن العسكريين لم يطيعوا هذا الأمر واستدعوا مزيدا من الاحتياط للخدمة العسكرية وفى نفس الوقت كان " موسى ديان " بطل حرب ١٩٥٦ " ومهندس " قوات الدفاع الاسرائيليين والذى انزوى من الحياة العامة بعد استقالة بن جوريون كان قد بدأ يسعى بشدة ليتولى وظيفة وزير الدفاع وقام بالطواف على وحدات الجيش فى الجنوب حيث رحب به كبار الضباط ونعوا على الحكومة تراخيها فى الهجوم كما قام كبار رجال الصحافة بلوم الحكومة فى جرائدهم لذلك . وأخيرا رضخ ليفى أشكول رئيس الوزراء واستدعى ديان لوزارة الدفاع في أول يونيو ١٩٦٧ كما استدعي أيضا الارهابي السابق مناحم بيجين للوزارة .

ورغم كل الضغوط على الحكومة الاسرائيلية من جنرلات الجيش فقد استمرت فى ترددها خوفا من الروس . وقد أوضح أشكول أن تسليح الجيش الاسرائيلى معظمه من الخارج وما لم يتمكن من الحصول على تأييد احدى الدول العظمى فقد يصبح الانتصار عديم القيمة . ولقد كان الجنرالات محقين فى ضغطهم على الحكومة الاسرائيلية لأنه فى أول يونيو وصل الى القاهرة أحد كبار المبعوثين الامريكيين " روبرت أندرسون Robert Anderson " من كبار رجال البترول وتفاوض مع عبد الناصر فى ايجاد حل وسط لمرور الاسرائيليين من مضيق تيران عن طريق رفع سفنهم لعلم محايد - ليبريا مثلا - ووافق عبد الناصر على ارسال وزير خارجيته الى واشنطن لبحث هذا الأمر هناك بعد اسبوع

وبذلك تقلت الفرصة للخلاص من عبد الناصر لأن أمريكا لن تعطى الضوء الأخضر للهجوم فى هذه الحالة .

وهنا جاء دور رئيس المخابرات الاسرائيلى لكى يقوم باتصالاته مع " أصدقائه " رجال وكالة المخابرات الأمريكية فقام رئيس الموساد " ماير أميت Meir Amit " بشد رحاله الى أمريكا فى ٣٠ مايو . ويتميز " أميت " بالصلابة والدقة وهو يعلم تماما مع من يجب أن يتكلم وماذا يقول . وتقابل مع رئيس الوكالة ريتشارد هلمز ووزير الدفاع الأمريكى روبرت ماكنامارا وقد أنكر كلاهما أنهما صرحا لأميت بالدخول فى الحرب .

اجتمع فى مساء ٣ يونيو مجموعة منتقاه من رجال اسرائيل فى منزل رئيس الوزراء ليفى أشكول منهم موشى ديان واسحق رابين وأبا إيبان واسرئيل لبور وكانوا جميعا فى انتظار " ماير أميت " عند عودته من واشنطن . ويقول " ليور " فى مذكراته " وهنا وصل ماير أميت الذى أرسل الى واشنطن لأن " إيبان " لم يتبين الاتجاهات الحقيقية للامريكيين . وجلسن أميت وكل الانظار متجهة اليه والجميع على يقين أنه بعد أن ينتهى "أميت " من الكلام سوف يتضح الأمر حرب . . . ام سلام . وكان جزء من مهمة " أميت " أن يتاكد من أن المخابرات الأمريكية والاسرائيلية قد أتفقا على رأى واحد بالنسبة للوضع السياسى والحربى فى الشرق الأوسط . وقد قال أميت فى ذلك أنه ليس هناك اختلاف ذو قيمة ولكن الأمريكيين ليسوا على استعداد لاستخدام اسطولهم لفك الحصار على المضايق ثم تمهل قليلا قبل أن يرد على السؤال الملح ف يرأس الجميع وقال " لقد فهمت أن الأمريكيين سوف يباركون أى محاولة تقوم بها لتحطيم عبد الناصر " . ويصف لبور رد فعل الموجودين بالغرفة عند سماعهم ذلك فقد بدوا مذهولين فقد كانو معتقدين أن الأمريكيين لن يسعدهم أن نعلن الحرب ولكن كلام " أميت " على نقيض ذلك . وقد قرر المجتمعون بعد سماعهم لتقرير " أميت " الدقيق أن يخطروا مجلس الوزراء فى اليوم التالى أن اسرائيل سوف تعلن الحرب . ولما كان " أشكول " قد وثق من مساندة أمريكا فإن موافقة المجلس ستكون شكلية فقط .

وربما لن تعرف على وجه اليقين ماذا بحث رئيس الموساد فى أمريكا ومع من . ولابد أنه تقابل مع " جيمس انجلتون " الوسيط الرئيسى مع الموساد فلاحظ " أميت " أنه ليس هناك اختلاف ذو قيمة بين أجهزة مخابرات البلدين . وكما رأينا من قبل فإن الوكالة الأمريكية كانت على ثقة أن عبد الناصر لن يبدأ بالعدوان وأن اسرائيل سوف تنهى الحرب مع العرب - فى حالة اشتعالها - فى خلال ستة أيام . ولذلك لم يكن هناك شك لأي شخص على دراية بهذه المعلومات أن يتردد فى فهم معنى " تحطيم عبد الناصر " - ان ذلك يعنى هجوما اسرائيليا .

وقد كانت زيارات " أميت " السابقة لواشنطن محاولة لاقناع امريكابعمل اتحاد

صريح ضد ناصر ولما فشلوا فى ذلك قرروا القيام بذلك وحدهم . وكانت مهمة هذا الاتحاد واضحة وهى تحطيم عبد الناصر كقوة سياسية أى بمعنى أصح استئناف مهمة تحالف ١٩٥٦ . فقد قام الاسرائيليون بهجومهم عام ٥٦ دون أخذ موافقة الامريكيين ولهذا السبب قام الرئيس ايزنهاور بلا تردد بأمرهم بالتوقف وانسحابهم من حيث أتوا . وقد فهم " أشكول " أنه لا يجب أن يتكرر الخطأ مره ثانية . وها هو رئيس مخابراته قد عاد من أمريكا ومعه تصريح أمريكى بـ " تحطيم عبد الناصر " والسؤال الآن هو " هل قام الاسرائيليون وحدهم بالتحضير لحرب يونيو ٦٧ ؟؟ " ويقول أحد المصادر المسئولة فى الوكالة الأمريكية أنها - أى الوكالة - قد شاركت بجهد ملحوظ فى التحضير لهذه الحرب وعلى رأسها " جيمس انجلتون " - صديق اسرائيل الحميم - وأنها استغرقت عاما كاملا من الاستعدادات والمؤامرات من الوكالة واسرائيل معا . وعلى أى حال سواء كان الاسرائيليون قد قاموا بمفردهم بهذا المجهود - والموساد قادره على ذلك - أو بمساعدة " انجلتون " فلم يكن يضيرهم أن يشيروا الى بأن " انجلتون " قد قام بدور كبير فى هذا المجال . ولكن السؤال الهام الآن هو ماذا قال " أميت " فى اجتماعاته مع رؤساء الوكالة فى أول وثانى يوم من يونيو ؟ فإذا كانوا قد قررو " تحطيم ناصر " فإن تقطيع أوصال الملك حسين لم يكن هدفهم . فقد بذل الملك حسين جهده - منذ الغاره الاسرائيلية عل يقرية الحدود الأردنية - أن يبقى بعيدا عن الاحداث السياسية التى تدور حوله .

وكانت العلاقة بين الأردن وسوريا وبين الأردن وأحمد الشقيرى سيئه وكانت الأجواء الأثيرية مليئة بالشتائم بين الأطراف المتنازعة . ولم يكن للملك حسين اصدقاء كثيرين ولكن يبدو أن الولايات المتحده كانت واحدا منهم بدليل الحقائب التى كانت تصل إلى القصر الملكى فى عمان مليئة بالنقود من رئيس وحدة الوكالة فى عمان بانتظام ولقد أرسل الملك حسين برقية إلى الرئيس الأمريكى جونسون يعبر فيها عن قلقة ورد عليه الرئيس جونسون ببرقية قال فيها : "لقد أخطرنى السفير بقلق جلالتكم من السياسة الاسرائيلية ومن خوفكم أن تعمد اسرائيل إلى احتلال الضفة الغربية لنهر الأردن . وإنى مُتَفهِّم لقلق جلالتكم فى هذا الشأن ولكنى أؤكد لكم أن لدى من الأسباب القوية مايجعلنى أثق أن ماتخشاه جلالتكم لن يتحقق .... وقد أوضح مندوبنا فى إسرائيل أنه إذا انتهجت اسرائيل السياسة التى تخشاها جلالتكم فسيكون لها عواقب وخيمة . وقد اقتنعت اسرائيل تماما بذلك ..... " . وكان الملك حسين يتصرف على أنه فى حماية إسرائيل ولكن مع تصاعد الاحداث فى الشرق الأوسط فى أواخر مايو ٦٧ أحس بالخطر أمام اعدائه من العرب خصوصا الجنرالات السوريين الدمويين الذين دبروا انفجار الحدود فى ٢١ مايو .

وكانت العلاقة بين الأردن وسوريا وبين الأردن وأحمد الشقيرى سيئه وكانت الأجواء الأثيرية مليئة بالشتائم بين الأطراف المتنازعة . ولم يكن للملك حسين اصدقاء كثيرين ولكن يبدو أن الولايات المتحدة كانت واحدا منهم بدليل الحقائب التي كانت تصل إلى القصر الملكي فى عمان مليئة بالنقود من رئيس وحدة الوكالة فى عمان بانتظام ولقد أرسل الملك حسين برقية إلى الرئيس الأمريكى جونستون يعبر فيها عن قلقه ورد عليه الرئيس جونسون ببرقية قال فيها : " لقد أخطرنى السفير بقلق جلالتكم من السياسة الاسرائيلية ومن خوفكم أن تعمد اسرائيل إلى احتلال الضفة الغربية لنهر الأردن . وإنى متفهّم لقلق جلالتكم فى هذا الشان ولكنى أؤكد لكم أن لدى من الأسباب القوية مايجعلنى أثق أن ماتخشاه جلالتكم لن يتحقق . . . . وقد أوضح مندوبنا فى إسرائيل أنه إذا انتهجت اسرائيل السياسة التى تخشاها جلالتكم فسيكون لها عواقب وخيمة . وقد اقتنعت اسرائيل تماما بذلك . . . . " . وكان الملك حسين يتصرف على أنه فى حماية إسرائيل ولكن مع تصاعد الأحداث فى الشرق الأوسط فى أواخر مايو ٦٧ أحس بالخطر أمام اعدائه من العرب خصوصا الجنرالات السوريين الدمويين الذين دبروا انفجار الحدود فى ٢١ مايو .

وقد وازن الملك حسين بين احتمال الغزو الاسرائيلى الذي طمانه الرئيس الأمريكي من أنه لن يحدث - وبين التهديدات غير المعروف مداها من زملائه وجيرانه العرب الذين كانوا يتحدونه لمقاومة " الوقاحة " الأسرائيلية . وقرر أن يقوم بمقامرة :
ففى صباح ٢٩ مايو ارسل الملك برقية إلى عدوه اللدود عبد الناصر يقول فيها " لقد حان الوقت لكى تنسّق دولتانا الجهود ضد العدو الأسرائيلى " وسافر فى اليوم التالى بالطائرة إلى القاهرة وعندما عرف السوريون نبأ الزيارة اتصلوا بعبد الناصر ليعرفوا ماذا سيفعل مع " الخائن حسين " فرد عليهم عبد الناصر بأنه سوف يوقعه فى " المصيدة " : وقد انتاب رجال الوكالة فى عمان القلق الشديد من هذه الرحلة ولكنهم لم يكونوا يستطيعوا عمل شيء وقد رجع الملك حسين فى مساء نفس اليوم وهو مبتسما وقد زايله القلق . وجاء فى اعقابه مباشرة أحمد الشقيرى الأمر الذى أدهش جميع المراقبين لأن الشقيري قد قال عن الملك حسين " إن صراعنا موجه ضد الطاغيه فى عمان - حسين - الذي خان عهد الله والنبي والقضية الفلسطينية . ولكن شقيري لم يكن وحده بل جاء معه الجنرال المصري " عبد المنعم رياض " . فقد أبرمت بين مصر والاردن معاهدة دفاع مشترك نصت علي أن يتولي عبد المنعم رياض قيادة الجيوش الأردنيه في حالة الحرب . ويبدو أن حسين قد وقع في "المصيدة" . فتحت ستار الأزمة مع اسرائيل نجح عبد الناصر في أن يجعل أحد اعدائه من العرب - المعروف عنه ولائه للأمريكيين - يوقع معاهدة يعلن فيها صداقته الدائمة ويقبل فيها ليس جبهة التحرير الفلسطينية فقط ولكن أيضا قيادة

مصرية لقواته . وقد اجتهد الأمريكيون لمعرفة ماذا حدث إلي أن قال لهم أحد رجال الحاشية " لاتقلقوا فلأول مرة منذ عدة أسابيع أستطيع أن أنام ملء جفوني . فلم يعد العالم العربي ضدنا الان " . فقد ظن الملك حسين انه استطاع -بهذه المعاهدة- أن يحوّل التيار العربي المضاد له والذي يخشي منه علي عرشه . فإذا قامت الحرب فإن هذه المعاهدة سوف تكون فكرة حكيمة .

وقد قال رتشارد هيلمز - رئيس الوكالة الأمريكية للمخابرات - أنه أرسل رسالة عاجلة إلي رئيس الولايات المتحدة أن اسرائيل -في أغلب الاحتمالات- سوف تعلن الحرب خلال بضع أيام بل لقد حددت يوم ٤ يونيو لبدء الحرب . وفي مساء اليوم نفسه بحث رئيس مكتب الوكالة في عمان عن الملك حسين ليخطره بأن اسرائيل ستقوم بالهجوم في اليوم التالي علي مصر وأن الحرب ستكون قصيرة وستكسبها اسرائيل . وعلي الأردن أن تبقي بعيدا عن القتال وإذا كان لابد من التعبير عن التضامن العربي فيكتفي بتنظيم بعض المظاهرات . ولن تتعرض اسرائيل للأردن في الحرب . وقد اهتم الملك حسين برسالة رئيس الوكالة في عمان وقام بالاتصال بعبد الناصر ليبلغه فحواها ليحذره . ولكن يبدو أن الرئيس المصري كان متاثرا بمقابلته لمندوب الرئيس جونسون - رجل البترول روبرت اندرسون -وبرحلة وزير خارجيته المرتقبه إلي واشنجطن ورفض تصديق الرسالة التي قالها الملك حسين .

وكما توقعت الوكالة وقعت الضربة علي عبد الناصر في صباح اليوم التالي وقاد الاسرائيليون ضربة ضد سلاح الطيران المصري في الساعة ٤٥ . ٧ بتوقيت اسرائيل (٤٥ . ٨ بتوقيت القاهرة) لعلم الاسرائيليين أن القاهرة في هذا الوقت يكون الطيارون المصريون في راحة بعد دوريتهم اليومية الصباحية وأن القيادة العليا سوف تكون في طريقها للمكاتب . وتم في خلال ساعتين تحطيم معظم القوة الضاربة للطيران المصري- ٣٠٩ طيارة من ٣٩٠ - مع ثلث الطيارين . وقد قال " موتي هود Motti Hod " قائد الطيران الاسرائيلي بعد ذلك بفخر " لقد خططنا للهجوم منذ سته عشر عاما . لقد عشنا وأكلنا ونمنا والخطة في ذهننا ولهذا السبب اتممناها بنجاح فائق.

وبعد ثلاثة ارباع ساعة من تحطيم الطيران المصري استدعي أحد المسئولين الاسرائيليين الجنرال "أود بول Odd Bull " النرويجي الذي كان يشغل مراقبا للقوات الدولية إلي وزارة الخارجية الأسرائيلية وأبلغه رسالة إلي الملك حسين فحواها أن اسرائيل لن تهاجم الأردن ولكن إذا قام الملك حسين بأي أعمال عدائيه ضد اسرائيل فسنضرب بكل قوة وعليه أن يتحمل نتائج ذلك . وبين المسئول الاسرائيلي للجنرال "بول " أن الحرب قد بدأت بين مصر واسرائيل عندما قامت الطائرات المصرية بغارة علي اهداف اسرائيلية وتصدّي لها الطيران الاسرائيلي وهذا طبعا كان كذبا فاضحا .

وقد وصل التحذير الي الملك حسين ولكن كما انخدع عبد الناصر بأن اسرائيل لن تهاجمه انخدع الملك حسين بما كان يذيعه راديو القاهرة من انتصارات مزعومه . وكانً ديّانً قد طلب من أجهزه الاعلام الاسرائيلية أن لاتذيع أنباء الانتصارات الاسرائيلية حتي تثير البلبلة بين العدو . وهكذا للمرة الثانية في اسبوع واحد وقع الملك حسين في " المصيدة " وبعد أربع ساعات من بدء المعركة قامت قواته -برئاسة الجنرال عبد المنعم رياض -بمهاجمة بعض المواقع الاسرائيلية وقامت بعض طائراته بضرب مطار اسرائيل . ولم تؤخذ مهاجمة الجيش الأردني لبعض المواقع الاسرائيلية ماخذ الجد . ولكن عندما هاجمت الطائرات الأردنية المطار الاسرائيلي صدر الأمر من الجنرال " موتي هود " بمهاجمة الأردنيين . وقد تم سحق الطيران الأردني في الحال وقام طيار اسرائيلي بتوجيه ضربة مباشرة بصاروخ جو-أرض إلي مكتب الملك حسين في عمّان فهدمه .

وكانت حصيلة اليوم الأول من القتال طبقا لتقرير قدمه مستشار الأمن القومي للرئيس جونسون كالآتي :

استولت القوات الأسرائيلية علي مدينة القدس القديمة بعد مقاومة عنيفة من كتيبه البدو بالجيش الأردني واستولي الجيش الاسرائيلي علي الضفة الغربية لنهر الأردن وقام بطرد المواطنين منها وضربهم بقنابل النابالم . وقد استدعي الملك حسين في اليوم التالي ريس مكتب الوكالة في عمان وقال له " .... الم تقل لي أن اسرائيل لن تهاجمني ؟ .... لقد استولوا علي نصف مملكتي حتي الآن . ماذا أفعل بحق الجحيم .. " وكان الملك حسين علي حق فلم يكن لديه أي شيء يمكن أن يفعله . وفي ٧ يونيو كان الأسرائيليون قد اتموا الأستيلاء علي القدس القديمة واصدر ديانً الذي كان صيته قد دوّى في الآفاق -البلاغ التالي " لقد تم توحيد القدس ولقد رجع إلينا قدس الأقداس ولن نخرج منه بعد الآن "

وكان مجلس الأمن قد أصدر قرارا بوقف اطلاق النار قَبِلَه الملك حسين علي الفور ولكن اسرائيل استمرت في العدوان حتّي أتمت احتلال القدس واحتلال سيناء حتي الضفة الشرقية للقناه ثم قبلت وقف اطلاق النار بعد ذلك . ولكن الحرب لم تكن قد انتهت بعد ففي يوم الجمعة ٩ يونيو أصدر " ديان " أمرا باحتلال مرتفعات الجولان السورية دون الرجوع إلي رئيس الوزراء أو إلي أركان حربه . وقد دافع السوريون -رغم قلة عددهم وسوء تسليحهم -بشجاعة لمدة يومين حتي انطلقت اشاعة أن الاسرائيليين قد استولوا علي خطوط امداداتهم فحدث ذعر بين القوات انتهي باستيلاء الاسرائيليين علي مرتفعات الجولان .

لقد انكشفت الأكاذيب والمؤامرات التي صاحبت حرب ١٩٥٦ نتيجة للخلافات السياسية بين العالم العربي . أما بالنسبة لحرب ٦٧ التي كان غرضها هو نفس الهدف من

حرب ٥٦ - وهو القضاء علي عبد الناصر - فإن ماصاحبها من مؤامرات وأكاذيب لم يتمكن العالم من معرفتها كلها ومعرفة اسبابها في معظم الحالات . فلماذا - علي سبيل المثال - قام الإسرائيليون بمهاجمة السفينة الأمريكية " ليبرتي Liberty " علي ساحل سيناء في ٨ يونيو؟ إنه من المؤكد أن المهاجمين الاسرائيليين كانوا علي علم تام بأن السفينة أمريكية وبالرغم من ذلك استمروا في ضربها ست ساعات متوالية واطلقوا الرشاشات علي مراكب الانقاذ مما يؤكد اصرارهم علي اغراقها . ولماذا تحمّلت الحكومة الأمريكية قتل ٣٤ ضابطا ومواطنا امريكيا علي ظهر السفينة دون رد فعل يذكر ؟ إن هذا يحمل في طياته سرا كبيرا لم يذع حتي الآن . ومايدعو أيضا إلي الدهشة هو لماذا فعلت اسرائيل ذلك ؟! يقال أن ذلك حدث حتي لاتكتشف أمريكا أن اسرائيل تنوى مهاجمة سوريا (عن طريق التقاط الشفرات السرية) . ولكن ذلك غير مقنع إذ أن أمريكا لن تتعاطف مع سوريا - الحليفة لروسيا - بأكثر من تعاطفها مع الملك حسين . وإذا كان ديان قد اصدر أمرا مباشرا منه إلي " دافيد البعازر " لمهاجمة ليبرتي كانت تستلزم الرجوع إلي قيادة الطيران القيام بذلك فهل أمرهم " ديان " بذلك دون أن يبدي لهم الاسباب ؟! وعلي أي حال فقد بدأ أن حادثة ليبرتي - شأنها شأن حرب ٦٧ كلها - أمكن التغاضي عن خسائرها وتقبلت الادارة الامريكية نتائجها بمنتهي الرضي . فقد أمكن للعميل الأمريكي - اسرائيل - اذلال العميل الروسي - عبد الناصر . وقد وَعَد عبد الناصر - في اجتماع القمة العربية في الخرطوم في أغسطس - بسحب قواته من اليمن في مقابل معونة مالية من السعودية . وقد أخذ انسحاب القوات الاسرائيلية من الضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان وقتا أكثر من ذلك كثيرا .

ولقد عانت اسرائيل كثيرا خلال حرب ٥٦٪ نتيجة اخفائها الحقائق عن الوكالة الأمريكية للمخابرات ولكن في عام ٥٧ فقد لعبت الاتصالات الخفية دورا هاما وآتت أكلها . وقد أثارت حرب ٥٦ غضب الجمهور في انجلترا وفرنسا خصوصا انجلترا ولكن حرب ٦٧ كان لها أثر طيب - رغم عدم اعتراف العرب بذلك - في العالم أجمع .

وقد تسربت بعض أسرار حرب ٦٧ مع الوقت فقد صرح " مناحم بيجن " رئيس الوزراء - في عام ١٩٨٢ - وكان وزيرا في حرب ٦٧ وقال " كان عندنا الخيار في عام ٦٧ ان نحارب أو لا نحارب فإن اغلاق المضايق لم يكن يعني أن عبد الناصر سوف يحاربنا ولكننا يجب أن نكون أمناء مع انفسنا لقد أردنا نحن أن نحاربه" . وقد أيده في ذلك ثلاث من كبار جنرالات اسرائيل منهم عزرا وايزمان الذي قال في عام ١٩٧٢ " لم يكن هناك خطر - عام ٦٧ - يهدد اسرائيل ولكننا قررنا الحرب ضد مصر وسوريا والأردن لكي تستطيع اسرائيل أن تستمتع علي المستوي الذي تتمتع به الآن" وقال الجنرال : ماتتياهو بيليد Matityahu Peled " قبل أن يتحول من حزب الصقور إلي حزب الحمائم . "

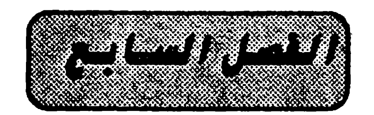
إن افتراض أن حشد الجيش المصري على حدود اسرائيل يشكل خطرا على اسرائيل هو احتقار لذكاء الجيش الاسرائيلي " وقد قال اسحق رابين رئيس الأركان قبل وأثناء حرب ٦٧ " إن حشد فرقتين من الجيش المصري في سيناء في مايو ١٤ لم يكن يعني أو يكفي للهجوم عليها . وهكذا تبدو الحقيقة واضحة من فم هؤلاء المحترفين وقد أثارت هذه التعليقات الاعجاب . بالقيادة الأسرائيلية ولكن أحدا لايهتم بهذا الموضوع الآن في اسرائيل .

وبعد حرب ١٩٦٧ عَمْ السرور قادة الحرب الباردة في واشنجطن - رغم علمهم بالحقيقة التي ذكرها بيجن وجنرالات اسرائيل - فقد اعجبوا بدور اسرائيل في تأديبهم السوفييت في الشرق الأوسط وأن للعلاقة الامريكية الاسرائيلية أن تتطور الى الأحسن . فقد قامت أمريكا بأول خطوة نحو تحقيق حلم اسرائيل في قيام حلف عسكري بينهما وذلك بتوريد كمية من الأسلحة . والآن والعالم كله يشيد " بمعجزة " يونيو ٦٧ فقد حان الوقت أن تصبح هذه العلاقة علنية . ولكن النتائج لهذا الحلف سوف تكون ذات أثر كبير في المجتمع الاسرائيلي والعالم.

****

******

**



صفقات الاسلحة

يعيش الرجل الذى أطلق اسمه على إحدى منتجات اسرائيل ذات الشهرة العالمية على بعد ساعات قليلة من مدينة بتسبرج Pittsburgh الامريكية . ورغم مضى أربعين سنة على اختراعه ، لايزال يحظى بسمعة طيبة . وهذا الرجل هو أوزى جال Uzi Gal ويعيش فى ضاحية متواضعة فى شارع هادىء على بعد آلاف من الأميال من البلد التى ساعد فى أن يجعلها قوية . أما اختراعه فهو «مدفع رشاش» ، والمدفع الرشاش «أوزى » هو المنتج الوحيد الذى يعرف من اسمه أنه انتاج اسرائيل . فحتى البرتقال « اليافاوى» المنتج من يافا - فى اسرائيل الآن - كان معروفاً بهذا الإسم قبل ظهور اسم اسرائيل فى الوجود ولكن السيد « جال » ظهر فى اسرائيل واختراعه تصنعه « صناعات اسرائيل العسكرية IsracI Military Indusries وتجنى منه اسرائيل مكاسب بعشرات الملايين من الدولارات كل عام . ولا يبدو على « جال » أى مظاهر الأسى لاختراعه أداه تؤدى إلى القتل . فهو رجل مليء بالحيوية بالنسبة لسنة - ٦٦ عاماً - ذو لحية صغيرة مدببة ودمث الأخلاق ويقول عن نفسه « لقد كنت مفتونا بالأسلحة منذ صغرى بالوراثة من والدى الذى كان جندياً فى الجيش الإمبراطورى فى الحرب العالمية الأولى فى الجبهة الغربية » .

وقد ولد « أوزى » فى عام ١٩٢٦ ونزح إلى انجلترا مع عائلته وهو طفل هرباً من الطغيان النازى . وهو يتذكر أنه قد حصل فى انجلترا على أول بندقية له - وكانت تعمل بالهواء المضغوط - وأصيب منها إصابة بالغة فى ابهامه . ثم هاجرت عائلته من انجلترا إلى فلسطين واستقرت فى (مستوطنة ياجور Kibbutz Yagour) حيث بدأ برسم أول خطوط لبندقيته . وكانت مستوطنة ياجور هى إحدى معاقل الهاجاناه وقد اعتقل البوليس البريطانى كل رجال المستوطنة أثناء إحدى الحملات التفتيشية حيث وجدوا

فيها مايزيد من ١٠٠ بندقية . وأخذ يفكر فى السجن فى تصميم مدفع رشاش وعندما أفرج عنه استخدمته الهاجاناة كفنّى فى إصلاح السلاح ووجد لديه مجموعة متفرقة من الأسلحة المختلفة . وبدأ « أوزى » فى دراسة كل نوع ومعرفة مزاياه ومآخذه وبدأت تتبلور فى ذهنه فكرة المدفع الرشاش المثالى .

والمدفع الرشاش « أوزى» يستعمله حرس البيت الأبيض كما يستعمله مهربوا المخدرات سواء بسواء فهو يتميز بالمتانة والدقة وسهولة الاستعمال ويمكن تصنيعه بسهولة وبتكاليف بسيطة . وقد استطاع « أوزى » أن يختار مميزات كل مدفع رشاش على حدة ووضعهم جميعاً فى مدفع واحد من تصميمه ورغم تواضعه إلا أنه فخور باختراعه لهذا المدفع . وقد أتقن « أوزى » اختراعه فى المصانع السرية للأسلحة « للهاجاناة » . وفى عام ١٩٥٤ كان المدفع معداً للإستعمال وعرفه العالم فى عام ١٩٥٥ فى يوم التحرير وقد تقرر إطلاق اسم المخترع على المدفع بناء على قرار اتخذته القيادة العليا بعد تفكير طويل . ويقول «أوزى» تعليقا على اختراعه لهذا المدفع « لقد كانت لحظة عظيمة لدولة اسرائيل فلم يحدث فى خلال ٢٠٠٠ سنة شىء مشابه فقد أمكن لشعب إسرائيل صنع شىء اخترعوه لأنفسهم . وقد قمت أنا بهذا الاختراع من الأول إلى الآخر » . وينطق « أوزى» الجملة الأخيرة بحرارة فهناك إشاعة تقول أن « أوزى » قد أخذ فكرة مدفعه من مدفع تشيكى وأن الشق الهندسى فى المدفع قد قام به « اسرائيل جاليلIsrael Galil واسم « جاليل » غير محبوب بالنسبة أوزى ولا ينطق به إلاّ مضطراً . و « جاليل » هذا اخترع بندقية أوتوماتيكية .ورغم أنها لم تحظ بالشهرة كمدفع « أوزى » إلاّ أنها أيضاً إحدى منتجات الأسلحة الاسرائيلية وبندقية « جاليل » هى فى الأصل « تطوير » للبندقية الفنلندية (AK-74) التى هى نفس « تطوير » للبندقية الروسية «كلاشينكوفAk 47 Kalashinkov." ويسخر «أوزى» فى حديثه عن البنادق من «المتطورين » الذين يدعون أنهم « مخترعون » . وعلى أى حال فإن « أوزى » يعيش عيشة متواضعة غير معروف بين جيرانه بينما « جاليل » يعيش فى اسرائيل ويتمتع باحترام المجتمع وله شأن كبير فى مجال السلاح الاسرائيلى . وبالرغم من أن « أوزى » كان السبب وراء المكاسب الهائلة لمصانع السلاح الإسرائيلى ـ فالمدفع « أوزى » يتكلف ٥٠ دولارا لصنعه ويباع بحوالى ٧٠٠ دولارا ـ فإنه لم يتقاضى سنتاً واحداً كحق اختراع له بل ولم يحظ بالتكريم الكافى من الصناعة الاسرائيلية الحربية تقديراً للمكاسب الهائلة التى جنتها هذه الصناعة من وراء اختراع . وله ابنه مريضة مرضاً عضالا ولما وجد أن علاجها موجود فى الولايات المتحدة استوفى معاشه ورحل إلى أمريكا .

وبينما كان « أوزى » ـ فى شبابه ـ يفكر فى اختراع المدفع المسمّى باسمه كان هناك شاب آخر ـ أكبر منه بحوالى ثلاث سنوات يحاول أن يجعل اسم اسرائيل معروفا فى العالم فيما يخص الأسلحة . هذا الرجل لم يكن مخترعاً للسلاح ولم يصمم فى حياته بندقية أو أى أداة من أدوات الحرب ولكن وظيفته كانت قائمة على تجارة الأسلحة وولاؤه لرئيسه دافيد بن جوريون . هذا الرجل هو « شيمون بيريز (Shimon Peres) وكانت أولى خطواته للشهرة عندما إلتقت عينا بن جوريون بعينيه فى عام ١٩٤٧ . فقد كان من النوع الذى يحبه بن جوريون . شاب ويحب العمل وليس له من يعتمد عليه ولكنه بعكس الشباب الآخر الملتف حول بن جوريون موشى ديان على سبيل المثال ـ كان الشاب « بيريز » غير محبوب من رؤسائه . وقد فسّر بيريز السبب فى ذلك بعد عدة سنين عندما قال عن نفسه « ربما يكرهنى البعض لأنهم يظنون أنى من النوع الذى يزيح من أمامه جانباً ليكون فى أول الصف » . !

وقد وجد « بيريز » فرصته ليكون فى أول الصف فى أول الأمر فى الهاجاناه عندما عيّن كضابط اتصال مع بعثة « تيدى كوليك Teddy Kollek) السرية لشراء أسلحة . وهو بعكس جميع قادة اسرائيل الذين ظهروا فى خلال الأربعين سنة الماضية لم يطلق طلقة واحدة أو يحمل سلاحاً أو يرتدى ملابس عسكرية وقد تم تعيينه فى نيويورك فى عام ١٩٥٠ ليأخذ محل تيدى كوليك ورغم أن اسرائيل ـ فى ذلك الوقت ـ كانت دولة معترف بها ومن حقها شراء الأسلحة إلا أن ذلك كان يتم سرّاً فى أمريكا لإرتباطها بإتفاق مع فرنسا وبريطانيا يحد من بيع الأسلحة للشرق الأوسط . وقد تعامل بيريز مع سوق السلاح المستعمل بشىء من النجاح ويقول بن جوريون فى مذكراته ـ وكان يهوى كتابة المذكرات ـ فى سبتمبر عام ١٩٥٠ : « لقد وصل بيريز وقد نجح فى شراء أسلحة بمبلغ ١.٧ مليون دولار وطائرات بمبلغ ١.٥ مليون دولار (٨٠ طائرة وقطع غيارها) وسفن بمبلغ ٤١.. مليون دولار (فرقاطة و ١٢ سفينة انزال جنود وقطع غيار) وذخيرة بمبلغ ٩... دولار (ديناميت وطلقات) وكانت واجبات بيريز لا تشمل فقط شراء الأسلحة بل أيضاً تدبير النقود لشرائها . وقد كانت رحلته إلى كندا هى التى أشعلت فيه طول حياته الرغبة فى أن يكون مليونيراً . فقد كان يحاول شراء مدافع من الحكومة الكندية واتصل بالمليونير «وسام برونفمان Sam Bronfman) الذى وافق على جمع المبلغ المطلوب ـ ١.٥ مليون دولار ـ ولكنه أجْبَر بيريز على شراء جورب جديد حتى يكون منظره لائقا !

وعاد « بيريز » إلى اسرائيل فى نهاية عام ١٩٥١ حيث عين نائب المدير العام فى وزارة الدفاع وأوكل إليه إدارة القطاع المدنى من الوزارة الذى يشمل شراء الأسلحة وانتاجها وكذلك القطاع الإدارى من الوزارة . وأمكنه فى خلال بضع سنوات تنظيم

وانشاء مصانع السلاح الإسرائيلية .

وكان بن جوريون يحلم بأن يجعل اسرائيل من أقوى البلاد إقتصاديا وعسكريا ـ فى المنطقة وذلك قبل أن يبدأ توسعاته فى المناطق المجاورة . وقد فشل بن جوريون فى الناحية الإقتصادية . ولم يكن لأسرائيل أى موارد صناعية فيما عدا « البوتاس » بجوار البحر الميت . وكانت المقاطعة العربية لإسرائيل قد حرمتها من أسواق قريبة تستطيع فيها تسويق منتجاتها . ولكن من الوجهة الأخرى ـ العسكرية ـ فقد نجح بن جوريون فى تكوين جيش جيد التدريب وبسرعة فبالإضافة إلى حسن التدريب وشراء الأسلحة فقد استطاع انشاء مصانع محلية للسلاح مثل مدفع « أوزى » الرشاش الذى يعتبر من أحسن الرشاشات فى العالم . ولكن أحلام بن جوريون وبطانته ـ أمثال بيريز ـ لم تتوقف عند ذلك . فاوكل إلى «آل شفيمر "AL Schwimwer ـ وهو أحد الطيارين المغامرين الذى كان له دور كبير فى الاربعينات ـ انشاء مصانع للطائرات . وتعد هذه خطوة جريئة جداً من بن جوريون ـ حيث أن اسرائيل كانت لاتزال دولة نامية وفقيرة ـ شانها فى ذلك شان اهتمام اسرائيل بتصنيع السلاح النووى (راجع الفصل الرابع) من خلال مشروع أبولو بنسلفانيا وهكذا كانت سياسة بن جوريون فعتمد على انشاء دولة يهودية قوية من الناحية الحربية وتستطيع انتاج سلاحها بنفسها ويعترض بعض الاسرائليين على هذه السياسة ويعتقدون أنه كان من الأحدى صرف هذه الأموال على الصناعات المدنية والتنمية التكنولوجية بدلا من السلاح ومصانع الأسلحة . كما فعلت كوريا الجنوبية . ولكن هذا ليس ممكنا فى اسرائيل طالما أن مشكلة الحدود بينها وبين جيرانها لم يتم حلها نهائياً وكذلك مشكلة ملايين اللاجئين الفلسطينيين الذين يهيمون فى العالم بلا وطن .

وقد التزم بن جوريون بهذه السياسة ولم يحد عنها . وهناك بعض القادة الإسرائيليون ـ مثل موشى شاريت Moshe Sharett ـ الذى كان يرى أن اسرائيل من الممكن أن تكسب لو اتبعت الطرق السليمة ولكن سيطرة بن جوريون وحوارييه ـ أمثال بيريز وموشى ديان وإيزار هاريل ـ على جهاز الأمن الإسرائيلى هو الذى جعل سياسة « الصقور » تنتصر على سياسة « الحمائم » . وأكبر مثل على نجاح سياسة بن جوريون بالنسبة للتصنيع الحربى هى الترسانة البحرية فى « بير سبع » والتى يعمل بها ١٢٠٠٠ اسرائيلى وهذا يعنى أن عائلة اسرائيلية من كل أربع عائلات تعتمد فى معاشها على هذه الترسانة . وقد كانت حصيلة مبيعاتها فى عام ١٩٨٩ مايزيد عن ١.٦ مليار دولار فى سوق الأسلحة الدولية وهو يزيد عن أى رقم حققته أى صناعة أخرى . ويعتمد نجاح تجارة السلاح على العلاقات الخارجية بقدر اعماده على العلاقات التجارية . وقد جعلت اسرائيل ذلك نصب

عينيها فى اتصالاتها الخارجية فيما أسمته «سياسة أوزى
* Uzi Diplomacy

ولم تخل تجارة اسرئيل فى السلاح من أعمال القرصنة ففى عام ١٩٥٨ ـ على سبيل المثال ـ اضطرت طائرة اسرائيلية للهبوط الإضطرارى فى مطار جزائرى ـ وكانت الجزائر لاتزال تحت الحماية الفرنسية فى ذلك الوقت ـ وأثارت هذه الطائرة أزمة دولية لاسرائيل . فعند تفتيشها وجدت تحمل مدافع « بازوكا » قيمتها حوالى ١٥ مليون دولار إلى الدومينيكان فى وسط أمريكا التى كانت تحت حكم الجنرال « رافاييل تروجيلو Rafael Trujillo) الدموى . وكان بيريز قد وعد مجلس الوزراء الاسرائيلى أن لا يتعامل مع الثوار أمثال تروجيلوفى الدومينكان وسوموزا فى نيكاراجوا . ولكنه أخلف وعده دون تردد عندما سنحت له الفرصة . ويقول بيريز فى ذلك « إننا عندما نحظر التعامل مع دولة معينة فى السلاح الاسرائيلى فإننا نوقع أنفسنا فى الخطر ذاته وهذا ضد مصلحتنا . إنه من السُفه أن نحظر على أنفسنا تصدير سلعة يمكن لطالبها أن يأخذها من مكان آخر » . وهذا يوضح أن السياسة الاسرائيلية لاترسمها وزارة الخارجية الاسرائيلية ولكن من فى يدهم أمن اسرائيل ـ بن جوريون وبطانته .

ويبدو هذا الأمر أشد وضوحاً فى التحالف الذى حدث بين فرنسا واسرائيل فى منتصف الخمسينات . فقد كان أساسه كراهية عبدالناصر. لم تكن وزارة الخارجية الاسرائيلية هى التى أبرمت هذا التحالف ولكن «بيريز وديان » فقد قاد « بيريز » حملة ضخمة ـ خفيّة ـ فى المجتمعات الفرنسية للحصول على تأييد هذا التحالف . وقام « عملاؤه » بالانتشار داخل الجيش الفرنسى على كل المستويات لعمل صداقات بين كبار الضباط وصغارهم وكذلك بين السياسيين الحاليين منهم والسابقين ولم يتركوا أى فرصة إلا انتهزوها لدرجة أنهم قاموا بتمويل جريدة فرنسية تتبع الحزب الحاكم ـ الإشتراكى حينذاك ـ وعندما سُئل أحد المسئولين الاسرائيليين عن الهدف من ذلك قال « إسألوا بيريز » .

وكان وصول « شارل ديجول Chavles de Gaulle) إلى قصر الايزليزيه فى ١٩٥٨ هو بداية انحسار موجة التعاطف الاسرائيلى الفرنسى العسكرى . ولكن التعاون بين البلدين استمر فى مجالات أخرى . ففى المجال النووى استمر العلماء الإسرائيليون فى مراقبة التجارب النووية الفرنسية فى الصحراء واستمر التعاون فى تطوير صاروخ متوسط المدى بجزيرة هير Iles dHyeres فى الرفييرا الفرنسية وكذلك بين أجهزة المخابرات

الموساد وإدارة المخابرات ومقاومة التجسس الفرنسية (S. D. E. C. E.) إلى

اختطاف المهدى بن بركة المتمرد المراكشي وتسليمه لمراكش حيث قام البوليس المراكشي بتعذيبه حتى الموت عام ١٩٦٦ . وكذلك استمرت شركة «داسو للطائرات Dassault) على علاقة وثيقة بالشركة الإسرائيلية المماثلة . وفى الحقيقة فقد انتجت اسرائيل ـ فى عام ١٩٦٠ ـ طائرة تدريب صناعة فرنسية . وقد استعملت هذه الطائرة فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ . وكانت حصيلة مبيعات الأسلحة الاسرائيلية عام ١٩٦٦ لا تتعدى ١٥ مليون دولار .

وقد تغيّر إطار الصناعات الحربية الاسرائيلية ـ كما تغيرت أيضا أشياء كثيرة أخرى ـ بعد حرب ٦٧ . فقد انتشى الاسرائيليون بانتصارهم الباهر وحدث رواج فى كل شيء تقريبا بعد الكساد الذى كان يخيمٌ على اسرائيل قبل الحرب حيث بلغت نسبة البطالة حوالى ١٠٪ وقام المتظاهرون الاسرائيليون بقذف مجلس مدينة تل أبيب بالحجارة احتجاجاً على البطالة . وبعد الحرب ازدهرت الحالة الإقتصادية بمعدل عشرة فى المائة . وتدفق المهاجرون على اسرائيل ومنهم كثير من اليهود الأمريكيين . وكان أكبر معدّل فى الزيادة هو فى الصناعات الحربية . فقد تضاعف حجم الإنتاج الحربى أربع مرات فى خلال الثلاث سنوات الأولى بعد حرب ٦٧ ومنذ عام ٦٧ حتى ٧٢ تزايد عدد العاملين فى الصناعات الحربية بعدد ٢٠٠٠٠ (عشرين ألف) عامل . وزادت كمية شراء الحكومة الإسرائيلية للسلاح فى نفس الفترة ٨٦٪ وزادت نسبة صادرات الأسلحة من ١٤٪ عام ٦٧ إلى ٢١٪ عام ٦٨ وفى عام ١٩٧٢ تكونت هيئة « سيبات Sibat) ورأسها شابيك شابيرو – وهى الهيئة الخاصة بتجارة السلاح فى اسرائيل . (راجع الفصل الأول) .

ويرجع كل هذا الإزدهار الذى حدث بعد الحرب ـ فى معظمه ـ إلى العلاقات المتينة التى قامت مع الأمريكيين فى عام ٦٧ فقد أثبتت اسرائيل أنها « مكسب استراتيجى » وكان الأمريكيون راغبين فى تمويلهم ومساعدتهم طبقاً لذلك . وكان هذا من حسن حظ الإسرائيليين حيث أنهم كانوا قد فقدوا التعاطف الفرنسى الذى خلقه « بيريز » . وهكذا فقد الإسرائيليون التعاون العسكرى الفرنسى ومن ناحية أخرى كسبوا التعاون العسكرى الأمريكى الذى كانوا يطمعون فيه منذ زمن بعيد .

وقام رئيس الوزراء الإسرائيلى « ليفى أشكول » فى عام ٦٨ بزيارة الرئيس الأمريكى جونسون زيارة رسمية . وقد كانت علاقة الرئيسين بعضهما ببعض جيدة جداً منذ اجتماعهما أول مرة فى عام ١٩٦٤ . وقد جاء « أشكول » للمرة الثانية لطلب أسلحة . ويطلب هذه المرة الطائرة « فانتوم ٤ Fantom F.4) وهى طائرة فاذفة مقاتلة تخدم فى

السلاح الأمريكي . وكان الإسرائيليون حريصين على استخدام الفانتوم لأنه فى ذلك الوقت كان الطرفان الإسرائيلي والمصرى يمُران بمرحلة الإستنزاف . فكل طرف منهما كان يضرب الطرف الآخر بالمدفعية على طول ضفة قناة السويس وكان الإسرائيليون يأملون فى إستخدام الفانتوم ـ إذا أنها تحمل ٦ أطنان من القنابل ـ فى ضرب عق البلاد المصرية . وكان من المهم سياسياً إظهار تعاطف الولايات المتحدة مع إسرائيل عن طريق موافقتها لبيع الفانتوم حيث أن هذه الطائرة كانت تباع لحليفين من أقرب الحلفاء لأمريكا فقط وهما انجلترا والمانيا ـ خصوصا وأنه منذ أن وافق الرئيس السابق « كندى » على بيع صواريخ « هوك » ـ المتقدمة تكنولوجيا ـ إلى إسرائيل لم تظهر أمريكا رغبة فى بيع أسلحة « متقدمة » إلى إسرائيل . ولذلك كان من الأهمية بمكان لإسرائيل الحصول على الطائرة الفانتوم .

وقد دعا الرئيس جونسون ليفى أشكول إلى ضيعته فى تكساس كعلامة من علامات الصداقة حتى يتمتعا معا بمباهج الحياة الريفية . وكان يصحب أشكول فى هذه الزيارة « مونى هود Motti ylod رئيس السلاح الجوى . وقد وعده « جونسون » ـ خلال المباحثات ـ بان أمريكا ستبيع لإسرائيل خمسين طائرة فانتوم . وكان بعض الحاضرين من الأمريكيين قد اقترح أن تبيع أمريكا الفانتوم ٥ وهى أقل مستوى من الفانتوم ٤ على ضوء أن الفانتوم ٥ فيها الكافية بالنسبة لدول العالم الثالث . ولكن العصر الذهبى للعلاقة الأمريكية الرسرائيلية قد بدأ ووافق جونسون على بيع الفانتوم ٤ . وبمجرد انتهاء المباحثات أخطر الوفد الإسرائيلى شابيك شابيرو فى اسرائيل بالموافقة فاتصل « شابيرو » بدوره فوراً « بسانفورد ماكدونل Sanford Medonnell وهو أمريكى بخيل من أصل اسكتلندى ويملك المصانع التى تنتج الفانتوم لترتيب الصفقة معه . وبينما كان شابيرو وماكدونل يبحثان تفاصيل الصفقة كان الرئيس جونسون ـ رغم موافقته عليها ـ مترددا فى اعلانها على الملأ على أمل التوصل إلى حل سلمى لمشكلة الشرق الأوسط وكان يخشى من استغلال الصفقة فى النواحى السياسية حيث أن هذا العام كان انتخابات الرئاسة الأمريكية . وقام أصدقاء اسرائيل فى أمريكا بزيادة الضغط عليه بحجة أن الفانتوم ضرورية « لتوازن » القوى فى الشرق الأوسط علما بأن مصر هى التى خسرت الحرب !! واستمر جونسون فى تردده ولم يوقع بموافقته على الصفقة إلاَّ قبل أيام من انتهاء فترة رئاسته . ولم تصل الفانتوم إلى اسرائيل إلاَّ فى سبتمبر ٦٩ وقامت بأول غاراتها على القاهرة فى يناير ١٩٧٠

كان كل مايخشاه الغرب ـ وأمريكا بالذات ـ هو سيطرة روسيا أو الموالين لها ـ مثل عبدالناصر ـ على بترول العرب وخصوصاً المملكة العربي السعودية . ورغم حرب ٦٧

فإن عبدالناصر لم يتحطم . وفى عام ١٩٦٩ قام ضابط مغمور ليبى يدعى «معمر القذافى» بإنقلاب فى ليبيا متشبها بعبد الناصر وقام بطرد الأمريكيين من قاعدتهم فى طرابلس . وفى نفس العام قامت فى السعودية جماعة تسمى نفسها « الجبهة القومية للتحرير» والتى كانت تضم بضع مئات من ضباط الجيش بمحاولة للإنقلاب ولكنها فشلت . وقد انزعجت الحكومتان السعودية والأمريكية لذلك . وقامت على أثر ذلك شركة أمريكية تدعى « إنترست Interset بالمشاركة مع بعض رجال وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) بأعباء الأمن الداخلى فى السعودية

وقد ازداد ترابط وكالة المخابرات الأمريكية مع اسرائيل فى الخمسينات لمقاومة ماأسموه التهديد الناصرى السوفيتى للمصالح الأمريكية فى المنطقة . ولكن هذا الترابط كان سرِّيا غير معلن ورغم أن الهدف الآن لم يتغير إلا أن العلاقة أصبحت علنية بين واشنطن والمؤسسة الحربية الاسرائيلية . ويزعم اسحق رابين ـ الذى عُيِّن سفيراً لإسرائيل فى واشنطن بعد أن كان رئيساً للأركان فى حرب ٦٧ ـ أنه أخذ الموافقة من الرئيس نيكسون على تصعيد عمليات الإغارة بالطائرات على مصر بالطائرات الأمريكية الجديدة حتى يتمكن من تحطيم عبدالناصر فالأمور لم تتغير فى الشرق الأوسط .

ومهما كان هدف الأمريكيين ـ على أى حال ـ فإن الغارات على مصر قد أدّت إلى مزيد من التقارب بين عبدالناصر والسوفييت الذين وافقوا على إرسال قوات روسية محاربة من روسيا إلى مصر وتزويد مصر بنظام كامل للدفاع الجوى . وهكذا وجد الإسرائيليون أن سماء مصر لم تعد مفتوحة لهم كما يرغبون . وتمكنت أمريكا فى أغسطس ١٩٧٠ من استصدار قرا بوقف إطلاق النار وانتهت بذلك حرب الإستنزاف

ورغم توقف حرب الإستنزاف فقد استمر ريتشارد نيكسون رئيس أمريكا وهنرى كيسنجر مساعده ، فى مساعدة اسرائيل حربيا ليس بطريقة مباشرة ولكن عن طريق مساعدة صديق قديم هو الملك حسين ملك الأردن . فقد سَبَّبت حرب السنة أيام مشاكل كثيرة للأردن فقد استولى اليهود على الضفة الغربية وفرّ الفلسطينيون منهاولجأوا إلي الأردن واتخذوا منها قاعدة حربية يناوشون منا اسرائيل وقد بَدَى ـ فى سبتمبر ١٩٧٠ ـ أن الملك حسين بدأ يفقد السيطرة على الفدائيين الفلسطينيين فى مملكته وقامت جماعة تدعى «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» فى ٦ سبتمبر باختطاف طائرة مدنية وأجبرتها على الهبوط فى مطار أردنى وعليها ٤٢١ راكباً أغلبهم من الأمريكيين وطالبت بالإفراج عن المسجونين فى إسرائيل مقابل الإفراج عن رهائن الطائرة

ورأى الرئيس نيكسون فى حادث اختطاف الطائرة فرصة ثمينة لضرب الفدائيين عن طريق صديقه الملك حسين . وبعد تشاور الملك حسين مع رئيس الوكالة فى عمان - وهو أمريكى من أصل ايرلندى يدعى « جاك أوكونل Iack Oconnell" تقرر أنه إما أن يضرب الملك حسين الفدائيين أو يعرض نفسه لإن يفقد عرشه . وبعد يومين قام الجيش الأردنى بالهجوم على معسكرات الفدائيين .

وقاوم الفدائيون مقاومة شرسة ولكن فى النهاية تم طردهم من عمأن وذهب صرخاتهم فى طلب النجدة أدراج الرياح فى معظم انحاء العالم العربى إلا فى دمشق . فقد أرسل حافظ الأسد بضع وحدات مدرَّعة عبر الحدود الأردنية الشمالية . وقد أثار تصرفه رد فعل شديد فى واشنطن . فرغم أن الروس كانوا يطالبون الأطراف المعنية بضبط النفس إلا أن كيسنجر ونيكسون كانوا مقنعين أن هذه الحركة قامت بإيعاز من روسيا وانهم اتخذوا سوريا «مخلب قط» فى هذه العملية . وأراد نيكسون أن يستعرض عضلاته فأمر الفرقة ٨٢ المحمولة جواً فى « فورت براج Fort Bragg" باقصى الاستعداد وبالأسطول السادس أن يكون قريبا من الشواطىء السورية . وقد انزعج الملك حسين انزعاجا شديدا من التدخل السورى وطلب من أمريكا أن تامر بضرب السوريين بالسلاح الجوى وطردهم من الحدود الأردنية .

ولما كان التدخل السافر لأمريكا - فى ذلك اوقت - فى الشرق الأوسط قد يكون له عواقب وخيمة فقد طلب «كيسنجر» من «جولدا مائير Goda Meir" - التى خلفت أشكول فى رئاسة الوزارة - وكانت فى هذه الأثناء فى نيويورك مع سفيرها «رابين» فى رحلة لجمع التبرعات لإسرائيل التدخل لحماية الملك حسين من الفدائيين الفلسطينيين . ورفض رابين الطلب - بشىء من الوقاحة - وقال أنه لن يعد باى شىء مطلقاً حتى ياخذ الضوء الأخضر من الرئيس نيكسون نفسه .

ويرُوىَ أن الموساد هم الأصل فيما يتعلق بتقارير وكالة المخابرات الأمريكية حيث أبلغوا الوكالة أن تصرف السوريين يرجع إلى الروس فابلغت الوكالة رئاستها فى أمريكا التى بدروها أبلغت الحكومة الأمريكية بهذا الأمر مُدَّعية أن ذلك من مصادرها فى الشرق الأوسط ! وإن كان المسئولون فى الوكالة ينفون ذلك بشدة مؤكدين أن علاقاتهم بالملك حسين قوية جداً وأن هذه التقارير نابعة من الوكالة ولا دخل للموساد بها . ويرد المسئولون بالموساد قائلين « إن لنا مصادرنا الخاصة فى الأردن ونعرف كل مايدور بداخله

أما الأمريكيون فلا يدرون شيئاً!».

وأخيراً وافق رابين على أن تتحرك احدى الفرق الاسرائيلية على الحدود السورية وأن تقوم طائرة استطلاع بإلتقاط صور للغزو على الحدود الأردنية وفي مقابل ذلك تتعهد الولايات المتحدة بالتدخل لحماية الحدود الإسرائيلية فى حالة قيام المصريين أو السوريين باقتحامها . كذلك طلب رابين تعهد أمريكا بسرعة إمداد اسرائيل بالسلاح . ولم تكن كل هذه الإجراءات ضرورية لوقف التدخل السورى فى الأردن فيبدو أن «الأسد» لم يكن راغباً فى الحرب مع الأردن . وقد أرسل الملك حسين فرقة مدرعة تمكنت من طرد السوريين وعودتهم إلى الحدود ـ ولذلك لم يكن هناك داعى لكى يطلب الإسرائيليون «مظلة» أمريكية لحمايتهم . ويذكر «رابين» فى مذكراته أن كيسنجر طلبه بعد بضعة أيام من الأزمة الأردنية ليبلغه رسالة من الرئيس نيكسون ليبلغها بدوره إلى رئيسة الوزراء الإسرائيلية «جولدا مائير» فحواها : « إن الرئيس الأمريكى لن ينسى دور إسرائيل فى حماية الوضع المتدهور فى الأردن وفى احباط محاولة الإنقلاب ضد الملك حسين وأن الولايات المتحدة لسعيدة الحظ لوجود حليف لها مثل اسرائيل فى الشرق الأوسط وسوف يكون لذلك أثره فى المستقبل» .

ويعتبر ذلك حدثا تاريخيا فى حياة اسرائيل فقد ذهبت تلك الأيام التى كانت العلاقة قاصرة على إمداد الوكالة ـ عن طريق العمليات الخفية التى يقوم بها الموساد نيابة عن الوكالة الأمريكية فى الدولة المختلفة ـ عمليات جبل ك .ك ـ أو الإتصالات العصيبة قبل حرب الستة أيام . فهاهو تدخل اسرائيلى بسيط قد جعل من اسرائيل حليفة حقيقية لأمريكا . « شىء لا يصدقه عقل» كما جاء فى مذكرات رابين عن هذا الموضوع .

وقد قام نيكسون وكيسنجر دون ابطاء بمكافأة اسرائيل على موقفها . فبالرغم من اعطاء اسرائيل طائرات الفانتوم بعد حرب ٦٧ فقد قدمت أمريكا لها قروضاً قدرها ٣٠ مليون دولار لشراء أسلحة كما قدمت لها أيضاً ٦٠ مليون دولار على هيئة معونات اقتصادية وذلك فى خلال عام ١٩٧٠ . ولكن أيام تلك المعونات الشحيحة كانت قد ولتْ إلى غير رجعة . ففى ١٧ سبتمبر قام الملك حسين بسحق المقاومة الفلسطينية قبل أن يدخل السوريين لتصل إلى ١٦٠.٨ مليون دولار والمعونة الإقتصادية إلى ١٥٨١ دولار فوق كل ماتلقته اسرائيل من معونات منذ نشأتها وذلك فى خلال ثلاث سنوات.

ولم يعد هناك مجال للتراجع فقد تزايدت المعونات باستمرار سواء بالنسبة للقروض أو الهيئات المالية . وقد مكنت هذه المعاونات اسراءيل من أن تعيش على مستوى مادئ عالٍ كما أنها ربطت الإقتصاد الإسرائيلى برباط لاينفصم مع الإقتصاد الأمريكى الحربى والصناعى . وقد أتاح تدفق الأموال الأمريكية على اسرائيل من أن تصرف نسبة غير عادية من دخلها القومى على الدفاع . فقد بلغ نسبة ماصرفته على الدفاع فى ٧١ إلى عشرين فى المئة من دخلها القومى! ولم تكن المعونة تاتى فى صورة أموال فقط بل أيضاً فى صورة معاونات مباشرة للصناعات الحربية الإسرائيلية فقد وقعت اسرائيل والولايات المتحدة اتفاقاً لمبادلة المعلومات الأساسية للدفاع التى بمقتضاها Master Defence Development Data Exchange Agreement تحصل اسرائيل على المعلومات الفنية اللازمة لتصنيع أو صيانة المعدات الحربية التى تصنع فى الولايات المتحدة ! وفى السنة التالية تمكنت اسرائيل من الوصول إلى اتفاق لتصنيع المعدات الحربية للولايات المتحدة الذى عن طريقه تم تجهيز المقاتلات الإسرائيلية بصواريخ جو/جو حرارية مصنعة فى لإسرائيل وهى نسخة طبق الأصل من الصواريخ الأمريكية «سايدوايندر Sidewindey" والأهم من ذلك هو أن أمريكا صرحت لإسرائيل باستخدام المحرك الأمريكى J-79 فى طائرات «الففير Kfir" الإسرائيلية وهى طائرة مقاتلة مصنعة فى اسرائيل تخدم فى الخطوط المتقدمة للقتال تم تطويرها من الطائرة الفرنسية «ميراج ٥ Miragc 5"

ولكن يبدو أن صناعة السلاح فى اسرائيل قد أخذ سمعة أحياناً لا يستحقها . فعلى سبيل المثال رغم أن طائرة «الغفير» الإسراذيلية تعتبر «تطويراً» لطائرة الميراج وخصوصا بعد تزويدها بالمحرك الأمريكى "I-79" الذى هو أقوى من المحرك الأصلى الموجود فى الطائرة الميراج ، إلاّ أن الطيارين الأمريكيين الذى قادوا الطائرة «الغفيرة» الإسرائيلية يؤكدون أن الميراج - رغم ضعف محركها - أحسن بمراحل من الطائرة الإسرائيلية . ورغم أن صناعة الطائرات الإسرائيلية هى أكثر الصناعات الحربية استنزافا لميزانية الدولة إلاّ أنها فشلت فى تطوير صناعة الطائرات ونالت سمعة لا تستحقها بالمرّة.

ومع تدفق الأموال والمساعدات الأمريكية خلال عام ١٩٧٠ دون أى مقابل ذى قيمة من الجانب الإسرائيلى بدأت الدولة الصغيرة ينتابها الثقة بالنفس . وكان أكثر الناس ثقة بالنفس هم جنرالات جيش الدفاع الإسرائيلى . وقد قال بن جوريون العجوز فى ذلك الأمر «إننى أخشى على جنرالاتنا فقد بدأوا يتصرّفون (كجنرالات حقيقيين) » .

وقد اتفقت كل من واشنطن واسرائيل على أن العرب لم يعد يخشى منهم . ولم يكن ذلك بناء على معلومات من أجهزة المخابرات الدقيقة . وقد ذكر أرشى روزفلت "Archie Roosevelt" - وهو أحد رجال الوكالة الأمريكية الذين قضوا معظم وقتهم فى الشرق الأوسط - فى مذكراته أن الإسرائيليين قصَّرُوا فى مخابراتهم بالنسبة للعرب لأنهم اعتبروهم فى مستوى أدنى منهم وليس بينهم وبين اليهود أى شىء مشترك وليس لديهم إلا الحقد والرغبة فى الإنتقام ولذلك فبعد ان تضخمت ميزانية الدفاع وزادت فترة التجنيد بالنسبة للشباب الإسرائيلى ستة شهور بعد حرب ٦٧ لم يكن هناك إى احتمال لدى الإسرائيليين فى أن العدو قد ينهض من كبوته ثانية .

وقد ذكر موشى ديان لمندوب مجلة «تايم "Time" الأمريكية - وكان يشغل منصب وزير الدفاع - فى يوليو سنة ١٩٧٣ أنه لايتوقع قيام حرب فى الشرق الأوسط قبل عشرة سنين قادمة . وكان السياسيون الإسرائيليون - ومنهم ديان - يستعدون للإنتخابات القادمة فى نهاية أكتوبر . وكان حزب العمل الحاكم فى اسرائيل يركزُ على الأمن والسلام نتيجة «لتفوق قواتنا على قوات العدو» وعلى السيادة الإسرائيلية من نهر الأردن حتى قناة السويس . وكانت المخابرات الأمريكية تشارك الإسرائيليين هذا الرأى أيضاً وقد ذكر كتاب وزعته الوكالة فى عام ١٩٧١ أن المقاتل العربى «ينقصه التكوين الجسمانى والثقافى الذى يمكنه من القيام بدور المقاتل المحترف» ! وكان هذا الكلام الفارغ يذاع فى نفس الوقت الذى كان الرئيس السادات - الذى خلف عبدالناصر فى رئاسة مصر - يصرح بأن «عدم اهتمام أمريكا واسرائيل بالسلام سوف يودى للحرب» .

فى أوائل عام ١٩٧٣ لاحظ أحد المحللين فى جهاز المخابرات الأمريكية يدعى "Fred Fear" فريد فير» أن المصريين قد قاموا بشراء معدات كثيرة للكبارى العسكرية . ولما كانت الممرات المائية فى مصر هى النيل وقناة السويس فقد استنتج «فير» أن المصريين لابد يفكرون فى عبور القناة ومهاجمة الإسرائيليين . وكتب بذلك تقريراً إلى رؤسائه شاملا عدد الكبارى التى اشتراها المصريون ومنها حَسَبَ عدد القوات التى يمكن أن تعبرها فى خلال الأربعة وعشرين ساعة الأولى ومدعمة بخريطة حدد عليها الأماكن التى يحتمل منها العبور على طول القناة . وقد أعجب رؤساؤه بدقة التقرير ولكنهم طرحوه جانبا دون أن يفعلوا شيئاً حياله .

وربما كان «فير» أحسن حظاً لو أنه كان من ضمن المجموعة التى تنبأت بانتصار اسرائيل فى حرب ١٩٦٧ . وقد شعر أنور السادات - كما قال هو نفسه بعد ذلك - بالمهانة من هذا الإهمال خصوصا وأن أكبر عقبة كانت تجابه الجيش بعد العبور هو اقتحام خط بارليف Barlev الذى بناه أريل شارون وكان جزء منه عبارة عن حائط رملى بارتفاع ١٨ متراً تقريباً ووجد أنور السادات أن الحل الوحيد لإختراق هذا الحائط هو استعمال طلمبات مياه ذات ضغط عال تؤدى إلى انهياره وقام الجيش بطلبها من المانيا الغربية ولكن نتيجة لبعض الإضطرابات فى ألمانيا توقف شحن الطلبمات لفترة . ولما كان موعد الحرب قد تقرر فكان من اللازم وصول الطلمبات من مطار فرانكفورت إلى القاهرة . وامتلأ مطار فرانكفورت بالطائرات المصرية . وهذا المطار ليس بعيداً عن أعين المخابرات الامريكية أو الإسرائيلية ولكن أحدا لم يلق بالا لما يحدث . ويكمل السادات الحديث قائلاً : «عندئذ قررت أنه لابد من دخولنا الحرب لأنه لايوجد شخص يهتم بما نعمل» .

وكان هناك كثير من الملاحظات التى تشير إلى توقع هجوم مصرى سورى على اسرائيل فى ٦ أكتوبر ٧٣ . فقد لاحظت الوكالة الأمريكية ملاحظات عديدة تشير إلى قرب احتمال قيام الحرب . وقد رفضت اسرائيل أن تاخذ هذه الملاحظات بجدية وقد وقع اللوم كله بعد الحرب على رأس «إيلى زعيره "Eli Zeira" رئيس المخابرات الحربية الإسرائيلية . وقد قال أحد كبار المسئولين الإسرائيليين الذى اهتم ببحث الموضوع أن ٥١٪ من الخطأ يقع فى جانب الموساد أما المخابرات الحربية فتتحمل ٤٩٪ من المسئولية . ومن ضمن الملاحظات أيضا أن هنرى كيسنجر قد أبلغ - عن طريق الملك حسين ومبعوث السادات انه مالم تتحرك الولايات المتحدة فسوف يقوم العرب بالهجوم وكان على اتصال مستمر بحافظ اسماعيل - مستشار السادات للأمن القومى - منذ أوائل عام ١٩٧٣ .

ولكى نفهم السر فى تصرف «كيسنجر» - أو بمعنى أدق عدم تصرفه - يجب علينا أن نفهم أن سياسة كيسنجر فى الشرق الأوسط جوهرها طرد السوفييت من المنطقة وحمايتها من أى نفوذ سوفييتى . واستمرا الصراع المصرى - الإسرائيلى سيجعل المصريين دائما منحازين للسوفييت للحصول على السلاح على أقل تقدير . ولكن إذا تمكن كيسنجر من التوصل إلى اتفاق بين مصر واسرائيل فسوف يعنى ذلك

خروج مصر من منطقة النفوذ السوفيتي . وقد رأى كيسنجر أنه إذا قامت حرب بين البلدين كما يتوقع الملك حسين وآخرون وكان عليه - أي كيسنجر - أن يحذّر الإسرائيليين من ذلك فإن اسرائيل لابد أن تقوم بالمبادرة بضربة وقائية ضد اعدائها وفي هذه الحالة ستضطر الولايات المتحدة للتدخل في صالح اسرائيل ويصبح من المستحيل على كيسنجر اجراء أي اتفاق بين المتحاربين . وقد كرر كيسنجر تحذيره لإسرائيل أن لا تكون صاحبة الطلقة الأولى وقد تلقى الموساد - في آخر لحظة - تحذيراً واضحاً من أن شيئاً جللا سوف يحدث وأن المصريين يستعدون لإطلاق النار . وقد رفضت جولدا مائير نصيحة رئيس الأركان لتبدأ الحرب وذلك حتى تكسب تعاطف الولايات المتحدة والدول الأخرى .

وعندما بدأت التقارير المتضاربة عن عبور المصريين لقناة السويس تصل إلى واشنطن تذكر أحد المسئولين في الوكالة تقرير «فريد فيز» حول شراء المصريين لمعدات العبور العسكرية واستخرجوه من الأرشيف وقدموه للبيت الأبيض على أن هذا هو مايحدث فعلا على جبهة سيناء ! .

وماكان يحدث في هذه الأوانة على الجبهة المصرية - الإسرائيلية هو انهزام مروّع للإسرائيليين . وكاد يحدث لديأن - وزير الدفاع - الذي كان يتباهى منذ أيام بمقدرة اسرائيل - انهيار عصبيى وعندما قام بزيارة الجبهة في اليوم الثاني والثالث من المعركة نقل احساسه بالهزيمة المعكرة إلى جولدا مائير رئيسة الوزراء وإلى البيت الأبيض .

وقد كان الأمريكيون أكثر فزعاً من الإسرائيليين عندما أخطرتهم مخابراتهم أن اسرائيل قد تلجأ لإستعمال السلاح الذرى الذي لديها في صحراء النقب . وقد كانت اسرائيل قد انتهت من صنع واختبار صاروخ مزود برأس نووية مع الفرنسيين يسمى «جيريكو "Jevicho وأنه على الإستعداد للإنطلاق في ٨ أكتوبر . ولعلنا نتذكر أن أمريكا قد أخذت عهداً على اسرائيل بعدم استعمال الأسلحة النووية في الشرق الأوسط وفي مقابل ذلك فقد زودتها أمريكا بكميات هائلة من الأسلحة التقليدية المتقدمة . وها قد جاء الوقت الآن لإسرائيل أن تتخذ خطوة حاسمة حربية دون الرجوع إلى الولايات المتحدة .

ولم يكن التفجير الذرى في سيناء (ضد القوات المصرية) في حسبان الإدارة الأمريكية ولا ندري ماذا فعل كل من نيكسون وكيسنجر حتى يحولا دون انطلاق الصواريخ النووية الإسرائيلية ولكن الذي حدث

هو أن صواريخ «جيريكو» الإسرائيلية لم تنطلق وتم بدلا منها عمل جسر جوى بين أمريكا واسرئيل لنقل كميات هائلة من العتاد الحربى - معظمة من القوات الأمريكية فى ألمانيا مباشرة إلى الخطوط الأمامية . الإسرائيلية فى سيناء وبعكس ماظهر فى عام ٦٧ كان الوجود الأمريكى واضحاً فى هذا الصراع . وقد كان يوجد طوال فترة الحرب قيادة اسرائيلية دائمة داخل البنتاجون . وكان الضباط الإسرائيليون ينظمون حركة نقل الأسلحة على مدار ٢٤ ساعة . وقد تم معرفة تفاصيل ذلك وإذيعت بواسطة وسائل الإعلام بعد أسبوع من بدء القتال . ومنذ ١٣ أكتوبر ولمدة ثلاثة أسابيع بعد انتهاء القتال - وسمياً - كانت السماء فى الولايات المتحدة واسرائيل مظلمة من كثرة الطائرات الضخمة (C141 , C 5) التابعة لسلاح الطيران الأمريكى تنقل السلاح من أمريكا إلى الجبهة مباشرة فى سيناء . ولكى نتصور حجم هذه العملية يكفى أن نعرف أنه قد تم نقل ٢٢٤٩٧ طناً من الأسلحة والمعدات منذ بدء القتال حتى وقت إطلاق النار وشارك فى هذه العملية من الجانبين ستة وعشرون ألف شخص وهذه هى أكبر عملية نقل تمت بالجو فى العالم حتى عام ١٩٩٠ فى حرب الخليج وقد أنقذت هذه العملية اسرائيل وساهمت فى قبول وقف إطلاق النار .

وقد كانت عملية النقل الجوى الرهيبة غير ضرورية اطلاقا من الناحية الحربية فقليل جدا من المعدات قد أمكن استعمالها فى الفترة من ١٣ أكتوبر حتى وقف إطلاق النار الفعلى فى ٢٤ أكتوبر ولكنها كانت واجبة من الناحية السيكلوجية لرفع الروح المعنوية لإسرائيل وقد أكد أحد كبار المسئولين العسكريين الأمريكيين أن عملية النقل الجوية كان تاثيرها قليل جدا من الناحية الاستراتيجية . ومهما قيل عن تاثير الجسر الجوى على الحرب لأنه لا يكاد يذكر فإنه أتاح للسلاح الجوى الأمريكى فرصة رائعة لاختبار كفاءة الطائرة العملاقة C - 5 كما أنه وضّح مدى التعاون بين الولايات المتحدة واسرائيل بعد حرب ٦٧ .

كانت اتصالات اسرائيل بالولايات المتحدة قبل حرب ١٩٦٧ تتم عن طريق وكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A.) .ولكن يكن البنتاجون (وزارة الحربية الأمريكية) متحمسا للدولة الصهيونية فى مبدأ نشأتها . ويذكر ايسار هاريل - وهو أحد القادة الأوائل لإسرائيل وكان رئيسا للموساد - باسى أن الجنرال «أرثر ترودو "Arthur Trudeau" رئيس المخابرات العسكرية الأمريكية فى أوائل

الخمسينات قد زار اسرائيل فى عام ١٩٥٤ وابدى معارضته الشديدة فى تزويد اسرائيل بالسلاح فى حالة قيام حرب عالمية . ويعتبره «هاريل» عدواً للإسرائيليين» . وبالرغم من حصول اسرائيل على صواريخ «هوك» ثم بعد ذلك طائرات «سكاى هوك» المقاتلة فى عام ١٩٦٤ فإن اسرائيل لا تعتبر سوقا تجاريا للأسلحة الأمريكية ولا كانت الخطط الحربية الإسرائيلية تثير حب استطلاع الأمريكيين . ولكن كل ذلك تغيَّر صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ عندما تمكنت القوات الجوية الإسرائيلية من سحق الطيران المصرى فى ساعتين .

ونحن نتذكر أن أمريكا خلال حرب فيتنام قد حاولت توجيه ضربات من الجو ـ بواسطة طائرات "B-52" القاذفة الضخمة ـ ضد الثوار فى شمال فيتنام . ورغم عنف هذه الضربة فقد قاومها الفيتناميون الشماليون بعزيمة فائقة ولم يحدث التاثير الذي كان الأمريكيون يتوقعونه . وقد كانت حرب ٦٧ سبباً فى شد أزر أنصار الهجوم الجوى من العسكريين الأمريكيين وقد كتبت جريدة «أفييشن ويك "Aviation Week and Space Tech-nology" الأمريكية مقالا فى هذا الشان قالت فيه «إن الدرس السياسى الذى يبدو أن كثيراً من الناس فى واشنطن لم يعوه هو أن قادة الإتحاد السوفييتى على استعداد للقيام باى عمل حربى ـ فيما عدا استخدام الأسلحة النوية ـ لكى ينفثوا عن حقدهم للغرب . وقد ساعدوا فى زيادة حقد العرب على الغرب واسرائيل حتى يضطروا الولايات المتحدة ـ الغارقة فى حرب فيتنام ـ للتدخل فى هذه المنطقة . ولولا براعة الضربة الجوية الإسرائيلية فربما وصلت روسيا إلى غرضها» وربما أختلف المؤرخون فى تصديق مقالة هذه المجلة عن الإتحاد السوفييتى وأغراضه ولكنه من المؤكد أنهم متفقون على أن سلاح الجو الإسرائيلى قد أباد سلاج الطيران المصرى خلال ساعتين . ورغم مرور أربع وعشرون عام على هذا الحادث إلا أن سلاح الطيران الأمريكى حاول أن يفعل شيئا مثله أثناء اغارته على العراق عام ١٩٩١ . فقد كان أول هدف لمعركة «عاصفة الصحراء» "Desert Storm" هو تحطيم سلاح الطيران العراقى «على الأرض» كما فعل الإسرائيليون فى خلال الساعات الأولى لحرب ١٩٦٧ . وقد ألمَحَتْ محطة .C.B.S الأمريكية بين وجه الشبه للهجوم الأمريكى على الطائرات العراقية والهجوم الإسرائيلى على الطائرات المصرية . ولكن يبدو أن العراقيين قد استفادوا من الدرس المصرى فقد قاموا بإخفاء طائراتهم فى أماكن يصعب ضربها من الجو واضطر الطيران الأمريكى فيما بعد لإعادة ضرب القوات الجوية العراقية .

والقول بان القوات الجوية الإسرائيلية هى التى كسبت الحرب لتحطيمها الطيران المصرى فى ساعتين عند بدء الحرب يعنى أنه إذا لم يكن ذلك قد تم لكانت قوات الطيران

المصرية قادرة على إيقاف زحف القوات المدرّعة الإسرائيلية فى سيناء حتى شاطىء قناة السويس . وهذا القول يبدو منطقيا لدرجة أن أى مُحَلِّل لم يتعرض لنقده . ولكن هذا غير صحيح بالمرة كما يبين ذلك تقرير سرى كتبه عقيد فى وكالة المخابرات الأمريكية يدعى "Russ STolfi" رس ستولفى» كان هدفه أن يكون أكثر من يعرف عما دار فى حرب الصحراء عام ٦٧ وقد قام «ستولفى» بفحص الدبابات المحطمة والمتناثرة فى الصحراء وكان بعضها ولايزال به طاقمها من المصريين . ووجد أن أكبر عدو للدبابات المصرية كانت الدبابات الإسرائيلية والمدفعية والبنادق عديمة الإرتداد التى أجاد استعمالها الجنود الإسرائيليون . ولكن الحقيقة الجديرة بالملاحظة هو أنه لم يجد دبابة قد تم تحطيمها من الجو ولا واحدة!.

وقد قام «ستولفى» بنفس الجولة بعد حرب عام ١٩٧٣ ووجد فى ساحة المعركة دبابات أكثر من حرب ٦٧ ولكنه لم يجد دبابة واحدة قد تم تحطيمها من الجو . وقد استنتج من ذلك أن القوة الجوية ليس لها تأثير على نتيجة كل من المعركتين ـ عام ٦٧ وعام ٧٣ ـ وكان لهذا التقرير رد فعل شديد فى القوات الجوية الإسرائيلية والأمريكية ولم يعلم به إلا القليل ولايزال يعتبر من التقارير السرية حتى الآن .

وقد كان لتقرير «ستولفى» فائدة كبيرة للقوات الأمريكية فى خلال حرب العراق . فقد قام مجموعة من الخبراء فى «البنتاجون» بدراسته وقاموا بتطوير الطائرة "A- 10" المعروفة باسم «وورتج Warthog" لتستخدم ضد الدبابات وركبوا عليها مدفعا ثقيلا سريع الطلقات وكانت الطائرة بطيئة الحركة وقليلة التكاليف . وقد قاوم سلاح الطيران الأمريكى استخدامها فى حرب الخليج ولكنهم فى النهاية اعترفوا بمميزاتها وقال أحد قادة سلاح الطيران «لقد قامت هذه الطائرة بحماية مؤخرتى» وكان من نتائج انتصارات سلاح الطيران الإسرائيلى المزعومة أنه كان يطلب منهم اختبار بعض الأسلحة الأمريكية وكتابة تقرير عنها . وعلى سبيل المثال فقد طلبت القيادة الأمريكية من سلاح الطيران الإسرائيلى ـ خلال حرب ٧٣ ـ اختبار صاروخ جَو/أرض يسمى «مافريك Mavrick والذى استعمل لأول مرة فى حرب فيتنام وأثبت فشله . ولكن تقارير حرب فيتنام كانت سريّة وأرسل إلى اسرائيل ضمن الجسر الجوى الذى انشىء لنقل الأسلحة بين واشنطن والجيش الإسرائيلى . ورغم أن الهدف الأساسى منه كان تحطيم الدبابات المصرية إلا أن «ستولفى» النشيط أثبت فى بحثه بصحراء سيناء أن الألف دبابة المصرية والألف دبابة السورية الذين تحطموا فى حرب ٧٣ لم يكن بسبب صاروخ «المافريك» ولما كان هذا الصاروخ كان ضمن صفقة قدرها ٢و٢ مليار دولار تنازلت الولايات المتحدة عن ٥و١

مليار دولار منها فإن خسارة الإسرائيليين بسبب «المافريك» تعتبر طفيفة .

ولم يكن صاروخ «المافريك» هو الوحيد الذى قامت بتجربته اسرائيل فقد أرسلت الولايات المتحدة إليها صاروخا يسمى «سبارو "Sparrow" المفروض فيه أنه يصيب الأهداف التى لاتستطيع العين رؤيتها (Beyond Visual Range) أى التى تظهر على شاشة الرادار وبعيدة عن الرؤية بالعين البشرية . وقد ثبت فشل هذا الصاروخ منذ اختراعه فى عام ١٩٥٨ إذ أن عيبه الرئيسى أنه لا يستطيع أن يميز بين الأهداف الصديقة وأهداف العدو رغم ذلك فقد أرسلته الحكومة الأمريكية ضمن صفقة الأسلحة وقام سلاح الطيران الإسرائيلى - ارضاء لحلفائه الأمريكيين - بتجربته أثناء حرب ٧٣ وتمكنوا من اسقاط طائرة واحدة سورية فقط .

ومن المضحك أن الجنرال - موتى هود - رئيس سلاح الجو الإسرائيلى كان فى زيارة - بعد الحرب - للبنتاجون . وأطلعوه على تقرير عن حرب ٧٣ خاص بكفاءة الأسلحة الأمريكية التى قام الأسرائيليون بتجربيتها فى حربهم مع مصر وكيف أن الإسرائيليون تمكنوا من تحطيم كذا ... وكذا من الأهداف المصرية والسورية بواسطة الأسلحة الأمريكية الحديثة - ذاكرين فيه صواريخ «سبارو» و «مافريك» فقرأ «هود» التقرير بكل عناية ونظر إلى مرافقه الأمريكى وقال « هذا تقرير رائع عن الحرب ولكنها ليست الحرب التى خضناها!!» ولكن رئيس السلاح الجوى الإسرائيلى الذى خلف «هود» ويدعى «دافيد إفرى "David Ivri" كان أكثر دبلوماسية وكان يرد على الأمريكيين بما يريدون أن يسمعوا من التعليقات على كفاءة اسلحتهم وكان يقول فى هذا الشان «إنهم لن يمدُّونا بمزيد من الأسلحة إذا انتقدنا اختراعاتهم !» .

وقد توقف المصريون - بعد حرب ١٩٧٣ - عن التفكير فى حل مشاكلهم مع إسرائيل بالحرب واكتفوا باستعمال الدبلوماسية معتمدين على مؤيديهم فى واشنطن . لقد نجحت استراتيجية كيسنجر أخيراً. ورغم أن اسرائيل لم تعد مهددة عسكريا . إلاّ أن الولايات المتحدة استمرت فى امدادها بالمال لتدعيم قوة الدفاع الإسرائيلية ، وباكثر من ذى قبل . فقد امدتها أمريكا فى السنة التى سبقت الحرب بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار للمعونة العسكرية ثم ارتفعت إلى ٢و٥ مليار دولار خلال الحرب . واعتبر مبلغ ١و٥ بليون دولار منها كمنحة لا ترد . بدلا من قرض وذلك لأول مرة لإسرائيل . ومنذ هذا التاريخ فصاعدا أصبح نصف القروض الحربية لإسرائيل يعتبر منحة لا ترد . ولذلك كان على اسرائيل أن تهب لمساعدة الولايات المتحدة فى صناعاتها العسكرية كلما طلب منها ذلك .

رغم الولاء التام لليهود الأمريكيون لإسرائيل فإن كثيرا منهم فشلوا فى فهم مدى ارتباط المعونة الرسمية الأمريكية لإسرائيل بحالة الحرب الباردة بصفة عامة . وقد كان المجتمع اليهودى الأمريكى حتى عام ١٩٧٠ حرا فى ردود فعله بالنسبة للمشاكل السياسية فى غير الشرق الأوسط . فقد تضايق «ليندون جونسون Lyndon Johnson" من المجتمع اليهودى الأمريكى عندما لم يؤيده فى حربه ضد فيتنام رغم كل مابذلة من أجل تأييد دولة اسرائيل وقد طلب منه وفد من رجال الدين اليهود أنه يجب عليه أن لا يرسل مسمارا واحدا لحرب فيتنام قبل أن يقوم سلاح الطيران والبحرية بأكملهم ـ لوا اقتضى الأمر ـ بفتح مضيق نيران أمام الملاحة اليهودية وكان ذلك فى مقابلة لهم معه قبيل حرب ١٩٦٧ . وعلى الرغم من رغبة المجتمع اليهودى الأمريكى فى معاونة اسرائيل فإنه كان ضد الحرب فى فيتنام ـ وشاركه فى ذلك كثير من الأمريكيين نفسهم . وكان لهذا الموقف من الشعب الأمريكى أثره فى انسحاب امريكا من حرب فيتنام . وبالرغم من ذلك فقد ساد شعور بعدم الثقة وعدم الإرتياح من الشعب ضد القيادة العسكرية مصحوبا بتأييد لبرنامج للحد من التسلح مع الروس . وفى أوائل ١٩٧٣ كان هناك ٨٪ فقط تؤيد زيادة التسلحً .

وكان الإسرائيليون لا يرحبون بعلاقات طيبة بين أمريكا وروسيا . فهم يعلمون أن موقفهم كمكسب استراتيجى فى الشرق الأوسط لأمريكا متوقف على استمرا الحرب الباردة بين البلدين .

ولم يكن الإسرائيليون وحدهم هم الذين يرغبون فى اساءة العلاقة بين روسيا وأمريكا بل شاركهم فى ذلك بعض اعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى من الديموقراطيين وعلى رأسهم السناتور «هنرى جاكسون Henry Jackson" نائب واشنطن منذ عام ١٩٤٨. ولكن فى عام ١٩٧٢ قام الحزب الديموقراطى الأمريكى بتحويل سياسته نحو السلام وأحلّ محل جاكسون «جورج ماك جوفرن George Mc Govern " مرشحا للرئاسة عن الحزب الديموقراطى . ولم يصيب اليأس جاكسون بعد الهزيمة بل ظل يناضل فى سبيل استمرا ر الحرب الباردة بين روسيا وأمريكا . وفى نهاية عام ١٩٧٢ عقد «جاكسون» مؤتمراً فى نيويورك كان عنوانه الرئيسى «الإحتجاج على الأحوال السيئة لليهود السوفييت» وركب موجة الهجرة إلى اسرائيل . وكان يزامله فى قيادة هذا المؤتمر رجل الدين اليهودى المتعصب مائير كاهانا Meir Kahana قائد حرب الدفاع اليهودى الدموى فى اسرائيل .

ولكى نفهم لماذا اجتمع الرجل اليهودى الدموى مع السناتور «جاكسون» الأمريكى علينا أن نفهم وضع اليهود فى وروسيا . فقد كان من نتائج حرب ٦٧ أن قطعت روسيا علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل وفى نفس الوقت أوقفت الهجرة اليهودية إليها و التى كانت على أشدها فى بداية عام ٦٧ ولكن كانت فى الخفاء حيث لم ترد كل من الحكومتين الإعلان عنها ولكن بعد قطع العلاقات الدبلوماسية أفشت اسرائيل كل أسرارها . وبعد

سنتين صرّحت جولدا مائير فى الكنيست أنها ستحتج دوليا على وقف روسيا لهجرة اليهود منها إلى إسرائيل لأن اسرائيل « لن تستمر فى سياسة الصمت » وقد عرف « كاهانا » فى ذلك الوقت بأنه رئيس حزب الدفاع اليهودى الذى كونه فى نيويورك وكان معروفا بتعصبه ضد الزنوج الأمريكيين وانتمائه « للوبى » الصهيونى وأنه كان عميلا لوكالة المخابرات الأمريكية للترويج لحرب فيتنام .

وفى ديسمبر عام ١٩٦٩ وصلت رسالة إلى « كاهانا » تأمره أن يوقف مضايقاته ضد السود ويركز نشاطه ضد الإتحاد السوفييتى . وكانت هذه الرسالة صادرة من « جويلا كوهين Geula Cohen" وهى إحدى المتطرفات اليهوديات التى تؤمن بالعنف والدموية وقالت فى رسالتها أن اليهود الروس فى موقف عصيب حيث أن السوفييت ينوون محوهم من الوجود وأن على حزب الدفاع اليهودى ـ حزب كاهانا ـ محاولة منع ذلك.

ولم تكن تلك هى خطة « جويلا كوهين » شخصيا ولكن يبدو وأنها كانت تتكلم نيابة عن مجموعة من أغنياء اليهود الإسرائيليين والأمريكيين من ضباط الموساد المتقاعدين الذين كانوا على استعداد لتدريب أعضاء حزب « كاهاناه » وعلى رأس هذه المجموعة زميل « جويلا كوهين » ورئيسها فى جامعة « ليهى » الإرهابية « اسحاق شامير » . وقد شغل « اسحاق شامير » عدّة وظائف فى الدولة اليهودية فقد بدأ عمله كإرهابى ضد الإنجليز فى فلسطين ثم إنضم إلى هيئات التجسس بعد الإستقلال وشغل منصب رئيس الموساد فى باريس ثم تقاعد رسميا فى عام ١٩٦٥ . وبعد تركه العمل فى الموساد عام ٦٥ حاول أن يكون رجل أعمال ولكنه فشل فى ذلك وأخيراً مارس السياسة . ولكن بالرغم من أنه ترك العمل فى الموساد فإنه لايزال على صلة بزملائه فيه . وأطاع « كاهانا » تعليمات « جويلا كوهين » وبعد شهر من اجتماعه بها هاجمت جماعته مكاتب وكالة « تاس » السوفيتية ومكاتب الطيران الروسي فى مطار كنيدى ونشروا الكلمات الفاحشة باللغة العبرية فى كل الأماكن وقاد مظاهرة أمام مبنى الأمم المتحدة وخطب قائلا « إن مهاجمتنا للمؤسسات السوفيتية ماهو إلا خطوة أولى لتجذب النظر إلى المعاملة المهينة وغير العادلة للمواطنين اليهود فى روسيا وذلك لكى يهتم بهم الرأى العالمى والإعلام الدولى ».

وقد انكرت « جولدا مائير » أى صلة لها بنشاط « كاهانا » وصرّحت أن « كاهانا » يعرض اليهود الذين يدافع عنهم إلى الخطر وأنها ـ أى جولدا ـ تستطيع بقرار منها أن ترسل الجنود الإسرائيليين إلى حتفهم فى الحرب ولكنها ليس لها الحق فى تعريض اليهود السوفييت للخطر . ورغم أن ماقالته مائير تستحق عليه الشكر إلاّ أن هناك أدلة توحى بأن حكومة مائير العمالية لم تكن بعيدة عن تصرفات « كاهانا » . « فجولدا مائير » ـ بإعتبارها رئيسة الوزراء ـ كانت مسئولة مباشرة عن « الموساد » وقد قال أحد أصدقاء « كاهانا » واسمه « روبرت فريمان Robert Frieman أن ثلاثة ضباط ـ على الأقل ـ من الموساد

كانوا يشرفو ن على عمليات«كاهانا» الدموية . ومن المستبعد أن يكون ذلك بدون علم من رئاستهم . وقد قال رئيس الموساد « زفي زامير "Zvi Zamir" فى هذا الصدد «كانت أصعب العمليات وأكثرها إثارة التى قمنا بها هى انقاذ أخوتنا اليهود من البلاد التى هم مضطهدون فيه وترحيلهم إلى اسرائيل» .

وقد كانت مسالة هجرة اليهود السوفييت إلى اسرائيل تشكلُ مشكلة كبيرة فى العلاقة بين روسيا واسرائيل . وكانت هذه المسألة هى حلم جميع الحكومات الإسرائيلية . فإن تعداد اليهود السوفييت يعادل تعداد جميع اليهود فى إسرائيل . وكان حكام اسرائيل يأملون أنه سيأتى اليوم الذى تقبل فيه الحكومة السوفيتية الموافقة على هجرة اليهود إلى اسرائيل ، ولكن بدا هذا بعيد المنال بعد حرب ١٩٦٧ وأصبح واضحاً أن الطرق الدبلوماسية لن تؤدى إلى هذا الغرض . ويوضح تصريح أشكول وجولدا مائير القائل بانها ستحتج دوليا على وقف هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل أن الحكومة الإسرائيلية قد اتخذت سياسة مختلفة فى هذا الموضوع . وقد أدى استعمال العنف ضد الروس فى الولايات المتحدة إلى ابراز موضوع اليهود السوفييت فى الصفحات الأولى لوسائل الإعلام واهتم يهود أمريكا بإخوانهم السوفييت وقام الروس بالإحتجاج وحمّلوا حكومة نيكسون كل العواقب التى قد تنتج عن نشاط «كاهانا» الذى قام أيضاً فى عام ١٩٧١ بتفجير أربعة قنابيل ضد السوفييت . وأصبحت قضية هجرة اليهود السوفييت تشغل الرأى العام العالمى .

وقد حاول برجنييف ارضاء أمريكا وتهدئة الموقف فوافق على هجرة أكبر عدد من اليهود فى عام ١٩٧١ . إلاّ أنهم منعوا اليهود الذين يعملون فى المشاريع السرية أو الذين لديهم معلومات خاصة من الهجرة ولكن ذلك لم يمنع تسرُّب كثير من المعلومات المفيدة إلى اسرائيل ومنها إلى أمريكا عن طريق علاقة الموساد بوكالة المخابرات الأمريكية . وقد قام عملاء الموساد والوكالة فى وسط هذا الخضَمّ من المهاجرين بتهريب بعض الحاقدين على النظام السوفييتى ـ من العلماء والمشاهير ـ عن طريق تزويدهم بأوراق مزورة تفيد أنهم من اليهود.

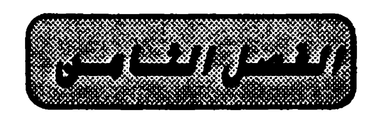
وبعد نجاح «كاهانا» فى مهمته سافر هو إلى اسرائيل حيث بدأ حركة يمينية متطرفة أثارت سخط مؤيديه الأوائل من الإسرائيليين الذين استاءوا من نشاطه السياسى الذى بدأ يطغى على نشاطهم وبدأوا يسائلونه عن المبالغ الضخمة التى أعطوها له لكى يبدأ صراعه فى سبيل هجرة اليهود السوفييت . واستمر «هنرى جاكسون» ـ صديق كاهانا ـ فى تنشيط عملية الهجرة اليهودية من روسيا إلى أن تم توقيع اتفاق بين البلدين يربط الهجرة بحجم التعامل الإقتصادى بين البلدين فكان هذا سببا فى الإقلال من الهجرة بشكل واضح كما أن الروس فقدوا الإهتمام بكسب ثقة الشعب الأمريكى

فهبطوا بمعدل الهجرة إلى حد كبير .

كان للمساعدة الأمريكية لإسرائيل أثناء حرب «يوم كيبور» تأثير كبير فى الدعاية لزيادة حجم الإنفاق الأمريكى لميزانية البنتاجون بل لقد ربط بعضهم ميزانية البنتاجون بميزانية اسرائيل . وقد قال أحد اليهود الأمريكيون فى خطاب له أمام حشد من اليهود « إن كل دولار يذهب إل ميزانية البنتاجون معناه دولار فى ميزانية اسرائيل » ! وقد كان لهذه الدعاية أثر كبير فى تحويل أفكار كثير من اليهود الأمريكيين أمثال الصحفى «نورمان بودهرست Norman Podhoretz" الذى كان يدعو ضد حرب فيتنام فى الستينات . ولكن بحلول السبعينات تغيرت سياسته وأصبح من كبار المؤيدين للديمقراطيين فى حربهم فى فيتنام وانتهج سياسة ربط ميزانية اسرائيل بميزانية البنتاجون وكان السبب فى نجاح السيناتور الديموقراطى «بات موينهام Pat Moyniham" فى دائرة نيويورك عن طريق كسب أصوات الصهاينة بهذه الوسيلة وفى نفس الوقت إرضاء المسئولين فى البنتاجون . وقد أصبح «بودهبرست» نواة لمجموعة سياسية تنادى بزيادة الإنفاق على البنتاجون والإكثار من انتاج السلاح والتى كانت سببا فى تكوين لجنة تدعى «لجنة الخطر الماثل Present Danger Committee فى منتصف السبعينات هدفها زيادة الإنفاق للدفاع انضم إليها عضوان ظاهران من الكونجرس هما «بول نيتز Paul Nitze يوجين روستو Eugene Rostow" وكل ذلك كان يهدف إلى زيادة المعونة الحربية لإسرائيل . وقد زاد نشاط هذه اللجنة أثناء حكم الرئيس ريجان وضمت عديدا من الشخصيات المعروفة ومنهم «ريجان» نفسه . ويقول أحد المسئولين فى هذه اللجنة «لقد شكلّ الإسرائيليون جزءاً كبيراً من أعمال اللجنة وكان يدخلون ويخرجون من المبنى ـ مبنى «البنتاجون» لدرجة أزعجت المسئولين عن الأمن فيه ولكننا جميعاً نعلم مدى تأثير الأصوات اليهودية فى الإنتخابات . وكانت هذه اللجنة من أكبر الأسباب التى أدّت إلى زيادة ميزانية البنتاجون . وقد صادفت هذه اللجنة هوى «اللوبى» اليهودى فى الكونجرس لدرجة أن عضو الكونجرس «ليس أسبين Les Aspin" وهو من الأعضاء الظاهرين فيه قال « إن (اللوبى) الإسرائيلى فى الكونجرس ليس من أنصار ضغط مصروفات الدفاع» .

فإذا كان زعيم (اللوبى) الإسرائيلى فى هيئة محترمة ـ مجلس الشيوخ الأمريكى ـ يساوى بين ضغط مصروفات الدفاع الأمريكية ومعاداة اسرائيل فإن أنصار «البنتاجون» قد وجدوا حليفا قوياً ! وهذا يوضح لنا أن نشاط «كاهانا» لم يكن هو النشاط الوحيد الخفى المشايع لإسرائيل فى الولايات المتحدة .

****



الخيانة

تقضى واجبات «وفى رويتر» ـ المسئول عن عمليات السلاح الإسرائيلية ـ اليومية أن يراجع صفقات السلاح . وهذا الواجب يجعله بعيداً عن أعين الناس معظم الوقت ، وقد أقام فى أكتوبر ١٩٨٨ حفلة فاخرة فى فندق دان «أكاديا Dan Accadia" فى «هرتزيليا . Herzliya" ووقف يحيى ضيوفيه العظام وهو يرتدى حلة أنيقة بينما قامت فتيات جميلات من واحدت جيش الدفاع الإسرائيلى بتوزيع الورود على المدعوين فى حين كان كبار الجنرلات من الجيش يذرعون الغرفة جيئة وذهابا . ووقف «أموسى يارون Amos Yaron" ـ الذى عُيِّن أخيرا ملحقا عسكريا فى واشنطن بعد أن رفضت كندا تعيينه لدوره فى مذبحة صابرا وشاتيرلا ـ وقف فى ركن الغرفة وعلى وجهه البشع شبه ابتسامة . بينما كان اسحق رابين يتحدث فى وسط الغرفة ويمسك بيده مشروبا وباليد الأخرى سيجارة.

وغير بعيد عن هذه الحفلة كانت « الإنتفاضة » على أشدها والصحافة العالمية تدمغ اسرائيل بالوحشية والعنصرية . وقد أقيمت الحفلة تكريما لإنعقاد مؤتمر التعاون الأمريكى الإسرائيلى فى الصناعات الحربية . وكان ضيوف الشرف مجموعة من كبار رجال الصناعات الحربية الأمريكية . والهدف من الحفلة هو إغراء الأمريكيين والبنتاجون ودفعهم لزيادة مشاركتهم فى الصناعات الحربية الرسرائيلية . وزيادة مشترواتهم من انتاجها . والصناعات الحربية الإسرائيلية يعمل بها حوالى ٠٠٠و١٣٠ شخص ويعتمد عليها الإقتصاد الإسرائيلى كثيراً . وهى بدورها تعتمد على الصناعات الحربية الأمريكية.

ويتعامل كبار الموظفين الإسرائيليين المختص بالأمن ـ وهم رجال الموساد والصناعات الحربية ـ مع زملائهم الأمريكيين بأدب ظاهر فهم يريدون منهم أن يعودوا إلى أمريكا

بانطباع جيد فالأمريكيون هم أصحاب السلطة والسيطرة على الصناعات الإسرائيلية ولاينسى الإسرائيليون أن أمريكا رفضت تمويل مشروع الطائرة المتقدمة الإسرائيلية «لافى "Lavi Fighter" والتى أطلق عليها «مشروع أبولو الإسرائيلى للوصول للقمر Israels Apollo Moon Project على أساس أنه مشروع مكلف وأن هذه الطائرة - إذا نجحت - قد تكون منافسا قويا لصناعة الطائرات الأمريكية وتوقف المشروع ولم يتم .

وقد تمكن الطلبة الإيرانيون أثناء احتلالهم للسفارة الأمريكية فى طهران عام ١٩٧٩ من الحصول على كتيب من إسرائيل كتبه رجال الوكالة الأمريكية للمخابرات يذكرون فيه أهداف المخابرات الإسرائيلية بالترتيب حسب الأهمية . وهى : أولاً : جمع المعلومات عن الإمكانيات الحربية للدول العربية .

ثانياً : معرفة السياسة السرية للولايات المتحدة بالنسبة لإسرائيل

ثالثا : جمع المعلومات العلمية والحربية فى الولايات المتحدة والدول المتقدمة ..

ومن هذا يتضح مدى الأهمية التى أعطتها اسرائيل منذ نشأتها للتقدم العلمى لكى تصنع من اسرائيل دولة متقدمة صناعيا . وكما رأينا فإن معظم هذا التقدم كان مركزا فى النواحى العسكرية والحربية .

وقد حصلت اسرائيل على هذا التقدم من التعاون المكشوف بين اسرائيل وحلفائها . فقد أعطتهم فرنسا كيفية صناعة الطائرات النفاثة والصواريخ النووية . وساهمت شركة داسو Dassault فى تطوير صواريخ جيريكو . وعندما انتقل التعاون من فرنسا إلى أمريكا أعطتهم أمريكا خلاصة تجاربهم وأبحاثهم كى يستفيدوا بها فى تطوير أسلحتهم .

ولكى تضمن أمريكا الرقابة على الصناعات الإسرائيلية فقد جعلت - تقريباً - لكل منتج إسرائيلى جزء أمريكى لا يصلح إلا به . ويقدر هذا الجزء بحوالى ٣٦٪ من مكونات المنتج وذلك طبقا لتقرير الجهاز المحاسبى الأمريكى فى عام ١٩٨٣ .

ومن الناحية الأخرى فإن اسرائيل ليس لديها أى رقابة على الأسلحة الأمريكية التى يدخل فيها جزء مصنع فى اسرائيل حتى ولو كانت هذه الأسلحة ستباع لدول تعتبر «عدوة لإسرائيل» . ومثال ذلك فقد أوقفت أمريكا صفقة طائرات اسرائيلية إلى الاكوادور لاحتوائها على محركات أمريكية الصنع فى حين لم تستطع اسرائيل أن توقف صفقة طائرات أمريكية (طراز ف ١٥ F 15) مباعة للسعودية رغم أنها تحتوى على خزانات وقود مصنوعة فى إسرائيل .

ورغم ماأبدته الإدارة الأمريكية - فى عهد الرئيس ريجان - من كرم زائد فى استجابتها لمطالب اسرائيل العسكرية فقد كان هناك كثير من المعلومات الفنية التى لم تستطع إسرائيل الحصول عليها ولهذا كان لابد من الإستعانة باجهزة المخابرات الإسرائيلية

فى الولايات المتحدة للحصول عليها . ولعل أهم ماحدث فى هذا السبيل هو « مشروع أبولو بنسلفانيا » الذى جاء ذكره آنفا (راجع الفصل الرابع)

وبالرغم من أن الكتيب الذى وجده الطلبة الإيرانيون فى السفارة الأمريكية فى طهران لم يذكر شيئاً عن هيئة « لاكام Lakam " الإسرائيلية (وهى الجهاز السرى الإسرائيلى الموجود فى أمريكا للتجسس) ، إلا أن المسئولين الامريكيين تأكدوا فى منتصف السبعينات من وجود جهاز اسرائيلى للتجسس العلمى فى أمريكا .

تأسست « لاكام » خصيصاً للحصول على المعلومات الخاصة بالذرة من أمريكا وكانت تحت رعاية « شيمون بيريز » ونجح أول رئيس لها ـ بينامين بلومبرج Benyamin Blum-berg ـ فى أن يجعلها مستقلة عن جهاز المخابرات الإسرائيلى . وقد قامت « لاكام » فى أواخر الستينات بدفع ۲۰۰۰۰۰ دولار لمهندس سويسرى كى يقوم بسرقة الرسومات الخاصة بالمحرك الفرنسى النفاث المركب على الطائرة « الميراج » كما قامت بسرقة معلومات فنية كثيرة غير ذلك لتساعد الصناعات الحربية الإسرائيلية على التقدم . وبالرغم من أن أعمال « لاكام » تشمل العالم ككل إلا أنها تجعل من الولايات المتحدة هدفها الأساسى . والسبب فى ذلك واضح فالولايات المتحدة كانت (ولاتزال) متقدمة عن العالم أجمع فى الأبحاث التكنولوجية بالإضافة إلى أنها على علاقة طيبة بإسرائيل .

وبينما هيئة « لاكام » تمثل إحدى أدوات وزارة الدفاع الإسرائيلية فى أمريكا يشكل « مكتب المشتروات الحربية » الأداة الأخرى . وهذا المكتب هو بديل المكتب السرى القديم الذى كان « تيدى كوليك » رئيسا له ولكنه يعمل الآن بطريقة أوضح كثيرا من ذى قبل . فبينما كان « شيمون بيريز » ـ فى المكتب القديم ـ يتسول المعونات من أغنياء اليهود . ويطلب منه أحدهم أن يغير جواربه لكى يظهر بمظهر لائق أصبح المكتب فى هذه الأيام يتصرف فى ١,٤ مليار دولار سنويا على الأقل من أموال دافعى الضرائب الأمريكيين ! وكما ينبين من أسم المكتب فهو مختص بشراء الأسلحة من المعونة الأمريكية للمجهود الحربى الإسرائيلى التى تصل إليه سنويا فى شهر أكتوبر . وكانت هذه المعونة السنوية تخصم على ميزانية الدفاع الأمريكية قبل أن يعترف بها « البنتاجون » .

ولم تلتزم اسرائيل بالأمانة والشرف فى شراء الأسلحة على الإطلاق . فقد حرضت شركة أمريكية تسمى نابكو Napco" على سرقة أحد الأسرار الحربية الأمريكية الخاص بصناعة مدافع الدبابات ونقلته إلى إسرائيل دون علم الإدارة الأمريكية . ولما اكتشف الأمريكيون هذا الأمر قاموا بتغريم شركة نابكو ۷٥۰۰۰۰ دولار وأذاعوا هذا الخبر فى وسائل الإعلام واحتجت وزارة الدفاع الإسرائيلية على ذلك .

وهناك أيضا المثل الصارخ لخيانة اسرائيل لعهود الأمانة والشرف مع الأمريكيين وذلك فى موضوع شركة « ريكون Recon" الأمريكية . فقد اخترعت هذه الشركة آلة تصوير

جوى يمكنها التصوير من الإرتفاعات العليا والسرعات العالية واسمتها «لوروب "Lorop وهى اختصار لجملة Long - range OBlique Photography وطلبت منها اسرائيل ـ فى منتصف الثمانينات ـ أن تقوم بتوريد هذه الالة لاستعمالها فى السلاح الجوى الإسرائيلى ولكن بمواصفات معيّنة تناسب الظروف التى تعمل فيها هذه الآلة . وكانت قيمة هذا العقد ٤٠ مليون دولار تدفع من المعونة الأمريكية . وكان على شركة ريكون انفاق مبلغ ١٦ مليون دولار من العقد فى اسرائيل مع شركات اسرائيلية . وعندما بدأت الشركة فى تنفيذ المواصفات الإسرائيلية المطلوبة وجدت أن العقد غير مجز وأنها ستتكلف مبالغ طائلة لو استمرت فيه فطلبت إلغاء العقد مع دفع التعويضات المناسبة . وأمرت الخبراء الإسرائيليين الذى كانوا موجودين بالشركة لمتابعة تنفيذ اعقد بالرحيل . وفوجىء رجال الأمن بشركة «ريكون» أن الخبراء الإسرائيليون يحملون معهم ١٠ صناديق تحوى جميع الرسومات التفصيلية للجهاز مع شرح تفصيلى باللغة العبرية عن كيفية صناعة وتشغيل الجهاز وكانت موجهة لشركة اسرائيلية تدعى «الأوب» "EI-OP" تعمل فى البصريات دون أن يكون لهم حق فى ذلك ودون علم شركة «ريكون» بطبيعة الحال . وقد ثار رئيس شركة ريكون «لارى لارش "Larry Larsen لذلك وقدم شكوى إلى «البنتاجون» ولكن «البنتاجون» تغاضى عن التحقيق فى الشكوى وحاول تهدئة الموضوع ـ كما يحاول عادة فى مثل هذه المواضيع الحساسة مع اسرائيل ـ وانكرت الحكومة الإسرائيلية ـ كعادتها دائما ـ علمها بذلك ونشرت جريدة «دافار "Davar" الإسرائيلية مقالا كبيرا تؤكد فيه أن شيئا من ذلك لم يحدث وأن الأمر لا يعدو أن يكون «اشاعات من أعداء اسرائيل» وهكذا يتبين أن قيادات أجهزة المخابرات الإسرائيلية لا يتورعون عن خيانة حلفائهم الأمريكيين وسرقة أسرارهم لصالح المؤسسة العسكرية الإسرائيلية .

إن التوصّل للتكنولوجيا المتقدمة ونقلها إلى اسرائيل يمثل قوة كبيرة تستفيد منها الصناعات الحربية الإسرائيلية ويسيطر على هذه الصناعة فى اسرائيل هيئة «سيبات "Sibat" المسئولة عن تصدير الأسلحة ومكتب المشتريات الحربية فى نيويورك وهيئة «لاكام "Lakam" وهى هيئة التجسس العلمى . ويرأس سيبات ـ فى ذلك الوقت ـ شابيك شابيرو Shapik Shapivo الرجل الذى يرتدى نظارات شمسية أنيقة وقميص حريرى . وقد صنع شابيرو مجده خلال سيطرة حزب العمال الإسرائيلى على مجريات الأمور فى اسرائيل ولكنه لم يستطع أن يحتفظ بمكانته مع «شارون» فقد أطاح به شارون بمجرد توليه السلطة ووضع بدلا منه «زفى رويتر» وهو أحد المؤيدين له ـ كما عيّن «شارون» شخصا أخر من معاونيه فى مكتب المشتريات الحربية فى نيويورك وهو أفراهام بن يوسف "Avraham Ben Iosef ووضع رافييل إيتان "Rapael Eitan الشهير «برافى القذر "Stinking Rafi" ـ الذى اشتهر بعملية اختطاف «إيخمان» ومشروع أبولو بنسلفانيا ـ رئيسا

للأركان على الرغم من أن إيتان يعانى من ضعف شديد بالنظر كما أنه شبه أصم وذلك عندما تولى وزارة الدفاع فى وزارة بيجن عام ١٩٨١ .

كان عصر ريجان هو العصر الذهبى للبنتاجون . فقد زادت ميزانيته زيادة كبيرة وتدفّقت الأموال على الأبحاث العسكرية ونال مشايعو اسرائيل أمثال «ستيفن براين "Stephen Bryen" و«ريتشارد بيرل "Richard Perle" خُطوة كبيرة وتم الإعتراف رسميا بالتعاون الحربى بين أمريكا واسرائيل بتوقيع مذكرة التفاهم العسكرى "Memorandum Of Underatanding" فى أكتوبر سنة ١٩٨١ وأصبح لمطالب الدفاع الأولوية الأولى فى الميزانية وقامت أجهزة المخابرات الأمريكية بتضخيم «الخطر» . وشكلت المخابرات نفسها مركز قوة لم يسبق له مثيل . وأصبحت أمريكا تشبه اسرائيل من هذه الناحية . وقد نجح الإسرائيليون فى أن يقنعوا الأمريكيون بالمعنى الإسرائيلى لكلمة «ارهاب» وتجريده من أى معنى سياسى فالإرهاب بالنسبة للإسرائيليين هو أى تصّرف يتّصف بالعنف من الفلسطينيين أو مناصريهم . أما أعمال عصابات «شيتيرن» و«أرجون زفاى ليومى» و«الهاجاناه» الإرهابية التى سبقت استقلال اسرائيل ونجحت فى طرد الإنجليز وإرهاب العرب لكى ينزحوا من فلسطين فهى تمثل عند بيجين وأقرانه «حركات التحرير» . وصادف هذا التفسير هوى فى نفوس الإدارة الأمريكية فقد وصف وزير الخارجية الأمريكى ـ فى عام١٩٨١ «الكسندر هيج "Alexander" ـ الإرهاب بانه أى عمل يقوم به الروس أو مشايعبهم من الكتلة الشرقية . أما مايقوم به الكونترا ـ مثلا ـ فى نيكاراجوا وتناصره الولايات المتحدة فاطلق عليه نضال الأحرار وأكد «هيج» أن أمريكا ستضع نصب عينهيا الدفاع عن حقوق الإنسان فى العالم أجمع . وكلفت جميع مكاتب المخابرات الأمريكية بأن تراعى ذلك .

وقد قررت المخابرات الأمريكية للأسطول ـ بناء على هذا التصريح ـ انشساء مكتب خاص لها يسمى «مركز التحذير ضد الإرهاب "(ATAC) Anti - Terrorism Alert Center" يتبع «ادارة بحوث تحليل التهديدات» . ولما كان هذا المركز جديدا فقد تم تشكيل العاملين به من مختلف أقسام المخابرات الخاصة بالأسطول الأمريكى . وتم تعيين موظف مدنى بهذا المركز يدعى «جوناثان جاى بولارد "Jonathan Jay Pollard" فى يونيو ١٩٨٤ وهو رجل فى الثلاثين من عمره بدين ويرتدى نظارات طبية .

وقد افتتن بولارد من صغره ـ مثل رافى ايتان ـ بأعمال التجسس . وقد وجد راحة فى مشايعة دولة اسرائيل كيهودى أمريكى . وكان يتباهى أثناء دراسته أمام أقرانه بانه من الموساد وعندما كان فى الجامعة وكان يتجسس على زملائه لصالح وكالة المخابرات الأمريكية . وبالرغم من ذلك فقد رفضت الوكالة أن تستخدمه وأخيرا انتهى المطاف به إلى وظيفة متواضعة فى مخابرات الأسطول الأمريكى . ولم تمنع ميوله وتصريحاته

الصهيونية من استخدامه فى الأعمال السرّية . ولكن اتصالاته ـ غير الرسمية ـ بجنوب أفريقيا فى عام ١٩٨١ جعلت رؤساؤه يحرمونه من الإطلاع على الملفّات السرّية وقد اعترف هو بعد ذلك أنه بعد عودته أفشى بعض المعلومات السرية إلى لجنة إسرائيلية أثناء زيارتهم كذلك اعترف بأنه أعطى معلومات سرية لأحد المستثمرين فى مقابل مكافأة مالية وأخيرا انتهى به الأمر أن يعمل لصالح « لاكام » .

يحتل سلاح الطيران الإسرائيلى مكانة عالية بين شرائح المجتمع الإسرائيلى ويُعتبر طياروه من صفوة الناس . وقد بذل عزرا وايزمان Ezer Weizman جهدا كبيرا فى تنظيمه وتدريبه وتعتبر ثكنات الطيارين من أحسن الأماكن فى الخدمة والرعاية عن أى وحدة أخرى فى جيش الدفاع الإسرائيلى .

« افيم سيلا Aviem Sclla" من صفوة الطيارين الإسرائيليين . لذلك فهو يعتبر من « صفوة الصفوة » . وقد احتل « سيلا » مركزا مرموقا بعد أن قام فى يونيو ١٩٨١ بالغارة المشهورة على المفاعل الذرى العراقى فى عسيراك . وقد أُرسل بعد ذلك إلى أمريكا ليحصل على درجة الدكتوراه من جامعة نيويورك وقد عقد سيلا مؤتمرا فى عام ١٩٨٤ قام فيه بإلقاء محاضرة عن الغارة الإسرائيلية على المفاعل العراقى أمام مجموعة من رجا ل الأعمال اليهود الأمريكيين كى يشجعهم على استثمار أموالهم فى اسرائيل . ولا يعلم أحد إذا كانت هذه المحاضر قد حققت الغرض منها أم لا ولكن الذى حدث هو أن أحد الحاضرين كان ابن عم جوناثان بولارد وحكى أمامه عن هذا الأمر فطلب « بولارد » تقديمه إلى « سيلا » .

وقد طلب « سيلا » النصيحة من الملحق العلمى بالقنصلية الإسرائيلية فى نيويورك ـ وهؤلاء الملحقين العلميين هم رؤساء « لاكام » فى أماكنهم ـ فاتصل الملحق العلمى بتل أبيب وأخذ موافقة كل من رافى إيتان ـ عن لاكام ـ وكذلك موافقة رئيس سلاح الطيران « أموسى لابيدوت Amos Lapidot ورئيس الأركان « موشى ليفى Moshe Levi" وسافر « سيلا » إلى واشنطن ليقابل « بولارد » واتفقا أن يقوم « بولارد » بتقديم أكبر كمية من المعلومات السرية مقابل مبلغ من المال .

وقد توافق وقت اتصال « بولارد » « بلاكام » مع نقله إلى « مركز التحذير ضد الإزهاب (ATAC) وقد أباح المركز لموظفيه الإطلاع على كثير من الوثائق السرية ليتمكنوا من ممارسة مهام وظائفهم فساعد هذا الأمر « بولارد » كثيرا فقد أصبح له الحق ـ طبقا لوظيفته فى الإطلاع على مزيد من أسرار الولايات المتحدة .

وبدأ « بولارد » العمل فى يونيو ٨٤ وقبض عليه فى نوفمبر ١٩٨٥ . ورغم ادعاء « بولارد » أنه كان يتجسس من واقع ولائه لإسرائيل فقط إلاّ أن الحقيقة أنه كان يتقاضى مبالغ كبيرة من المال من « لاكام » نظير خدماته . وقد تمكن « بولارد » من القيام بنقل ٨٠٠٠٠٠ مستند سرّى لتصويرها بمعرفة مكتب « لاكام » فى واشنطن واعادتها ثانية إلى

مكانها وقد قال «كاسبر واينبرجر Caspar Weinbergey" وزير الدفاع الأمريكى أن المستندات التى تم تصويرها لو جُمِعت فى صندوق واحد لكان حجمه ٨و١×٨و١×٣ أى مايقرب من سبعة أمتار مكعبة .

وكانت خطة « لاكام » هى أن يحضر « بولارد » المستندات عند عودته من العمل ثم تمر عليه الآنسة «أريت أرب Irit Erb" سكرتيرة الملحق العلمى - أى رئيس لاكام - حيث تأخذها لتصويرها فى شقة استؤجرت خصيصا لذلك وتردها «لبولارد» ثانية . وقد شغلت هذه القضية الرأى العام الأمريكى فلأول مرة يقوم يهودى «أمريكى» بالتجسس لصالح «اسرائيل» وكان الاسرائيليون يرغبون فى إغلاق ملف القضية بأسرع مايمكن وكانوا غير متعاونين مع المحققين الأمريكيين . واكتشاف حقيقة بولارد كعميل لاسرائيل مخالف للقاعدة التى وضعها الإسرائيليون أنفسهم فى جمع المعلومات وهى عدم تكليف يهودى مواطن لبلد آخر أن يتجسس لصالح اسرائيل فى بلده . وقد تساءلت الصحافة الأمريكية عماً إذا كان هناك شخصية - أو شخصيات - على مستوى عال تتجسس لحساب اسرائيل .
وقد أوضح مندوب الوكالة الأمريكية للمخابرات فى تل أبيب أنه كان يدهش من سرعة معرفة الإسرائيليين لأدق الإتصالات الأمريكية التى تتم على أعلى مستوى وذلك خلال ساعات من حدوثها الأمر الذى تستطيع أن تستفيد منه اسرائيل ويدمٌر أمن الولايات المتحدة الأمريكية باكثر مماً يدمره أمثال «بولارد» ولاتوال هناك بضعة أسئلة لم يتم الإجابة عليها . فمثلا ماذا سرق «بولارد» فعلا ؟ ورغم أن الإسرائيليين ضبطوا فعلا - فى هذا الحادث - متلبسين بالخيانة إلاّ أن لهم طريقة فى تبرير ماتم ! ويقول «زفى رافيا Zvi Rafiah "وهو أحد كبار رجال الأعمال الإسرائيليين «إذا كانت حكومة الولايات المتحدة والشعب الأمريكى قد صُدِمُوا بعملية التجسس التى قام بها «بولارد» فهذا شىء قبيح فعلا . ونحن لا يسعدنا القيام به . ليس لخوفنا من افتضاح الأمر ولكن لاضطرارنا للقيام بمثل هذا العمل مع أصدقائنا وحلفائنا . إننى لا أحاول أن أبرر ماحدث ولكن ربما كان شعورنا أننا لا نحصل على مايحَق لنا الحصول عليه من الأصدقاء هو مادفعنا إلى ذلك» أى أنه بمعنى آخر يعنى أن الأمريكيين هم الذين دفعوا الإسرائيليين إلى هذا العمل .

وكان «رافى» فى هذا الكلام يشير إلى دفاع «بولارد» عن نفسه حيث قال أن ماقام بسرقته هى معلومات عن أسلحة روسية أعطتها روسيا للعرب ولكن الولايات المتحدة منعت أسرارها عن اسرائيل وهذا القول يناقض ماتدعيه اسرائيل دائما أنها المصدر الأساسى للولايات المتحدة عن الأسلحة التى تعطيها روسيا للعرب .

ويقال أن «بولارد» تمكن من تسليم معلومات على درجة خطيرة من السرٌية عن طرق حل الشفرة السرية الأمريكية وهذا مكسب كبير وخطير لأجهزة المخابرات الإسرائيلية . ويقال كذلك أن من ضمن ما أخذه «بولارد» بعض التقارير لأجهزة المخابرات الأمريكية التى

مكنت اسرائيل من الإغارة على رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس فى أكتوبر ١٩٨٥ .

وقد قال «واينبرجر - وزير الدفاع الأمريكى - أثناء محاكمة «بولارد» إنه يستحق الإعدام رميا بالرصاص . وكان مايخشاه واينبرجر أن هذا التقارير التى سرقها «بولارد» ربما يتسرب بعضها إلى موسكو . وكانت الحرب الباردة بين الدولتين - روسيا وأمريكا - على أشدها فى ذلك الوقت . ورغم أن اسرائيل كانت تعتبر نفسها «الغنم الاستراتيجى» للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط إلا أنها فى نفس الوقت كانت تريد أن تكسب ود الإتحاد السوفييتى لتسهيل هجرة اليهود السوفييت إليها . وقد يكون هذا ممكنا عن طريق اعطائها بعض التقارير التى سرقها «بولارد» . ويؤيد هذا الرأى ماقاله أحد كبار المسئولين فى المخابرات الإسرائيلية ومن المهتمين بقضية بولارد « إن السوفييت لم يحصلوا على شىء ذى أهمية » ! .

ومن المدهش أن ماقام به «بولارد» من سرقة المستندات الأمريكية لم يكن ذا فائدة «للاكام» - التى تهتم بجمع المعلومات عن الأسلحة والتكنولوجيا المتقدمة - مباشرة . فقد أكد مصدر مسئول أن ماقدته بولارد من مستندات هو عبارة عن بعض المعلومات الفنية عن الأقمار الصناعية التى تريد اسرائيل أن تستخدمها فى إطلاق القمر الإسرائيلى الخاص بالتجسس الذى أطلقته اسرائيل فى العام الثانى من سجن بولارد فى أمريكا . فقد تردد فى إسرائيل بعد إطلاق القمر أنه كان من الواجب إطلاق اسم «بولارد» عليه !

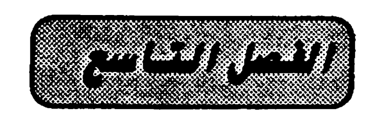
وقد عَبَّر أحد الصحفيين الإسرائيليين عن ماقام به بولارد وأمثاله فى التجسس لحساب اسرائيل فى الولايات المتحدة فقال «إن مايقوم به بولارد وأمثاله هو خدمة لجهاز الأمن الإسرائيلى الذى يقوم بأعبائه حوالى ١٣٠و٠٠٠ مواطن اسرائيلى ومن الضرورى أن يحصلوا على أحدث المعلومات اللازمة لصناعتهم .... وعلى أى مؤسسة محترمة أن تصرف حوالى ١٠٪ من دخلها على (الأبحاث والتطوير) ولذلك فمن الواجب (استيراد) التكنولوجيا من الخارج » .

وقد فات على هذا الصحفى أن يقول أيضا أنه على نفس الدرجة من الأهمية يجب المحافظة على المعونات الأمريكية للصناعات الحربية الإسرائيلية فهذه المعلومات لا تزود الصناعات بالتكنولوجيا المتقدمة فحسب ، ولكنها فضلا عن ذلك تساعد على تصدير منتجاتها إلى شتى أنحاء العالم .

****

****

**



مالا يتصوره عقل

سيارت قافلة صغيرة فى أحد الأيام الحارة فى عيد القديسين عام ١٩٨٨ وكانت مكونة من سيارة نصف نقل طراز «رينو» تحمل منشاراً كهربائياً وبعض أجهزة قطع الأخشاب ومن خلفها سارت سيارة صغيرة حمراء مُغْبَّره بها بعض الشباب يلبسون ملابس رياضية مما قد يوحى أنهم ذاهبون للإستحمام وخرجت هذه القافلة من تل أبيب واتجهت شمالا فى محاذاة شاطىء البحر . ولم يكن يلفت النظر فى ذلك سوى أن الجميع يتمتعون بصحة جيدة ويتكلمون فى منتهى الحماس وأخذ قائد السيارة الأولى يتكلم عن زيارته إلى مدينة بيورتو بوياكا Puerto Boyaca" فى كولومبيا بأمريكا الجنوبية والتى تشتهر بأعلى معدل للقتل فى العالم . وأخذ يقارن بين الريف الجميل فى كولومبيا والريف القاحل فى اسرائيل وكيف أن اسرائيل لا تولى الأرض العناية اللازمة كذلك قارن بين المواطنين المرحين المبتسمين دائما فى كولومبيا وبين المواطنين ذوى الوجوه الجامدة فى اسرائيل .

وهذه القافلة الغريبة كانت تتكون من الكولونيل «يائير كلاين Yair Klein" الذى وصفه رئيس البوليس السرى فى كولومبيا الجنرال ميجل مازا ماركيز "Miguel Maza Marquez بأنه المسئول عن تدريب «كتيبة الإعدام» المعروف باسم «سيكاريوز Sicayios" التى كانت تعمل لصالح أباطرة المخدرات فى كولومبيا فى ميدلين Medellin" وكان كلاين يتمتع بمنظر مهيب وجسم قوى مفتول العضلات ، ذا رأس صلعاء ، وهو كولونيل متقاعد من قوات المظليين الكوماندوز الإسرائيليين وكان قد درس التاريخ العسكرى فى جامعة تل أبيب ثم ، استخدم مهارته العسكرية فى تكوين مؤسسة تجارية تسمى «سبيرهيد ليمتد Spearhead Limited" الغرض منها تدريب قوات مكافحة الشغب والأمن الداخلى» وكان «كلاين» يقود العربة ويجلس بجانبه الكولونيل «أماتزيا شاولى Amatzia Shauli"

وهو قاتل محترف لايشق له غبار .

ويقول «كلاين» ورجاله أن مؤسسة ـ أو شركة ـ «شبيرهيد» تخضع لرقابة الدولة ويلزم الحصول على موافقتها قبل كل «مشروع» تتكفل به الشركة ويدخل ضمن ذلك مشروعات كولومبيا وتحتل شركة «سبيرهيد» صفحة كاملة فى دليل وزارة الدفاع الإسرائيلية للمبيعات الحربية .

وتوقفت القافلة فى بقعة منعزلة بها منزل ريفى صغير . وكان كلاين قد وعد المتدربين ببرنامج مكثف ملىء بالتدريبات العسكرية كإستعمال الرشاشات والهبوط من طائرات الهليكوبتر والقتال بالسلاح الأبيض بالإضافة إلى برنامج خاص بزيارة «الأماكن المقدسة» وذلك لكى يمنح المتدربين فرصة الراحة النفسية بعد التدريبات العسكرية .وتوقفت العربة لشحن كميات من الأسلحة والذخيرة وقبل أن تعود للسير انضم إليها كل من درور إيال "Dror Eyal" وأفراهام تزيداكا "Avraham Tzedaka" وسار الجميع إلى ميدان ضرب النار وبدأ الكولونيل «شاولى» تدريبه للمتطوعين .

وكان «شاولى» يعمل مدربًا فى الجيش الإسرائيلى وقوات الأمن البوليسية . وقد قام بتدريب معظم الضباط من رتبة نقيب فما فوقها فى جيش «جواتيمالا» كما قام بتدريب ثوار «الكوننترا» فى «نيكاراجوا» وساهم فى تدريب رجال العصابات فى كولومبيا .

وقام الكولونيل «شاولى» ـ حتى خريف عام ١٩٨٨ ـ بأربع زيارات لجواتيمالا وزيارة لهندوراس وزيارتين لكولومبيا وذلك عن طريق وسيط اسرائيلى فى كل بلد من هذه البلاد وفى بعض الأحيان يكون التدريب الذى يقوم به «شاولى» مكملا لصفقات السلاح بين اسرائيل والبلاد الأخرى . فقد كان «شاولى» عنصرا من عناصر المنتجات الإسرائيلية القابلة للتصدير شأنه فى ذلك شأن المدفع الرشاش «أوزى» والبندقية «جاليل» والطائرة أرافا "Arava" وكلها منتجات حربية اسرائيلية تغمر أسواق أمريكا اللاتينية.

ويقول «درور إيال» والذى يعمل «مدير التسويق» لشركة سيبرهيد عن الرجال الذين كانوا معهم فى القافلة «إنهم جميعا من قواد فرق الأمن فى اسرائيل وعلى استعداد للقيام بتدريب المتطوعين من البلاد الأخرى طبقا لتعليماتنا» ويستطرد فيقول «إننا نختار عملاءنا فنحن نفضل العمل مع الحكومات والجهات الرسمية وقد تقوم خدماتنا لبعض الأفراد أو الجهات شبه الحكومية أيضا ولكن ذلك يتم أولا بعد موافقة حكومتنا . وإذا رفضت رفضنا كذلك .

ويدَّعى «إيال» أن ماتقوم به شركة «سبيرهيد» من تدريبات فى دول أمريكا اللاتينية تساعد فى وقف امتداد الشيوعية فى هذه الدول وهذا فى صالح الولايات المتحدة

من جميع الوجوه . أما ما قامت به الشركة من تدريبات لصالح تجار المخدرات فى «كولومبيا» مثل جنزاليس رودريجز "Gonzalo Rodriguez" وكذلك جيش جواتيمالا وثوار الكونترا فلا يذكر «ايال» شيئا عن ذلك .

ولم يتدخل أحد ضد نشاط شركة «سبيرهيد» فى كولومبيا رغم أن جهاز الأمن فيها قد أخطر الولايات المتحدة بوجود معسكرات للتدريب يديرها الإسرائيليون . وربما كان السبب فى ذلك أن جهاز الأمن قد أفاد أيضا بوجود أمريكيين فى هذه المعسركات . ولم يتدخل الجيش الكولومبى ضد هذه المعسركات لأن أباطرة المخدرات كان لهم أعوان داخل الجيش وداخل البوليس بل إن تاجر المخدرات «جاشا» (اشترى) كتيبة كاملة من الجيش (الكتيبة ١٣) لحسابه ولما كانت الحكومة الإسرائيلية تتعامل مع الجيش الكولوبى رسميا فى صفقات الأسلحة والتدريب وخلافه فقد كان وجود أفراد شركة «سيبرهيد» للتدريب فى معسكرات تجار المخدرات شيئا لايثير الإنتباه.

ولكى نفهم الأسباب التى دعت إلى تواجد الإسرائيليين فى أماكن تبعد آلاف الأميال عن موطنهم يجب أن نعود إلى الوراء حوالى خمسين عاما عندما بدأت العلاقة بين الصهيونيين وعائلة سوموزا الحاكمة فى نيكاراجوا . فقبل تسع سنوات من قيام دولة اسرائيل كانت العصابات الصهيونية تحارب الإنجليز فى فلسطين وترهب الفلسطينيين لكى يرحلوا عن وطنهم . وكانت عصابة «الهاجاناه» تبحث عن اسلاح فى كل أنحاء العالم وبكل الطرق . وكان من ضمن لجأوا إليه لشراء السلاح هو مؤسسى أسرة سوموزا ودكتاترور نيكاراجوا الأول «انستازيو سموموزا جارسيا "Anstasio Somoza Garcia" الذى نصبه الأمريكيون رئيسا للحرس القومى - الموالى لأمريكا - فى نيكاراجوا ثم بعد ذلك جعلوه حاكما لها . وهكذا بدأت أول علاقة بين اسرائيل وهكذا الدكتاتور الدموى الذى كان يلقبه الرئيس الأمريكى السابق باسم «ابننا القذر "Our Son Ofa bitch" . ومازرعه الصهيونيون فى عام ٣٩ أثمر فى عام ١٩٤٨ عندما أمر «سوموزا» باعطاء سفاحى «الهاجاناه» جوازات سفر من نيكاراجوا وساهم معهم فى تهريب السلاح إلى اسرائيل . وقد رد الإسرائيليون الجميل للجنرال عندما قاموا فى عام ٧٠ بتزويد ابنه بالسلاح ليستعين به على قتل وتعذيب معارضيه مما أجبر حكومة كارتر على التخلى عنه نتيجة لذلك . وقد دفع الاسرائيليون مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ دولار للجنرال سوموزا وضعوها فى حسابه فى «بنك لندن» و«بنك أمريكا الجنوبية» فى نيويورك بالإضافة إلى هدايا أخرى عديدة وذلك لكى يعطى صوت بلاده مؤيدا قيام دولة اسرائيل فى الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ .

وتعتبر «جواتيمالا» أيضا من ضمن حلفاء اسرائيل فى أمريكا اللاتينية ويرجع الفضل فى ذلك إلى دبلوماسى من جواتيمالا يعمل فى الأمم المتحدة يدعى جورج جارسيا جرانادوس Jorge Garcia Granados فقد كان «جرانادوس» يظن أن نظام الكيبوتز الذى

ابتدعه الإسرائيليون هو أقرب وسيلة للإشتراكية - وكان هو نفسه يميل إلى الإشتراكية - فصوّت فى صالح قيام دولة اسرائيل - وقد قامت الولايات المتحدة بعد ذلك بتدبير انقلاب أطاح بالحكم الاشتراكى فى جواتيمالا ولكن اسرائيل استمرت - رغم ذلك - فى صداقتها للنظام الحاكم فى جواتيمالا رغم مايمارسه هذا النظام من قسوة وعنصرية وإبادة للسكان الأصليين .

ومكنت هذه العلاقات اسرائيل من أن ترسل خبراءها يطوفون أنحاء أمريكا اللاتينية فى الستينات ليقدموا المعونة فى مقاومة دودة القطن فى « السلفادور » وزراعة الخضر فى « جواتيمالا » وغيرها وأرسلت اسرائيل خبراءها لتدريب الشباب فى منظمات شبه عسكرية مثل المنظمات الإسرائيلية . وبحلول عام ١٩٦٤ قام كثيرون من أمريكا الجنوبية بزيارة لإسرائيل ليشاهدوا على الطبيعة « فكرة نحال Nahal Cocept" التى تهدف إلى زراعة المعسكرات . ولم تكن مصادفة أن يتم ذلك خلال فترة حكم الرئيس الأمريكى « كندى » فلقد كانت حكومة الرئيس كندى تدعو إلى التعاون مع أمريكا اللاتينية لدرء خطر الانتشار الشيوعى . ومع تمركز « كاسترو » فى أمريكا الوسطى طلب « كندى » من اسرائيل أن تتوسع فى نظام « المجتمعات الزراعية » الذى يهدف إلى استغلال الجيش فى أعمال الزراعة وذلك حتى يمكن الإستفادة منه فى أوقات السلم وذلك كفكرة مضادة « لكاسترو » واستغلت اسرائيل « المعونة الأمريكية العالمية » -(A.I.D) Aqency For Interna" tional Deuelment" التى تدفعها لإسرائيل فى تنشيط هذه الفكرة وانشاء التعاونيات الزراعية .

قامت اسرائيل بتدريب كبار الضباط من اثنى عشر دولة من دول أمريكا اللاتينية وقد مكنها هذا من تكوين صلات وثيقة بمعظم هذه الدول . وقد كان ذلك استخداما مبتكرا للأموال والمساعدات الأمريكية للصناعات الحربية الإسرائيلية . وكان عدد جنرالات أمريكا اللاتينية الذين تدفقوا على اسرائيل فى خلال الفترة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧١ مايزيد عن ١٦٠ جنرالا . وقد وصل بعضهم إلى مركز رئيس الدولة فى بلده . مثل بوليفيا وجواتيمالا والبرازيل . وكان من الطبيعى أن يقوم العسكريون الإسرائيليون برد الزيارة . وهكذا تطوّر المكتب الصغير فى وزارة الدفاع الإسرائيلية المسئول عن التعاون الخارجى إلى جزء رئيسى من وزارة الدفاع يسمى « مكتب مبيعات وزارة الدفاع » (Defence Ministry Sales Office(Sibat" بعد أن أصبحت أمريكا اللاتينية سوقاً رئيسية للسلاح الإسرائيلى .

وقد نتج هذا المكسب الإقتصادى الكبير لإسرائيل من اتحادها مع الولايات المتحدة الأمريكية وصاحبه مفهوم ساد عند كل الأفراد مفاده أن اسرائيل تستطيع أن تفعل مالا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تفعله . وقد عبر عن ذلك « درور إيال » من شركة

« سيبرهيد » بقوله « إن الامريكيون لديهم عقدة الرأى العالمى وعقدة صورتهم أمام المجتمع الدولى ... أما نحن فليس لدينا هذه العُقْدة » وقد عَبَّر عن ذلك أيضا ـ ولكن بشكل أكثر صراحة ـ عضو الكنيست الجنرال « ماتتياهو بيليد » فقال « تقوم اسرائيل فى أمريكا الوسطى بمقاولات (الأعمال القذرة) لأمريكا وهى بذلك تعتبر وسيطا ومعاونا للولايات المتحدة » ومثال ذلك عندما طلب الكسندرهيج ـ الوزير الأمريكى ـ صراحة من اسرائيل مساعدة جواتيمالا فى عهد الرئيس الأمريكى ريجان بعد أن رفض الكونجرس الأمريكى الموافقة على ارسال أسلحة لجواتيمالا وقد سارع الإسرائيليون بتلبية هذا الطلب وغمروا جواتيمالا بالأسلحة . وسعدت جواتيمالا بهذه المساعدة كما سعدت اسرائيل بهذه الصفقة . وقد قال أحد كبار رجال السياسة فى ذلك « ليس لدى الإسرائيليين عقدة حقوق الإنسان . أنت تدفع وهم يعطون ولا يسألون أى أسئلة » ..

وقد ساعدت اسرائيل جواتيمالا فى تجنب نقد المستقلين من أعضاء الكونجرس الأمريكى بسبب التجاوزات التى تقوم بها الحكومة . بالنسبة لحقوق الإنسان التى ملأت ملفات كثيرة . وتعتبر اسرائيل أكبر مورد للأسلحة لجواتيمالا منذ عام ١٩٧٧ . ففى هذا العام قطع « كارتر » المعونة الأمريكية العسكرية عنها حتى يتجنب حرج استعمال الأسلحة الأمريكية ضد المواطنين العُزّل . وبذلك فتح الباب على مصراعيه لإسرائيل كى تورِّد طائرات « أرافا Arava" والمدافع والأسلحة الخفيفة وحوالى خمسين ألفا من البندقية « جليل » والرشاش « أوزى » وخمس طائرات هليكوبتر وسيارات مصفحة وقوارب حراسة كلها صناعة اسرائيلية إلى جواتيمالا .

وقد كتبت جريدة « هاآرتز Haaretz" الإسرائيلية مقالا فى هذا الشأن قالت فيه :

إن السلاح المفضل لدى وحدات التصفية الجسدية فى جواتيمالا هو الرشاش « أوزى » الذى يستعملونه ضد الفلاحين البسطاء عندما يحاولون تكوين جماعات تعاونية أو يتجرؤون للسؤال عن أقاربهم الذين اختفوا فجأة ولم يتركوا أثرا . وقد دهش الإسرائيليون الذين قاموا بزيارة جواتيمالا لرؤيتهم وحدات خاصة من الجيش يرتدون ملابس عسكرية اسرائيلية ويتسلحون بأسلحة اسرائيلية .

وقد زودت شركة Tadiran" ـ وهى شركة اسرائيلية أمريكية ـ حكومة جواتيمالا بجهاز كمبيوتر وضع فى مبنى برئاسة الجمهورية وذلك لكى يسجلوا فيه أسماء وتحركات المناهضين للنظام من السياسيين والطلبة وغيرهم وكذلك اليساريين والمتطرفين وذلك لكى يسهل تتبعهم وتصفيتهم جسديا . وكان هذا الكمبيوتر هو المصدر الأساسى « لكشوف الموت » فكل من يدخل اسمه فى هذا الكمبيوتر يصير هدفا للتتبع من جميع أجهزة الأمن حتى يتمكنوا من القضاء عليه بقتله . وكان هناك أيضا « المستشارون »

امثال «شاولى» من «سبيرهيد» وقد ساهم المستشارون الإسرائيليون فى وضع الخطط للقضاء على قرى باكملها للتخلص من المعارضين فى عهد الجنرال «افران ريوس مونت Genenral Ephrain Ross Montt" الحاكم الدكتاتور الجواتيمالى . وقام «شاولى» بتدريب جميع الضباط من رتبة نقيب فما فوقها وكان يتقاضى ٥٠٠٠ دولار عن كل دورة تدريبية مدتها ستة أسابيع وهو مبلغ يعتبر ثمنا كافيا لبعده عن مزرعته فى اسرائيل طوال هذه المدة . وقام أيضا بتدريب الحرس الخاص للرئيس الجواتيمالى «مونت» وكذلك لخليفته «أوسكار» فكتوديس Oscar Mejia Victores" . وقد أستاجر «شاولى» أيضا للعمل معه أشهر اسرائيلى فى جواتيمالا ويدعى بسكال بن هور Pesakh Ben Or" الذى تدرج من سائق متواضع فى أحد المصانع الإسرائيلية إلى السائق الخاص لأحد كبار تجار السلاح الإسرائيليين ويدعى دافيد ماركوس كاتز David Marcos Katz وكان من كبار موردى السلاح لأمريكا الجنوبية . وقد اعجب به «كاتز» وعلمّه أصول التجارة ثم قدّمه إلى المسئولين فى جواتيمالا . وقد سيطر «بن هور» على سوق السلاح فيها فى عام ١٩٧٧ وكان معروفا «بسخائه فى مجاملاته» للمسئولين من أكبرهم إلى أصغرهم ـ يقصد بذلك الرشاوى ـ مما سهل له عمله . أما بالنسبة لكبار الرؤساء فكان يقوم بتدريب الحرس الخاص لهم (عن طريق شاولى) .

وقد تمكن «بن هور» من غَمْز جواتيمالا بالسلاح الإسرائيلى فقد باع لهم جميع أنواع السلاح لدرجة أنهم لم يكونوا فى حاجة إلى سلاح آخر من أى جهة أخرى . ولم يكن هو شخصيا مهتما بالسياسة ولم يكن يهمه إلا المال وعنده الكثير منه فهو يملك «فيلا» فى «الرملة» فى اسرائيل بها خدم من جواتيمالا وبها حمام سباحة وحظيرة بها سبعة خيول للسباق (وكانت هذه هى هوايته) . كما يملك يختا فاخراً فى ميامى ويدعى إلى معظم حفلات المجتمع الراقى فى جواتيمالا .

أما «شاولى» نفسه فقد كان يشبه «بن هور» فى عدم اهتمامه بالسياسة : فهذا القاتل المحترف لم يكن يهتم إلا بحرفته . ولم يكن يعنيه فى شىء ماذا يفعل «تلاميذه» بالدروس التى يدرسها لهم وقد عَبَّر عن ذلك لأحد أصدقائه اليهود بقوله : «لايهمنى ماذا يفعل الجواتيماليون بالأسلحة إن أهم شىء لدى هو أن يكسب اليهود» . ولعله تحرج أن يقول هذا القول إلى شخص غير اسرائيلى . وإنه لشىء حقير أن تهتم اسرائيل بمواردها المالية على حساب القلاقل والمذابح التى تدور بأسلحتها فى أمريكا الجنوبية .

وتشغل مكاتب «بن هور» الفاخرة فى جواتيمالا دورا كاملا فى مبنى «فندق كورتيجو ريفورما Cortijo Reforma" وكانت هذه المكاتب قبل ذلك تملكها شركة «ايجل الإسرائيلية للسلاح Eagle Israeli Armamcnt" ويملك أيضا شركة أخرى فى ميامى تسمى «شيران Shiran" أما شركة ايجل فى «تل أبيب» فتحتل دورا من المبنى الفاخر لشركة IBM

بجوار وزارة الدفاع الإسرائيلية . ومدير شركة ايجل فى تل أبيب هو «شابيك شابيرو» الذى كان يشغل مدير مكتب مشتروات السلاح فى نيويورك فى الخمسينات . ومنذ ذلك الوقت بدأ نجم «شابيرو» فى الصعود حتى تمكن من ابرام صفقة الفانتوم مع أمريكا فى عام ١٩٦٨ (و قد وقع العقد بقلم ثمنه ٢٥ سنتا) .

ويصف «شابيرو» أعمال «بن هور» وهو يجلس خلف مكتبه افاخر وفى فمه سيجار ينفث منه سحابة دخان كثيفة بانها أعمال «لا يتصورها عقل» إنها تشمل أنشطة رجال يفضلون أن يبقوا مختفيين فى ظلام عواصم العالم الثالث ولكنهم يمكنهم أن يقوموا بخدمات خاصة لواشنطن عندما يطلب منهم ذلك . فقد تمكن «بن هور» من بيع سلاح تمتلكه اسرائيل من الكتلة الشرقية إلى ثوار الكونترا – على سبيل المثال – عندما دعت الحاجة إلى ذلك . وقد استعان بشهادة مزوَّرة بتوقيع ضابط كبير من هندوراس «الكولونيل جوليو بيريز Colonel Julio Perez" لإتمام الصفقة . وهناك أيضا كثير من أمثال بن هور . منهم على سبيل المثال «أميل سعده Emil Saada"

وقد ظهر أميل سعده على مسرح الأحداث فى هندوراس عام١٩٨١ كأحد أفراد فريق «الكولونيل ليوجليزر» أحد الضباط السابقين من جيش الدفاع الإسرائيلى Colonel Leo" Gleser" الذى كان أحد ضباط فريق «عنتيبى» عام ٧٦ فى أوغندا وكوَّن شركة لأعمال الأمن والدفاع الدولى مركزها «راماجوت» بالغرب من تل أبيب International Security &" Dcfence Syatems" وهى مماثلة لشركة «سيبرهيد» ومذكورة فى دليل مبيعات وزارة الدفاع الإسرائيلية وذلك لتدريب وتشكيل قوات الأمن ومكافحة الإرهاب .

وقد تعاملت هذه الشركة مع هندوراس عن طريق تاجر السلاح الإسرائيلى «جيرارد لاتشينيان Gerard Latchianian" الذى كان يشغل مستشارا لدكتاتور هندوراس – فى ذلك الوقت المدعو «جوستافو الفاريز مارتينيز Gustavo Alvarez Martincz" الذى كان عميلا لوكالة المخابرات الأمريكية فى المنطقة . وقد اختار لاتشينيان هذه الشركة لتدريب حرسه الخاص وحرس الديكتاتور فى مقابل ٩٠٠٠ دولار وتميز جليزر وزميلاه «أميل سعده» و«شاولى» بالطول الفارة (١٨٠سم) والقورة البدنية الخارقة ويستطيع أن يصيب الهدف بدقة بيسراه ويمناه على بعد ١٠٠ متر . وكل ذلك يعطى انطباعا جيدا للعميل .

وقد بدأ الإسرائيليون تدريبهم لقوات هندوراس عندما رفض الكونجرس الأمريكى الموافقة على المساعدات التى كانت تعطيها الولايات المتحدة لهذه الدولة وعندئذ طلبت أمريكا من اسرائيل تقديم هذه المساعدات فى حين اكتفت أمريكا بتقديم اللازم من المال لإسرائيل مقابل هذه الخدمات فالمسألة فى منتهى البساط أمريكا تدفع التكاليف وتطلب من اسرائيل القيام بالعمل أما السِّجلات فيمكن ترتيبها طبقا للحال ! وقد قامت اسرائيل بعمل عدة دورات تدريبية للحرس الخاص للجنرال الفاريز وكذلك لحرس

الرئيس سوازو رئيس الجمهورية .

ولما كانت «هندوراس» تشايع ثوار «الكونترا» في «نيكاراجوا» وتقيم لهم المعسكرات لتدريبهم فقد قامت اسرائيل أيضا بتدريب ثوار الكونترا على أعمال الإرهاب بايحاء وموافقة الولايات المتحدة وهندوراس على ذلك وكانت تكاليف التدريب تدفعها الولايات المتحدة لإسرائيل .

وقامت شركة «جليزر» بتدريب مايسمى «بفرقة الإغتيالات Death Squad". فقد تدهور الحال بالمجتمع في هندوراس نتيجة لثوار الكونترا ومسَّت به الرشاوى والإنحلال وأصبح رجال المخابرات يتقاضون عمولات من الولايات المتحدة لمساعدة ثوار الكنترا وفي نفس الوقت من المهربين للمخدرات في كولومبيا وخافت الحكومة الأمريكية من انتشار الشيوعية في هندوراس فطلبت من دكتاتورها - في ذلك الوقت - الجنرال الفاريز الذى كان عميلا للوكالة الأمريكية أن يكون فرقة خاصة لمكافحة النشاط الشيوعي في البلاد فوافق الجنرال - بطبيعة الحال - وطلب من جليزر أن يقوم بتدريب هذه الفرقة - وأسماها «الفرقة ٣١٦» - في عام ١٩٨٤ والذى كان من أبرز قوادها «الكابتن الكساندر هرنانديز Captain Alexander Hernandez" الذى يعتبر وحده المسئول عن «اختفاء» ٢٥٠ شخصا من هندوراس .

وقد أطاح انقلاب في مارس ١٩٨٤ بالجنرال «الفاريز» رئيس هندوراس وخلفه الجنرال «والترلوبيز General Walter Lopez" الذى كان يخشى دائما من اغتياله بيد وكالة المخابرات الأمريكية .

وقد انزعج «لوبيز» من مدى التدخل الإسرائيلي في هندوراس وكان على ثقة من أنهم على اتصال بالوكالة الأمريكية ولذلك لم يوافق على تجديد عقد شركة جليزر . وبالرغم من ذلك فقد أستمر الإسرائيليون في تدريب ثوار الكونترا تحت سمع وبصر الجنرال «لوبيز» .

وكان ثوار الكونترا يتدربون في هندوراس في معسكر يدعى «تامارا Tamara" . وقد علم الجنرال «لوبيز» أن الثوار في هذا المعسكر يتلقون تدريبات من وكالة المخابرات الأمريكية ومن الإسرائيليين لتشكيل «جماعة الإغتيالات» التى كانت مهمتها اغتيال المعارضين لنظام نيكاراجوا والسلفادور الموجودين في هندوراس ويرأسهم «ريكاردو لاو Ricardo Lao" وهو رئيس مخابرات الكونترا ومعه ٤٥ رجلا آخرين ، وقد تلقى «لاو» ١٢٠٠٠٠ دولار نظير قيامه باغتيال كبيرا أساقفة السلفادور «الأسقف روميرو Archbishop Romero" وقد قام رجال «لوبيز» بالإغارة على المعسكر في عام ١٩٨٥ وهرب منه «لاو» ورجاله وكان الجنرال «لوبيز» يعلم علم اليقين - من خبرته كرئيس أركان سابق للجيش - أن «الخبراء» الإسرائيليون من شركة جليزر يعملون مباشرة تحت قيادة وزارة

الدفاع الإسرائيلية وأن « جيرار لاتشنيان يسافر من آن لآخر لإسرائيل للتشاور مع رؤسائه .

يعتبر « زفى رويتر » واحد من أقوى الشخصيات فى اسرئيل . ويتمتع باحترام الوزراء والجنرالات ورجال المخابرات لوضعه كرئيس لهيئة « سيبات » المسئولة عن تصدير السلاح الإسرائيلى للخارج . وكان لاتشينيان يسميه « العقل المفكر » . وعندما دخل لاتشينيان إلى مكتب « رويتر » فى يناير سنة ١٩٨٤ أخبره « رويتر » أنه مسرور من المعاملة التى يلقاها رجاله فى هندوراس . وقد اجتمع لاتشينيان بصديقه القديم ليوجليرز وشخص آخر له أهمية كبيرة فى العلاقات بين اسرائيل وأمريكا الجنوبية وهو « بسكال بن هور » الذى كان يحسده على المركز المرموق الذى وصل إليه ويقول « إنى أعرف بن هور منذ أن كان يعمل « ساعيا » فى مكتب « مارك كاتز » . وكان « جليزر » يكره « بن هور » ايضا لانحطاط منشاه الإجتماعى ووضع بن هور أعينا على تحركات « لاتشينيان » إلاَّ أن الإثنين كان لهما اهتمام مشترك مع شركة أمريكية تدعى « شيروود انترناشيونال "Sherwood In-ternational" مهمتها أن تجمع فائض الأسلحة الإسرائيلية التى يستغنى عنها الجيش . ولها فروع فى ميامى وواشنطن والساحل الغربى . فقد تجمَّع لدى اسرائيل على مدى حروبها المتكررة مع العرب رصيد لا بأس به من أسلحة الكتلة الشرقية . وكان « لبن هور » صديقان حميمان يعملان فى مجلس ادارة شركة شيروود هما « بنخاس داجان "Pinhas Dagan" الذى استضافه بن هور فى فيلَّته الفاخرة فى ميامى و« أموسى جلعاد "Gilad Smos" الذى كان يعمل قبل ذلك فى هندوراس وقام بتعريف بن هور بلانشنيان . وكانت شركة شيروود تتخذها الوكالة الأمريكية للمخابرات كواجهة تقوم بتهريب أسلحة الكتلة الشرقية من اسرئيل إلى ثوار الكونترا . وقد اتضحت علاقة الوكالة الأمريكية للمخابرات بالعملاء الإسرائيليين أثناء محاكمة « أوليفر نورث "Oliver Nort" فمنذ بداية الثمانينات بدأت الوكالة الأمريكية فى شحن كميات كيرة من العتاد العربى من الكتلة الشرقية ـ الذى استولت عليه اسرائيل عام ١٩٨٢ أثناء غزو لبنان ـ إلى هندرواس حيث يُسَلَّم بعد ذلك إلى ثوار « الكونترا » وذلك بناء على تعليمات مباشرة من « وليم كاسى » رئيس الوكالة حينذاك . فقد كتب كاسى خطابا إلى مستشار الأمن القومى « روبرت ماك فرلان "RoBert Mc Forlane" فى ٢٧ مارس سنة ١٩٨٤ قال فيه أنه بالنسبة لمساعدة الإضافية لبرنامج نيكاراجوا فقد حصلت لجنة مشتركة من الوكالة ووزارة الدفاع على ماقيمته ١٠ ملايين دولار من الأسلحة من الإسرائيليين .

وكانت هناك رحلة أخرى مخططة لإسرائيل فى ابريل ١٩٨٤ لمعاينة الأسلحة المستولى عليها من منظمة التحرير الفلسطينية ولتحديد طلبات الإسرائيليين المالية على أن يؤخذ فى الحسبان أن تكون الأسعار منخفضة أو رمزية . أما أسعار الشحن والتغليف

فسوف تتحملها اللجنة . كذلك قدمت أثناء محاكمة « نورث » وثيقة أمريكية تؤيد أن اسرائيل قامت في عام ١٩٨٣ بتقديم كمية من الأسلحة التي صادرتها من جبهة التحرير الفلسطينية إلى الولايات المتحدة التي أرسلتها بدورها - من طريق الوكالة الأمريكية للمخابرات - إلى نيكاراجوا عندما نضبت المعونات المخصصة لها . وفي مقابل ذلك وعدت أمريكا اسرائيل بأنها ستتوصل إلى طريقة لمساعدتها عن طريق المعونات الإقتصادية والعربية التي تقدمها . وقد استطاع أحد الملحقين العسكريين الأمريكيين في تل أبيب في ذلك الوقت رؤية وتصوير المعدات العربية المعدة للشحن في شمال تل أبيب فقال « لقد كانت المعدات مشونة في المخازن حتى السقف وتبلغ قيمتها ملايين من الدولارات » .

وقد قامت الوكالة بمساعدة الكونترا في تلغيم بعض الموانى بالألغام البحرية . ولما اكتشف هذه المحاولة قام السيناتور الأمريكي بارى جولد ووتر Senator Barry Goldwater رئيس لجنة المخابرات بمجلس الشيوخ الأمريكي بكتابة خطاب شديد اللهجة لرئيس الوكالة « وليم كاسى » يدين فيه هذا العمل ومَنْ أمر به بدءا من الرئيس الأمريكي ورئيس الوكالة فما دون ذلك . وبعد ذلك أصدر الكونجرس الأمريكي قرارا بحظر المساعدة من أي نوع لثوار الكونترا وكان ذلك في ابريل ١٩٨٤ . وعند ذلك كانت حاجة أمريكا لمساعدة اسرائيل أشد ماتكون . ووافقت اسرائيل بعد مفاوضات دارت بين هوارد تايشر Howard Teicher مندوب روبرت ماكفرلين مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي ودافيد كمش عن الحكومة الإسرائيلية وهو رئيس سابق للموساد ويشغل منصب مدير عام بوزارة الخارجية الإسرائيلية. وطلب « كمش » أن تكون المساعدة من خلال هندوراس .

وقد حاول الرئيس « ريجان » أن يجعل من القلاقل في أمريكا الوسطى امتدادا للصراع العربي الإسرائيلي وذلك يزعم أن القوى التي تزعزع الإستقرار في الشرق الأوسط وهي الإتحاد السوفيتي وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية تتعاون مع كوبا لخلق عدم الإستقرار في أمريكا وكان هذا القول تفسيرا سقيما لما يجرى حقيقة على الأرض .

استقر أميل سعده - الذي يصف مهنته بقوله « أنا أقتل الناس » - في فندق مايا Maya وهو المكان الإجتماعي المعروف لرجال الأعمال والضباط الأمريكيين ورجال الوكالة الأمريكية والأفاقين وتجار السوق السوداء ورجال الكونترا في هندوراس واتخذ « سعده » من هذا الفندق مكانا يدير منه أعمال مزارع « الشمام » التي يتعامل فيها اسم « شِمِسْ الزراعية الدولية شركة مساهمة "Shemesh Agrotech International S.A. ويتخذها « واجهة » للأعمال الخفية التي يقوم بها في تدريب رجال الكونترا وتهريب الأسلحة . وقد اختار « سعده » مكانا ملائما لمزرعة الشمام التي يديرها فهي ملاصقة لمعسكر أمريكي وعلى حدود نيكاراجوا وهندوراس وقد وُصف سعده بأنه ذراع اسرائيل التي تساعد ثوّار الكونترا .

وقال أحد قواد الكونترا ويدعى «هوراشيو أرشى Horacio Arce" لإحدى الجرائد المكسيكية فى نيكاراجوا :

«أما فيما يختص بشحنات الأسلحة فنحن جميعا نعلم أنها من اسرائيل وانهم استولوا على أسلحة الفلسطينيين فى لبنان . ويعلم الجميع أن رجال وكالة المخابرات الأمريكية قد أرسلوا إلى اسرائيل للتفاوض فى هذه العملية . ويقال أيضا أن الرجل الذى يزرع الشمام لتصديره لولايات المتحدة ـ أميل سعده ـ هو واحد منهم» .

وقد أكد أحد قادة الكونترا «اتريك بدموريز Enrique Bermodez " فى إبريل ٨٤ أن رجاله قد تلقوْ الأسلحة المستولى عليها من لبنان . كما لاحظ ادجار شامور Edgar Chamorr ـ من الكونترا ـ أن المدربين اسرائيليون .

واستمرت أفرع شركة الشمّام «العسكرية» تمتد فى أمريكا الوسطى . وافتتحت لها مكاتب فى فندق «شيراتون» فى «سان سلفادور» لتدريب العسكريين . وكان ذلك مناسبا للإدارة الأمريكية حيث أنها كانت تموّل حكومة السلفادور لمحاربة المتمردين بتكاليف ٢ مليون جنيه فى الأسبوع يدفعها دافع الضرائب الأمريكى . أما من ناحية حكومة السلفادور فقد كانت سعيدة بمساعدات الإسرائيليين وكانت تأمل أيضا أن يساعدها «اللوبى» الإسرائيلى فى الكونجرس لتأييد سياستها «السلفادور» فى وسط أمريكا . واستمرت اسرائيل تغذى «السلفادور» بانتظام بالأسلحة منذ عام ١٩٧٣ . فقد اعطتها أول طائرة مقاتلة نفاثة تصل إلى أمريكا الوسطى وهى من طراز «أوراجان Ouragans" الفرنسى . وأعطتها أيضا الطائرة «أرافا» الإسرائيلية والرشاش أوزى وأطنان من الذخيرة وقنابل النابالم الحارقة . وعندما أوقف الرئيس الأمريكى «كارتر» المعونة الحربية للسلفادور لإعتداءاتها الصارخة على حقوق الإنسان أصبحت اسرائيل هى أهم مود للأسلحة . وقد ألقت حكومة السلفادور أطنانا من النابالم الإسرائيلى ـ كما فعلت أمريكا فى حرب فيتنام ـ على الثوار المزعومين . وقد أكد هذا قائد السلاح الجوى فى السلفادور «الكولونيل رافاييل بستيللو Col . Rafael Bustillo" وقد تبيّن ـ بعد ذلك ـ أن النابالم استخدم ضد المدنيين أيضا فى السلفادور كما أكد ذلك رئيس البعثة الطبية الأمريكية الدكتور جون كونستابل Dr John Constable

وقد استمر الخبراء الإسرائيليون فى تدريب الجماعات العسكرية ومنها البوليس السرى فى السلفادور "ANSESAL" وكان من ضمن الذين تدربوا على أعمال البوليس السرى بواسطة الإسرائيليين «روبرتو دوبيسون Roberto Daubisson" الذى اتُّهِم بعد ذلك باغتيال كبير أساقفة السلفادور «روميرو» ومنهم أيضا «الكولونيل سيجفريدو أوشوا Col . Sigifredo Ochoa" الذى اتهم بالقيام بمذبحة للمدنيين فى عام ١٩٨١ . وقد وصفتها جريدة السنداى تايمز فى عددها الصادر فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٨١ وصفا يشيب لهوله

الولدان وبدا كأن القوى المتصارعة فى السلفادور لا تريد أن توقف القتال كما أن الولايات المتحدة واسرائيل كانت تريد الإستمرار فى الصراع . وقد نشرت صحيفة «دافار "Davar" الإسرائيلية فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨١ فى تل أبيب مقالا موقعا من ١٤٤ طالبا بالجامعات الإسرائيلية يطلبون ايقاف بيع السلاح إلى السلفادور . وفى نفس الوقت كانت صحف سلفادور تشيد بالخبراء الإسرائيليين . وقد قال أحد المسئولين العسكريين فى السلفادور «إن الأمريكيين لا يعلمون شيئا . لقد خسروا الحرب فى فيتنام أما الإسرائيليون فهم ذوو علم» . والواقع أن هذه المقولة هى صدى طلقات رصاص التدريب الذى قام به الخبراء الإسرائيليون من شركة «سيبرهيد» وغيرها فى اسرائيل والسلفادور وقعقعة السلاح الإسرائيلى فى أمريكا اللاتينية .

ويحاول دافيد كيمش – رئيس الموساد السابق ورجل اسرائيل فى أمريكا الوسطى أيام حكم الرئيس الأمريكى ريجان أن يرسم صورة وردية للتدخل الإسرائيلى فى أمريكا الوسطى فقال فى عام ١٩٨٨ «إننا نتعاون مع بعض الدول تعاونا فنيا فى الزراعة – وهذا هو مجال تعاوننا الرئيسى – وقد شجعنا على ذلك الولايات المتحدة فنحن نعلمُ هذه الدول كيف يزرعون المحاصيل بكفاءة وبطرق أفضل ونحن سعداء حين نرسل خبراءنا فى أماكن لم يطأها غرباء من قبل فى أمريكا اللاتينية حيث يقومون بأعمال جليلة . وقد حدث هذا فى دول عديدة مثل «السلفادور» أما ما يدعيه البعض من وجود خبراء عسكريين فهذا كذب وافتراء . إن خبراءنا هم فى الزراعة فقط . وهذا هو أهم مجال لمساعداتنا فى أمريكا الوسطى» .

وهكذا ينفى «ديفيد كيمش» وجود «حية رفطاء» مثل الكولونيل «جليزر» وشركة «سبيرهيد» وغيرها بصفة «رسمية» فإذا أحرجه السائل عن الوجود «غير الرسمى» العسكرى الإسرائيلى فإنه لا يَحرِ جوابا وأقصى ما أجاب به فى هذا الصدد أنه قال «نحن بلد حُرٌ وديموقراطى فإذا أراد شخص أن يترك الجيش ويستغل خبرته العسكرية – بصفة شخصية – فى أى مكان فى العالم فإننا لا نمانع بشرط أن لا يكون فى ذلك افشاء لأسرار عسكرية اسرائيلية أو يعرض أمن اسرائيل للخطر وينسى «كمش» – أو يتناسى – أن كل مشروع عسكرى يقوم به اسرائيلون يجب ان يحصل على موافقة ومتابعة «زفى رويتر» رئيس «السيبات» فى وزارة الحرب الإسرائيلية ، بما فيهم ممثل اسرائيل فى وسط أمريكا «دافيد ماركوس كاتز» .

ويصادق «كاتز» كثيرين من ذوى النفوذ فى واشنطن والقدس . وعندما احتفل بعيد ميلاده الستين فى عام ١٩٨٨ فى «فندق بيير "Pierre HOTEL" فى نيويورك تقاطر على الحفل المشاهير وكبار رجال الأعمال وعندما سئل شابيرو عنه وكيف بدأ حياته قال «إنه مليونير ويستحق الإحترام ولا أعلم عن ماضيه شيئا» ولا يذكر «شابيرو» – رغم علمه

بذلك - إنه عندما وصل كاتز إلى المكسيك منذ حوالى أربعين عاما سعى أن يكون مدرّسا لغة العبرية أو مستورد نبيذ قبل أن يبدأ رحلته كوسيط لبيع الأسلحة . وبعدها أصبح غنيا وله نفوذ سياسى فى كل من أمريكا الوسطى واسرائيل . وقد زار أريك شارون - وزير الدفاع الإسرائيلى هندوراس عام ١٩٨٢ فى طائرة يمتلكها «كاتز» وعندما قام «اسحق شامير» بزيارة لهندوراس لتسويق الطائرة الإسرائيلية «الفغير» كان «كاتز» بجواره . وقام «كاتز» بعمل جسر جوى من اسرائيل إلى نيكاراجوا لنقل الأسلحة فى محاولة لإنقاذ الدكتاتور «سوموزا» فقد بلغت قيمة مبيعات الأسلحة «لسوموزا» فى آخر شهر من حكمه ٢٥٠ مليون دولار كلها من اسرائيل ، وذلك عندما تخلّت عنه أمريكا لانتهاكه حقوق الإنسان وقد شاركت طائرات «العال» المدنية فى هذا الجسر وكانت تهبط ليلا فى المطارات وتغادرها قبل انقشاع الظلام . وقد أصبح «كاتز» يمثل سبعة عشر شركة اسرائيلية لإنتاج الأسلحة - من ضمنها شركات صناعة الطائرات . وقد ساعده فى الوصول إلى ذلك اتصاله ومساعداته المالية الكبيرة للأحزاب الدينية اليمينية فى اسرائيل فقد كان هو مصدر دخلهم الأساسى وكان لا يتردد فى أن يتبرع لهم بنصف حصيلة مكسبه . وعندما وصل عزرا وايزامان لمنصب وزير الدفاع حاول كبح جماحه ولم يفلح فقد تدخل كل من «يهودا بن ماير "Yehuda Ben Meir" نائب وزير التربية والتعليم و«زفلون هامر "Zcvlonn Hammer" وزير التعليم وكلاهما أعضاء فى أحزاب دينية وضغطا على وايزمان ليترك «كاتز» لشأنه. وتقول صحيفة «دافار» الإسرائيلية أن «كاتز» تبرع بمبالغ ضخمة للأحزاب اليمينية المتطرفة لبناء مستوطنات فى الضفة الغربية مثل منظمة «جوش إيمونيم Gush Emunim التى ترى أن الحل الأمثل للمشكلة الفلسطينية هو مايسمى ترانسفير والذى يعنى ترحيل مليون فلسطينى وهم سكان الأرض المحتلة إلى أماكن أخرى فى العالم .

وشغل مكتب «كاتز» فى المكسيك مبنى رائعا وكان معروفا بأبوابه الألكترونية والحرس الإسرائيلى الذى يقوم على حراسته . وقد سبب «كاتز» حرجا شديدا لحكومة المكسيكية حيث كانت القرائن تدل على أنه مسئول عن تسليح الزعماء الدكتاتوريين من أمريكا اللاتينية . وقد نَفَتْ السفارة الإسرائيلية فى المكسيك - كالعادة - علمها بأى نشاط سياسى لكاتز إلاّ أنه إضطر تحت ضغط الحكومة المكسيكية . إلى إغلاق مكتبه ولو أنه هو شخصيا استمر فى البقاء فى المكسيك . وقام تاجر النبيذ السابق - كاتز - بعد ذلك بالوساطة فى بعض صفقات للسلاح للكونترا فى عام ١٩٨٥ الذين ناصروا صديقه الدكتاتور سوموزا الذى اغتيل حينئذ فى «باراجواى» . وقد تردد اسم «ماركوس كاتز» فى البنوك السويسرية كثيرا كوسيط لصفقات للسلاح تم تحويل ثمنها إلى بنوك اسرائيلية كما تردد ايضا اسم «آل شفيمر» .

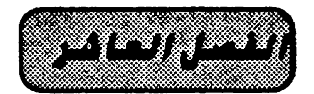
ويعترف «كاتز» بان «آل شفيمر» هو الذى قدمه إلى عالم تجارة الطائرات . ويتذكر «كاتز» أن آل شفيمر» حضر إلى المكسيك ومعه شخصان أخران . وكان «آل» هو رئيس هيئة الطيران الإسرائيلية (IAI) وذلك لإختيار ممثل للهيئة فى المسكيك ـ وكان ذلك فى أواخر السنينات . وقابلوا بعض الأشخاص ـ وأنا من ضمنهم ـ واختارونى من دونهم ربما لأنى أجيد التكلم بالعبرية أو ربما لأنى شخص لطيف . وعندما سئل عن عمله قبل أن يكون مندوب هيئة الطيران الإسرائيلية قال «كنت أعمل فى صناعة البلاسيتك أصنع زجاجات التعبئة من البلاستيك . وعندما سئل لماذا جاء «أريل شارون» وزير الدفاع الإسرائيلى إلى هندوراس لتسويق الأسحلة الإسرائيلية وكان دائما بجانبه أثناء الزيارة أجاب تاجر «البلاسيتك» قائلا «اننى أتكلم الأسبانية جيدا» . واجادة اللغة الأسبانية ميزة فى معظم الجالية الإسرائيلية المقيمة فى وسط أمريكا ولكن مالم يذكره كاتز هو أنه يجيد العلاقات «الإجتماعية» وإقامة «المآدب» .

ويقول «كاتز» أنه هو الذى أمر «بسكال بن هور» بأن يترك خدمته كسائق ـ وكان بن هور يعمل سائقا خاصا لكاتز ـ وأمره أن يرحل إلى جواتيمالا ليعمل فى تجارة السلاح . ويقول «كاتز» عن ذلك «لقد رأيت أنه لا يرغب فى الإستمرار فى العمل كسائق ولقد استخدمته كسائق فى أول الأمر اكراما لوالده الذى كان يعمل موظفا للأمن فى هيئة الطيران الإسرائيلية وكنت أعرفه وقد رجانى والده أن أرعاه» . وينفى «كاتز» ما أشيع عنه من أنه يدفع هبات كبيرة للأحزاب الدينية ولجامعة «يشيفاYeshiva"

وقام كاتز برحلات عديدة فى عام ١٩٩٠ بين المكسيك ونيويورك يتخللها زيارات لواشنطن . وقد اتسعت تجارته فى الطائرات وشملت قطع الغيار وبعض العقود مع فرنسا . وقد آثارت فوته غيرة صغار الوسطاء فى تجارة السلاح أمثال «أميل سعده» و«جيرار لاتشنيان» واضطروا لاحترامه لما رأوا من براعته فى قيادة سفينته فى خضم بحر السلاح الواسع فى أمريكا اللاتينية .

ولا نستطيع أن ننسى ـ بهذه المناسبة ـ أحد كبار تجارُ السلاح الإسرائيليين الذى فاق نشاطه فى الثمانينات نشاط جميع تجار السلاح فى أمريكا الوسطى والذى اضطرته الظروف لقطع علاقته (الرسمية) مع الموساد بسبب غلطة ارتكبها وهى قتله لرجل مراكشى « على أساس أنه أحد قيادات منظمة التحرير الفلسطينية . هذا الرجل هو «مايك هرارى "Mike Heray" وكان الساعد الأيمن لأشهر دكتاتور فى أمريكا الوسطى «الجنرال مانويل (تونى) نوريجا "General Manuel (Tony) Noriega" وقد أديا معاً خدمات جليلة للبيت الأبيض .

****



رجل وراء جنرال

فى أحد أيام الربيع عام ١٩٨٤ تجمّع فى ساحة وزارة الدفاع الإسرائيلية حرس شرف لتحية جنرال أجنبى طار آلاف الأميال من بلده «بناما» لزيارة «اسرائيل». وكان هذا هو الجنرال «مانويل أنتونيو نوريجا» المعروف بين أصدقائه بـ«تونى». والجنرال «نوريجا» رجل قصير ربع القامة يشبه وجهه المجعّد «ثمرة الأناناس». وقد وصل إلى الساحة مرتديا ملابس عسكرية أنيقة تزينها شارة المظليّين الإسرائيليين على صدره من جهة اليسار ويحف به من الجانبين «موشى ليفى Moahe Levi" قائد عام القوات المسلحة الإسرائيلية وكبار الضباط من الجيش الإسرائيلى . وكانت المناسبة هى تقليد الجنرال وساما اسرائيليا نظرا لمساهمته فى إصدار شهادة تقدير «زوّرتها القيادة الإسرائيلية تفيد بتميّز الأسلحة الإسرائيلية وتنوى الحكومة الإسرائيلية الإستعانة بهذه الشهادة لتسويق أسلحتها فى إيران . وتعتبر «بناما» بلدا مثاليا لمثل هذه الأغراض . ويقول رجال وكالة المخابرات الأمريكية عن «نوريجا» أنه «مخادع خفيف الظل» ويقولون عنه أيضا «إنه من خفّة ظلّه الشديدة يكتفى برشوة سنوية قدرها ٢٠٠,٠٠٠ دولار وهى تعادل مرتب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن الصور المشهورة فى مناسبة زيارة الجنرال نوريجا صورته هو ومجموعة من ضباط جيش الدفاع الإسرائيلى وهم يؤدون التحية العسكرية فى ساحة وزارة الدفاع بينما موسيقى الجيش تعزف السلام الوطنى لبنما واسرائيل . وكان الجميع يرفعون يدهم اليمنى بالتحية العسكرية فيما عدا شخص واحد يلبس ثيابا مدنية أنيقة ويقف وراء الجنرال وعلى عينيه نظارة شمسية كبيرة تخفى ملامحه . هذا الرجل هو «ميشيل هرارى "Michael Harri" وكان «هرارى» رئيسا لعمليات السرية للموساد فى وقت ما ثم أصبح مستشار «نوريجا» الأول الذى لايستطيع الجنرال أن يستغنى عنه ويلقب «بالعقل المفكر للجنرال» ويطلق على هذا الجاسوس العجوز لقب «مايك المجنون "Mad Mike" وقد

تمكن من أن يجعل نفسه أصدق أصدقاء الجنرال نوريجا وشريكه فى أعماله لدرجة أن «نوريجا» كان يلقبه «بالناصح الأمين».

ولقد كان «هرارى» هو الذى خطط لرحلة نريجا إلى اسرائيل ورتب له لقاءه مع كبار رجال الدولة وزيارة لقواعد الجيش الإسرائيلى كما رتب له مؤامرة ـ مزعومة ـ لإغتياله فى باريس لينقذه رجال «الموساد» وذلك حين توقف فيها «نوريجا» أثناء طيرانه إلى اسرائيل. وكان «نوريجا» قد هاجم قبل سفره لإسرائيل أحد معامل أباطرة المخدرات المنتشرة فى بناما ـ رغم أنهم يدفعون له شهريا ١٠ مليون دولار لكى يسمح لهم بالعمل فى بناما ـ وربما طمع فى المزيد ـ فقام بهذا الهجوم للإرهاب. فاستغل «هرارى» هذه الواقعة وأوهمه أنه علم من مصادره الخاصة ـ ويقصد الموساد ـ أن هناك مؤامرة تدبر لإغتياله عند وصوله باريس. ثم أخطره قُبيلْ وصوله أن الموساد تمكن من احباط هذه المؤامرة!. ويؤكد العالمون ببواطن الأمور أن «هرارى» هو السبب فى ذلك كله ليشعر نوريجا بجميل اموساد وجميله عليه ويكون أكثر تعاونا معه ومع اسرائيل.

وعندما قابل «هرارى» مندوب الصحيفة البنامية «لابرنتسا "La Prensa" عام ١٩٨٣ وسأله عن نفسه قال «أنا أدعى مايك هرارى وأنا أحد أعضاء هيئة المخابرات الإسرائيلية وصديق حميم لرئيس «نوريجا». والواقع أن اتصال هرارى بالمخابرات الإسرائيلية انقطع ـ من الوجهة الرسمية ـ قبل هذه المقابلة بثلاث سنوات عندما ترك خدمة الموساد وعينَ مديرا فى شركة «ميجدال "Migdal" للتأمين. ولكن منذ سفره إلى بنما فى عام ١٩٨٢ إلى أن غادرها فى جوف الليل فى ديسمبر ١٩٨٩ وهو يتمتع بكل المميزات لكبار رجال الدولة الإسرائيلية. ويقول أحد المسئولين السابقين بالسفارة عنه «إن الإدعاء بان مايك هرارى كان يعمل فى بناما لحسابه ليس له ظل من الحقيقة. إنه كان يأتى للسفارة ليس كمواطن اسرائيلى ولكن كما لو كان يملكها وكان يستطيع عمل أى شىء فى السفارة ويستعمل الحقيبة الدبلوماسية ويطلع على أدق الرسائل السرّية».

ولد هرارى فى تل أبيب عام ١٩٢٧ من عائلة اسرائيلية معروفة ـ أى أنه (سفارديم) ـ وانضم إلى جماعة «بالماخ» عندما كان عمره ثمانية عشر عاما ثم إلى جماعة «جدعونيم "Gid~onim" السرية التى كانت تتولى الهجرة غير الشرعية لليهود إلى اسرائيل وذهب إلى روما بعد الحرب العالمية الثانية حيث عمل رئيسا للجماعة فى ايطاليا. وقد دوّنت سيرته فى ايطاليا فى الرواية الإسرائيلية (الجدعونيم) بقلم «شابتاى تيفيث "Shabtai Tevcth" وإن كان اسمه فى الرواية «الكس "Alex" وعين «هرارى» بعد حرب التحرير كضابط أمن فى وزارة الخارجية وانتقل منها إلى الموساد عند بداية تكوينه. وكان دوره فى أعمال التجسس سطحيا ولم يستطيع أن يظهر أى مهارات غير عادية. ورغم كل ذلك فقد أوكل إليه رئاسة «جماعة الإغتيالات» الإسرائيلية فى السبعينات التى كانت تطوف أوربا

لإغتيال الزعماء الفلسطينيين . ويرجع الفضل فى تقدم «هرارى» إلى رئيسه وصاحب الفضل عليه «زفى زامير "Zvi Zamir" الذى أصبح رئيسا للموساد أثناء رئاسة «جولدا مائير» للوزارة الإسرائيلية . ولم ينجح هرارى - لسوء الحظ - فى مهمته مما دعى رئيسه وراعيه إلى الإستقالة من الموساد .

والسبب الذى أدّى إلى نفى «هرارى» هى أحداث الأوليمبياد عام ١٩٧٢ الدامية فى ميونيخ . فقد تمكن ثمانية رجال مسلحين برشاشات كلاشينكوف فى ٥ سبتمبر من الوصول إلى مبنى الرياضيين الإسرائيليين فى القرية الأوليمبية . ومن خلال باب تُرِكَ مفتوحاً سهوا . وقد تمكن هؤلاء الرجال من قتل بطل حمل أثقال يهودى وضابط أمن وتمكنوا من أسر تسع رياضيين آخرين . وطلب المختطفون اطلاق سراح ٢٠٠ سجين فلسطينى فى اسرائيل والخروج بسلام من المانيا وإلاّ قتلوا الرهائن الإسرائيليين . وقد تبيَّن فى خلال الساعات الحرجة التى تلت ذلك أن الفلسطينيين ينتمون إلى جماعة «سبتمبر الأسود» الإرهابية التى تكونت فى أعقاب مهاجمة الملك حسين ملك الأردن للفدائيين الفلسطينيين فى الأردن عام ١٩٧٠ وقامت هذه الجماعة - جماعة سبتمبر الأسود - بتدبير اغتيال بعض الشخصيات الأردنية وإلقاء القنابل وتخريب خطوط الأنابيب وبعض عمليات اختطاف الطائرات الفاشلة وذلك ردا على آلاف القتلى والجرحى من جراء مهاجمة الملك حسين للفلسطينيين . وقد حاول رئيس القرية المصرية مفاوضة المختَطِفين ولكنهم ردوا عليه بقولهم «إن حياتنا لاتعنى شىء لدينا ولا نطمع فى نقود» . وقد انتهى الحادث بمجزرة فى مطار حربى فى ألمانيا أثناء نقل الرهائن والمختطفين راح ضحيته سبعة عشرة شخصا منهم جميع الرياضيين اليهود .

وقد توعد الإسرائيليون بالإنتقام قائلين «الدم بالدم» وذلك فى أثناء تشييع جنازة القتلى . وقامت الطائرات الإسرائيلية فى ٨ سبتمبر - أى بعد الحادث بثلاثة أيام - بقصف مواقع الفدائيين ومخيمات اللاجئين فى سوريا ولبنان وبلغ عدد القتلى ٣٠٠ شخصا منهم أطفال ونساء لم يسمعوا عن سبتمبر الأسود فى حياتهم . وهوجمت معاقل الفدائيين بالقوات الإسرائيلية وقامت دبابة اسرائيلية بسحق سيارة تاكسى بها سبعة ركاب . وشكلّت «جولدا مائير» لجنة برئاستها أطلقت عليها «لجنة إكس "Committee X" وكانت مهمتها تتبع وتصفية أى شخص تظنه الجنة مسئولا عن مذبحة ميونيخ ووضع «مايك هرارى» مسئولا عن التنفيذ واتخذ له مهنة مستعارة هى رجل أعمال فرنسى . وجمع «هرارى» مجموعة من الرجال حوله وبدأ العمل . واستطاع «هرارى» أن يقتل أو يصيب أثنى عشر شخصا من الفلسطينيين . ولكن الراس المدبِّر استطاع أن يراوغهم . وقد استطاع «على حسن سلامة» الملقب «بالأمير الأحمر» وهو الفدائى المسئول عن عمليات الإغتيال فى أوربا - أن يهرب من «هرارى» ولكن أحد رجال الموساد رآه فى النرويج

وأخطر هراري بذلك فسافر «هراري» وعصابته إلى بلدة «ليليهامر Lillehammer" في شمال النرويج حيث قيل له أن «سلامة» قد شوهد فيها . وتتبع هراري شخصا قريب الشبه من «سلامة» حتى تأكدوا أنه هو الشخص المطلوب ثم أطلقوا النار عليه وقتلوه أمام زوجته التي كانت حاملا . ثم اتضح ان الشخص القتيل هو ساقي مراكشي كل جريمته أنه به بعض الشبه من «سلامة» .

وقد أبدى هراري وعصابته منتهى سوء التصرف بعد فشلهم الذريع في عملية الإغتيال . فقد تمكن البوليس النرويجي من القبض على ستة رجال من الموساد واعترف اثنان منهم فورا بأنهم عملاء للموساد وأدلوا بعناوين أوكارهم . وثالث وجدوا معه مفتاح شقة تستعمل كوكر لرجال الموساد في باريس وتمكن البوليس الفرنسي ـ عن طريقها ـ من اكتشاف أوكار أخرى للموساد في باريس والرابع ويدعى «دان ايربل Dan Aerbel" اتضح أنه يعاني من «عقدة الأماكن المغلقة Claustrophobia" واعترف بتفاصيل عملية «ليليهامر» بعد وقت قصير من اعتقاله في غرفة مغلقة . واعترف أيضا بوجود شحنة من اليورانيوم سرقتها الإسرائيليون من على ظهر سفينة تدعى شيرزبورج Sheersburg في عام ١٩٦٨ والخامسة ـ وكانت امرأة ـ وقعت في حب المحامي النرويجي الذي كان يدافع عنها وتزوجته وتمكن «هراري» وعشيقته والشخص السادس من الهرب .

وعوقب هراري على هذه الكارثة بنقله إلى منصب مريح وذي نفوذ وهو رئيس الموساد في «مكسيكوسيتي» أما «علي حسن سلامة الأمير الأحمر» فقد أمتد به الأجل لخمس سنوات أخرى حتى قتل في حادث انفجار قنبلة في لبنان بواسطة الموساد أيضا . وقد استاءت وكالة المخابرات الأمريكية لمقتل «سلامة» فقد كان يعمل معها كوسيط بينها وبين جبهة التحرير الفلسطينية . وتنقل «هراري» من المكسيك إلى أمريكا اللاتينية يعمل لصالح الموساد ولتسويق الأسلحة الإسرائيلية . وتعرف في أثناء ذلك برئيس المخابرات في بناما «الكولونيل نورييجا» وكان «نورييجا» يُقَسِّم ولائه بين رئيس بناما ـ في ذلك اوقت ـ الجنرال «عمر توريجوس General Omar Torrijos" ـ ووكالة المخابرات الأمريكية التي كانت ترشوه بسخاء . وقد اكتشف «نورييجا» أنه من المفيد أن تكون علاقاته جيدة مع كل الناس بما فيهم «كوبا» وابتدأ يمارس تجارة المعلو.مات السرية وكان هذا مفيدا جدا «لهراري» . وقد وجد «مايك» ـ كما يحلو لهراري أن يلقب نورييجا ـ أنه من الممكن أن تكون بناما محطة (ترانزيت) للأسلحة الإسرائيلية توزع منها بعد ذلك إلى أمريكا الوسطى والجنوبية وقد كون نوريجا وهراري عصابة حازت اعجاب الرئيس ريجان في البيت الأبيض .

قامت «بناما» بنفس الدور الذي قامت به «نيكاراجوا» في عهد الجنرا سوموزا الأول . فقد استُخدِمت لتهريب الأسلحة لإسرائيل قبل إنشاء الدولة الإسرائيلية . فقد قام

«آل شفيمر» بتهريب الفائض من أسلحة الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة إلى بناما ثم منها إلى فلسطين . وتكونت شركة بنامية للطيران لنقل هذه الأسلحة جواً إليها. وبتدبير من «هراري» قامت اسرائيل بشحن ماقيمته ٥٠٠ مليون دولار من الأسلحة إلى بناما خلال الثمانينات منها ١٠٠ مليون على الأقل بعد أن تخلت أمريكا عن نوريجا في عام ١٩٨٨ وذلك حين ثبت تورطه في صفقات المخدرات . وقد وافقت اسرائيل على الصفقة مع بناما دون تردد فقد كان لهراري نفوذ قوى في كل من بناما واسرائيل وقد زوّد «هراري» نوريجا بأحدث أجهزة التصنت والتجسس حتى يمكنه من معرفة مايدور خلف الجدران . فقد كان «نوريجا» من الأشخاص الذين يسهل عليهم تكوين أعداء . ومع الأجهزة جاء الخبراء لتشغيلها ولمباشرة حملات القمع لمن يثبت عليهم معاداة «نوريجا» كما كون حرسا خاصا لنوريجا من الإسرائيليين . بل يقال أن «هراري» قام بتأثيث المخبأ السرى الذى جهزه «نوريجا» للإختفاء فيه في حالة حدوث اضطرابات . ويقال أن «نوريجا» كان يعلّق في هذا المخبأ صورتين إحداهما لأدولف هتلر» والأخرى «لموشى ديان» وأن هرارى اقنعه برفع صورة هتلر لأنها بعيدة عن الذوق وقد امتدت نصائح هرارى إلى المسائل المادية وكيف يستغل «نوريجا» أمواله في بنوك سويسرا ويتربح من شراء الأسلحة.

وعاش هرارى في بناما في قصر منيف على المحيط في شارع ميرادور دل باسيفيكو "Mirador Del Pacifico" في بناما سيتى . وكان مايك المجنون» كما يطلقون عيه يذرع الشوارع في سيارته التويوتا يسوقها سائقه وبجانبه حارسه الخاص يحمل رشاش «أوزى في حقيبة جلدية أنيقة لا تلفت النظر . ويشير سجل مكالمات الرئيس «نوريجا» أن «هرارى» كان يتصل به كل يوم ليتباحث معه في الأعمال المشتركة بينهما وعرف «هرارى» بين تجار اسرائيل «بالأستاذ ٦٠٪ "Mr.60%" لأنه كان يتقاضى عمولة قدرها ٦٠٪ من أى شخص يريد التعامل مع «بناما» ويقتسم عمولته مع الجنرال . وقد تمكن رجال الأعمال الإسرائيليون من تحقيق مكاسب خيالية في عهد الجنرال نوريجا رغم العمولة العالية . أما المجتمع اليهودى في بناما فكان يتميز بالغِنىً على وجه العموم ومعظمهم من التجار السوريين الذين جاءوا منذ أوائل القرن . وقد حذرهم الحاخام «صهيون ليفى "Zion Levy" في أكثر من مناسبة أن غناهم سيعرضهم للخطر . وقد تحق تهديده فنهبت ثرواتهم وبارت تجارتهم بعد أن طرد نوريجا من الحكم . وقد بلغ من شدة غناهم أنهم كانوا يستوردون فرقا موسيقية لإحياء أفراحهم من سوريا وبلغ الصداق في زواجهم إلى مبلغ مليون دولار . وعندما حضر المغنى اليهودى المشهور ـ في اسرائيل ـ «حاييم موشى "Hayim Moshc" ليحيى إحدى الحفلات الفنائية في بناما قيل أنهم أغرقوه بالدولارات» ولم يتمكن المدعوون من الرقص لأن ساحة الرقص كانت «مغطاه» بالدولارات بدرجة تمنع من

الرقص بحرية وكان «نوريبجا» يدعو الجالية اليهودية لحفلات خاصة ويقول لهم ـ نقلا عن جريدة «جدعونت أحارنوت "Yediot Aharanot" الإسرائيلية ـ «أننى قوى، لا تحملوا هماً. لن يستطيع أحد أن يهزمنى». وبعد أن قطعت الولايات المتحدة علاقاتها التجارية مع بناما قال أحد كبار التجار اليهود ـ رفض ذكر اسمه بالطبع ـ «علينا أن نبقى مع الرجل القوى ربما هذا لايشرفنا ولكننا نربح كثيرا معه».

وكانت تجارة الطائرات هى أهم مصدر من مصادر ثروة هرارى فى بناما وذلك من خلال شركته «شليدور أملات "Shcllydor Amlat" التى أقامها فى بناما لتستورد الطائرات وقطع غيارها من شركة «كومودور للطيران "Commodore Aviation" الإسرائيلية التى تملكها وزارة الدفاع ويقول رئيس سلاح الطيران فى بناما الماجور أوجستو فيلاليز "Maj. Augusto Villdlaz" «لم يكن هناك مسمار فى السلاح الجوى إلاَّ ويعلم عنه هرارى كل شىء لقد كان رئيس السلاح فى الحقيقة».

وهكذا ـ بهذه الطريقة ـ أصبحت إمكانيات «هرارى» لا نهاية لها. وقد قال «فلويد كارلتون "Floyd Carlton" ـ الذى عمل كبير الطيارين لنوريبجا قبل أن يصدر حكم بسجنه فى ميامى بخصوص المخدرات وكان الشاهد الرئيس لحكومة الولايات المتحدة أثناء محاكمة نوريبجا بتهمة الإتجار فى المخدارات «كانت تشحن صناديق من اسرائيل على أنها قطع غيار للطائرات ولكنها كانت فى حقيقة الأمر مليئة بالدولارات. وكان «هرارى» يستقبلها فى المطار ويعطيها لنوريبجا.» وهكذا كان الطريق خاليا لهرارى من وإلى اسرائيل، والسؤال هو: من فى الحكومة الإسرائيلية كان يعلم بهذه الأمور ويشرف على تنفيذها؟

افتضح موقف «هرارى» وأعماله الخفية مع البيت الأبيض عندما ترك «جوزيه بلاندون Jose^ Blandon" الرئيس السابق لمخابرات «نوريبجا» السياسية وقنصل «بناما» العام فى نيويورك منصبه وطلب اللجوء السياسى للولايات المتحدة الأمريكية فى بداية عام ١٩٨٨ وقد أصبح «بلاندون» الشاهد الأساسى ضد «نوريبجا» فى قضايا تهريب المخدرات. وقال أيضا أن عصابات تهريب المخدرات قد خربت «بناما» تماما من الناحية الأخلاقية. وتكلم صديق الدكتاتور السابق عن العلاقة الوثيقة بين مدير الوكالة الأمريكية للمخابرات «وليم كاسى» ونوريبجا وفضح دور نوريبجا فى تهريب الأسلحة إلى ثوار الكونترا وكيف مهَّد لهم «نوريبجا» ساحات للتدريب ووضح أن موضوع الأسلحة كانت من اختصاص «مايك هرارى» صديق «نوريبجا» وعاش «بلاندون» فى رعب قاتل طوال فترة بقاء نوريبجا فى الحكم. وكان دائم التنقل فى أمريكا تحت حراسة مشددة. ولم يكن «نوريبجا» هو رعبه الوحيد بل كان يخشى أيضا من رجال الوكالة الأمريكية للمخابرات. فقد كان «بلاندون» يعلم كثيرا من الأسرار الخطيرة التى يمكن أن تؤدى به إلى الهلاك ومن

ضمنها أسرار مايك هرارى .

وقد اشترك «بلاندون» فى أدق أسرار حرب «الكونترا» فقد حضر - على سبيل المثال - الإجتماعات التى تمت عام ١٩٨٥ بين الجنرال «نوريبجا» والكولونيل «أوليفرنورث» من البيت الأبيض . وقد عقد الإجتماع الأول فى يونيو ١٩٨٥ على ظهر يخت فى خليج بناما بالمحيط الباسيفيكى ودارات المحادثات حول تدريب الكونترا فى بناما وتوريد أسلحة لهم وقد قدم نوريبجا خدمات جليلة للكونترا قبل اجتماعه مع «نورث» فهو صديق حميم لرئيس الوكالة «وليم كاسى» وكيسى يعلم الكثير عن أنشطة نوريبجا الخفية . ونظرا لأهمية نوريبجا للوكالة كان «كاسى» يحبط أى محاولة لكشف هذا النشاط على أساس أن نوريبجا ذو أهمية خاصة . وقد استغل «نوريبجا» وأمثاله فترة حكم الرئيس «ريجان» . فقد كان شغل «ريجان» الشاغل هو حماية «نيكارجوا» من التغلغل الشيوعى ولذلك كانت تجارة المخدرات تأتى فى المرتبة الثانية . فإذا كان «نوريبجا» يستطيع أن يساند الكونترا ضد الشيوعية فإنهم يمكنهم أن يتغاضوا عن أى شىء آخر . وقد استفاد «نوريبجا» وشركاؤه من هذه السياسة .

تتقابل «مايك هرارى» مع «بلاندون» لأول مرة فى عام ١٩٧٥ عندما حضر لمساعدة رئيس بناما الجنرال «عمر توريجوس» - فى ذلك الوقت - فى أثناء مفاوضاته مع الولايات المتحدة حول قناة بناما . وقد وطد «هرارى» صداقته مع «توريجوس» أولا ثم نوريبجا وقد أثمرت صداقة «هرارى» و «نوريبجا» كما قال «بلاندون» فى عام ١٩٨٢ عندما بدأ التعاون بينهما فى تجارة الأسلحة . وأصبح هذا التعاون فى تجارة الأسلحة أحد المصادر الهامة «للكونترا» بدءا من عام ١٩٨٣ وتم امداداهم بأسلحة من يوغوسلافيا وبلاد أخرى ومن اسرائيل . وهكذا أصبح هرارى يتعامل مع نوريبجا وحكومة اسرائيل سوياً .

وكان هرارى جزءا من شبكة قوية من الإسرائيليين فقد كانوا هم أهم مصدر للسلاح فى أمريكا الوسطى منذ عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٣ . وقاموا بتوريد أسلحة إلى جواتيمالا والسلفادور على وجه الخصوص . وهذه الشبكة هى التى قامت أيضا بتوريد السلاح «للكونترا» من عام ١٩٨٣ حتى عام ١٩٨٥ وقد قامت الولايات المتحدة بعد ذلك بتوريد الأسلحة لأمريكا الوسطى إلى أن سقطت احدى طائراتهم المحملة بالأسلحة فوق نيكارجوا وأدت إلى كشف المؤامرة . وقد ترددت أمريكا فى أن تطلب من اسرئيل توريد أسلحة بدلا منها لوسط أمريكا إلا أن مئات الأطنان من الأسلحة التى حصلت عليها اسرائيل من جبهة التحرير الفلسطينية جعلت «كاسى» - رئيس المخابرات الأمريكية» - يطلب من اسرائيل شحنها إلى وسط أمريكا . ومع وجود أشخاص متمرّسين فى هذه العملية أمثال «إميل سعده» و«أماتزيا شاولى» ومساعدة «مايك هرارى» قامت اسرائيل بدور الولايات المتحدة فى هذا الشأن . إن «هرارى» كان شريكا لنوريبجا . وكانا ينقلان الكوكايين إلى «بناما»

من «كولومبيا» ثم من بناما بواسطة الطائرات إلى «كوستاريكا» أو «هندوراس» مستغلين بعض المطارات المهجورة ثم من هناك إلى الولايات المتحدة ويستخدمون فى هذه العملية الطيارين والعاملين فى عملية تهريب السلاح للكونترا . وقد استغل «نوريجا» التسهيلات الممنوحة له لتهريب السلاح للكونترا فى تهريب المخدرات . ومع اتصالات «هرارى» باسرائيل أصبح الإثنان يشكلان ثنائيا متكاملا للقيام بهذه العمليات .

وعندما سُئل «بلاندون» عما إذا كانت الوكالة الأمريكة للمخابرات تعلم عن تورط «هرارى» مع عصابات المخدرات فى كولومبيا قال أن الوكالة تعلم تورط نوريجا فى هذه العملية منذ عام ١٩٨٠ . وأن اسرائيل تورد الأسلحة لأمريكا الوسطى منذ هذا التاريخ وأن العلاقة بين أمريكا وإسرائيل وثيقة لدرجة أنه لابد لها أن تعلم بذلك فلابد أن الوكالة تعلم أن بعض الأسلحة قد تم شراؤها بأموال المخدرات . فقد وُجِدَ هذا مكتوبا فى مذكرات «أوليفر نورث» .

واكتشف المحققون من هيئة الأمن القومى الأمريكية وجود مايسمى «سوبر ماركت الأسلحة» وهى مخازن خفيه فى مدينة «سان بدرو سولا «بهندوراس مكدسة بملايين الدولارات من الأسلحة من الكتلة الشرقية "San Pedro Sola" وقد وجد فى مذكرات «نورث» فى ١٢ يوليو سنة ١٩٨٥ بأن هناك حوالى ١٤ مليون دولار من بيع المخدرات قد دفعت ثمنا لأسلحة «السوبر ماركت» . وفى يونيو عام ١٩٨٦ كتب «نورث» ملاحظة أخرى يقول فيها أنه لايزال يحتاج لنقود لسداد ثمن أسلحة «السوبر ماركت» . وقد ذكرت مجلة «نيوزويك» "Newsweek" أن أسلحة السوبر ماركت هى حصيلة تعاون الوكالة الأمريكية للمخابرات مع تجار الأسلحة الإسرائيلية وجهاز مخابرات هندوراس . وقد كان طبيعيا أن يلجأ «كاسى» ـ مدير الوكالة ـ مباشرة إلى اسرائيل لسد ثغرة الأسلحة بعد حرمان هندوراس ـ بناء على قرار الكونجرس الأمريكى ـ من المعونة العسكرية الأمريكية . ورحبت اسرائيل بالعملية طالما أن هناك من يدفع الثمن . وجاء هذا الثمن عن طريق بيع المخدرات . ويقول مصدر مسئول فى «سيبات» ـ الجهاز الإسرائيلى المشرف على بيع الأسلحة الذى يرأسه «زفى رويتر» ـ أن اسرائيل قامت ببيع ماقيمته ٤٠ مليون دولار من الأسلحة إلى «الكونترا» وأن هذه المبالغ جاءت من حصيلة بيع المخدرات وقد نشرت هذا الحديث جريدة «هاداشوت "Hadashot" الإسرائيلية فى تل أبيب .

«فيليكس رودريجز "Felix Rodriguez" هو أحد العتاه من عملاء الوكالة الأمريكية للمخابرات . فهو الذى يتلقى شحنات الأسلحة ـ المصنعة فى الكتلة الشرقية والتى استولت عليها اسرائيل ـ التى يرسلها «مايك هرارى» من اسرائيل . وهو يعمل فى «السلفادور» وقد كتب الجنرال «جورمان "Gorman" ـ قائد القوات الأمريكية الجنوبية ـ خطابا إلى السفير الأمريكى فى السلفادور «بيكرنج "Pickering" يشرح له فيه أهمية

«فيلكس» للكونترا . فقد كان «فيلكس» مديرا لمطار «إيلوبانجو Ilopango" فى السلفادور وهو المطار الذى يتلقى منه كوستاريكا وهندوراس الأسلحة . ورغم أن «رودريجز» كان متورطا فى موضوع «السوبر ماركت» ـ كأحد المرتشين كما يقول زميل له فى البيت الأبيض ـ إلاّ أنه كان يغلف ذلك ويبرره بالوطنية وينفى أية أغراض سيئة وإن كان «بلاندون» من موقعه فى بناما لا يوافق على ذلك ! ويقول بلاندون فى ذلك « إن هذا عمل قذر وعلاقته بشبكة هرارى ليست شيئا وطنيا . و«هرارى» متورط فى المخدرات ويعمل معه فهل فى المخدرات وطنية !» .

أما بالنسبة لتمويل الأسلحة ـ وبصرف النظر عن مبلغ ١٤ مليون دولار الذى ذكرها «نورث» فى مذكراته ـ فقد ذكرت شبكة «أيه بى سى للأنباء "A B C Nwws" أن عملية «هرارى» بدأت فى ربيع ١٩٨٣ بطلب واشنطن ماقيمته ٢٠ مليون دولار من الأسلحة على أن تسدد لاحقا من حساب العمليات السرية . وقد اشترت اسرائيل السلاح من بولندا وتشيكوسلوفاكيا وبدأت فى شحنه سراً إلى «بوليفيا» وبعد ذلك إلى « بناما» ومن هناك تم شحنه على طائرات " C 123"و"DC-6" إلى «كوستاريكا» و«السلفادور» ثم منهما إلى الكونترا .

وقد استمر «نورييجا» لمدة عام على الأقل بعد إدانته فى «فلوريدا» بتهمة الإتجار فى المخدرات عام ١٩٨٨ متمسكًا بمنصبه فى بناما ـ رغم قوة شهادة «بلاندون» ضده ـ إلى أن قام الجيش الأمريكى بغزو «بناما» . ويرجع هذا التأخير إلى اختلاف القيادات فى واشنطن حول خطورة ما يعرفه «نورييجا» عن الأعمال السرية فى أمريكا والرجال الذين يقومون بها . ويفسر «بلاندون» ذلك بقوله «إن نورييجا» يهدد بفضح كبار المسئولين فى أمريكا إذا أنه «متخصص فى استغلال المعلومات الخاصة بالفضائح وهناك كثير من كبار المسئولين فى الحكومة الأمريكية يعيشون فى رعب من أن نورييجا قد يفضح تصرفاتهم المخجلة للرأى العام » وقد قرأ «بلاندون» أثناء شهادته أمام لجنة مجلس الشيوخ للعلاقات الخارجية رسالة من «نورييجا» يهدد بها صراحة مراكز القوى فى واشنطن . ويقول «نورييجا» فى جزء من رسالته : «إن لدى وقائع لا يتطرق إليها الشك من أن بعض السياسيين فى الولايات المتحدة الأمريكية كانوا متواطئين مع محامين وسياسيين فى بناما فى عمليات تجارة المخدرات .... ولدى قرائن تدين سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه تجارة المخدرات و«غسيل» نقودها "Money Laundering" هى وتجارة الأسلحة التى تصدر إلى أمريكا اللاتينية .... » ولدى مايثبت أن السياسة الكاذبة للولايات المتحدة ضد المخدرات لم تحم اخواننا فى هندوراس من غزو الكوكايين الذى يذهب للولايات المتحدة عن طريق موانى لا تبعد إلا أميالا قليلة من قواعد الأسطول الأمريكى فى هندوراس ....»

ومن الطريف أن نعلم أن الولايات المتحدة عندما غزت «بناما» كلفت الكولونيل

« جيمس ستيل Col James Steele" بجرد المستندات السرية الموجودة فى قصر « نوريبجا » علما بأن هذا الكولونيل ستيل كان مضطلعا بدور رئيس فى العمليات السرية لمساعدة الكونترا .

أما فيما يختص بتورط اسرائيل مع « نوريبجا » فلم يذكر « بلاندون » إلاّ القليل وطلب بعد ذلك عقد جلسة سرّية لم يعلن ماقاله فيها بعد . ولكن ذكر فى الجلسات العلنية أن شبكة « هرارى » قد تم تكوينها من مواطنين اسرائيليين وبناميين وأمريكيين بغرض توريد الأسلحة وأن الأسلحة كانت تنقل لثوار الكونترا بواسطة طائرات اسرائيلية وأن هذه الطائرات كانت تنقل الكوكايين أيضا .

ولعله كان متوقعا عندما غزا الجيش الأمريكى بناما فى فجر يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٨٩ أن يتم القبض على الرجل الثانى ـ هرارى ـ بعد نوريبجا ولكن هرارى تمكن من الهروب إلى إسرائيل فى الوقت الذى كان الجيش الأمريكى قد أحكم السيطرة على طرق ومطارات « بناما » فقد اختفى هرارى وسائقه وحارسه الخاص فى سيارتهم « التويوتا » الزرقاء . ولم يهتم أى شخص بتفتيش شقة « هرارى » الفاخرة إلاّ بناء على نصيحة ضباط أمريكى متقاعد بعد ثلاثة أيام من الغزو . وقام فريق من سفارة الولايات المتحدة بتفتيش الشقة وتركوا الخزينة التى فى المنزل ـ وتزن ٣٥٠ كيلو جراما ـ دون أن تُمَسْ . وقد اختفت هذه الخزينة بعد ذلك كليةً !! .

وقد أعلن رئيس البعثة الأمريكية فى بناما يوم ٢٨ ديسمبر أن « هرارى » قد أصبح « أسير حرب » . وكان « هرارى » عند صدور هذا الإعلان يجلس فى حالة استرخاء فى منزله فى « تل أبيب » . وبعد يومين من هذا الإعلان سحب رئيس البعثة ـ جون بشنيل "John Bushnell ـ تصريحه قائلا أن جيش الولايات المتحدة قد أخطأ (إما لأنه لم يجد « هرارى » مطلقا ـ وهذا هو الأرجح ـ أو أنهم اعتقلوا شخصا آخر مكانه) . وعندما سئل الرئيس الجديد للقوات المسلحة البنامية وهو الكولونيل ادواردو هريرا Col Eduardo Herrera عندما سئل عن هذا الموضوع قال أنه « نُصِحَ » من رجال الدولة الأمريكيين أن ينسى « هرارى » كلية وأضاف قائلا « أنا جندى بسيط وهذا من الأمور الشائكة » ! وقد قال « هريرا » فى وصف « هرارى » الملقب « بمايك المجنون Mad Mikc" « إنه شخص فاسد ، لص ، وقاتل وقد أضَرَّ بمصالح « بناما » ضررا بليغا » ! .

قبل عدة شهور من غزو « بناما » قام هرارى ببناء قصر مهيب فى إحدى ضواحى تل أبيب الفاخرة وذلك بالمشاركة مع شقيقه زوجته « دوريس باينيش Dorith Beinish" التى كانت تشغل فى اسرائيل ـ فى هذه الأثناء ـ وظيفة المدّعى العام . وأمام منزله الآخر فى تل أبيب كانت تقف سيارة من طراز « أودى Audi" الفاخر وبجوارها أخرى طراز « فولفو Volvo" الأكثر فخامة تحمل لوحة أرقام دبلوماسية نظرا لمنصب « هرارى » كقنصل بناما

الفخرى فى اسرائيل . وكان معظم جيرانه من كبار ضباط الجيش والمخابرات المتقاعدين الذين يشغلون مناصب رئيسية فى شركات حكومية ولا يحمل منزل « هرارى » أى رقم أو اسم ويمتلىء بالهدايا والتحف من آسيا وأفريقيا وأمريكا الوسطى . كما تتزين الحوائط بشهادات تقدير لما بذله من مجهود فى تعميق الروابط بين اسرئيل وبناما موقعه من « شيمون بيريز » ورئيس الوزراء « اسحق شامير » .

وبعد غزو « بناما » بثلاثة أسابيع ظهر « مايك هرارى » فى التليفزيون الإسرائيلى ليعلن أنه كان ضحية للأكاذيب وقال « يدعى البعض أنى كنت مستشارا لنوريجا. وهذا محض افتراء فلم أكن فى يوم ما مستشارا لنوريجا . ولست الرجل رقم واحد أو الرجل الثانى فى « بنما » أو شريكا لنوريجا ولم أتول إدارة شئونه أو تدريب رجاله لقد كنت مجرد رجل أعما يتولى بعض الأعمال فى « بنما » وعندما طلب منه أن يصف « نوريجا » قال « لقد عرفت « نوريجا » كرجل رَصين مملوء بالحيوية وطنى وماكر ومحب للحياة . من السهل عليه الإستحواذ . على قلوب المحيطين به » .

وهناك تقرير يؤكد أن طائرة نقل اسرائيلية طراز "C - 130" ظهرت فى « بناما » قبل بضعة أيام من الغزو الأمريكى وتم تحميلها بكثير من الأوراق والملفات وغادرت « بناما » قبل ست ساعات من الغزو الأمريكى للبلاد . وليست هذه هى المرة الأولى التى تحاول فيها اسرائيل اخفاء الأدلة التى تدينها فى الأعمال الشائنة . فقد حدث مثال أخر فى الأرجنتين عندما حملت طائرة من سلاح الطيران الأرجنتينى الوثائق التى تدين اسرائيل فى تورطها مع الحكم الفاسد الأرجنتينى فى عام ١٩٨٣ . فقد كانت الأرجنتين من أكبر أسواق السلاح الإسرائيلى فى أمريكا الوسطى . وقد نشرت صحيفة « لابرنتسا "La Prensa" البنامية مقالا توضح فيه - من وجهة نظرها - لماذا يسمح لأشخاص أمثال « مايك هرارى» بالهرب بسلام إلى اسرائيل بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية فقالت :

« هل كان هرارى مخلصا لنوريجا أم للولايات المتحدة؟ أن الأشخاص الذين لا خلاق لهم مثل لهرارى لا يدينون بالولاء إلاّ لأنفسهم ... ومن المرجح أن هذا الشخص قد توقع نهاية « نوريجا » قبل ذلك بعدة شهور فهرع يقدم خدماته لمن سوف يقومون بالقضاء عليه متخذا مايعرفه من معلومات كوسيلة للتهديد والضغط عليهم ليأمنوا له طريقا للهرب » .

وقد ظهرت العلاقة الشاذة بين اسرائيل وعصابات المخدرات الكولومبية « المادلين "Medellin" عندما وجدت جثة قتيل فى حقيبة سيارة فى ميامى . وقد تبين من التحقيق فى الحادث أن الطريقة التى قتل بها هى أسلوب رجال « سبيرهيدا الإسرائيليين الذين قاموا بتدريب رجال كولومبيا على أعمال مكافحة الشغب » والأمن . وليس من المعروف على وجه اليقين من المتسبب فى وضع شركة « سيبرهيد » فى طريق رجال عصابات « المادلين » وتقول إحدى الوثائق الحكومية الكولومبية أن هناك شخص اسرائيلى يدعى « مايك »

أوصافه تنطبق على « مايك هرارى» شوهد فى أحد معسكرات التدريب المقامة لتدريب رجال المخدرات فى «بورتو بوياكا Puerto Boyaca" فى مارس ١٩٨٩ . كما اتهمت المخابرات الكولومبية "DAS" ، «هرارى» بتدريب عصابة «جونزالو رودريجز جاشا Gonzalo Rodriguez Gasha " أحد كبار رجال عصابات تهريب المخدرات فى « مادلين » كما أشار البوليس الدولى (الانتربول Interpol) أن هرارى متورط فى تدريب المتطرفين اليمينيين فى «كولومبيا».

ويرجع أن أول إتصال تم بين كولومبيا واسرائيل كان من خلال « بسكال بن هور » الذى عمل كوسيط فى جواتيمالا وكانت هناك أنشطة اسرائيلية أخرى بجانب ذلك مع الجيش الكولومبى . حتى « رافى إيتان » رئيس لاكام ـ هيئة التجسس الإسرائيلية فى أمريكا ـ الموجود فى كل مكان والذى جند جوناثان بولارد كجاسوس وقام بزيارة « مشروع أبولو بنسلفانيا » ظهر ثانية فى « كولومبيا » لتدريب مجموعة من الكولمبيين لأعمال الأمن لصالح وزارة الدفاع . وكان « إيتان » نشطا جدا فى « كولومبيا » حيث كان يشار إليه كربيب « لأريل شارون » وقد طلب منه الرئيس الكولومبى تنظيم حراسة منزله وضبعته وعائلته فى « بوجوتا » .

عندما وصل « يائير كلاين » ورجاله من شركة «سبيرهيد» ـ للتدريب العسكرى ومقاومة الشغب ـ لأول مرة فى فندق «كوزمور » فى بوجوتا عام ١٩٨٨ كانت كولومبيا قد قامت بشراء كميات ضخمة من الأسلحة من حكومة اسرائيل . فقد اشترت بما قيمته ٥٠٠ مليون جنيه من الأسلحة أى مايعادل ثلث ماتصدره اسرائيل من الأسلحة فى هذا العام وكان وجود أربع عصابات قوية ضد الحكومة فى كولومبيا دافعا لإنشاء مراكز تدريب وخبراء ومدربين فى البلاد . وكانت الديمقراطية فى كولومبيا قد انهارت فى خلال الأربعين عاما الماضية حيث قامت حروب أهلية كانت السبب فى مقتل ٢٠٠،٠٠٠ مواطن . وكانت كولومبيا فى حالة دائمة من الحصار السياسى فقد توقف العمل بالدستور وأصبحت كولومبيا هى البلد الوحيد فى العالم التى تفخر بوجود « علم العنف Violentology" . فقد كان العنف ظاهرة من ظواهر كولومبيا شأنه فى ذلك شأن مناجم الزمرد وآبار البترول وغابات نهر الأمازون والآثار الرائعة من الذهب التى سرقها الغزاة الأسبان . والتى تملأ « متحف الذهب Musec De Oeo" فى بوجوتا . وقد حدثت ٨٢ مذبحة فى عام ١٩٨٨ (يطلق كلمة « مذبحة » فى كولومبيا على الحادث الذى يقتل فيه خمسة أشخاص أو أكثر فى مكان واحد) . ومن السهل العثور على اشلاء من الجماجم أو العظام مع أجزاء من الأقمشة الرثه أو الأحذية البالية فى المناطق المهجورة كشاهد صامت على الطرق الوحشية التى يتبعها الكولومبيون فى حل مشاكلهم السياسية .

وقد تصاعدت معدلات القتل الوحشى بشدة بعد أن بدأت تجارة الكوكايين فى

الثمانينات . فتصنيع المخدر عملية بسيطة للغاية وتعطى ربحا يفوق خيال أى طامع فى المال طالما بقى على قيد الحياة ! ونتج عن ذلك مستوى اجتماعى يفوق فى غناه كثيرا عن المجتمع الذى يتكون من بارونات زارعى القصب والقهوة التقليديين وقد اقتنى هؤلاء «المليونيرات الجدد » ـ كما يحلو للبعض أن يسميهم ـ الضياع الشاسعة والقصور الفاخرة والسيار ات الفارهة وخيول السباق .

ومع تطور المجتمع الجديد والثراء جاء الطموح السياسى والرغبة فى اقتناء الأرض . فقد اشترى أباطرة المخدرات مساحات واسعة من «سهل مجدالينا Magdalena Medio" وهى قلب الريف التى تضم أخصب أراضى كولومبيا وكان ثمنها رخيصا فهو من حصيلة بيع المخدرات وكان هناك جماعات من الإرهابيين من «جيش كولومبيا الثورى Revol (FARC) tionary Armed Forces Of Colombia وجماعة أخرى تدعى "ELN" وغيرهما يفرضون أتاوات على صغار المزارعين ومربيى الماشية لحمايتهم . وقرر أباطرة المخدرات مقاومة هذه الجماعات الإرهابية وقاموا باستئجار قتلة محترفين يطلق عليهم اسم «سيكاريوسSicarios" لإقرار السلام . وتطور الأمر إلى تكوين «جماعات مسلحة» تطورت إلى جيوش مدربة صرحت بها وزارة الدفاع الكولومبية وقد قال وزير دفاع سابق فى الحكومة الكولومبية يدعى كارلوس ليموسى Carlos Lemoa" عن ذلك «إن هذه الجيوش تشكل جماعات للدفاع الشخصى ضد هجمات الإرهابين على الأراضى الكولومبية » وهكذا اكتسبت «مجموعات القتل» التى تنتمى إلى مهربى المخدرات صفة الشرعية . ولكن بانتهاء عام ١٩٨٩ وجدت الحكومة أن «مجموعات القتل» تمارس مهامها بنشاط زائد مما جعل الريف الكولومبى يئن من هول مايجرى على أرضه من سفك للدماء الذى جعل الدولة تتراجع عن شرعية «جماعات القتل» . فقد تبين تورط كثير من ضباط الجيش والبوليس مع «مجموعات القتل» التى يمولها أباطرة المخدرات وأيضا استغلال أصحاب النفوذ السياسى والإجتماعى لإضفاء الشرعية على الإنتهاكات العديدة لحقوق الإنسان من جانب تجار المخدرات وقد قال أحد أباطرة المخدرات السابقين ويدعى «كالوس ليهدر-Carlos Leh" derفى هذا الشأن «إنها مسألة حياة أو موت فإما أن تَقْتُل أو تُقْتَلْ . أنها حرب باردة وقذرة على كل حال ولكنها مستمرة » .

و«كارلوس ليهدر » هو أحد أباطرة المخدرات ذائعى الصيت الذى ابتدع نظام نقل الكوكايين بالطائرات إلى الولايات المتحدة . ويقيم «ليهدر » منذ ابريل ١٩٩٠ فى زنزانة مساحتها ٨٠و١×٨٠و١ مترا فى سجن «ماريون Marion" بولاية «إلينوى Illinois" أقوى سجون أمريكا فى الحراسة ليس بعيدا عن «جوناثان بولارد» الجاسوس اليهودى المعروف (راجع فصل ٤) . وقدضَحّى به زملاؤه (زملاء ليهدر) ككبش فداء لهم عندما تزايد الضغط على ضرورة تقديم أحد كبار رجال المخدرات للولايات المتحدة الأمريكية . وقد حكم على

«ليهدر» بالسجن مدى الحياة بالإضافة إلى ١٢٥ شنة سنجن أخرى !! ويحلق «ليهدر» فى الماضى وهو فى سجنه وأصوات الاصفاء الحديدية تنبعث من بين يديه ويتذكر ضيعته الرائعة التى أقام بهات تمثالا بالحجم الطبيعى للمغنى ذائع اصيت «جون لينون John Lenon" وقد كون حزبا سياسيا اسماه «الحركة الوطنية اللاتينية Latin National Movement" وكيف اصدرت بيانا تسمى فيه تجارة المخدرات «بالسلاح الثورى ضد الإمبريالية الأمريكية» . ولكن «ليهدر» لم يكن يساريا فهو مثل «نوريبيجا» من المعجبين بأدولف هيتلر وعندما يجابه بذلك ينفعل ويرد قائلا «إنها ليست جريمة ، على الأقل فى كولومبيا!» .

وأباطرة المخدرات ليسوا جميعا مثل «ليهدر» فى حماسهم ولكن لايمنعهم من أن يتبرعوا بملايين الدولارات سنويا للمرشحين السياسيين . ويصف «ليهدر» أحد الإجتماعات السياسية للقيام بحملة لجمع التبرعات لمناصرة المرشح للرئاسة الكولومبية فى عام ١٩٨٢ «الفونسو لوبيز ميشيلسون Aifonso Lopez Michelson" فى فندق انتركوننتينتال بميدلين قائلا : «كان معظم الموجودين من المطلوبين للعدالة الأمريكية وهم من المشهورين جدا ... إما أعضاء فى المافيا أو من المهربين أو تجار المخدرات . وقد تمكنا من جمع ١٠ مليون دولار «للوبيز ميشيلسون» . وأعطيناه هو شخصيا نصف مليون دولار!» ومن المؤكد أن ميشيلسون سوف ينفى قصة «ليهدر» ولكن الواقع أن جميع السياسيين الكولومبيين يتلقون «دولار المخدرات Narco - Dollara" وهذا يعنى أن لهم تأثير كبير فى المجال الحكومى بالإضافة إلى تواطوء المسئولين المحليين من الضباط ورجال الإدارة .

أسس «كارلوس ليهدر» أول «مجموعة قتل» لتجار المخدرات . فقد قامت جماعة تدعى "M-19" من الأرهابيين بالإستيلاء على قصر العدالة فقامت الدولة بإقتحام القصر مستخدمة مجموعة من الدبابات وفتحت النار على أى شىء يتحرك داخل القصر وقتلت بذلك عددا كبيرا من القضاه كانوا بالداخل . وبدأت جماعة "M - 19" بعد ذلك باختطاف رؤساء عائلات تجار المخدرات . واعتبرت هذه العائلات أن ذلك يعتبر بمثابة إعلان حرب . فاجتمعت العائلات عدة اجتماعات وأصدرت قرارا كان بمثابة قانون فى «ميدلين» و«كالى Cali" (كالى هى إحدى مراكز زراعة المخدرات أيضا) ـ وهو «الموت للمختطفين» وكونوا جماعة اسموها "MAS" للقيام بذلك . وقد قامت «ماس MAS" فعلا بالعمل بكفاءة منقطعة النظير وذبحت معظم قادة M-19 ويتذكر «ليهدر» «لقد قاومنا بشدة وساعدنا الجيش والبوليس لمدة ستة شهور وقد هرب بقية "M-19" وأعنى بذلك الذين لم نتمكن من قتلهم وكنا نقوم بتعليق القتلى فى فروع الأشجار زيادة فى الإرهاب ويرجع «ليهدر» الفضل للإسرائيليين فى تطوير «جماعة MAS" إلى «جهاز متطور جدا للقتل» ويزيد ذلك صديق

« ليهدر » المدعو « جونزالو رودريجيز جاشا Gonzalo Rodriguez Gacha" الذى يقول أنه دفع مبلغ ۸۰۰،۰۰۰ دولار للإسرائيلى « يائير كلاين Yair Klein" من شركة سبيرهيد ـ ولكن كلاين ينكر ذلك ويقول أن ماوصله فعلا هو ٣٨،٠٠٠ دولار ـ وذلك لتدريب الفلاحين على الأعما الإرهابية وصناعة القنابل .

يتذكر الجنرال « مازا مركيز General Maza Marquez" رئيس جهاز المخابرات الكولومبى (DAS) الإنفجار العنيف الذى حدث فى ديسمبر ۱۹۸۹ فى مكتبه والذى كان هدفه القضاء على حياته . وكيف أطاح الإنفجار بالمبنى وجعل وثائق فى غاية السرية تتطاير فى الهواء فقد انفجرت سيارة أتوبيس ملغومة بالمبنى وقتلت ٦٣ شخصا والسبب فى ذلك هم تجار المخدرات الذين وجدوا فى « الجنرال مازا » ندا شديد المواسى لا يلين ولا يمكن شراؤه فقرروا قتله . وكانت هذه هى المحاولة الثانية للقضاء على حياته ونجا من المحاولتين دون أن يُمَسْ .

« جونزالوا رود ريجيز جاشيا » هو الرجل المسئول عن هذا الإنفجار المرعب وهو الذى استأجر الإسرائيلى « كلاين » من شركة « سبيرهيد » ليدرب رجال المخدرات على الأعمال الإرهابية وتصنيع القنابل . ويذكر الجنرال « مازا » جيدا أن « كلايين » عندما وصل أول الأمر إلى كولوميا تقدم إليه عارضا خدماته ولما رفضه تقدم إلى تجار المخدرات عن طريق صديقه « شاولى » . وقد أقام « كلاين » فى فندق متواضع فى بوجوتا يسمى « ريزيدنشيا ٨٥ Residentia 85" . « وكلاين » رجل ضخم الجثة أصلع الرأس يعرف قليلا من الأسبانية ويفضل صحبة الإسرائيليين . وقد تصادق مع رجل يعمل فى كولومبيا منذ زمن هو « الكولونيل اسحق شوشونى Lt. Colonel Yitzhak Shoshani " الذى كان يدير فرع شركة « اسراكس Israx" فى « بوجوتا » . وهى فرع من شركة « كلال Clal" الإسرائيلية التى أنشئت فى الثمانينات . ويملك شوشانى اتصالات واسعة وَوَعْى سياسى ليس لدى « كلاين » . وقد حصلت شركة « كلال » على ماقيمته ٢٥٠ مليون دولار من العقود الكولومبية تشمل المعدات الحربية وأجهزة الرادار والعربات المصفحة والدبابات . ويهوى الصديق الجديد الثعابين ! ويتذكر الإسرائيليون أن شوشانى كان يحضر بعض الحفلات وفى وجيبه ثعبان صغيرة . وتقابل « كلاين » أيضا مع « أريك أفيك Arik Afek" أثناء إقامته بالفندق . و« أفيك » كان متعدد المواهب فهو تاجر زهور وصاحب شركة سياحية وتاجر أسلحة . كان يقيم فى « ميامى » ويستورد الزهور من كولومبيا ويدير شركته السياحية "Ultimate Travel" وذلك عندما لايكون مشغولا فى تجارة الأسلحة .

وقد وَقع « كلاين » بين أيد خبيرة فالكولونيل « شوشانى » ـ كما تقول التقارير الإسرائيلية ـ قد حصل على عقد لتدريب ١٥٠ جندى من مهربى المخدرات وقد أعطاه « لكلاين » ليسهل له تدريب أصحاب المزارع فى سهل مجداليلنا . وقد حصل فعلا على عقد

لتدريب ١٥٠ شخصا من مزارع مجدالينا على ثلاث دفعات بقيمة ٨٠٠٠٠ دولار بخلاف المصروفات تدفع فى ميامى . وساعده فى ذلك اثنان من مديرى البنوك لتمويل العملية . وكان معسكر التدريب يقع بالقرب من معسكر للجيش الكولومبى وكثيرا ماكانت تحدث مباريات ودية بين المعسكرين . وكان برنامج التدريب ممتازا ولا يقل عن أى برنامج لأى جيش متميز . وكان كل من فى المنطقة يعلم لصالح من يجرى هذا التدريب . ولم يحاول «كلاين» أن يخفى هذه الحقيقية وقد ساهم رجال الجيش الكولومبى فى الوساطة بين الحكومة الإسرائيلية وحكومة الولايات المتحدة فالجميع لهم نفس الهدف وهو الحد من التدخل الشيوعى .

ويحكى ريكاردو «جاميز مازورRicardo Gamez Mazueral " ـ وهو أحد الذين عملوا على مدى أحد عشر عاما فى أجهزة مكافحة التجسس ـ يحكى أمام لجنة برئاسة المدعى العام فى أغسطس ١٩٨٩ عما كان يجرى من أعمال داخل أمثال هذه الوحدات وما كان يحدث لمن يقع بين أيديهم من سيىء الحظ مما لا يستطيع أن يسطره انسان على ورق . وقد قال فى شهادته أن رجال مقاومة التجسس قد أمضوا دورات تدريبية على أيدى رجال من السفارة الإسرائيلية فى التجسس ومكافحته وتتبع الجواسيس وانهم كانوا ينادون أحدهم باسم «سنيور يوسيا Senor Yossia" وكان رئيس مكتب الأمن فى السفارة الإسرائيلية يدعى «يوسى بريان Yossi Brian" وقد نفت السفارة الإسرائيلية فى بوجوتا هذا النبأ بشدة .

وهناك احتمال فى أن رجال السفارة الأمريكية فى «بوجوتا» كانوا على علم بنشاط «كلاين» فقد ذكرت إحدى مذكرات هيئة المخابرات الكولومبية DAS إلى «هيئة مكافحة المخدرات الأمريكية (DEA) Drug Enforcement Adminstration" ووكالة المخابرات الأمريكية بتاريخ ٢٠ يوليو سنة ١٩٨٨ أن «مجموعة القتل» المسئولة عن مذبحة مزرعة «أورابا Uraba" قد تلقوا تدريبهاتهم بواسطة اسرائيليين فى بورتو بوياكا Puerto Boyaca وتشير إلى «تعاون» البوليس المحلى والجيش مع رجال المخدرات وذكرت أسماءهم والمعسكرات التى تلقوا فيها التدريب على يد الاسرائيليين . ولذلك فحكومة الولايات المتحدة كانت على علم تام بالصلات القوية بين القوات الرسمية من الجيش والبوليس الكولومبى ومهربى العصابات . وكانت تعلم أيضا أن ملايين الدولارات المخصصة لمكافحة المخدرات من هيئة المعونة الأمريكية تنفق لمحاربة الجماعات اليسارية ومؤيديهم .

ويحكى البروفيسور الكولومبى «الكساندر ريس Proff Alejandro Reyes " أنه كان شاهد عيان عندما اقتحمت القوات التابعة لأباطرة المخدرات بلدة سيجوفيا Segovia فى نوفمبر ١٩٨٨ وأنها قتلت ٤٢ شخصا فى قلب المدينة وضربت ونهبت كل ماوقعت أعينها عليه وجرت الدماء انهارا فى شوارع البلدة رغم أن معظم أهلها من الفلاحين البسطاء وكل

حريمتهم أنهم أعطوا أصواتهم لحزب Union Patriotca المعروف بميوله اليسارية وذلك حتى تكون هذه البلدة أمثولة لأى بلد أخرى لها ميول يسارية .

قامت الولايات المتحدة الأمريكية فى منتصف عام ١٩٨٩ ـ أثناء مقاومتها للمخدرات وقبل أن تبدأ حرب الخليج وتمحو حرب المخدرات من خريطة الولايات المتحدة ـ بشحن ماقيمته ٦٥ مليون دولار من العتاد الحربى إلى كولومبيا لمقاومة المخدرات . وقد وضح رئيس البوليس إلى المسئولين أن هذا العتاد لايصلح لمقاومة تجار ومهربى المخدرات وإن كان يصلح للجيوش . فقامت الإدارة الأمريكية بتحويل الشحنة إلى « بورتو بوياكو » حيث يقوم كلاين وشركاه بتدريب عصابات المهربين . وقد استخدم رجال العصابات الطائرات الهليكوبتر فى ضرب معاقل المتمردين لقتلهم ولسوء الحظ كان معظم القتلى من المدنيين . كل ذلك تم بعلم الحكومة الأمريكية مثل ماتمت ايضا مذبحة مدينة "Segovia" سيجوفيا « المذكورة آنفا » .

ويقول أحد القساوسة الكولومبيين الأب « فلوريس ميرو Father Flores Miro" وهو يشرح شعور الفلاحين عند رؤيتهم للطائرات الهليكوبتر التى تهاجمهم « .... الناس تقول أن الحكومة تهاجم مهربى المخدرات ولكن لا أفهم أين المخدرات هنا ؟

لايوجد ماريجوانا أو كوكا إنهم يهاجمون السكان المدنيين نحن الذين نعانى وليس تجار المخدرات »وقول « ميشيل سكول Michael SKol" نائب مساعد الوزير لأمريكا اللاتينية « إننا نقدم المعونة للحكومة الكولومبية لمكافحة المخدرات ولكن إذا تجاوزت حكومة كولومبيا وقامت أيضا بمحاربة الثوار الشيوعيين فنحن لا نعترض على ذلك » . وهذا يعنى أن الحكومة الكولومبية لديها الخيار فى استعمال ملايين الدولارات من المعونة الأمريكية فهذا يعنى بالتأكيد أن جزءا من هذه المعونة سيذهب إلى تجار المخدرات وهذا ماقام به فعلا « جونزالو رودريجيز جاشا » فقد اشترى الفرقة الثالثة عشر بما فيها ومن فيها . وتشير وثائق البنك أنه دفع إليهم ملايين الدولارات ولم يكن هذا العمل من أعمال الخير فقد قام « جاشا » بتفجير القنابل وأسقط إحدى الطائرات المدنية التابعة لشركة « إفيانسا Avianca" وراح ضحية هذا الحادث ١١٧ شخصا وأخيرا طورد « جاشا » وتم قتله ليس بيد سلطات الدولة ولكن بيد أحد منافسيه من تجار المخدرات الذى يتبعون مجموعة كالى CaliS" ـ جاشا كان يتبع مجموعة مدلين ـ وقد استمرت مجموعة كالى تحتفل بقتله لمدة يومين . ويوم مقتل جاشا قامت مجموعة مدلين بتوزيع منشورات تهديد تقول سوف ننتقم لمقتل جاشا .

وضع الجنرال « مازا » ـ مدير المخابرات الكولومبية ـ « يانير كلاين » وعصابته التى تنتمى لشركة « سبيرهيد » على رأس قائمة المطلوب القبض عليهم . ليس لأنه هو الذى علم« جاشا » وعصابته كيف يصنعون القنابل فقط بل لأنه هو الذى درّب قاتل « لويس

كارلوس جالان Luis Galan" الذى كان مرشحا لرئاسة الجمهورية فى انتخابات عام ١٩٨٩ والذى كان من المؤكد انتقاله إلى قصر الرئاسة . ويتهم الجنرال « مازا » «كلاين» أيضا بأنه السبب فى استيراد أسلحة من اسرائيل إلى « مدلين » وكانت هذه الأسلحة هى الفائض من جيش الدفاع الإسرائيلى وتشمل مدافع مورتار و ألغام ومتفجرات وأجهزة للقتال الليلى وبنادق وذخائر وصلت ضمن شحنة لأحدى مزارع «الشمام» الإسرائيلية فى إحدى جزائر البحر الكاريبى وتدعى « انتيجوا Antigua" .

وبعد دفن جاشا وابنه وجدت السلطات الكولومبية شحنة بإسمه من إسرائيل عن طريق جزيرة انتيجوا بها ١٧٨ بندقية آلية اسرائيلية «جاليل» وتبين لأجهزة المخابرات بعد البحث أن اسرائيل تمد « جاشا » بالأسلحة منذ البداية ولابد أن ذلك يتم بمعرفة السلطات الحكومية الإسرائيلية واتضح أن « رودوريجيز جاشا » قد تعاقد فى يناير ١٩٨٩ مع الحكومة الإسرائيلية على شحن سفينة بالأسلحة بإسمه إلى كولومبيا عن طريق « بناما » بعد أن تم الإتفاق على تسهيل مرورها مع جميع الأطراف المعنية . ولكن « يائير كلاين » وزميله تاجر الزهور والأسلحة وصاحب الشركة السياحية فى ميامى « أريك افيك » أكتشفا أن « نورييجا » ينوى أن يستولى على السفينة عند وصولها ويصادر الأسلحة لحسابه الخاص ولذلك تم تغيير مسار السفينة إلى جزيرة انتيجوا حيث وافق المسئولون بالجزيرة على تسهيل الأمور مقابل ...و١٢٥ دولار وبعد وصول الأسلحة إلى « انتيجوا » قامت سفينة أخرى بنقلها إلى كولومبيا حيث يتلقاها « جاشا » لينقلها إلى مزرعة يملكها مدير الأقليم ـ أقليم مرنتيريا Monteria ـ ويدعى « جيسس ماريا لوبيز جوميز Jesus Maria Lopez Gomez" وتوضع تحت طلب « جاشا » وعصابته .

ومن المثير أن تعرف كيف وصلت هذه الشحنة من الأسلحة من مصانع السلاح فى اسرائيل إلى مركز تدريب قوات مهربى المخدراتفى إحراش « بورتو بياكا » . فقد تطلب الأمر تدخل كثير من الشخصيات الهامة تفوق فى أهميتها الكولونيل « يائير كلايين » وذلك منذ أنزلت الأسلحة فى مزرعة للشمام فى جزيرة انتجوا ويدعى صاحبها « موريس سارفاتى Maurice Sarfati" الذى يستاجرها من شركة سويسرية أمريكية تمتلك اسطولا للشحن ومقرها جنيف فى سويسرا ويملكها « بروس رابابورت Bruce Rappaport" وهو اسرائيلى يرتبط بعلاقات صداقة مع رؤساء الوزراء الإسرائيليين وطبقا لرواية بعض الأصدقاء فإن « شيمون بيريز » رئيس الوزراء الإسرائيلى يعتبر من زقرب أصدقائه ويعتبر منزل « رابابورت » فى سويسرا كمنزله . كذلك فإن من أصدقائه مدير وكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A.) « وليم كاسى » . ولذلك يقال أن « راببورت » قد كسب عشرة ملايين دولار على الأقل بسبب عملية « ايران ـ كونترا » ويعتبر « سارفاتى » ـ صاحب مزرعة الشمام فى انتيجوا ـ نفسه دبلوماسيا أيضا بالإضافة إلى كونه خبيرا فى الشمام

ـ فقد كلفته حكومة انتيجوا أن يفاوض اسرائيل ـ نيابة عنها ـ في الحصول على وحدة لتحلية مياه البحر ولكنه فشل في هذا الأمر . ولقد كان « سارفاتي » هو الذي اتصل « بتل أبيب » ليخطرهم بحاجة جيش الدفاع في انتيجوا ـ غير الموجود تقريباً ـ إلى ٥٠٠ بندقية وبضع مئات الآلاف من الطلقات ولم يجهد الإسرائيليون أنفسهم للتأكد من حاجة التسعين رجلاً الذين يكونوا الدفاع في انتيجوا إلى ذلك . فقد وصلتهم رسالة بهذا المعنى موقفه من « وزير الأمن القومي » بالجزيرة على حين أنه لايوجد في الجزيرة من يحمل مثل هذا اللقب أو هذه الوظيفة . وكان التوقيع باسم فيري بيرد "Vere Bird Jr" وهو أبن رئيس الوزراء . وقد أقسم « فيري » أثناء التحقيق في الحادث بعد ذلك أنه لم يكن يعلم مضمون هذه الرسالة التي أرسلت من ميامي . وكانت الشركة التي أرسلت باسمها الرسالة تدعى « نوفا انترناشيونال .Nova Internat يملكها « بسكال بن هور » الإسرائيلي الذي يهوى خيول السباق والذي انضم إلى شركة « سبيرهيد » ليصقل مواهب ضباط جيش جواتيمالا . وكان « لبسكال » شريكا من ذوي النفوذ وهو الجنرال « بنحاسي شاشار "Brig Gen Pinha Shachar" وهو عميل « للمواساد » ومندوب « خفي » لهيئة الصناعات الحربية الإسرائيلية (.I.M.I) .وقد أشار « أماتزيا شاولي » المدرب التابع لشركة « سبيرهيد » إلى أن « بن هور » هو الذي قام بدفع أتعابه في جواتيمالا مندوبا عن « الصناعات الحربية الإسرائيلية » وهكذا تضافر هؤلاء الرجال التابعون لهيئة الصناعات الحربية الإسرائيلية في تسهيل « شاشار » مصدرا لأتعابهم التي بلغت حوالي ٢ مليون دولار دفعت من حسابه في أحد بنوك ميامي .

وقد أدعى مسئول في الحكومة الإسرائيلية أن هذه الصفقة تمت بطريقة مشروعة ولكن الحقيقة تبين غير ذلك فقد كان مكتوبا على « الحاوية » التي تنقل الأسلحة كلمة « قطع غيار » وذلك لتمويه على السلطات . ولو كانت مشروعة لكتب صراحة أنها تحوي أسلحة من هيئة الصناعات الحربية الإسرائيلية . وتفيد مستندات السفينة الدانمركية « إلسا "Elsa TH" التي استؤجرت لنقل الأسلحة من حيفا إلى انتيجوا أن أحد مندوبي وزارة الدفاع الإسرائيلية كان على ظهرها . ولم تخطر السفينة ـ كما هي العادة ـ « اللويدز » في لندن أنها ستمر على حيفا . وبذلك اعتبرت شحنة الأسلحة كشحنة خفية ضمن مشحونات السفينة منذ أن تم شحنها على ظهر السفينة إلى أن وصلت إلى المياه الكولومية . ومن المؤلم أن أحد البنادق التي كانت على ظهر السفينة هي التي أطلقت الطلقات التي قتلت المرشح الأول لرئاسة في كولومبيا لويس كارلوس جالان .

وقد حاول « سارفاتي » زارع الشمام وكذلك « مانير كلاين » انشاء معسكر للتدريب في الجزيرة . ولكن سلطات الأمن رفضت بالرغم من أن كلاين أكد أن المتدربين لن يكونوا من رجال المخابرات ولكن من المعادين « لنورييجا » والمناصرين لعدوه « أدواردو هيريرا » الذي يشغل منصب رئيس القوات المسلحة في « بنما » ولكن هيريرا نفسه نفى ذلك في

وقت لاحق وأكد أن « مايك هرارى » هو الذى كان وراء ذلك كله .

وقد تمكن « مايك » الغامض والمدربون من شركة «سبيرهيد » من ترك كولومبيا بعد أن وصلت الأسلحة إلى مهربى المخدرات . وساعدهم فى ذلك ضابط أمن اسرائيلى يعمل فى الجيش الكولومبى يدعى يوسى بيران Yossi Biran نظير مبلغ كبير قدمه له «يائير كلاين» الذى كان يدرب جماعات المخدرات .

قام الجنرال « مازا » رئيس المخابرات فى كولومبيا بحملة ضارية لمدة عام حاول فيها إغلاق معسكرات التدريب التى أقاها الإسرائيليون لتدريب قوات رجال المخدرات . ورغم وجود الدافع الوطنى لهذه الحملة فقد كان هناك دافع شخصى أيضا . فقد حاول تجار المخدرات ـ من مادلين ـ اغتيال الجنرال « مازا » ـ وكادوا أن ينجحوا فى ذلك ـ وهو فى سيارته . وقد قام القائد المحلى لقوات الجيش بإخبار عصابات المخدرات فى مادلين بذلك . وقد صدم «كلاين» عندما بلغه هذا التحذير فقد كان يعتقد أنه يعمل لحساب الجيش فى « كولوبيا » والحقيقة أن الأمور اختلطت فى « كولومبيا » فلا يستطيع أحد أن يحدد بالضبط من يعمل لمصلحة من ؟ ومن يعمل ضد من؟

والواضح أن «كلاين» كان يخدم مصالح جهاز الأمن الكولومبى ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية فى وقت واحد . فالمشكلة ـ كما يقول كلاين ـ لم تكن المخدرات ولكنها كانت « الثوار » فقد كان الثوار يسيطرون على أجزاء كبيرة من كولومبيا ويتطلب قمعهم قوات كبيرة لا يستطيع الجيش أن يوفرها . وكان «كلاين» يعلم أنه يخدم المصالح الأمريكية ويقول فى ذلك « أراد الأمريكيون فى أول الأمر أن يقضوا على الشيوعية فى كولومبيا ثم تطور الأمر إلى محاربة المخدرات وماشابه ذلك . لقد أردت خدمة المصالح الأمريكية فى أول الأمر ولكنهم الآن ـ أى الأمريكيين ـ يريدون أن يقضوا علىّ لقد ملك الأمريكيون زمام كل الأمور فى كولومبيا ولكن عندما يحدث أى خطأ فإنهم يريدون أن يلقوا اللوم على شخص آخر ... أنهم جماعة من الجبناء لأنهم لايعرفون كيفية التعامل مع الحقائق » . والحقيقة ـ كما وضحها « مايكل سكول » نائب الوزير لشئون أمريكا اللاتينية فى الكونجرس الأمريكى هى أن محاربة الثوار هى الهدف الرئيسى لأمريكا لدرجة أن ماعدا ذلك ـ مثل تسليح تجار المخدرات وتدريبهم عسكريا ـ لم يكن يحظى بأى إهتمام من «واشنطن» .

وقد شعر «كلاين» أن «واشنطن» قد خانته ويقول فى ذلك «إنه افتراء من أمريكا ضد شركة شبيرهيد. فقد كنا الجبهة الوحيدة التى تخدم المصالح الأمريكية لأننا كنا نقاتل ضد الثوار الشيوعيين الذين يهددون المصالح الأمريكية . والآن يدّعون أن الكوكايين هو الخطر الأكبر ويطاردوننا » .

وقد عاد كلايين إلى تل أبيب وعاش حياة هادئة إلى أن تكشفت أنشطة شركة

«سيبرهيد» وعرف دوره فيها فنال شهرة لم يكن يرغبها على الإطلاق . إذ بينما كانت المدعية العام الإسرائيلية ـ شقيقة زوجة مايك هرارى تضع اللمسات الأخيرة لقصرها المنيف الذى بنته بالمشاركة مع زوج شقيقها . كان البوليس يراجع الموافقات والرخص والأوراق الخاصة بهذا الموضوع ووقع فى أيديهم ـ بطريق الصدفة ـ خطاب بتاريخ ٣١ مارس ١٩٨٦ بتوقيع وزير الدفاع «اسحق رابين» يعطى لشركة «سيبرهيد» حق تصدير المعلومات والمعدات الحربية مع النص التقليدى بضرورة الحصول على الموافقات اللازمة من الجهات المختصة فى كل حالة . ولما كان نشاط شركة «سيبرهيد» محرجا لكل من وزير الدفاع ورئيس الوزراء فأن أحدا لم يشر إلى أن كلاين حصل على ـ أو أستأذن ـ أيا من الوزيرين للقيام بمعسكرات التدريب فى «بورتو بوياكا» فى كولومبيا . وقد ردّ كلاين على ذلك بأن تدريب «فلاحين» من كولومبيا يستخدمهم أصحاب المزارع الكبيرة لا يقتضى الحصول على مثل هذه الموافقات . ولكنه أكد فى نفس الوقت أن «زفى رويتر» رئيس هيئة «سيبات» كان على علم تام بكل خطوة قمنا بها فى «كولومبيا» ـ كما أن وزير الدفاع الإسرائيلى لم يكن جاهلا بهذه المسألة فقد قام بمقابلته قبل سفره وأنبأه أنه سيقوم بتدريب بعض الفلاحين فى كولومبيا فردّ عليه الوزير قائلا :«كن حذرا ولاتعرض نفسك لأخطار لاداعى لها» . فالوزير على علم تام بمكانه وعمله .

وعندما زاد الضغط والهجوم على كلاين قال «أنا لم أرتكب جريمة وإذا كنت قد انتكهت القانون فكذلك فعل آخرون كثيرون غيرى» وربما قصد «كلاين» بذلك رجال هيئة الصناعات الحربية الإسرائيلية (I.M.I.) الذين وضعوا الأسلحة فى الحاويات وكتبوا عليها «قطع غيار» .ولا ريب أنه فكرٌ فى «مايك هرارى» الذى شارك أكبر تجار المخدرات فى العالم ـ «نورييجا» ـ وقد تعرض «كلاين» لحملة انتقادية عامة قادها رئيسي الوزراء «شامير» الذى قال «إنى أكاد لا أصدق أن الضباط قد يمارسون هذه الأنشطة الممقوتة» . وربما لايصدق «شامير» أيضا أن سبب ثراء «نوريبجا» الفاحش هى تجارة المخدرات عندما كتب خطابا إلى «هرارى» يشكره فيه على مجهوداته القيمة لدعم العلاقات بين اسرائيل وبناما .

وقال «رابين» عن رجال «سيبرهيد» أنهم «مرتزقة» ولم يكن يشكو من التدريبات الذى قاموا بها لتدريب «الكونترا» و«جوايتمالا ولكنه أشار إلى أنه علم بهذا الأمر فى إبريل ٨٩ فى حين أن المخابرات الكولومبية قد أذاعت هذا الأمر قبل هذا التاريخ بتسعة شهور فى «بوتوجا» وهذا يعنى أن رابين قد اتهم «ضمنا» الموساد الإسرائيلى بالغفلة حيث أنه لم يعلم إلا بعد تسعة شهور من الإعلان عنه فى بوجوتا! ولم يصدق السياسيون الإسرائيليون ذلك فقد طلب يائير زابان Yair Tzaban عضو حزب «المابام "Mapam من شامير أن يجاوب على الأسئلة الآتية : «هل لبعض الهيئات صلة مباشرة أو غير مباشرة

بهذا الموضوع ؟ هل علمت إدارة مخابراتنا بهذه الأنشطة ؟ » وعندما قررت لجنة الأمن والعلاقات الخارجية دراسة الموضوع فى جلسة سرّية علقّ عضو الكنيست اليسارى « يوسى ساريد "Yossi Sarid" قائلا « إن ذلك يولدُ انطباعا أن الحكومة الإسرائيلية نفسها لديها ما تخشاه فلذلك يريدون دفن الموضوع وكيف يطوف شمانانه اسرائيلى فى كل مكان مشبوه على وجه الأرض ومعهم موافقة وزارة الدفاع! ».

وهكذا أصبح « يانير كلاين » هو « أوليفر نورث اسرائيل » لفترة ما . وقد توارى رجال « سيبات » وهيئة الصناعات الحربية الإسرائيلية (I.M.I.) ووزارة الدفاع والسفارة الإسرائيلية فى بوجوتا فى الظلال حتى تنحسر موجة اللوم والتقريع التى تعرض لها « كلاين » وقد أشار أحد الصحفيين الإسرائيليين « ناحوم بارنيا "Nahum Barnea" من جريدة يهوديت أحرانوت "Yediot Aharanot" أن مافعله كلاين فى كولومبيا ليس أسوأ مما فعله الجيش الإسرائيلى فى لبنان فقال « إن مافعله كلاين فى خدمة تجار المخدرات فى كولومبيا فعله الجيش الإسرائيلى تماما منذ سبع سنوات فى حربه ضد لبنان ولكن بشكل قانونى . فقد قام أريل شارون فى عام ٨٢ بمساعدة حزب الكتائب اللبنانى ـ حلفاؤه ـ وهو يعلم تمام العلم بأنهم يتاجرون فى المخدرات . فليس هناك فارق أخلاقى بين الحالتين ».

وقد أسرّ أعضاء « سبيرهيد » ـ الذين اصيبوا باحباط شديد من جراء مهاجمتهم ـ إلى أحد الصحفيين الإسرائيليين أن السبب الأساسى فى تورطهم فى هذا الموضوع هو المدعو « أريك أفيك » تاجر الزهور والسلاح وصاحب « شركة السياحة "Ultimate Travel" والذى أكدت المخابرات الكولومبية تواجده مع « كلاين » فى معسكرات التدريب . وقال أحد الأعضاء « أرجو أن يكون أريك أفيك ضيفا فى إحدى زنزانات التحقيق فى المخابرات الكولومبية » وبعد بضعة شهور فاحت رائحة جثة « أفيك » من حقيبة سيارته الفارهة حيث وجدها بوليس ميامى . فقد تم اغتيال « رجل الزهور » كما يناديه أصدقاؤه بواسطة أحد القتلة المحترفين المأجورين الذى ملأ جثته بطلقات الرصاص .

ويبدو أن « أفيك » كان يتعامل مع كل من جهازى المخابرات لإسرائيل والولايات المتحدة فالصحف الإسرائيلية تطلق عليه لقب ضابط مخابرات سابق فقد كان ذلك أثناء حرب لبنان . وقد تعاون مع كل من وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) وأجهزة المخابرات العربية الأمريكية وسافر إلى كولومبيا بجواز سفر أمريكى دبلوماسى مؤقت صادر من « ميامى » ويقال أن الوكالة ـ (CIA) ـ قد أعطته هذا الجواز الدبلوماسى مقابل المعلومات التى أعطاها لهم عن نشاط اسرائيل فى كولومبيا . وقد أسرّ « أفيك » إلى صديق له مراسلا فى جريدة « يهوديت أحرانوت » وذلك قبل مصرعه بأسبوعين أن الوكالة وعدته بإعطائه الجنسية الأمريكية مقابل « خدماته لها "Quid Pro Quo" .

وقد وجدت جثة «أفيك» داخل حقيبة سيارته «البويك» فى موقف السيارات فى مطار «ميامى» الدولى. وكان الرئيس جورج بوش فى ختام مؤتمر القمة لمكافحة المخدرات المنعقد فى «قرطاجنه Cartagena" فى ١٥ فبراير وكان هذا المؤتمر يمثل حدثا هاما بالنسبة للرئيس بوش وكان على إستعداد أن يواجه أى خطر يثيره أباطرة المخدرات لإفشال المؤتمر. وقطعت قرطاجنة - وهو ميناء فى غابة الجمال فى كولومبيا بعيد كل البعد عن ميدالين - عن العالم خوفا من حدوث أى اغتيالات. وجىء بشخص شبيه بالرئيش بوش ليخرج قبله من الأبواب حتى إذا حدث إطلاق للرصاص على الرئيس بوش يكون البديل هو المصاب. واستدعت المخابرات «أريك أفيك» أيضا.

وقال «أفيك» لأصدقائه قبل مصرعه أنه على إتصال يومى بالمخابرات فى ميامى وأنه سافر معهم أربع مرات إلى كولومبيا فى الأسابيع الأخيرة لمساعدتهم فى تأمين الرئيس. فقد كان هناك خوف من أن يطلق تجار المخدرات صاروخ (أرض - جو) على طائرة الرئيس. وقد استفسر «أفيك» من «كلاين» عما إذا كان لدى تجار المخدرات مثل هذا الصاروخ ؟ وقد اعترفت المخابرات أنها كانت على اتصال «بأفيك» بخصوص الإمكانيات العسكرية لتجار المخدرات ولكنه لم يضف شيئا عن قيمة المساعدات التى قام بها أفيك. وكان «أفيك» على إتصال أيضا بالكولومبيين والإسرائيليين فى محاولة لحماية الرئيش «بوش» من أسلحة تجار المخدرات التى وردتها لهم اسرائيل. فقد كان يتصل يوميا بضابط الأمن الإسرائيلى فى القنصلية الإسرائيلية فى «نيويورك» وكذلك بالقنصل الإسرائيلى فى «ميامى» وبإمرأة غير معروفة فى السفارة الكولومبية فى واشنطن. كل هذه التحركات رصدتها - ويالالغرابة - مصلحة الهجرة والجنسية الأمريكية ! التى كانت تتقصّى حقيقة «أريك» كخبير زراعى وهى وظيفة «مؤقتة للغرباء» ! ويوم إختفاء أفيك - يوم مصرعه - أخبر ابنته عند خروجه أنه سيقابل بعض الأصدقاء وعندما وجدوا الجثة - وكان «أفيك» يرتدى بنطلونا قصيرا ماتت كل الإهتمامات بهذا الشخص من الناحية الرسمية. ولقد صرح أحد المسئولين فى بوليس اسرائيل أن ممثليهم فى الولايات المتحدة سيهتمون بالأمر وربما قال رئيس بوليس ميامى وهو يعقد يديه فوق صدره عندما سمع بالحادث «... إنه حادث قتل آخر فى ميامى!».

إذا كانت وكالة المخابرات الأمريكية قد استغلت الرجل القتيل لتحصل منه على معلومات خاصة بالنشاط الإسرائيلى فى كولومبيا وإذا ماكان «أفيك» - كما يدّعى رجال شركة «سيبدهيد» هو وسيلة اتصالهم فإن ذلك يضع الوكالة فى موقف حرج جدا فهى تقر العنف الشديد بإسم المخابرات. وقد قال أحد كبار الأغنياء الكولومبيين المتاجرين فى المخدرات - والذى يقضى عقوبة السجن بجوار نوريجا فى «ميامى» - فى عام ١٩٨٩ أن «كلاين» وشركاه كانوا ينقلون المعلومات من «بورتو بوياكا» إلى الوكالة. وأن «أفيك»

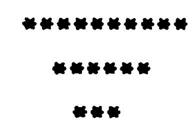
كان الرسول . ويعتقد كلاين أن علاقة أفيك بالوكالة كانت خطرة جدا «لقد ظنوا أنه يمكنهم أن يعتبروا «أفيك» صديقا لهم كما كان صديقا لى .... لقد قتلوا أهم شاهد لى وأعظم صديق» .

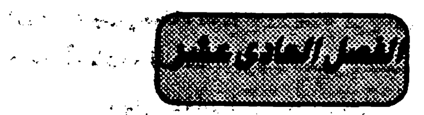
ويعتقد الجنرال «ماجويل مازا» رئيس المخابرات الكولومبية أن الوكالة كان لديها إتصالات مع «ميدلين» وأن تجار المخدرات هم الذين مولوا سوبر ماركت السلاح فى «سولا» كما أن طبيعة الشبكة التى كونها «هرارى» توحى بالعلاقة الوثيقة بين الوكالة و«ميدلين» والتى حرصت الوكالة على عدم إذاعتها . وفى نفس الوقت ليس غريبا أن توافق وزارة الدفاع الإسرائيلية على ماقامت به شركة «سيبرهيد» من تعاونها مع رجال تهريب المخدرات وتعمل تحت إمْرة شخص مشبوه مثل جونرالو رودريجز جاشا . ومن الغريب أن كلايين بعد فضيحة رجال المخدرات قد تلقى عرضا لإقامة دورة تدريبية لصالح الوكالة (CIA) فى جزيرة «أنتيجوا» .

وفى نهاية الأمر أعلنت الحكومة الإسرائيلية أن «كلاين» سوف يقدم للمحاكمة بتهمة إدارة مدرسة «للإرهاب» وتصدير معدات عسكرية إلى جزيرة انتيجوا دون إذن من الجهات المختصة. وحكم عليه بالسجن لمدة سنة . ولاتزال شركة «سيبرهيد» تتلقى عقوداً جديدة . فقد نسى الناس ـ أو تناسوا موضوع «بناما» وكولومبيا .

وقد قال أحد كبار الضباط الأمريكيين المتقاعدين الذى تعاونوا مع إسرائيل فى الماضى أن محاولة معرفة حقيقة الأمر فى موضوع بيع السلاح «لأنتيجوا» تم منها إلى أباطرة المخدرات موضوع فى غاية الحساسية وأن العلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل تزيد من حساسيته لأن معظم تجار السلاح الإسرائيليين كانوا ضباطا فى الجيش أو المخابرات الإسرائيلية ومنهم من عمل فى الولايات المتحدة فى عمليات خفيّة .

وقد كثرت هذه العمليات الخفية فى الثمانينات وقد قام الكونجرس الأمريكى والبيت الأبيض بتعديل وتزوير التاريخ حتى يحمى «العلاقة الخاص» بين البلدين .





الـزواج المـوفق

ذات صباح فى يوم من أيام مارس ١٩٩٠ خرج السفير الإسرائيلى بواشنطن من منزله متجها إلى «كابينول هيل» لحضور اجتماع عصيب فلسوف يواجه «موشى أراد "Moshe Arad" - السفير الإسرائيلى الهجوم الأمريكى على تعاون جنوب أفريقيا واسرائيل الواسع فى المجالات العربية والمخابرات . ولسوف يضطر للدفاع عن وجهة النظر الإسرائيلية التى لا تريد أن تنهى هذا التعاون . وكان من ضمن من سوف يجتمع بهم أصدقاء اسرائيل فى الكونجرس الأمريكى وأعضاء الكونجرس السود الذين يرون أن استمرار التعاون بين اسرائيل وجنوب أفريقيا من الأمور غير المعقولة مما يعتبر سبباً قوياً لوقف المعونة الأمريكية لإسرائيل . وكلا الفريقين حذرا السفير من أن موقف اسرائيل من جنوب أفريقيا هو أكبر مشكلة تواجه اسرائيل فى الوقت الحالى بالنسبة لعلاقتها مع الولايات المتحدة .

وقد بذل السفير الإسرائيلى أقصى جهد له فى هذا الجو المشحون لتحويل النقاش عن نقطة الخلاف الرئيسية وقال أن اسرائيل قد وعدت منذ ثلاث سنوات مضت أن توقف التعامل مع جنوب أفريقيا بالنسبة للعقود الجديدة ولكن كان لزاما عليها أن تنتظر حتى تنتهى العقود القائمة فعلا ولكنه لم يحدد بصراحة متى تنتهى العقود الحالية كما تجاهل أن أعضاء الكونجرس قد طلبوا بيانا بجدول يحدد ماهية العقود الحالية ومتى تنتهى . وقد وعد «موشى أراد» - السفير - بأنه «سوف» يقدم الجدول المطلوب . وكان رئيس الوزراء الإسرائيلى قد بعث برسالة للكونجرس منذ أربعة شهور تحوى أيضا نفس الكلام فى محاولة لتهدئة الموضوع . أما الجانب الأمريكى فقد عرض تعويض اسرائيل بما قيمته ٤٠٠ إلى ٨٠٠ مليون سنويا كتعويض عن وقف التعاملات المشبوهة بين البلدين . وانتهى الإجتماع - كما انتهت جميع الإجتماعات االسابقة فى هذا الشأن دون أى ضمانات .

وقد عبر « راندال روبينسن Randall Robinson" - أحد كبار المعارضين « للتمييز العنصرى Apartheid" فى الكونجرس - منذ ثلاث سنوات عن قلق الأعضاء السود بالكونجرس من هذا الموضوع وقال « كيف يمكنك أن تتخيل إعطاء سلاح لنظام من أشد الأنظمة شراسة فى العالم وتقول أنك ستتوقف عن أنتهاء العقد؛ » وقد دُهِشَ أعضاء الكونجرس - بما فيهم المشايعين لإسرائيل - عندما علموا من جهاز المخابرات بحجم التجارة بين اسرائيل وجنوب أفريقيا . فقد قال فى هذا العضو « ستيفن سولارز Stcphen Solarz " « إن حجم التعامل فى الأسلحة بين اسرائيل وجنوب أفريقيا بالنسبة للقيمة والكمية والوقت والمواد يفوق بكثير تعاملها مع أى دولة أخرى وأكبر كثيرا مما يمكن أن يتوقعه أى انسان ».

وقال أحد المحامين « إن الإنطباع الذى يعطيه الإسرائيليون عن عقودهم مع جنوب أفريقيا يوحى أنها عقود صغيرة وسوف تنتهى فى وقت قريب ولكن أنطباعنا يؤكد أن هذه العقود تنطوى على تعاون وثيق يستمر إلى آخر هذا القرن إن لم يكن بعد ذلك أيضا ».

وقد قال وزير الدفاع الإسرائيلى « اسحق رابين » للجنة الدفاع والعلاقات الخارجية أن صناعة الأسلحة فى إسرائيل تعانى من أزمة شديدة نظرا لتزايد تشويه الصراعات الداخلية والخارجية فى العالم مما أدّى إلى الإقلال من الحروب الصغيرة التى تعتمد عليها إسرائيل فى تسويق السلاح وأنه لايرغب فى أحداث مزيد من الأضرار لهذه الصناعة بوقف التجارة مع جنوب أفريقيا . وقد علّقت جريدة « جيروساليم بوست » على هذا التصريح بأن الوزير لا ينوى إلغاء العقود القائمة مع دولة التفرقة العنصرية .

وهكذا استمرت ترسانة الأسلحة الإسرائيلية الممولة من الولايات المتحدة فى غالبيتها فى خدمة الأغراض الحربية لدولة جنوب أفريقيا المحظور - نظريا طبقا للقانون - التعامل معها . وأصبحت المعلومات الحربية المتوفرة بين الولايات المتحدة واسرائيل متوفرة أيضا بين تل أبيب وهيئة « أرمسكور ARMSCOR" - وهى مؤسسة تصنيع الأسلحة التى تمتلكها حكومة جنوب أفريقيا رغم تأكيد المسئولين بانه ليس هناك تبادل معلومات فنية بين أمريكا وجنوب أفريقيا . ولما كان مثل هذا التحدى الصارخ للقانون يقع تحت طائلة العقاب بالقانون أيضا فقد كان لزاما على مثل هذه التعاملات أن تتم فى خفيْة وبواسطة تبادل الرسائل السرّية ، والبرقيات الشفّرية.

وقد أرسل الملحق العسكرى الأمريكى فى « هرارى » عاصمة « زمبابو » برقية شفرية

فى ١٢ فبراير ١٩٨٩ يحذّر فيها جهاز مخابرات وزارة الدفاع الأمريكية فى «واشنطن» من أن محركات الطائرات الأمريكية التى تصنعها اسرائيل بترخيص من المصانع الأمريكية ـ وليس لها حق تصديرها إلى أى دولة أخرى ـ تباع لسلاح الطيران فى جنوب أفريقيا . وقد سبق أن أوقفت أمريكا ـ فى عهد الرئيس كارتر ـ بيع الطائرة الإسرائيلية «الكفير» المزودة بمحرك أمريكى طراز «جنرال الكتريك ٧٩ - J" إلى «الأكوادور» حتى لايختل التوازن العسكرى فى أمريكا اللاتينية . فواشنطن لها الكلمة الأخيرة فى هذا الشان . ولكن برقية الملحق العسكرى الأمريكى ـ والتى كانت على أقصى درجة من السرية ـ تفيد غير ذلك بل وأن الملحق العسكرى قد أوضح أن بيع المحرك الأمريكى 79 - J كان مستمرا منذ زمن طويل قبل ذلك .

وبينما كان رجال الكونجرس الأمريكى يجادلون السفير الإسرائيلى فى موضوع تجارة الأسلحة مع جنوب أفريقيا ووجوب وقفها نهائيا طبقا لوعد الحكومة الإسرائيلية فى عام ١٩٨٧ أفادت تقارير المخابرات الأمريكية أن هذه التجارة آخذة فى التزايد . وكانت المشروعات المشتركة بين البلدين مثل صاروخ «اريحا» متوسط المدى وصاروخ «شافيت Shavit" وقمر التجسس «افق Ofek" وجهاز الإنذار المبكر المحمول جوا كل هذه المشاريع كانت مستمرة بلا خجل وتتقدم دون كلمة احتجاج واحدة من البيت الأبيض . وهناك أيضا مشاريع متعددة لتطوير الأسلحة التقليدية ومشاريع طويلة الأمد لتطوير أسلحة ذرية تكتيكية ذات كفاءة عالية . وقد مُنِعَ الصيادون من قرية «أرنستون Arniston" من الإنطلاق من شواطئهم للصيد لإنهم قريبون من منصة إطلاق الصواريخ وذلك خلال صيف وخريف عام ١٩٨٩ . فقد أطلقت جنوب أفريقيا فى ٥ يوليو ذلك العام صاروخا متوسط المدى يمكنه حمل رأس نووية . وهو شقيق الصاروخ الإسرائيلى اريجا وقد أثبتت الصور الملتقطة له بالقمر الصناعى الأمريكى أن الرأس المتفجرة تشبه إلى حد كبير شكل الرأس فى الصاروخ الإسرائيلى . ولا غرابة فى ذلك فقد ساعد فى تصميمه خبراء إسرائيليون . وقد طار الصاروخ ـ كما ذكرت الوكالة الأمريكية للمخابرات ـ إلى مدى ٩٠٠ ميلا عبر المحيط الهندى إلى جزر «البرنس إدوارد Prince Edward" التى تقع تقريبا فى منتصف الطريق للمنطقة القطبية . ويقع هذا الإختيار ضمن برنامج تعاونى بين البلدين لإختراع أسلحة متطورة تحمل القنابل الهيدروجينية الصغيرة والمحركات الصاروخية التى تدفعها إلى مسافات متوسطة أو بعيدة .

وقد تابعت وكالة المخابرات الأمريكية هذا المشروع منذ سنتين . والحجة التى أبدلتها الوكالة لعدم إذاعتها هذا النبأ هى أنها كانت لا تريد ـ أى الوكالة ـ إفساد المفاوضات

السياسة الدائرة لإقرار السلام فى جنوب أفريقيا . وكذلك عدم الإضرار بمفاوضات السلام الدائرة فى اسرائيل . ولم يكن لمفاوضات السلام فى جنوب أفريقيا دخل فى الموضوع ولكن السبب الحقيقى هو الحرب الدائرة فى أنجولا والحاجة إلى مساعدة جنوب أفريقيا فى هذا الشأن . أما بالنسبة « للسلام » فى إسرائيل فموضوع المفاوضات بين اسرائيل والدول العربية فقد كان شبه متوقف وكان العرب ينظرون بفزع إلى إمكانيات اسرائيل النووية مما دعا « صدام حسين » قائد العراق إلى القيام بأبحاث ذرية لإيجاد توازن فى القوى رغم أن منشآته الذرية كانت تتعرض بشكل دورى للتفتيش الدولى بعكس منشآت اسرائيل التى لا تخضع للتفتيش . رغم ذلك فقد كان الإسرائيليون ينظرون إلى « القنبلة الذرية العربية » كمصدر للتهديد لأمنهم رغم تقدمهم الملحوظ عن العرب فى هذا المجال . وقد استمر التعاون بين اسرائيل وجنوب أفريقيا لإبتكار نوع من القنابل الذرية « قنبلة الفيرر » وتغاضت أمريكا عن وجوده . وعندما واجه الرئيس الأمريكى « بوش » المؤتمر الصحفى فى « كوستاريكا » عام ١٩٨٩ وسئل فى موضوع الصواريخ أجاب قائلا : « إن نقل التكنولوجيا السرية ممنوع بشكل قاطع ولن نسمح به وسوف يكون لنا موقف تجاه الدول التى تفعل ذلك » . كان هذا هو نفس الكلام الذى يردده البيت الأبيض من عشرات السنين ! .

كانت حكومة كارتر هى أول حكومة أمريكية تُخفى بكل همة برنامج التعاون النووى بين حكومتى اسرائيل وجنوب أفريقيا ففى ٢٢ سبتمبر من عام ١٩٧٩ فى الساعة الواحدة بتوقيت جرينتش سجَّل قمر التجسس الأمريكى « فيلا Vela " الذى يطير فوق المحيط الهندى ومضا ضوئيا مرتين متتاليتين . (هناك اثنا عشر قمرا أمريكيا فوق الأرض تدور خصيصا لتسجيل أى إنفجار نووى) وهذا يعنى بالنسبة لمركز الأبحاث النووى لسلاح الطيران الامريكى فى « فلوريدا » انفجارا نوويا . وقد ثبت أن موقع الإنفجار هو جزر « البرنس إدوارد » التى ستصبح موقع هبوط الصاروخ متوسط المدى الإسرائيلى « جيريكو » بعد عشر سنوات . وقد تم إخطار الرئيس الأمريكى بذلك مساء السبت واستدعى بالرئيس الأمريكى كلا من وزير الدفاع « هارولد براون Harold Brown " ومستشار الدفاع القومى « زغبيو بريجنسكى Zbigniew Brzezinski" واجتمع معهما وفى صباح اليوم التالى تم عقد اجتماع طارىء انضم إليه مستشار الأمن القومى للشئون الافريقية « جيرالد فونك Gerald Funk" ويقول فونك « لقد استدعانى زبيع على عجل قائلا أن هناك مشكلة ... إن هذا القمر لم يعط قبل ذلك أى إشارة تدل على تفجير نووى من قبل كما أنه لم يخطىء أيضا فإذا كانت اسرائيل هى المسئولة ـ كما ظن المجتمعون مساء السبت ـ فإن ذلك يعنى قطع كل المساعدات العسكرية والإقتصادية التى تقدمها

الولايات المتحدة لإسرائيل . وسوف يكون ذلك ضربة قاصمة لكارتر فى الإنتخابات الرئاسية القادمة فى عام ١٩٨٠ » . فقواعد المساعدات المالية أو أى مساعدات أخرى تقدمها الولايات المتحدة للدول الأجنبية منظمة بالقانون الصادر عام ١٩٦١ والمعدل عام ١٩٧٧ الذى يقضى بوقف جميع المعونات أو المنح أو الهيئات من الولايات المتحدة لأى دولة يثبت أنها قامت بإجراء تفجير نووى .

وقد أفاد المسئولون الأمريكيون من هذا الموضوع فى الأيام التالية للإنفجار أنه لايوجد دليل « قاطع » على زيادة الإشعاع المنعكس من الأرض فى هذا المكان . وهذا تفسير فى غاية الغرابة فلم يقم أحد بقياس الإشعاع المنعكس من الأرض فى ذلك الوقت . ولم تقم الطائرات الأمريكية بمسح شامل للمنطقة وأخذ عينات من الهواء إلا بعد ثلاثة أسابيع من وقوع التفجير فى المنطقة . أضيف إلى ذلك نقطة علمية ـ لا أعتقد أنها خَفِيَت على العلماء الإسرائيليين أو جنوب أفريقيا ، وهى أن طبقة « الأيونوسفير "Ionosphere" فوق هذه الجزر رقيقة جداً مما يجعل الإشعاع المنعكس من الأرض عاليا جداً . وهذا ملائم بشكل كبير لإخفاء الإنفجار .

وقد استدعى فى منتصف أكتوبر مجموعة من العلماء البارزين إلى البيت الأبيض لفحص الأدلة الواردة من بعض أنحاء الكرة الأرضية لبيان ما إذا كان قد حدث إنفجار نووى من عدمه . ولكن العلماء وجدوا أخطاء فى كل دليل قُدِّم إليهم . وكانت نتيجة فحصهم تفيد أنه لايمكن التأكيد بصفة قاطعة من حدوث تفجير نووى وربما كان ذلك نتيجة لعاصفة. وهكذا انتهت نتيجة الإشارة التى إلتقطت فى ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩ .

وبينما كان العلماء مشغولين لإيجاد تفسير طبيعى للإشارة التى إلتقطها القمر الصناعى ـ كالعاصفة مثلا ـ كانت وكالة المخابرات تكتب تقريرا للكونجرس الأمريكى عن تحركات الأسطول فى جنوب أفريقيا . فقد كان الأسطول يقوم بمناورات فى نفس المكان الذى صدرت منه الإشارة وتحت ظروف فى غاية السرِّية . وقالت الوكالة أن المناورات شملت استخدام معدات لإختبار الإنفجارات الذرية . وبينما كان العلماء يجهدون أنفسهم لإصدار تقرير لايشفى الغليل عن إنفجار ٢٢ سبتمبر كانت الوكالة تكتب هى أيضا تقريرا للبيت الأبيض ـ فى غاية السرِّية عن نفس الموضوع . وظل هذا التقرير سراً حتى صيف عام ١٩٩٠ عندما سُمِحَ بنشره بعد كثير من « التنقيح ».

وقد كتبت الوكالة تقريرا عنوانه « حادث ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٧٩ » وتاريخه ديسمبر

١٩٧٩ ويحتوى على معلومات كثيرة جداً أهمل البيت الأبيض إطلاع « مجموعة العلماء البارزين » ـ الذين استدعهم لفحص الموضوع ـ عليها . ويقول التقرير : « إن المعلومات الفنية والتحريات تفيد أن : هناك انفجارا نوويا حدث فى الجَوْ قرب سطح الأرض مقداره أقل من ثلاثة آلاف طن وشمل مساحة كبيرة من المحيط الذى كان معظمه مغطى بالضباب » ويورد التقرير كثيرا من التفصيلات عن جنوب أفريقيا التى تؤيد استعدادها للقيام بتفجير نووى .

وقد أوردت الوكالة أيضا فى تقريرها أن الملحق العسكرى لجنوب أفريقيا فى واشنطن طلب معلومات عن طرق اكتشاف التفجيرات النووية فى أمريكا وغيرها . ولم يستطع رئيس وزراء جنوب أفريقيا فى ذلك الوقت ـ بوتا Botha ـ أن يكبت فرحته الصامتة لنجاح التجربة فقد صرّح بعد ثلاثة أيام من إجرائها قائلا : « إن أعداء جنوب أفريقيا سوف يجدون أننا نملك أسلحة لا يدرون هم عنها شيئاً » وذلك أثناء اجتماع سياسى للحزب الحاكم . وفى ٢٤ أكتوبر قال رئيس الوزراء فى إجتماع « لجنة الطاقة الذرية » السنوى والذى حضره مجموعة من الدبلوماسيين « إن جنوب أفريقيا لا تنسى فضل العلماء الذين يقومون بالأبحاث الذرية ذات الصبغة الإستراتيجية لصالح الوطن والذى يجب أن تظل اسماؤهم مجهولة ولن تستطيع الدولة أن توفيهم التكريم الذى يستحقونه » .

ولكن أسماء هؤلاء العلماء لم تظل مجهولة مدة طويلة فقد تعرف عليهم رجال وكالة المخابرات الأمريكية وذكروهم فى تقرير لهم فى بداية عام ١٩٨٨ بعد تسع سنوات من خطاب رئيس وزراء جنوب أفريقيا . وذكر هذا التقرير أيضا أن « حادث ٢٢ سبتمبر » لم يكن مجرد تجربة تفجير قنبلة ذرية صغيرة كما يبدو ولكن كان لتجربة انشطار نواة القنبلة الهيدروجينية التى يصنعها الخبراء الإسرائيليون فى جنوب أفريقيا تحت ستار كثيف من السرّية . وكان هذا هو ملخص التقرير الذى وقعه « ستان تيرنر "Stan Temer" رئيس الوكالة وسلمه إلى جيمى كارتر فى البيت الأبيض . وقد أخفى البيت الأبيض بعد ذلك من التقرير ماوجده فى غير صالحه .

وقد تدهورت العلاقات الدبلوماسية فى عهد الرئيس « كارتر » بين واشنطن وحكومة بيجن منذ أيام اتفاقية « كامب دافيد » المشهورة فقد حدثت وقائع مثيرة بين الرئيسين ، إذ هدد كارتر بقطع المعونة الأمريكية لإسرائيل إذا لم تنسحب من جنوب لبنان فى عام ١٩٧٨ وكاد يحدث انفصال بينهما . ولكن كارتر كان يعانى من مشكلة

الرهائن الأمريكيين فى ايران ولايريد أن يزيد عليها مشاكل سياسية أخرى وذلك ماجعله متعاونا مع جنوب أفريقيا واسرائيل للدرجة التى وجد بأنه من المستحسن التغاضى عن هذا « الحادث » .

أما اللجنة الفنية التى شكلها البيت الأبيض فقد أصدرت تقريرها بعد ستة أشهر من إنتهاء الوكالة من تقريرها . ولم تطلع على الحقائق التى كانت متاحة للوكالة واكتفت فى التقرير بقولها « بالإطلاع على الحقائق المتاحة » وانتهت إلى أنه لا شىء ذا قيمة قد حدث فى سبتمبر فى المحيط الهندى . وقد علقَ « ستان تيرنر » مدير الوكالة بأن اللجنة لم تطلب أى شىء من الوكالة . وبدون الإطلاع على تقرير الوكالة فإن تقرير اللجنة التى شكلها البيت الأبيض والنتيجة التى توصلت إليها يعتبر « كلاماً فارغاً »!.

ولم تصبح إمكانيات اسرائيل لتصنيع القنبلة الهيدروجينية معروفة فى العام إلا بدءا من عام ١٩٨٦ عندما أعلن « مردخاى فانونو "Mordechai Vanunu" - أحد الفنيين الإسرائيليين الذى كان يعمل فى مفاعل ديمونه وفُصِلَ - أن اسرائيل تعمل لإنتاج قنبلة هيدروجينية وأبرز صوراً فوتوغرافية تؤيد ذلك . وقامت صحيفة « صنداى تايمز اللندنية » بعرض الصور على بعض العلماء فى الذرة فأكدوا أن مشروع « ماخون ٢ "Machon 2" الإسرائيلى لديه هذه الإمكانيات . وقد علّقت جريدة الصنداى تايمز على ذلك بقولها « إن ذلك له معنى خطير فإن اسرئيل لديها الإمكانيات لصنع أسلحة هيدروجينية أكثر قوة من الأسلحة الذرية العادية » وقد أظهرت بعض الصور بعض التفاصيل التى تفيد أن إسرائيل لديها الإمكانيات لصنع قنابل مدمِّرة « للمدن » وليس « للضواحى » فقط . وقد قال فانونو أيضا أن العلماء والفنيين من جنوب أفريقيا يشاهدون بكثرة فى مفاعل « ديمونه » ولكن هذه المعلومة - للأسف - لم تكن متاحة لرجال الوكالة حين كتبوا تقريرهم عن « حادث ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩ » .

وبعد عشر سنوات من هذا الحادث حين وقف « جورج بوش » وقال أمام الصحفيين عام ٨٩ « إن نقل التكنولوجيا السرية ممنوع بشكل قاطع ولن نسمح به » كان مستشاره للأمن القومى هو « روبرت جيتس "Robert Gates" (الذى اكتسب شهرة مؤقتة أثناء موضوع ايران - كونترا نتيجة لوظيفته كساعد أيمن لوليام كاسى مدير الوكالة) . وقد عمل « جيتس » كمساعد « لبرجنسكى » لشئون المخابرات أثناء وبعد حادث عام ١٩٧٩ . ولذلك لابد أنه كان يعلم الشىء الكثير عن نقل التكنولوجيا السرية وأن البيت الأبيض قام بكسر هذه القاعدة من عشر سنوات . وقد اشتمل تقرير الوكالة الأمريكية فى ديسمبر ٧٩ على

صفحتين كاملتين يبحث فيهما كيفية المشاركة الإسرائيلية فى الحادث . وكان هذا التقرير بالطبع متاحا «لجيتس» ليطلع عليه . وقد وضّح التقرير أن اسرائيل ربما رأت أنه من المناسب انتاج رأس نووية تكتيكية صغيرة للصاروخ - صغير المدى - الإسرائيلى أرض أرض « لانس Lance" وهو الصاروخ الأمريكى المنتشر فى وسط أوروبا . واستطرد التقرير وقال « ... وربما أرادت اسرائيل تطوير طريقة تفجير السلاح الهيدروجينى » وهذا بالضبط ماتؤكده الوكالة الآن بكل ثقة . ويقول التقرير أيضا بكل وضوح أن واشنطن تعلم بالتعاون الإسرائيلى مع جنوب أفريقيا فى الأسلحة النووية والأمور العسكرية الأخرى .

ويبدو أن البيت الأبيض - وقد شغل مكتبه البيضاوى رئيس سابق للوكالة - لا يدرى عن التاريخ إلا قليلا من ماهو مذكور فى ملفات الوكالة ، فبينما يصرح الرئيس بأكاذيبه ويصف الحقائق الدافعة للتعاون الإسرائيلى بأنه «نظرية لا يقبلها » يؤكد المسئولون بالوكالة أن تعاون اسرائيل مع جنوب أفريقيا يعنى نقل تكنولوجيا الأسلحة الذرية المتقدمة من أمريكا إلى بلاد أخرى .

أما عضو الكونجرس « هوارد وولب Howard Wolpe" رئيس لجنة أفريقيا فلم يصل إلى لب الموضوع ولكن كل ما إستطاع أن يفعله هو أن يقنع زميله عضو الكونجرس «جون كونيارJohn Conyer" بأن لا يطلب قطع المعونة الأمريكية عن البلاد التى تساعد جنوب أفريقيا فى الأبحاث الذرية . وقد اشترطت جماعة السود فى الكونجرس أن تتعهد اسرائيل بعدم تجديد العقود بينها وبين جنوب أفريقيا . فلما استمر التعاون شعرت جماعة السود أنه قد أسىء إستغلالها وزاد من ذلك موضوع حادث الصارخ .

وتقول تقارير الوكالة أن الصاروخ الجديد هو تقليد للصاروخ الإسرائيلى «اريحا» وقد صنعته « هيئة الصناعات الحربية فى جنوب أفريقيا ARMSCOR" بالتعاون مع الشركة الإسرائيلية «أوردان Urdan" التى لديها عقود مع الولايات المتحدة لتوريد بعض أجزاء من الدبابات . ولها أيضا نشاط مشبوه فى كولومبيا . وشركة « أوردان » هى إحدى فروع « مجموعة كلال Clal Group" التى يملك معظم أسمها شاءول ايزنبرج الملياردير الإسرائيلى وتاجر السلاح الخَفى ذائع الصيت والذى استخدم ضابط الموساد السابق «دافيد كمشى David Kimche" ليكون من بين العاملين معه . وتنفى شركة « أوردان » أنها قامت بنقل تكنولوجيا الصاروخ النووى لجنوب أفريقيا تماماً كما ينفى دافيد كمش علاقة اسرائيل بجنوب أفريقيا .

والسؤال الواضح الحساس عن رد فعل الولايات المتحدة لنقل اسرائيل التكنولوجيا المتقدمة إلى جنوب أفريقيا لا يريد أن يجيب عليه كمشى » . وعندما يُسأل عن استمرار شحن الأسلحة من اسرائيل لجنوب أفريقيا يقول « لا أعلم » . ويقول « الجنرال مردخاى هود Gen. Mordechai Hod" رئيس هيئة صناعة الطيران الإسرائيلية بخبث عندما يسأل عما إذا كان للولايات المتحدة حق « الفيتو » على شحنات الأسلحة الإسرائيلية « نعم إن لها هذا الحق وماذا فى ذلك؟ إننا ننسق الأمور بيننا وبينهم فى هذا الأمر . وإلاَّ حرمونا من ٨و١ مليار دولار معونة عسكرية سنوية » ويستطرد الجنرال « هود » فيقول « إن معظم الإنتاج الحربى الإسرائيلى ليس فقط بتمويل من الولايات المتحدة ولكنه أيضا تصميم أمريكى ننتجه نحن بتصريح من الشركات الأمريكية الأصلية . بمعنى أن به قطع غيار أمريكية وحكومتنا حكومة مسئولة . فإذا طلبت منا حكومتنا أن نصدر إنتاجنا لدولة أجنبية فمعنى ذلك أنها لابد قد أخذت موافقة الحكومة الأمريكية على ذلك » .

وبالرغم من هذا التصريحات فإنه توجد كثير من المنتجات الإسرائيلية الحربية ـ الأمريكية الأصل ـ فى جنوب أفريقيا . وعلى سبيل المثال : خزانات الوقود للطائرات ، محركات J69 النفاثة ، طائرات « شيتا Cheetah" التى هى نسخة من طائرة « كفير » الإسرائيلية ، وغير ذلك من المعدات والأجهزة الحربية . وقد استثمرت الولايات المتحدة أموالا كثيرة لتطوير سلاح الطيران فى جنوب أفريقيا لإنتاج طائرة مقاتلة حديثة . وبلغ قيمته ماصرف فى هذا السبيل حوالى ٥و١ مليار فى الأبحاث والتطوير وقد وافق الكونجرس الأمريكى على انفاق هذا المبلغ اعتقادا منه أنه لتطوير سلاح الطيران الإسرائيلى لإنتاج الطائرة المقاتلة الإسرائيلية « لافى Lavi" والذى زادت تكاليفه عن الحد المعقول الأمر الذى جعل أمريكا تتوقف عن التمويل حتى وئد المشروع قبل أن يتم (راجع الفصل الثامن) فى عام ١٩٨٧ . ولكن قبل أن يلغى المشروع بعدة شهور كتبت الصحيفة الإيطالية « الجورنال Ilgiornale" وتلتها الصحيفة الإسرائيلية بديعوث أحارنوت » أن اسرائيل وجنوب أفريقيا قد اتفقا على تصميم طائرة مقاتلة لجنوب أفريقيا تسمى « سيمبا Simba" (ومعناها الأسد باللغة السواحيلية . وتقاطر العلماء الإسرائيليون على جنوب أفريقيا وقد قال محرر مجلر « جين Janes Defence Weekly" عن هذا الموضوع « ... نتوقع أن نرى « لافى أخرى أو مايشبهها قريبا . وكان يتوقع أن يتم الإنتهاء من طائرة جنوب أفريقيا فى مدى عشر سنوات .

وعندما علمت « الجماعة السوداء Black Caucus" من أعضاء الكونجرس الأمريكى باستخدام اسرائيل للمعونة العسكرية الأمريكية لمساعدة جنوب أفريقيا كتب عضو

الكونجرس جورج كروكيت George Crockeit خطابا إلى اسحاق شامير أثناء زيارته لواشنطن فى مارس ١٩٨٨ قال فيه :

إن الولايات المتحدة ساعدت اسرائيل بما قيمته ٥و١ مليار دولار وذلك لتطوير طائرة مقاتلة اسرائيلية تدعى « لافى » ولقد علمنا أنه بعد توقف المشروع قام المهندسون الإسرائيليون الذين اضطلعوا بمشروع « لافى » بنقل معلوماتهم وحصيلة تجاربهم من المشروع إلى جنوب أفريقيا وهذا يعنى أن جنوب أفريقيا تستفيد من الدعم الأمريكى . ونحن نرى أن هذا التصرف غير أخلاقى ....

ولم يرد اسحق شامير على هذا الخطاب .

وقد استخدمت المعلومات التى حصل عليها الفنيون والعلماء الإسرائيليون من مشروع « لافى » فى تطوير الطائرة شيتا التى تنتجها جنوب أفريقيا وتم فى أغسطس ١٩٨٨ انتاج طائرة « شيتا إى Cheetah E" فى محاولة للتفوق على الطائرة الروسية « ميج ٢٣ Mig 23" التى يحارب بها الروس فى « أنجولا » وحتى قبل أن تولد الطائرة « شيتا إى » صرح رئيس السلاح الجوى لجنوب أفريقيا أنه سيسير قدما فى مشروع الطائرة « سيمبا » وهى حصيلة تجارب مشروع « لافى » وفى الوقت نفسه أعلنت هيئة صناعة الطيران الإسرائيلية أنها ستستمر فى إنتاج الطائرة « لافى » بتمويل خارجى . (وكانت جنوب أفريقيا قد قامت بتمويل بعض المشروعات الإسرائيلية العربية تشبها بالولايات المتحدة الأمريكية ولكن على نطاق ضيق) . وبينما استغلت اسرائيل الأموال والخبرات الأمريكية ونقلتها إلى جنوب أفريقيا فقد قامت أيضا ببيع النظام الإلكترونى للطائرات الأمريكية إلى الصين الشيوعية ! .

ويقول مصدر موثوق فى حزب شيمون بيريز (العمل) أن تسرب التكنولوجيا ـ المخجل ـ من الولايات المتحدة إلى جنوب أفريقيا من خلال اسرائيل كان برغبة اسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة . ودور اسرائيل فى هذه العملية هو دور الوسيط . فهناك دول مثل .... وجنوب أفريقيا تريد الولايات المتحدة أن تساعدها ومن المناسب جدا فى مثل هذه الحالات أن تكون من خلال اسرائيل أو أن نشجع اسرائيل فى أن تزيد من حجم التعامل التجارى معها .

وهذا الرأى الأخير ـ أن اسرائيل تعمل « وسيطا » بين الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا ـ يتفق مع مقولة . رئيس هيئة صناعة الطائرات الإسرائيلية الجنرال « موتى هود » عندما قال أن اسرائيل حصلت على موافقة الولايات المتحدة لبيع الأسلحة لجنوب

أفريقيا ولا يجب أن ننسى أن أمريكا طلبت من جنوب أفريقيا خلال الأيام السوداء لحرب ٧٣ ـ بالنسبة لإسرائيل ـ أن تزودها بدبابات «ستنوريون» لدعم سلاح المدرعات الإسرائيلى . وقد أجابت جنوب أفريقيا الطلب بشرط أن تعوضها الولايات المتحدة عن هذه الدبابات . وقد طلبت الولايات المتحدة من كندا أن عتقوم بهذا الدور وقامت كندا بتلبية طلبها .

ويبدو أن التفاهم بين الولايات المتحدة الأمريكية وجنوب أفريقيا ـ من خلال الإدارات المتوالية من الديمقراطيين والجمهوريين فى رئاسة أمريكا ـ لبيع السلاح يشبه إلى حد كبير سياسة بيع السلاح لإيران : رفض علنى صريح مع عمليات بيع تجرى فى الخفاء رغم أن بعض رجال الكونجرس الأمريكى اعترضوا على بيع السلاح لجنوب أفريقيا إلا أن وزارة الدفاع الأمريكية ووكالة المخابرات وشاغلى «المكتب البيضاوى» لم يعبروا هذا الإعتراض اهتماما ذلك لأن استراتيجية «الحرب الباردة» تعتبر جنوب أفريقيا من دول المعسكر الغربى وتعتبر دولا مثل «أنجولا وموزمبيق» المجاورين لها حلفاء لروسيا الشيوعية.

ويقول مساعد الوزير الأمريكى لشئون أفريقيا «هرمان كوهين Herman Cohen" : «إن اسرائيل بلد مستقل ذو سيادة وقد نصحناهم بإحترام السياسة الأمريكية ولا نملك أن نفعل أكثر من ذلك» . وهذا بالطبع تبرير غير مقبول لموقف أمريكا السلبى من علاقة اسرائيل بجنوب أفريقيا . فأمريكا لم تحاول أن تطبق على اسرائيل أى عقوبات لتعاملها مع جنوب أفريقيا رغم أن العلاقات بينهما ترجع إلى خمس وثلاثين سنة مضت منذ أن صدرت لها اسرائيل أول دفعة من رشاشات «أوزى» .

وقد قام زعماء جنوب أفريقيا بالتعاون مع دولة اسرائيل منذ نشأت فى عام ١٩٤٨ . ولم يكن ذلك لتقارب وجهات النظر بين زعماء جنوب أفريقيا واسرائيل ـ فمعظمهم كانوا متعاطفين مع النازى وسجنهم الإنجليز (قبل استقلال جنوب أفريقيا) لهذا السبب وتقوم مبادئهم على أساس من التفرقة العنصرية المقيتة ـ ولكن لأسباب أخرى قامت جريدة «ترنسفالر Transvaaler" بتلخيصها فى مقال افتتاحى لها عام ١٩٤٦ حيث قالت «إننا نوافق على قيام دولة لليهود فى فلسطين ولكن فى نفس الوقت علينا أن نعمل على طردهم من هنا وزيادتهم هناك» . ورغم ذلك فقد تقاطر الزعماء الإسرائيليون ـ بما فيهم ـ موشى ديان ـ على جنوب أفريقيا فى الخمسينات يخطبون ود زعمائها الذين كانوا من أكبر المشايعين للحزب النازى . وفى أوائل الستينات تحول هذا الود إلى زواج موفق قائم

على تبادل الأسلحة وشراء اليورانيوم . وقد باعت اسرائيل إلى جنوب أفريقيا فى عام ١٩٦٢ عدد ٣٢ دبابة « سنتوريان » . وفى نفس هذا العام باعت جنوب أفريقيا عشرة أطنان من اليورانيوم لإسرائيل لتشغيل مفاعل « ديمونه » ولم يكن لأول قرار اتخذته الأمم المتحدة بمنع تصدير الأسلحة إلى جنوب أفريقيا أى أثر رغم أن اسرائيل تحدت جنوب أفريقيا بموافقتها على قرار الأمم المتحدة برفض الإحتفاظ بصداقة دول أفريقيا السوداء حتى تستمر فى القيام بالتجسس فى هذه الدول لصالح أمريكا (راجع الفصل الخامس) .

وهكذا كانت الحاجة للسلاح سببا فى مخالفة دولتين لقرارات الأمم المتحدة تعيشان بمعزل عن جيرانهما ويحيط بهما الأعداء من كل جانب . وعندما أوقفت فرنسا تصدير السلاح لإسرائيل فى أعقاب حرب ١٩٦٧ قامت جنوب أفريقيا بسد النقص وقد قام مراقبون من جنوب أفريقيا بدراسة التكتيكات العسكرية على الجبهة أثناء حرب ١٩٦٧ وضمنوها فى كتب يدرس فى معاهدهم العسكرية . وقام الجنرال « هود » قائد سلاح الطيران الإسرائيلى أثناء حرب ١٩٦٧ بإلقاء محاضرات فى جنوب أفريقيا وقد لخص « اسحق رابين » ـ رئيس الوزراء الإسرائيلى ـ فى عام ١٩٦٧ النقاط المشتركة بين جنوب أفريقيا واسرائيل فقال « إن بلدينا يشتركان معا فى مشاكل كثيرة منها : خلق الحوار والتعايش والتوازن كل فى منطقته من العالم فى مواجهة صراعات تثيرها قوى أجنبية متهورة وغير متزنة » وهى نفس اللغة التى ينطق بها قادة التفرقة العنصرية ليبرروا بها قوانينهم الغاشمة . لقد قال « موشى ديان » فى عام ١٩٨٤ إن هناك « حضارة عظيمة » تجرى فى جنوب أفريقيا فى الوقت الذى كانت تمارس فيه اسراءيل أبشع الإجراءات العنصرية فى أنحاء العالم . وقد قال رئيس الأركان السابق « رافاييل إيتان » فى خطاب له فى جامعة تل أبيب أن سياسة جنوب أفريقيا التى تقوم على التفرقة العنصرية قد تكون حلا مناسبا للمشكلة الفلسطينية .

ولكننا لابد أن نقول أن أراء المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ليست بالضرورة هى نفس أراء المجتمع اليهودى فى جنوب أفريقيا ولكن كثيرا من الإتصالات عالية المستوى بين جنوب أفريقيا واسرائيل كان يتم فى سرية تامة ولايتعرض للنقد العام شأنه فى ذلك شأن التعاون بين أجهزة المخابرات الأمريكية وأجهزة المخابرات فى جنوب أفريقيا . وقد كان هذا ظاهر جدا أيام حكم الرئيس الأمريكى « ريجان » حيث كان التعاون على أشدّه بين أجهزة مخابرات كل من البلدين . ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى شخص واحد من جهاز المخابرات الأمريكية يدعى « جون بويل "John Boyell" وقصته طريفة لا بأس من ذكرها .

عمل « جون بويل » فى جهاز المخابرات التابع للطيران الأمريكى . وأرسله سلاح

الطيران فى بعثة (تقصّى حقائق) فى الدول الأفريقية . وكانت نهاية رحلته فى جنوب أفريقيا . ودعاه الملحق العسكرى الأمريكى فى بريتوريا إلى الإجتماع مع جهاز المخابرات التابع لجنوب أفريقيا . وقد توقع «بويل» أن يلخص له جهاز المخابرات الموقف فى جنوب أفريقيا ولكنه فوجىء بأنه هو المطلوب منه تلخيص مشاهداته فى الدول المجاورة إلى رجال المخابرات فى جنوب أفريقيا . وعندما رفض «بويل» ذلك بحجة أنه ليس لديه تعليمات من رئاسته ، تضايقوا وتغامزوا فيما بينهم ثم أخذوه إلى مطار قريب حيث شاهد طائرة استطلاع أمريكية هناك مما يؤكد له أن وجهة نظره فى غير محلها . وغضب الملحَق العسكرى الأمريكى من سلوك زميله غير المتعاون وهدده بأنه سيكتب لرئاسته فى أمريكا مقترحا فصله ، ورغم ذلك تمسك «بويل» بموقفه . وقد أشيعت تفاصيل هذا الموقف فى جهاز المخابرات الأمريكى مما أدى إلى إنقاذ «بويل» من الفصل .

وكان التعاون تاما ووثيقا بين جهاز المخابرات فى جنوب أفريقثيا المسمى "Bureau "BOSS" Orwellian Of State Security" وأجهزة الأمن الإسرائيلية . ومن الطريف أن نعلم أن جهاز «شاباك "SHABAK" الإسرائيلى ـ وهو جهاز المخابرات الخاص بالأمن الداخلى ـ يضم خبراء دائمين فى جنوب أفريقيا ـ وتنحصر أنشطة جهاز «شاباك» الإسرائيلى فى زرع العملاء فى الأراضى المحتلة والتصفية الجسدية للمعارضين .

وقد ظهر هذا النشاط على نطاق واسع بعد بدء «الإنتفاضة» فى عام ١٩٨٨ حيث كان الشاباك يرسل عملاؤه فى صورة مندوبين لمحطات التليفزيون العالمية مما يعرض المندوبين الحقيقيين إلى خطورة شديدة وقد مارس «شاباك» نفس الخطة فى جنوب أفريقيا مع المواطنين السود .

ترسل جنوب أفريقيا أعدادا كبيرة من ضباط البوليس للتدريب فى إسرائيل . وهناك ضابط من جنوب أفريقيا يدعى «وحش سويتو "Beast Of Siweto" كان ضيف الشرف لفترة طويلة فى البوليس الإسرائيلى . وقد اكتسب لقبه «الوحش» من معاملته الوحشية للمواطنين السود خلال عام ١٩٦٧ . وكان الوحش ـ واسمه الحقيقى «روى ورس "Rooi Rus" هو المستجوب الرئيسى فى «محاكمة ريفونيا "Rivonia Trial" عام ١٩٦٤ والتى حكم فيها على نيسلون منديلا بالسجن . وقد لاقى «حزب الجبهة الوطنية الأفريقى "African Nation Congress (ANC)" الذى يرأسه مانيدلا أهوالا رهيبة فقد كان الذين يستجوبونهم من «خريجى» مدارس «الموساد» وقاموا خلال الثمانيات باغتيال كثير من زعماء الحزب عن طريق خطابات وطرود ملغومة أرسلت إليهم من الولايات المتحدة عن طريق اسرائيل !

هرب « ميرفين مالان Mervyn Malan" ـ وهو من أحد العائلات المرموقة فى جنوب أفريقيا وابن عم وزير الدفاع « ماجنوس مالان Magnns Malan" ـ من جنوب أفريقيا والتجأ إلى هولندا لحمايته وكان ذلك فى عام ١٩٨٩ . والهارب كان عضوا فى فرقة عسكرية خاصة تدعى « ركسى ٣و٥ Recce 5.3" تعمل فى « أنجولا » و« ناميبيا » ويقول « مالان » أن فرقته اعتادت أن تلبس ملابس « جماعة سوابو (SWAPO) South West African Peoples Organisqtion لكى تتعرف على أعضائها ومشايعيها وتغتالهم وكانت تستعمل القنابل الفوسفورية . والقنابل الفوسفورية ـ كما اكتشف الأطباء اللبنانيون عقب غزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ قنابل حارقة تشوى الجسم ببطىء حتى بعد أن تموت الضحية . وقد استعمل الإسرائيليون هذه القنابل ـ المصنوعة فى الولايات المتحدة ـ ضد اللبنانيين وكذلك استعملتها فرقة « ركسى ٣و٥ » . كما أكد « مالان » أن فرقته كانت على علاقة طيبة باسرائيل وأن أعضاء الفرقة كانوا يرسلون إلى اسرائيل لإستكمال تدريباتهم.

ومثل هذه الأنشطة الإجرامية كانت تغطى بعباءة « مقاومة الإرهاب » . وقد أحاط الخبراء الإسرائيليون حدود جنوب أفريقيا بالأسلاك المكهربة والحقول الملغومة والأجهزة الإلكترونية والرادار ضد المتسللين تماما مثل حدود اسرائيل مع لبنان . ولا غزو أن أريل شارون لم يشعر بالغربة فى جنوب أفريقيا . وقد أشار شارون ـ أثناء حفل تكريم أحد كبار رجال الكونجرس الأمريكى فى تل أبيب عام ١٩٨١ ـ إلى زيارته لحدود جنوب أفريقيا مع أنجولا وفى معيته بعض رجال الجيش الذين تلقوا تدريباتهم على يد مدربين اسرائيليين وكيف أنه زود مرافقيه بنصائحه عن استراتيجية الحرب . وأبدى أمله فى أن يزداد النفوذ الإسرائيلى فى هذه المنطقة من العالم .

« يورى دان Uri Dan" هو أحد المستشارين « لشارون » . وقد سافر « دان » إلى جنوب أفريقيا وكتب مؤخرا يقول « عندما أرى أحد ضباط جيش جنوب أفريقيا وهو يعطى أوامره بالأنجليزية أو الأفريقية أكاد أتوقع أن اسمع منه ذلك بالعبرية فإن منظرهم وتحركاتهم فى الميدان كل ذلك يذكرنى بضباط جيش الدفاع الإسرائيلى . وهذا مخالف لما رأيته من تأثير الضباط الأمريكيين على ضباط جنوب فيتنام عندما كنت هناك منذ أحد عشر عاما » . وقد قال أحد كبار الضباط فى جيش جنوب أفريقيا « لايمكننا إهمال تأثير جيش الدفاع الإسرائيلى على قواتنا المحاربة » .

يعتبر « هنرى كيسنجر » هو أول من شجع اسرائيل على أن تلعب هذا الدور الهام فى جنوب أفريقيا . فبعد افتضاح دور وكالة المخابرات الأمريكية فى « أنجولا » عام ١٩٧٥

اتجه كيسنجر إلى اسرائيل وطلب منها أسلحة وخبراء وقوات أيضا . وقد أجاب الإسرائيليون كيسنجر إلى كل طلباته ـ فيما عدا القوات ، فالضوء الأخضر من واشنطن يسهل كل الأمور . وقد كان كيسنجر ينظر إلى جنوب أفريقيا نظرة علمية بحتة من ناحية أنها مكسب استراتيجى للولايات المتحدة بصرف النظر عن أنها دولة تمارس فيها أبشع الأساليب العنصرية . وقد أصدر «كيسنجر» مذكرة عن سياسة الأمن القومى فى المنطقة (جنوب أفريقيا) قال فيها «إن لجنوب أفريقيا أهمية جغرافية للولايات المتحدة وحلفائها خصوصا مع إغلاق قناة السويس وتزايد النشاط السوفيتى فى المحيط الهندى . و الولايات المتحدة لها تسهيلات فى الطيران المدنى والعسكرى فى جنوب أفريقيا . وهنا؛ ترسانة بحرية على مستوى جيد ووزارة الدفاع لديها محطة تتبع للصواريخ كما أن هناك اتفاقا سريا لحماية هذه المحطة» . وقد وضع كيسنجر ونيسكون خمس احتمالات للعلاقة مابين الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا مبنية على الأسس التالية :

الجنس الأبيض موجـود فى جنوب أفريقيا ليبقى فهو الوحيد الذى يمكنه ادخال تحسينات جـذريةفيهـا . وليس هناك أمل للسود فى أن يحصلوا على حقوقهم السياسية من خلال العنف ، فسوف يـؤدى ذلك إلى إضطرابات ومـزيد من فـرص التدخل للشيوعيين . يمكننا باختيار موقف مناسب مع البيض الحاكمين أن نصل إلى بعض التحسينات لقوانينهم العنصرية والإستعمارية ..... ومصالحنا المتشابكة مع إتصالاتنا فى المنطقة تمكننا من الوصول إلى هذا الهدف بشىء من التضحية السياسية .... وسوف نحتفظ بمعارضتنا للتمييز العنصرى ولكننا سنتساهل مع الخطر السياسى والإقتصادى لحكم الجنس الأبيض

واختارا الاحتمال الثانى الذى ينص بالنسبة للأوضاع العسكرية على التالى : «فرض حظر تصدير الأسلحة لجنوب أفريقيا مع غض النظر عن المهمات التى تخدم الأغراض الحربية والمدنية » وهذا بالطبع باب واسع أمكن عن طريقة إدخال ماقيمته ١٤ مليون دولار بواسطة الوكالة الأمريكية للمخابرات لغزو «أنجولا» .

وقد استدار كيسنجر إلى إسرائيل فى نفس العام وطلب منها مساعدة جنوب أفريقيا سرا . ولجأت حكومة «بريتوريا» إلى اسرائيل لتساعدها فى عملياتها السرية فى الولايات المتحدة . وقام وزير الداخلية لجنوب أفريقيا بزيارة اسرائيل فى ١٩٧٥ سرا . وكان يرافقه اثنان من كبار المسئولين من وزارة الإعلام هما «إيشل رودى "Eshel Rhoodic" و «ليس دى فيليرز "Les De Villiers" واجتمع ثلاثتهم مع رئيس الوزراء «اسحق

رابين » ووزير الدفاع « شيمون بيريز » وستة آخرين من الوزراء . وتلقى وزراء جنوب أفريقيا تمثال « داود وجالوت "David And Goliath in Battle" لكل واحد منهم ، مما دعا وزير الداخلية أن يعلق بقوله « ساحتفظ دائما بهذا التمثال ليس لأنه يمثل صراع اسرائيل فى البقاء على الحياة فقط ولكنه يمثل صراعنا معا ضد العالم ». والصراع فى نظر « إيشل رودى » ـ وزير الإعلام فى جنوب أفريقيا ـ كان يعنى فى هذا الوقت استثمار بضعة ملايين من الدولارات من أموال جنوب أفريقيا لخلق ما أسماه « الحرب السيكولوجية » باختيار بضعة أشخاص فى ذوى النفوذ السياسى والإعلامى فى الولايات المتحدة ليكونوا نواة لتبنى قضايا جنوب أفريقيا وكان علي اسرائيل أن تقوم باختيار الأشخاص المناسبين لهذا العمل . واختار الإسرائيليون شخصا يدعى « سيدنى بارون "Sydney Baron" من نيويورك . و« بارون » هذا متخصص فى قبول القضايا الصعبة ـ مثل قضية « تايوان » ـ وقبل العمل مع جنوب أفريقيا فى مقابل نصف مليون دولار سنويا . وتقتضى ظروف عمل « بارون » بدفع مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ دولار لإنتخاب العضو « هايا كاوا "S.I. Hayakawa" لمجلس الشيوخ فى عام ١٩٧٠ ضد « جون تونى "John Tunney" مرشح الحزب الديمقراطى عن ولاية كاليفورنيا وأحد المتعصبين ضد التفرقة العنصرية . ومارس « بارون » نشاطه مرة ثانية فى « أيووا "Iowa" عندما دفع ٢٥٠,٠٠٠ دولار لمناصرة مرشح الحزب الجمهورى « روجر چيبسن "Roger Jepsen" ضد « ديك كلارك "Dick Clark" الذى كان يعارض تدخل الوكالة الأمريكية للمخابرات فى « أنجولا » . وفى عام ١٩٨٠ قام « بارون » بضم « جون سيرز "John Sears" المدير السابق لحملة الإنتخابات الخاصة بالرئيس « ريجان » . ويحكى « كونى مولدر » وزميله « ليس فيلارز ـ وزيرا جنوب أفريقيا اللذان قاما بزيارة اسرائيل ـ أنهما قابلا الرئيس « ريجان » عندما كان حاكما لولاية « كاليفورنيا » وأنه أبدى لهما تفهما كبيرا لحاجة الولايات المتحدة لعلاقات قوية مع جنوب أفريقيا .

لم تقتصر مساعدة اسرائيل لجنوب أفريقيا فى المجال الإعلامى على إختيار « بارون » فقط بل رشحت حكومة « رابين » لها أيضا أحد تجار الأسلحة الإسرائيلى « أرنون ميلشان "Arnon Milchan" وذلك لكى يقوم بعملية « غسيل النقود "Cash Laundry" اللازمة للدعاية لجنوب أفريقيا فى أوربا وقد قام فعلا بشراء جريدة « وست أفريكا "West Africa" التى تصدر فى لندن . وقد ترتبت عن كل هذه الأعمال فضائح مالية نتيجة صرف حوالى ١٠٠ مليون دولار (يقال أنه دفع منها مبلغ أربعة ملايين دولار لمساندة الرئيس الأمريكى « فورد » فى انتخابات عام ١٩٧٦ للرئاسة) . وبينما كانت عملية تكوين (اللوبى) مستمرة ويعرفها عدد محدود من جنوب أفريقيا والإسرائيليين وعملائهم قامت حكومة رابين بتوجيه دعوة سرية لزيارة إسرائيل لضيف لايعتبر من أصدقاء اسرائيل وهذا الضيف

هو «جون فورستر John Vorstev" رئيس وزراء جنوب أفريقيا . وقبل «فررستر» الدعوة وذهب إلى اسرائيل وقام بوضع أكليل من الزهور فى «ياد فاشيم Yad Vashem" ـ وهو النصب التذكارى لضحايا معسكرات تعذيب اليهود أيام النازى ـ الأمر الذى كان يجعل بعض المراقبون يصابون بالغثيان . «فجون فورستر» هذا قد حكم عليه بالسجن لمدة سنتين خلال الحرب العالمية الثانية لتعاونه مع النازى . وهو زعيم لدولة عنصرية متطرفة ولم يعترض على النظام النازى بأى طريقة . وقد كان فى زيارة «لباراجوى Paraguay" واستقبله رئيسها «الفريدو ستروسنر Alfredo Styoesner" المشهور باعجابه بالنازية . وقد أقام «رابين» حفل استقبال «لفورستر» وخطب قائلا «نحن نتابع ونؤيد مجهودك التاريخى لتنمية قارتك لتبنى الكبارى والجسور التى توصلك لمستقبل أكثر أمانا وازدهارا ولتخلق جوا من التعايش يضمن تعاونا ناجحا بين جميع الأجناس الأفريقية بعيدا عن تهديد أو تدخل أى قوى خارجية .

وقد قام «فورستر» ببناء «كبارى» خلال زيارته التى استغرقت أربعة أيام فى اسرائيل . فقد زار المصانع الحربية ومصانع الطائرات وقام النازى السابق بتوقيع اتفاقية ثنائية للتعاون التجارى والعسكرى والنووى بين البلدين . ولذلك عندما أصدرت الأمم المتحدة قرارا بمنع تصدير أى معونة عسكرية إلى جنوب أفريقيا فى عام ١٩٧٧ صرح وزير الخارجية «موشى ديان» بأن اسرائيل لن تلتزم بهذا القرار .

أثير فى عام ١٩٧٦ فى البرلمان الإسرائيلى مسالة وجود «مئات» من رجال الجيش الإسرائيلى لتدريب قوات جنوب أفريقيا وقد أنكر وزير الدفاع الإسرائيلى «بيريز» هذه المسالة . وقد ذكرت جريدة «الإيكونوميست Economist" بعد ذلك أنه فى عام ١٩٨١ كان هناك ٢٠٠ متشار عسكرى اسرائيلى فى جنوب أفريقيا .وأن قوات الكوماندوز فى جنوب أفريقيا تدين لإسرائيل بحسن تدريبها. وقال قالت إحدى جرائد حزب العمل الإسرائيلى «ليس سرا أن يجد الإنسان فى كل معسكر من معسكرات جيش جنوب أفريقيا ضابطا أو أكثر من اسرائيل منهمكا فى تعليم الجند البيض كيفية قمع الإرهابيين السود بالطريقة الإسرائيلية .

وقد تدفقت المنتجات الإسرائيلية على جنوب أفريقيا مثل الصاروخ بحر ـ بحر «جابريل Gabriel" وقوارب الحراسة «ريشيف Reshef" ومحطات الرادار وأجهزة الرؤية الليلية وأجهزة الإتصالات وغيرها . وتكونت كثير من المشروعات المشتركة فى البحرية بدءا من الصاروخ البحرى Barak" إلى الغواصات النووية . وقامت جنوب أفريقيا بتصنيع البندقية جليل بتصريح من اسرائيل واستخدمت كسلاح أساسى لجيش جنوب أفريقيا وظهرت التكنولوجيا والأسلحة الأمريكية . وعندما سقطت إحدى طائرات الإستطلاع

الإسرائيليين بدون طيار فوق موزمبيق وعليها علامات سلاح الطيران الإسرائيلى تبين أنها نسخة طبق الأصل من طائرة أمريكية . وهذا يعنى أن تكلفة الدراسات والأبحاث لهذه الطائرة قد قامت بدفعها الولايات المتحدة وماكان على اسرائيل إلا تصنيعها . وتلقت جنوب أفريقيا ٤٠٠ دبابة ومدفع أمريكى عن طريق اسرائيل . والذين يصدقون رغبة أمريكا فى وقف التعامل مع جنوب أفريقيا يصابون بالدهشة من موقف اسرائيل كوسيط بين الدولتين ـ أمريكا وجنوب أفريقيا ـ وقد عبر «حاييم هرتسوج Chaim Herzog" ـ رئيس اسرائيل بقوله «ليس على اسرائيل أن تعتذر عن علاقاتها مع جنوب أفريقيا . فعلاقتنا معها تشبه علاقة الولايات المتحدة الأمريكية معنا» .

وتبين قصة «جيرى بول Jerry Bull" التالية مدى حرص وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على أن لا تعانى جنوب أفريقيا من أى نقص فى المعدات العسكرية و«جيرى بول» هذا مخترع أمريكى ـ من أصل كندى غريب الأطوار ، تمكن من اختراع مدفع «هاوتزر ١٥٥ مم 155 mm Howitzer" مداه يفوق مدى الصواريخ «كاتيوشا Katyasha" سوفيتية الصنع والتى كانت تعانى منها جنوب أفريقيا فى حربها مع ثوار أنجولا . وقد قدمه «كيسنجر» «لأسحق رابين» لأول مرة فى عام ١٩٧٢ عندما طلب «رابين» ـ وكان يعمل سفيرا لإسرائيل فى واشنطن ـ مدافع هاوتزر بعيدة المدى لاستخدامها فى مرتفعات الجولان . وقد أعجب «رابين» ببول وعرفه بتاجر السلاح الإسرائيلى «أيزنبرج» الذى دعاه عدة مرات كضيف فى منزله فى تل أبيب . ووجد «ايزنبرج» فرصة فى أن يبيع مدافع «بول» إلى جنوب أفريقيا وفعلا قام بدعوة المسئولين فى جنوب أفريقيا لمشاهدة مناورة عملية بمدافع «بول» فى صحراء النقب . ونجحت المناورة وطلبت جنوب أفريقيا أعدادا كثيرة من مدفاع «بول» .

ولما كانت مصانع «بول» أمريكية ، فقد إتجهت جنوب أفريقيا إلى مندوب وكالة المخابرات الأمريكية فى «بريتوريا» وكانت العلاقات بينهما قوية جدا نظرا للأحداث الدائرة فى «أنجولا» وقد كان رجا الوكالة معجبون برجال جنوب أفريقيا معتقدين أنهم يتميزون بالصراحة والإستقامة والكفاءة فى العمل واشتركوا فى عمليات سرية سويا بنجاح وكما أن كراهية النظام الشيوعى كراهية شديدة تجمعهم . ولذلك فقد كتب مندوب الوكالة إلى رئاسته فى أمريكا مؤيدا طلب جنوب أفريقيا . ووافقت رئاسة الوكالة أيضا وكتبت بذلك إلى واشنطن وعندما وصل الكتاب إلى المختص بشئون أفريقيا فى واشنطن فى أكتوبر ١٩٧٥ تحمس له الأخير أيضا . وفى هذه الأثناء كانت الوكالة تقوم بمجهود شاق لشحن المعدات العسكرية لمحاربة الثوار فى أنجولا من خلال الموانى الأفريقية المزدحمة ورأت أن هناك فرصة لإستعمال موانى جنوب أفريقيا فى ناميبيا . ولكن حين عرض الأمر على لجنة عليا لإقراره هدد مساعد وزير الداخلية للشئون الأفريقية بالإستقالة إذا أقرت

هذه اللجنة الصفقة . وكان واضحا أن « إد ملكاهى Ed Mulcahy" ـ مساعد الوزير ـ يعنى مايقول . وتأكد الحاضرون أنه لن يتردد فى إعلان أسباب استقالته مما سوف يشكل تهديدا خطيرا لعملياتهم السرية مستقبلا .

عندئذ فكر رجال وكالة المخابرات فى شحن المدافع عن طريق اسرائيل . وتمكنوا من شحن أول دفعة منها إلى تل أبيب حيث تأخذ طريقها بعد ذلك إلى بريتوريا . وكادت الخطة تنجح إلى آخر المدى لولا ظهور بعض العقبات . فقد وقعت حكومة « رابين » الإسرائيلية فى محنة بعد اكتشاف رشاوى وفساد بين كبار رجال الدولة وانتحار أحد الوزراء واتهام زوجة رابين بأن لها حسابات سرية فى بلاد أجنبية وتولى فى هذه الأثناء الرئيس «كارتر» رئاسة الدولة وكان لايزال هو ورجاله منتشين بالدعاية الإنتخابية عن حقوق الإنسان فكتب إلى إسرائيل يحذرها من الإستمرار فى الصفقة .

وهنا ظهرت جزيرة « انتيجو Antigua" لتملأ الفراغ كما ملأته عندما أرادت اسرائيل ارسال السلاح إلى مهربى المخدرات فى ميدلين ـ انظر الفصل العاشر ـ وقام رجال الوكالة الأمريكية للمخابرات باللازم مع رئيس وزراء جزيرة انتيجو « بيرد V.C. Bird" فطلب « بيرد » أسلحة « لجيشه » من شركة « بول » فقامت سفينة تملكها شركة فى نيويورك تدعى « شركة جنوب أفريقيا للشحن البحرى » واسمها "Tugelalaud" بنقل ٣٦ حاوية مملوءة بالمدافع والذخائر من نيويورك إلى انتيجو حيث كان ينتظرها رجال جنوب أفريقيا واسرائيل وهناك عاينوا المشحونات ثم واصلت السفينة سيرها إلى جنوب أفريقيا . وتبعت شحنة المدافع شحنات أخرى من البنادق وأشياء أخرى كلها كانت لتسليح « جيش » انتيجوا الذى لا يتعدى عدد رجاله التسعون فرداً . وقد أظهر تقرير لمجلس الشيوخ أنه خلال شهر مارس سنة ١٩٨٢ قامت شركة « بول » بشحن ٦٠.٠٠٠ قنبلة و٤ مدافع هاوترز ١٥٥ مم ومعدات أخرى لجنوب أفريقيا وجميع هذه المعدات مصنعة فى الولايات المتحدة وطلب التقرير « .... أن تبذل لجنة مجلس الشيوخ للمخابرات كل جهد ممكن لمعرفة الدور الذى قام به العاملون والعملاء والوسطاء لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية لتفادى خطر تصدير الأسلحة إلى جنوب أفريقيا عن طريق شركة « جون بول » للأسلحة » ولم يبذل أى جهد فى هذا السبيل إذ يبدو أن وكالة المخابرات كانت ترى ـ من وجهة نظرها ـ أن إيصال الأسلحة إلى « أنجولا » أهم من الإلتزام بحظر بيع السلاح إلى جنوب أفريقيا .

ومرت هذه الأزمة بسلام على شركة « جون بول » للأسلحة واستمرت علاقتها مع اسرائيل طيبة جدا لفترة من الزمن إلا أنها ساءت مؤخرا حين وجد « بول » عميلا آخر لا ترضى عنه اسرائيل ، فقد اتصل « بول » « بصدام حسين » فى بغداد وعرض عليه أن يصنع له « المدفع الكبير » الذى يستطيع بواسطته أن يضرب « تل أبيب » من « بغداد » وذعر الإسرائيليون من ذلك وقاموا بتحذير جيرالد بول بأنه إذا استمر فى مشروعه مع صدام

فسوف يقومون بإغتياله . ولم يأبه « بول » بهذا الإنذار . فقد كان « المدفع الكبير » هو حلمه طوال حياته وكان يريد تحقيقه مهما كانت النتائج واستمر جيرالد بول . وداوم الإسرائيليون تحذيره سواء عن طريق الأشخاص أو بالبريد وأحيانا عن طريق الهاتف ولا فائدة . فلم يكن يهمه مع من يعمل بل كان مايهمه هو أن يستطيع انتاج مدفعه وأخيرا فى خريف ١٩٩٠ بينما كان « جيرالد بول » يهم بدخول منزله فى « بروكسل » أطلق شخص ما عليه الرصاص من الخلف بمدفع رشاش أصابه فى رأسه وبين كتفيه ومات فى الحال.

وبينما كانت الضجة حول تصدير مدافع « بول » إلى جنوب أفريقيا لاتزال قائمة كان بعض المسئولين الإسرائيليين يعبرون عن وجهة نظر اسرائيل فى أن تكون « وكيلا » للولايات المتحدة فى بيع الأسلحة . فقد قال ياكوف ميريدور "Yaakov Meridor" وزير التعاون الإقتصادى فى وزارة بيجين « إننا نطلب منكم - من الولايات المتحدة - أن لا تنافسونا فى جنوب أفريقيا . دعونا نقوم بهذا العمل بأنفسنا اصنعوا أنتم الأسلحة والذخائر وسوف نبيعها لكم بالوكالة . سوف نكون وكلاء لكم » .

وقد تعرضت العلاقات اطيبة بين أجهزة مخابرات البلدين - أمريكا واسرائيل - إلى التوتر أحيانا . فقد كان من ضمن المستندات التى هربها الجاسوس اليهودى « بولارد » إلى إسرائيل تقارير توضح تفاصيل العمليات السرية التى قامت بها الوكالة الأمريكية للمخابرات للتجسس على جنوب أفريقيا وأسماء من قاموا بها من موظفى السفارة الأمريكية والعملاء الذين تعاونوا معهم مما يعرض حياتهم للخطر . وقد شهد وزير الدفاع الأمريكى « كاسبار واينبرجر "Caspar Weinberger" ضد « بولارد » أثناء محاكمته وقال إنه سبب تلفا كبيرا فى جهاز المخابرات الأمريكى وضرب مثلا على ماحدث بالنسبة لجنوب أفريقيا . وكانت هذه الشهادة من أهم الأسباب التى من أجلها صدر الحكم على « بولارد » بالسجن مدى الحياة .

وإذا كان « بولارد » قد تسبب فى خلق بعض عدوات بين رجال المخابرات فقد ساهمت فى تكدير الجو - احيانا - إدارة الجمارك الأمريكية بتدخلها فى عمليات شحن وتصدير الأسلحة فقد قامت مصلحة الجمارك الأمريكية بضبط شحنة من أجهزة توجيه الصواريخ من انتاج شركة « نورثوب الأمريكية "Northop" حاول محام من جنوب أفريقيا يدعى « سيمور بيرمان "Seymour Behrmann" - ويعمل أيضا فى تجارة السلاح - تصديرها إلى بلده . ولكى يتفادى الخطر المفروض على تجارة السلاح مع جنوب أفريقيا قدم شهادة « مزورة » تفيد أن هذه الأجهزة مستوردة لحساب شركة كيفون "kivun" الإسرائيلية لإعادة تصديرها إلى جنوب أفريقيا . ولسوء حظه قامت الشركة الإسرائيلية فى نفس الوقت بطلب هذه الأجهزة بنفس المواصفات من شركة « نورثوب » مباشرة . واكتشف الجمارك ازدواج الطلب وقامت بمصادرة الأجهزة .

يرى عضو الكونجرس الأمريكى «ديلومز Dellums" أن التعاون الإسرائيلى مع جنوب أفريقيا فى مشروع الصواريخ النووية متوسطة المدى شىء غير مرغوب فيه على الإطلاق . ولكن يبدو أن هناك ضرورات سياسية تحتم أن يظل الموضوع طى الكتمان - من الناحية الرسمية - فإعلانه على الملأسيؤدى إلى وقف المعونات الأمريكية لإسرائيل ويسىء إلى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية . وقد رأى «اللوبى» الإسرائيلى عندما اقتربت نهاية عام ١٩٨٩ أن مناقشة هذا الأمر فى المجلس سوف يفسد جو مفاوضات السلام الدائرة بين «بيكر» «وشامير» وكذلك كان للأحداث الدائرة فى جنوب أفريقيا من الإعتراف «بالمجلس الوطنى الأفريقى African National Congress" وتخفيف التعصب العنصرى الإهتمام الأول قبل مشروع الصاروخ النووى . ولكن الصراعات الداخلية فى المجلس الوطنى الأفريقى (A.N.C.) والعنف السياسى بين السود - الذى أدى إلى مقتل حوالى ٧٠٠ شخص فى شهرين - جعل الموقف فى جنوب أفريقيا متوترا وغير مستقر . وقد عزى الزعيم الأفريقى «نلسون مانيدلا» هذا العنف إلى تدخل قوات الأمن لجنوب أفريقيا مدفوعين بالرغبة فى إفشال جهود الرئيس «دى كليرك Fredrik de Klerk" رئيس جنوب أفريقيا لتغيير الدستور واجراء مفاوضات مع المجلس الوطنى الأفريقى واضطر الرئيس «دى كليرك» - عقب حدوث مذبحة باحد القطارات التى تعمل بين «جوهانسبرج» و«سويتو Soweto" فى سبتمبر عام ١٩٩٠ حيث قامت جماعة من السود بقتل ستة وعشرين راكبا بالسكاكين والقائهم خارج القطار - أن يصرح بأن هناك «قوة ثالثة» تعمل على خلق جو من العنف . ويظن الزعيم «مانديلا» أن القتلة ماجورين من موزمبيق كما تدل عليهم طريقة قتلهم لضحاياهم .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو : لنفرض أن الديمقراطية فى جنوب أفريقيا قد انتصرت وتولى «نلسون مانديلا» الحكم باعتباره زعيم الأغلبية السوداء هل سيتنازل الحكام البيض عن القنبلة الهيدروجينية ببساطة للرئيس مانديلا ؟ وماذا سوف يكون رد فعل الرئيس مانديلا فى هذه الحالة؟ .

أما من جهة تعاون اسرائيل وجنوب أفريقيا فى الأمور العسكرية فقد نما وترعرع وحظى بمباركة الولايات المتحدة بسبب عقدة الحرب الباردة وحجة ايجاد التوازن بين الكتلة الشرقية والكتة الغربية . ولكن بحلول عام ١٩٩٠ لم يعد السوفييت يشكلون أى خطر فى جنوب أفريقيا أو غيرها . واختفت من الوجود حجة تسليح جنوب أفريقيا ضد الغزو الشيوعى كما أن دور اسرائيل فى تسليح جنوب أفريقيا - المنبوذة من دول القارة الأفريقية - سوف يكون عديم القيمة لأن تنازل جنوب أفريقيا عن القوانين العنصرية - أو تخفيفها لها - سوف يدعو أمريكا إلى رفع الخطر عنها .

انشغلت أمريكا واسرائيل تماما بالخطر الذى ظهر بعد إنتهاء الحرب الباردة وهو ظهور «صدام حسين» رئيس العراق . وتركزت أنظار أمريكا على الشرق الأوسط

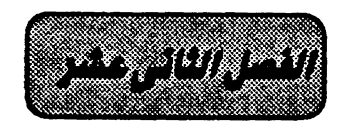
وأرسلت ٤٠٠٫٠٠٠ جندى أمريكى إلى الصحراء السعودية للدفاع عنها ضد الغزو العراقى ولتحرير الكويت التى احتلتها قوات « صدام حسين » ولكى نفهم مدى تأثير التحالف الأمريكى الإسرائيلى بغزو العراق للكويت علينا أن نعود إلى بداية حكم الرئيس الأمريكى « كارتر » . فقد ألقت « ايران » ظلالا سوداء على الشرق الأوسط وأصاب البيت الأبيض بالأرق لليالى طويلة . وعندما أعلنت العراق الحرب على « اية الله خومينى » وفى عام ١٩٨٠ أصبح صدام بالنسبة لأمريكا « عدو عدوى » وقد جعله هذا فى مرتبة الأصدقاء ولم يرتفع صوت واحد فى البيت الأبيض ليوقفه من غيه . وقام حلفاء أمريكا - السعودية والكويت ودول الخليج بتمويل هذه احرب وزود جهاز مخابرات الولايات المتحدة العراق بمعلومات وصور من الأقمار الصناعية عن تحركات الجيوش الإيرنية أثناء المعارك .

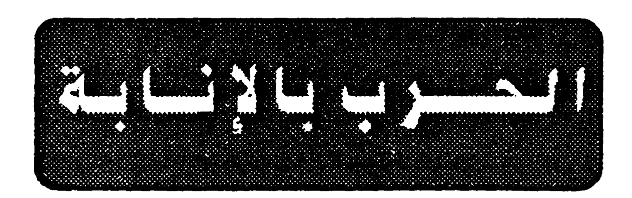
وفى الوقت الذى كان الرهائن الأمريكيون تحت أقدام الحرس الثورى للخمينى قامت اسرائيل بتزويد ايران بالأسلحة وكانت هذه الفترة من أحرج الفترات فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية وأدت إلى ارتباكات شديدة بين جيمى كارتر وتل أبيب .

****

*****

**





«إذا عدت للحكم ثانية سوف أقوم بفضح اليهود» "Iim Going to Fuck the Jews" هذا ماقاله الرئيس السابق «كارتر» فى ربيع عام ١٩٨٠ عندما إجتمع مع بعض كبار مستشاريه فى البيت الأبيض لبحث الترتيبات اللازمة لإعادة ترشيحه فقد واجه «كارتر» على غير العادة - بالنسبة لحاكم للولايات المتحدة - صعوبات شديدة متعددة منها تحدى الديموقراطيين له بترشيح «السيناتور أدوارد كنيدى Sen Ed Kennedy" وكان هذا التحدى على أشده فى نيويورك حيث لم يقتصر الأمر على تحدى السيناتور فقط بل شمل كذلك مواجهة «العمدة إد كوخ Mayor Ed Koch" الذى يمثل أصوات اليهود التى لا غنى عنها فى الإنتخابات فى «نيويورك» حيث أصبح اليهود يعتبرون حكومة «كارتر» موالية للفلسطينيين . فعندما تقابل السفير الأمريكى «أندرو يونج Andrew Young" - سفير الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة مع مندوب منظمة التحرير الفلسطينية فى العام اسابق أثار هذا الإجتماع سخط أصدقاء اسرائيل عندما تعمد الموساد نشره فقد علم الموساد بالإجتماع قبل حدوثه . وبدلا من أن تحتج اسرائيل حتى تتمكن من وقف الإجتماع قام الموساد بتسجيل مادار فى الإجتماع وسربوا الأنباء للصحف مما أثار ضجة سياسية أدت إلى استقالة يونج وهو أحد الأصدقاء المقربين للرئيس «كارتر» وتبين الآن - فى مارس ١٩٨٠ - للرئيس كارتر أن اليهود يتدخلون سرا فى الولايات المتحدة فقد تمكنت هيئة الأمن القومى الأمريكية من تسجيل مكالمة تليفونية بين «كوخ» و«مناحم بيجين» فى القدس يعطيه الأخير النصائح فى كيفية هزيمة رئيس الولايات المتحدة فى الإنتخابات القادمة وقد أبلغت هيئة الأمن الرئيس الأمريكى فلا عجب إذا أن يغضب الرئيس الأمريكى ويرغب فى الإنتقام .

ويرجع عداء اسرائيل للرئيس «كارتر» إلى أوائل حكمه حيث أبدى استعداده للضغط على إسرائيل لكى تعطى تنازلات للفلسطينيين وأشار إلى الوطن «القومى للفلسطينيين» . ووصلت هذه التهديدات ضد اليهود إليهم من طريق رجالهم الذين هم فى المراكز العليا فى الولايات المتحدة . فقد دعا «هنرى كيسنجر» فى مارس ١٩٧٧ السفير اليهودى سميحا دينتز "Simcha Dinitz" ـ على سبيل المثال ـ إلى حفل عشاء . وانتحى به على جانب وقال له أن ضميره كيهودى لا يسمح أن يخفى عنه أى أسرار . وأخطره أن كارتر أكد للسادات أن الولايات المتحدة ستطلب إلى اسرائيل الإنسحاب إلى خطوط ماقبل حرب ١٩٦٧ وأن توافق على إقامة دولة فلسطينية . فلما طلب منه «دينتز» المشورة فى هذا الشأن قال له كيسنجر «نظموا صفوفكم فى الولايات المتحدة وفى اسرائيل لا تظهروا أى تردد بل صمموا على موقفكم . يجب عليكم أن تقاوموا فكرة «كارتر» بتصميم أكيد» . هكذا كان موقف الشخص الذى لم يكن قد تولى منصبه وزير الخارجية إلا منذ شهرين اثنين فقط .

وصدر فى أكتوبر من نفس العام بيان مشترك من الولايات المتحدة وروسيا خاص بالشرق الأوسط لم ترع فيه الولايات المتحدة حساسية علاقاتها مع اسرائيل ووصفته الدوائر الإسرائيلية بأنه بيان «أحمق» ويبدو أن رئيس ولاية «جورجيا» السابق ـ كارتر ـ لم يكن لديه الوقت الكافى ليفهم العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة . وأراد «موشى ديان» ـ الذى هجر زملاءه فى حزب العمل ليصبح وزير الخارجية فى وزارة بيجن التى تمثل حزب الليكود ـ أن يلقن الرئيس الأمريكى درساً سريعاً . فبعد أيام قليلة من التصريح الأمريكى السوفيتى المشترك طلب هذا الجنرال ـ ذو العين الواحدة ـ من كارتر أن يعلن أنه متمسك بجميع الإتفاقيات السرية التى أبرمت بين اسرائيل وحكومات أمريكية سابقة . وإذا لم يعلن ذلك فسوف تقوم اسرائيل من جانبها بإعلان هذه الإتفاقيات السرية على الملأ مهما كان فى ذلك من حرج للإدارة الأمريكية . وهكذا تراجع «كارتر» سريعا عن أرائه بخصوص تسوية عادلة لمشكلة الشرق الأوسط وصدق قول «بيجين» عن الرئيس «كارتر» منذ بدء رئاسته فقد قال «إنه كفقاعة الهواء» .

وقام «كارتر» من جانبه فى السنة التالية بتذكير اسرائيل ببعض الحقائق منها أن أى حرب لإسرائيل لابد أن توافق عليها الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن تبدأ . ففى مارس سنة ١٩٧٨ قامت القوات الإسرائيلية بمهاجمة جنوب لبنان ردا على بعض الغارات للفدائيين وكانت نتيجة الغزو الإسرائيلى للبنان مقتل حوالى ٢٠٠٠ شخصا معظمهم من المدنيين وأصر «كارتر» على إنسحاب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان ولكنهم تباطؤوا فى ذلك . فكرر «كارتر» طلبه وأخيرا قالت اسرائيل أنها انسحب إلى الحدود . وعلم «كارتر» من صور الأقمار الصناعية أنهم كاذبون . فأرسل كتابا إلى بيجين يهدده

فيه بانه إذا لم تنسحب إسرائيل في خلال ٢٤ ساعة فسوف يوقف المعونات الأمريكية لإسرائيل وقد حمل الكتاب « ريتشارد فيتس Richard Viets" رئيس البعثة الأمريكية في تل أبيب وذهب به إلى « بيجين » مباشرة في منزله ويقول فيتس « قرأ بيجين الكتاب ببطء، ثم أبيض لونه وذهب إلى منضدة جانبية وجرع كأسا كبيرا من اويسكى ثم قال « مستر فيتس ، لقد كسبتم الجولة » . فقد ذكره كارتر بعنف أنه يستطيع أن يكون صلبا عند اللزوم .

وبالرغم من ظهور « كارتر » بمظهر حامى حما حقوق الإنسان فإنه كان بحلوله أن يمارس أنواع السياسة الخشنة أحيانا . فقد كان من سياسته مناصرة « الخمير الحمر Khmer Rouge" على أثر طرد الفيتناميين لهم من كمبوديا » وقد لقى « فرديناند ماركوس » دكتاتور الفلبين السابق تفهما تاما من قبل كارتر مثل كل الرؤساء السابقين وهكذا كانت سياسته مع العالم الثالث لا تمثل أى تغيير مما يجعل اسرائيل تجنى من ذلك فوائد كثيرة كما حدث فى « جواتيمالا » عام ١٩٧٧ حينما قطعت أمريكا معونتها لها فى عهد الدكتاتور سوموزا وقامت اسرائيل بملء الفراغ . وكذلك استمرت العمليات فى أوغندا وانجولا كسابق عهدها ولم تتأثر تجارة اسرائيل أو جنوب أفريقيا بأى شكل .

وهناك تشابه بين حكم الرئيس ايزنهاور والرئيس كارتر بالنسبة لإسرائيل . ونظرة اسرائيل لفترة حكم « ايزنهاور » هى نفسها نظرتها لحكم « كارتر » فكلاهما كان غير صديق لإسرائيل . فقد أجبر الرئيس ايزنهاور – مثل الرئيس كارتر – اسرائيل على الإنسحاب من أراضى احتلتها اسرائيل بالقوة وبالرغم من ذلك كانت العمليات السرية بين مخابرات البلدين تسير كالمعتاد وهذا لا يعنى أن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين لم يكن لها تأثير ، فقد كانت اسرائيل – من جانبها – تعتبر أن سياسة عصر الرئيس « كارتر » تمثل فى الشرق الأوسط خطراً أكيد على اسرائيل .

لم تثير اتفاقية « كامب ديفيد » مزيدا من العداوة الإسرائيلية لعهد الرئيس كارتر الذى كان يعتبر هذه الإتفاقية إحدى الإنتصارات السياسية الخارجية له . فإسرائيل كانت سعيدة لإقرار السلام بينها وبين مصر حيث فصلتها عن بقية الأمم العربية ولو أن الثمن هو إعادة سيناء للسيادة المصرية ومن الناحية الأخرى كانت فإسرائيل لا ترغب فى إعادة الضفة الغربية . فوافقوا على اتفاقية كامب ديفيد – مع وعود من أمريكا بزيادة المعونة – وفصلوا موضوع الضفة الغربية عن معاهد السلام المصرية . وقد لخص « جورج بوال George Ball" وكيل الوزارة الأمريكى العمل البطولى والمكلف الذى قام به الرئيس كارتر لكى يتمكن من إتمام معاهدة « كامب ديفيد » للسلام بين مصر واسرائيل فى حملة تثير الإبتسام حيث قال « لقد اشترينا رمل سيناء بمبلغ ضخم من اسرائيل (٢و٣ مليار دولار معونة) لكى تاخذها منا ».

ولسوء حظ الرئيس «كارتر» فقد تلت معاهدة «كامب ديفيد» ــ التى تعتبر نصرا كبيرا له مأساة إيران . فعندما نجحت الوكالة الأمريكية المركزية للمخابرات فى إعادة الشاة إلى عرشه فى عام ١٩٥٣ ثم ما أبداه الشاه بعد ذلك من ولاء تام لأمريكا ومصالحها فى ربع القرن التالى كان ذلك سببا فى عدم انتباه الوكالة لأى خطر من هذه الناحية . وكان هذا أيضا هو نفس الحال بالنسبة للإسرائيليين الذين استفادوا فوائد مادية كبيرة من تعاون آخر أسرة «بهلوى» معهم . ولكن احقاقا للحق فان بيورى لوبرانى "Uri Lubrani" المندوب الإسرائيلى فى طهران من عام ١٩٧٦ حتى عام ١٩٧٨ قد تنبأ قبل عام من الإطاحة بالشاة بأنه يعانى من مشاكل كبيرة . وعلى أى حال فعندما حدث الإنقلاب فى طهران وجدت السفارة الإسرائيلية نفسها منعزلة واضطرت إلى الجلاء فى أسرع وقت عن طريق السفارة الأمريكية .

ولم يكن انتصار «آية الله خمينى» على الشاة وبالتالى على أمريكا هو السبب الوحيد لعدم اعادة انتخاب «كارتر» للرئاسة فى عام ١٩٨٠ ولا نستطيع أن ننكر أن الاذلال العلنى للدبلوماسيين الأمريكيين واحتجازهم كرهائن فى السفارة الأمريكية بعد اقتحامها فى أكتوبر عام ١٩٧٩ قد أكد شعور الأمريكيين بان الحكومة الأمريكية تعانى من الضعف تحت رئاسة رجل ضعيف ورغم أن «كارتر» قد رفع ميزانية وزارة الدفاع إلا أنه تخاذل فى الدفاع عن كرامة الولايات المتحدة (وقد ساهم «اللوبى» الإسرائيلى كثيرا فى ترديد هذا الرأى) . وقد اتهمت «لجنة الدفاع» الرئيس «كارتر» بانه لم يسمح لوكالة المخابرات المركزية بممارسة أعمالها السرية كما أنه فصل ٨٠٠ موظفا من العاملين بالوكالة خلال فترة حكمه وهذا الإتهام الأخير فيه ظلم للرئيس «كارتر» فالعدد الكلى الذى تم فصله من العاملين بالوكالة خلال حكم الرئيس كارتر لا يزيد عن ١٨ شخصا .

ثم قام «كارتر» بمحاولة عنيفة لإخراج الرهائن الأمريكيين من طهران لكى يتخلص من الكابوس الذى يعانى منه بسبب ذلك . وهذه المحاولة تدل عى أنه على إستعداد لمغامرة لكى ينقذ سمعته وجهز لذلك مجموعة من «الكوماندوز» قاموا فى ٢٤ ، ٢٥ إبرايل سنة ١٩٨٠ بمحاولة فاشلة لإنقاذ الرهائن تشبها بمحاولة «عنتيبى» التى قامت بها اسرائيل فى أوغندا لإنقاذ طائرة «ايرفرانس» التى اختطفها الفدائيون الفلسطينيون . وقد اجتمع رئيس الأركان الأمريكى مع نظيره الإسرائيلى للتخطيط لهذه العملية ولكنها باءت بفشل ذريع .

وبينما كانت الجهود الدبلوماسية تبذل للإفراج عن الرهائن الأمريكيين المحتجزين فى إيران فإن المحاولات السرية لم تتوقف أيضا لتحقيق نفس الغرض . وكان هذا هو السبب فى تورط الولايات المتحدة الأمريكية فى مؤامرات فى الشرق الأوسط راح ضحيتها ملايين الأرواح فيما بعد .

نددت حكومة « آية الله خومينى » بالحكومة الأمريكية لأنها أوقفت صفقات الأسلحة التى تم الإتفاق عليها قبل الإطاحة بالشاة بحجة وجود متعلقات بين الشركات الأمريكية وحكومة ايران . ولما كان الشاه يعتمد كلية على أمريكا فى تسليح جيشه فقد وضع هذا الحظر على تصدير الأسلحة « ايران » فى وضع حرج للغاية فإذا حدث تهديد خارجى لإيران من قوى خارجية فإن ذلك يجعل ايران حريصة على تحسين علاقاتها مع أمريكا لكى تحصل على مزيد من الأسلحة تقاوم بها التهديد . ولم يكن هذا خافيا عى الإدارة الأمريكية .

ثم قام صدام حسين فى ٢٢ سبتمبر سنة ١١٩٨٠ بمهاجمة ايران وهو يمنى نفسه بنصر ساحق وسريع وفى إعتقاده أن القوات الإيرانية ـ نتيجة لثورة « الغمينى » لن تستطيع الصمود أمام الجحافل العراقية . وكان هذا من أكبر الأخطاء التى وقع فيها . ولكنه لم يكن وحده هو المخطىء . فقد قام صدام بالإتصال بالملك حسين ملك الأردن وأمير الكويت قبل الغزو بحوالى أربعة أشهر أثناء اجتماعهم فى بغداد . وأدخل فى روع كل منهما أن « الغمينى » سوف يصدر ثورته إلى البلاد العربية . وتحمس كلاهما للغزو العراقى لإيران وذهب صدام بعد ذلك إلى الرياض فى أغسطس من نفس العام وأطلع ملك السعودية على خطته لغزو ايران . ويقول بعض العالمين ببواطن الأمور أن الملك خالد ـ ملك السعودية ـ قَبَّلَ صدام عند وداعه بعد إنتهاء الزيارة ثلاث قبلات : الأولى تحية لجرأته وشجاعته والثانية دليل لحب الأخوى بين الرئيسين والثالثة تكريما لغزو العراق المرتقب لإيران .

وكان الملك خالد حريصا عى أخذ موافقة الأمريكيين على هذه الحرب وقد جاءته الموافقة على يد مستشار الأمن القومى الأمريكى « بريزنسكى Brzezinski" . ولم تكتف الولايات المتحدة بتأييدها لغزو العراقى لإيران بل قامت أيضا بإمداد العراق بسيل من المعلومات العسكرية عن تحركات الجيوش الإيرانية المرصودة بواسطة الأقمار الصناعية وقد قال « الحسن بنى صدر » رئيس وزراء إيران فى ذلك الوقت عن هذا الموضوع أن لديه معلومات مؤكدة عن اجتماع خبراء أمريكيين واسرائيليين مع عسكريين عراقيين فى باريس ومعهم بعض الإيرانيين المبعدين المعروفين لولائهم للشاه لبحث خطط الحرب العراقية الإيرانية .

وبمجرد بدء الحرب قامت حكومة « كارتر » بشجبها ـ رسميا ـ رغم أنها هى التى ساهمت فى إشعالها . وفى الوقت نفسه اقترح على الإيرانيين تزويدهم بقطع الغيار والذخيرة اللازمة لأسلحتهم مقابل الأفراج عن الرهائن الأمريكيين فى إيران .

واعتمدت خطة « كارتر » على منع تزويد الإيرانيين بقطع الغيار والذخيرة التى هم فى أشد الحاجة إليها ثم يعرض عليهم إمدادهم بها مقابل الإفراج عن الرهائن وذلك قبل بدء الإنتخابات الأمريكية للرئاسة فى نوفمبر ومن هنا استشاط « كارتر » غضبا عندما علم

أن اسرائيل تقوم بتزويد ايران بالسلاح واحتج بشدة على « بيجين » بهذا الخصوص ووعده بيجين بوقف ارسال الأسلحة لإيران ولكن جاء هذا الوعد متأخرا جدا . وباءت بعد ذلك جميع المؤامرات الأخرى ضد ايران بالفشل . واكتسح « رونالد ريجان » الإنتخابات .

ووعد الرئيس الجديد « ريجان » بأن يتخذ موقفا صلبا من الإتحاد السوفيتي وأن يزيد ميزانية الدفاع وأن يعيد وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى مركزها اللائق لتستطيع مواصلة الكفاح ضد الشيوعية وكان هذا هو غاية ما يتمناه أنصار الحرب الباردة الذين اعتبروا ريجان بطلا قوميا .

ولليهود أسباب كثيرة تجعلهم يرحبون بمقدم الرئيس الجديد (سواء عرفوا ماذا كان الرئيس كارتر ينوى أن يفعل بهم فى حالة إعادة انتخابه أم لم يعرفوا) فقد تكلم «دافيد كيمش» ـ حلقة الإتصال بين الحكومة الأمريكية والأسرائيلية ـ بحرارة عن الحكومة الجديدة وأن « ...... تركيز حكومة « ريجان » على توثيق الصلات بين البلاد ذات الإهتمامات المشتركة (يعنى اسرائيل) فأن الحكومة الجديدة ترى فى اسرائيل شريكاً كاملاً فى وجهات النظر يمكنها أن تلجأ إليها للمعاونة » ويقصد «كمش» بهذا القول وإن لم يستطيع أن يفصح عنه بصراحة أن اسرائيل تستطيع الآن أن تبيع أسلحة لإيران دون أن تثير غضب واشنطن . وقد قرر بعض المراقبين مبيعات اسرائيل لإيران من السلاح خلال حربها مع العراق بحوالى ٥٠٠ مليون دولار فى العام . وعندما هربت طائرة فانتوم ايرانية إلى السعودية فى عام ١٩٨٤ وتمكنت من الهروب من شبكة الرادار التى اشترتها السعودية بملايين الدولارات من أمريكا وجد أن كثيرا من أجزائها أمريكية الصنع قد باعتها أمريكا لإسرائيل فى الماضى .

ولم تكن المساعدة الإسرائيلية لإيران قاصرة على توريد السلاح والذخيرة . فقد اعتاد الإيرانيون تطهير حقول الألغام بواسطة صبية فدائيين يمشون فى الحقول بارجلهم لتفجير الألغام المختفية وكان النظام الخوميني يعطى هؤلاء الفدائيين مفتاحا يعلقونه فى صدورهم لتسهيل دخولهم الجنة باعتبارهم شهداء . وهذا المفاتح مصنوع من البلاستيك . وقد تم صنعه فى إحدى المستوطنات الإسرائيلية . وهكذا كان هناك ـ فيما يتعلق بالإسرائيليين ـ أسباب تجارية واستراتيجية للإستمرار فى مساعدة الإيرانيين بالرغم من أن نظام الخميني كان يلعن اسرائيل علناً ويطالب بتحرير القدس . ومنذ بدء سياسة اسرائيل باستقطاب جيرانها ـ غير العرب ـ فإنها اعتبرت إيران ثقلا فى جانبها تقاوم به ثقل العراق . وقد صرح «إريك شارون» فى مايو سنة ١٩٨٢ بقوله « العراق عدونا ونحن نامل أن تعود العلاقات الدبلوماسية بيننا وبين ايران كما كانت فى الماضى».

والإستراتيجية الجيدة تعنى لدى اليهود تجارة جيدة أيضا . فقد قال أشهر المعلقين العسكريين اليهود « زئيف شيف Zeev Schiff " فى جريدة « هاآرتز » إن الإستراتيجية يجب

أن تخدم الإقتصاد فى المقام الأول . وكتب عن سياسة اسرائيل فى ايران فى عام ١٩٨٦ فقال «إن هدف اسرائيل السياسى فى إيران كان المكسب المادى أكثر منه الإعتبارات الإستراتيجية» . وقد أدى سقوط الشاه إلى وجود بطالة فى بعض الصناعات العسكرية .

ولم تتغير سياسة الولايات المتحدة تجاه تسليح إيران بعد ذهاب «كارتر» من الناحية الرسمية . واستمر حظر تصدير السلاح موجودا . ونتيجة لذلك قد امتنعت دول كثيرة مثل كوريا الجنوبية وإيطاليا والبرتغال وأسبانيا والأرجنتين عن توريد السلاح إلى إيران إلا أن اسرائيل التى استمرت تصدر السلاح بعد أن خلا لها الجو فى هذا المجال وقد أشار كبار الإسرائيليين صراحة أن اسرائيل تورد لإيران الأسلحة ولكن بموافقة الولايات المتحدة . وذكر أريل شارون ذلك فى مايو ١٩٨٢ ولو أن وزارة الخارجية الإسرائيلية نفت ذلك . وقد كرر سفير اسرائيل فى الولايات المتحدة هذا فى أكتوبر ، والآن لم يعد هذا الموضوع يثير أى اهتمام فى اسرائيل .

تم التفاهم بين الولايات المتحدة واسرائيل فى أواخر عام ١٩٨١ على مذكرة بخصوص التعاون الإستراتيجى تقول فى جزء منها «إن التعاون بين الولايات المتحدة واسرائيل موجه ضد القوى التى تهدد السلام والأمن العالمى التى يحركها الإتحاد السوفيتى أو الدول الموالية له» . ويقضى الإتفاق بتخزين معدات عسكرية أمريكية فى اسرائيل وكذلك دعم الصناعات الحربية الإسرائيلية وشراء منتجاتها . وقد اعتبر «شارون» هذا الإتفاق نصرا كبيرا . فقد خطت اسرائيل خطوة أخرى حول الإتحاد العسكرى الكامل بين البلدين وهو الحلم الذى كان يحلم به «بن جوريون» منذ زمن طويل . ولكن الأمريكيين كانوا ينظرون إلى هذا الإتفاق نظرة مخالفة لنظرة الإسرائيليين . فاعتبره «كاسبر واينبرجر "Caspar Weinberger وزير الدفاع الأمريكى مجرد «بروتوكول» أما الجنرال الإسرائيلى «أفراهام تامير "Avraham Tamir" أحد كبار المهتمين بشئون السلاح والذى أمضى حياته فى جهاز الأمن الإسرائيلى ثم مساعدا لشارون فقد كان يعتقد أنه بعد توقيع هذه الإتفاقية سيكون لإسرائيل دور ــ ولكنه محدود ــ فى خطة الولايات المتحدة . ويقول الجنرال تامير أن أمريكا كانت تريد منا أن نساعد إيران فقط ونرسل لها الأسلحة وقطع الغيار بمعنى أننا كنا «وكلاء» لها فى المنطقة ويدلل «تامير» على أهمية شحنات الأسلحة التى قامت بها اسرائيل لإيران بأن «صدام حسين» عرض عليهم ــ على حد قول «تامير» ــ أن تعترف العراق باسرائيل مقابل أن يتوقفوا عن شحن السلاح إلى إيران .

لم يتمكن «صدام» من كسب تأييد اسرائيل ولكنه كان يتلقى العون من أمريكا . وبينما كانت الإمدادات الإسرائيلية من الأسلحة تتدفق على إيران كانت مصانع الأسلحة المصرية تعمل بكل طاقتها لإمداد العراقيين بالذخيرة . ويقول أحد العسكريين الأمريكيين الذين يعملون مع المصريين فى مصانع الأسلحة «لقد كنت أشرف عليهم . كانوا يصنعون

قذائف ١٣٠ مم من تصميم السوفييت ويبعونها للعراق ، فاسرائيل وحدها لم تكن الوكيل الوحيد للأمريكيين .

ولم يقتصر دور الولايات المتحدة على توريد الأسلحة لكل من الجانبين المتحاربين بل تعداها أيضا إلى تزويد بغداد ــ وأحيانا ايران بالمعلومات السرية . ويذكر أحد كبار الرسميين الأردنيين فى فبراير ١٩٩١ كيف أن الولايات المتحدة تتهم الأردن بأنها حليفة لصدام حسين الملعون فى حين أنه فى الأيام الخوالى كانت الأردن هى طريق معلومات المخابرات إلى صدام حسين ويقول « كانت المعلومات فى السنتين الأولتين تمر خلالنا عبر السفارتين الأمريكيتين فى الأردن والعراق » . وقد أدت هذه المعلومات ــ فى فبراير ١٩٨٦ ــ إلى كارثة عسكرية للعراق حيث اعتمد العراق على معلومات من المخابرات الأمريكية واتضح بعد ذلك أنها خاطئة واعتقد صدام أن هذا الخطأ مقصود من الأمريكيين خصوصا بعد أن وافق « ريجان » فى أواخر يناير سنة ١٩٨٦ على أن تعطى ايران معلومات عن المواقع العراقية .

وليس غريبا فى خضم هذه المعمعة من العمليات الخفية بين أمريكا ووكلائها المتحاربين أن تقوم اسرائيل بضرب المفاعل الذرى العراقى فى يونيو ١٩٨١ بمساعدة الأمريكيين وقد بنى الفرنسيون هذا المفاعل للعراقيين على نفس نمط مفاعل ديمونة الإسرائيلى فى صحراء النقب . ويعتقد الإسرائيليون أن العراق كان سيستخدم أول قنبلة ذرية ينتجها ضد الإيرانيين . ولم تكن الغارة الإسرائيلية على المفاعل العراقى مفاجأة لأمريكا . فقد توقعتها الوكالة الأمريكية للمخابرات قبل حدوثها بعشرة شهور وزودت اسرائيل بالصور الملتقطة بالأقمار الصناعية للمفاعل .

يروى « ياهوشوا ساجى Yehoushua Saguy" رئيس المخابرات الحربية الإسرائيلية ذكرياته عن هذا الحادث فيقول « كان » بيل كاسى Bill Casey" رئيس الوكالة أكثر تعاونا معنا من الرئيس الذى سبقه (ستنانسفيلد تيرنر Stansfield Turner) فقد أعاد إلينا الأيام الخوالى حين كان جيمس انجلتون رئيسا للوكالة (جيمس انجلتون يعتبره الإسرائيليون صديقا لإسرائيل ــ راجع الفصل الأول) . وقد يسر لنا الإطلاع على جميع الصور التى لم يكن « تيرنر » يسمح لنا بالإطلاع عليها » كان « الكساندر هيج Alexander Haig" وزيرا فى عهد الرئيس ريجان وانضم إلى مجموعة أصدقاء اسرائيل أمثال « انجلتون » و« كاسى » وكانت حجته فى ذلك أن اسرائيل ضد الشيوعية ولم يعترض الإسرائيليون على ذلك ــ رغم عدم دقة الوصف ــ وقد صرح ياكوف ميريدور Yaakov Meridor" وزير الإقتصاد الإسرائيلى فى عام ١٩٨١ أن « اسرائيل ستكون وكيلة للولايات المتحدة الأمريكية » وكان يعنى بذلك أن اسرائيل يمكنها بيع السلاح فى المناطق التى لا تستطيع أمريكا أن تبيع فيها . ولم يمانع « بيجين » فى قيام حرب ضد أعداء اسرائيل على الحدود الشمالية مع أحد وكلاء

الروس .

وقد سُرَّ الإسرائيليون عندما قام الكساندر هيج بزيارة اسرائيل فى ابريل عام ١٩٨١ وقال عن السوريين أنهم أكثر من عملاء للروس وقد قال بيجين تعليقا على هذا الكلام «يقول بن جوريون دائما أنه فى حالة الرغبة فى القيام بحرب فانه من الأهمية بمكان أن تساندك إحدى القوى العظمى» . وكان بيجين يقصد بالحرب «حرب لبنان» فإن أطماع «بيجين» فى هذه البلد الممزق بالحرب الداخلية لم ترتدع بعد أن أمر كارتر اسرائيل بالإنسحاب منها فى عام ١٩٧٨ فقد كان بيجين يرغب فى أن يجعل من لبنان دولة عميلة تأتمر بأمره . وقد قال «بن جوريون» فى مذكراته بعد تسعة أيام فقط من إعلان استقلال اسرائيل فى عام ١٩٤٨ «إن نقطة الضعف فى الوحدة العربية هى لبنان . فالحكم الإسلامى غير جيد ويمكن التغلب عليه ويجب أن تكون هناك حكومة مسيحية حدودها الجنوبية نهر الليطانى وعندئذ نوقع معها معاهدة» . وقد قامت حروب عديدة فى ربع القرن التالى ولكن فكرة وجود دولة عميلة على الحدود الشمالية لم تغادر فكر اسرائيل . وعندما بدأت لبنان تتمزق فى عام ١٩٧٥ قامت حكومة العمال فى اسرائيل التى كانت فى الحكم بمساندة عائلة الجميّل وحزب الكتائب الذى أسسه «بيير الجميّل» بعد رحلة إلى ألمانيا النازية فى عام ١٩٣٦ وأمدته بالدبابات والمدافع . وقد ذلك بالنسبة لهؤلاء المسيحيين فرصة تمكنهم من التعامل مع الأغلبية المسلمة . ورأى الفلسطينيون والسوريون فى هذا فرصة لإحراز بعض المكاسب على حساب لبنان . ويرجع السبب فى تدخل السوريين إلى «هنرى كيسنجر» الذى فزع من تدخل الجناح اليسارى لمنظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان فحرص الرئيس «حافظ الأسد» كى يناصر المسيحيين وفى نفس الوقت أقنع اسرائيل على قبول هذا التدخل وطلب من المسيحيين فى لبنان اللجوء لإسرائيل لحمايتهم وذلك عن طريق وساطة «بشير الجميّل» الذى كان من عملاء وكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A.) عندما كان يعمل بالمحاماة فى واشنطن فى أوائل السبعينات .

وقد أظهر حزب الكتائب مقدرة فائقة فى اجتذاب تعاطف الإسرائيليين معهم . فقد كونوا فى عام ١٩٧٥ مجموعة خاصة لدراسة نقط الضعف وطرق تفكير كبار القادة الإسرائيليون وساستهم حتى إذا ماتقابلوا مع أحد منهم يمكنهم أن يتملقوه ويجعلوه يتعاطف معهم فقد عرفوا ــ مثلا ــ عن «شارون» حُبَّهُ للطعام وخصوصا الجنبرى وبالغوا فى إطعامه بطعام جيد كلما قام بزيارتهم . ويعتقد بعض الإسرائيليون أن الموساد قد أمد حزب الكتائب بمعلومات خاصة عن شارون وآخرين وقد رحب رجال الموساد بالتعاون مع حزب الكتائب على أساس أن ذلك سوف يسهل لهم السيطرة على لبنان . ولم يزعجهم حقيقة أن المسيحيين يشكلون أقلية فى لبنان وضربوا مثلا بسوريا حيث يحكم حافظ

الأسد رغم أن يمثل جماعة دينية لا يزيد تعدادها عن ١٠٪ من تعداد سوريا . وكان «ديفيد كمش» ـ الذى وصل إلى نائب رئيس الموساد فى هذا الوقت ـ من أشهر المتحمسين لمناصرة الكتائب رغم أن رئيس الموساد نفسه «اسحق حوفى "Yitzhak Hofi" لم يكن يشاركه هذا الحماس . ويعتقد «كمش» أن المسيحيين يشبهون جزيرة متحضرة فى وسط بحر عدائى من المسلمين . رغم أن زعيمهم بشير الجميّل له ماض طويل من العنف والقسوة ولاتزال أنباء المذبحة التى قادها ضد إحدى العائلات المنافسة وقتل فيها نساء وأطفال عالقة بالأذهان ولكن كل ذلك لم يؤثر فى «كمش» وهذا ليس بغريب عليه فإنه أيضا لم يتأثر بما قام به شاه إيران أو موبوتو من أعمال وحشية مشابهة .

لم يكن حزب الكتائب يرى فى الإسرائيليون أنهم أقلية مضطهدة فإسرائيل ـ بالنسبة لهم هى حليف لأكبر قوة عظمى فى العالم ويتذكر كمش ـ وعلى فمه ابتسامة ماقاله بيير الجميل له فى يوم ما «بعض الناس يظنون أن اسرائيل إحدى مستعمرات الولايات المتحدة . هذا كلام فارغ . كيف يقولون ذلك؟ إن الولايات المتحدة هى إحدى مستعمرات اسرائيل . ويجب عليهم أن يفهموا ذلك» !

وعندما وصل «شارون» إلى وزارة الحربية فى يوليو عام ١٩٨١ قام بتعضيد خطة «كمش» بالنسبة للبنان . فبعد شهرين من توليه الوزارة قام برسم خطة للهجوم على جنوب لبنان ليس فقط لطرد منظمة التحرير الفلسطينية والسوريين من بيروت بل أيضا لكى يقيم حكومة موالية لإسرائيل يوقع معها معاهدة سلام . ولم يجعل «شارون» خطته سرا بل صرح بها علنا فى مكتبه فى يناير سنة ١٩٨٢ وقال أنه لن يكتفى بغزو لبنان بل سيغزو سوريا أيضا . وأعلن فى نهاية الشهر أن الهجوم سيصدر وشيكا ودعا أحد الصحفيين من أصدقائه أن يرافقه عندما يقوم بالهجوم . وتحدد يوم ٦ فبراير ميعادا للهجوم ولو أنه لم يصرح بذلك علنا .

علم الأمريكيون بنبأ الهجوم المرتقب فقد ذكر «بيجين» «لهيج» أن إسرائيل تعتزم القيام «بعمل رئيسى» فى «لبنان» وكان «بشير الجميّل» أحد عملاء الوكالة الأمريكية . فعلمت واشنطن بتفاصيل الهجوم بما فيه الموعد المزمع فيه التنفيذ ولما علم الإسرائيليون أن الأمريكيون قد عرفوا تفاصيل الهجوم المرتقب قاموا بإلغاء الخطة بالكامل . ففى ذلك الوقت لم يكن الإسرائيليون قد اتموا انسحابهم من سيناء . وكانت أمريكا لاترغب فى أحداث أى هزة للإتفاق المصرى ـ الإسرائيلى بغزو اسرائيل لجنوب لبنان وقد أوضح «هيج» هذه النقطة لرئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية «ياهوشوا ساجى "Yehisua Saguy" عند اجتماعه به فى فبراير . وقد اتمت اسرائيل انسحابها من سيناء فى إبريل .

قام شارون وبرفقته الجنرال «تامير "Tamir" برحلة إلى الولايات المتحدة فى مايو

سنة ١٩٨٢ وكان الغرض الظاهر لهذه الرحلة هو جمع تبرعات من اليهود الأمريكيين ولكن الأهم من ذلك هو الإجتماع مع «هيج» لدراسة الوضع فى لبنان والمواضيع ذات الإهتمام المشترك بين أمريكا واسرائيل . وكانت العلاقات حينئذ ممتازة فتوريد الأسلحة فى النصف الأول من عام ٨٢ كان يزيد بنسبة ٥٠٪ عن عام ٨١ وعشرة أضعاف عام ١٩٨٠ . ويقول يتامير » كانت لدينا ثلاثة مشاكل فقد طلب منا البليونير الزائيرى «موبوتو» أن نساعده فى الحصول على معونة من الكونجرس الأمريكى . ويفخر «تامير» أنه استطاع حل هذه المشكلة . وكانت المشكلة التالية هى حرب العراق وايران وتوريد اسرائيل الأسلحة لإيران وقد كرر «هيج» أن سياسة الولايات المتحدة هى منع أى جانب منهما أن ينتصر . (بعد الإجتماع ظهر شارون فى التليفزيون وقال بصراحة أن اسرائيل تبيع الأسلحة لإيران بموافقة الولايات المتحدة مما دعا الحكومة الأمريكية أن تنفى ذلك) . ثم انتقلت المناقشة إلى لبنان.

وقد أثار ماقاله هيج لشارون بخصوص لبنان مناقشات صاخبة فقد نفى «هيج» بشدة أنه أعطى الضوء الأخضر لشارون للغزو ولكنه فى الوقت نفسه أعلن بطريق غير مباشر موافقته على الغزو حيث قال : «لقد وضّح لى الإسرائيليون أن صبرهم قد نفذ وأنهم عند أى استفزاز (يقصد عند أى عمل عسكرى من الفلسطينيين ضدهم) . سوف يردون . ونحن نعلم ذلك والرئيس يعلم ذلك أيضا . وبهذا التصريح فإن هيج تعمد أن يتجاهل اتفاق وقف إطلاق النار الذى أبرمه الأمريكى «فيليب حبيب» مع «ياسر عرفات» وتعهد فيه «عرفات» بعدم القيام بأى أعمال عدائية ضد اسرائيل على الحدود اللبنانية فى يوليو ١٩٨١ . وقد حافظ «عرفات» على وعده فعلا . وقد اغتاظت من ذلك اسرائيل إذا أنها كانت دائما تدعى أن الفدائيين لايمكن التفاوض معهم ولايحترمون اتفاقياتهم وهاهو «عرفات» يؤكد عكس ذلك تماما ويتصرف تصرف الدول التى تحافظ على تعهداتها . ويقول المراقبون أن هذا هو السبب الرئيسى الذى دعا اسرائيل لغزو لبنان . ويعترف «تامير» أن «شارون» كان يعمل كل مافى وسعه قبل الحرب بشهور لكى يخلخل اتفاق «فيليب حبيب» مع عرفات حيث قام بضرب مواقع الفدائيين الفلسطينيين فى لبنان بالقنابل فى أوائل عام ١٩٨٢ .

أخطر «شارون» «هيج» بأن اسرائيل على وشك الحرب وأنها قد تضطر لدخول سوريا أيضا وأوضح أن جيش الدفاع الإسرائيلى سوف يعمل مافى وسعه ليحطم منظمة التحرير الفلسطينية واقترح «هيج» عملية استئصال سريعة وقال «نحن نريد عملية صغيرة» وفهم «هيج» أن مفتاح لبنان هو سوريا ولذلك سوف تهاجم سوريا أيضا .

وهكذا رجع الوفد الإسرائيلى مسرورا . فقد وافق «هيج» على العمية وأعطاهم الضوء الأخضر . وكل ماهو مطلوب الآن هو إيجاد سبب يبرر الهجوم بطريقة ما . وسافر

«شارون» وبعض رفاقه فى رحلة إلى رومانيا فى ضيافة رئيسها شاوشيسكو الذى يعتبرونه صديقا لإسرائيل . وفى الثالث من يونيو بينما شارون لايزال فى رومانيا قام «أبو نضال» ـ زعيم الجماعة المتطرفة الفلسطينية وعدو عرفات اللدود ـ بمحاولة لإغتيال السفير الإسرائيلى فى لندن . وكان هذا هو السبب الذى ظلوا ينتظرونه طويلا . فبدأت المدفعية الإسرائيلية تقصف جنوب لبنان بالقنابل وأرسلوا طائرة حربية على عجل لتحضر شارون . وعبرت القوات الإسرائيلية حدود لبنان فى السادس من يونيو.

ومما يثير الدهشة أن الإسرائيليين ربما كانوا متوافقين ـ دون أن يدروا ـ مع صدام حسين . فقد اتضح أن بالمجموعة الفدائية التى قامت بمحاولة قتل السفير الإسرائيلى فى لندن ضابطا بالمخابرات العراقية . وربما قصد «صدام حسين» ذلك كى يجعل اسرائيل تعجّل بغزو لبنان على أمل أن يوافق الإيرانيون على وقف إطلاق النار مع العراق كى يواجهوا معا العدو المشترك ـ اسرائيل . وعلى أى الحالات فمن الواضح أن اسرائيل كانت قد أخذت الضوء الأخضر لغزو لبنان من أمريكا تماما كما أخذته قُبَيْل الحرب الإسرائيلية المصرية فى عام ١٩٦٧ . ولم تكن أمريكا تتصور حجم حرب ١٩٦٧ ولكنها فى حالة حرب لبنان كانت تعلم أن الجيش الإسرائيلى سوف يصل إلى بيروت ليحطم الجيش السورى فى لبنان أولا ثم منظمة التحرير الفلسطينية . ولم يكن «هيج» يفهم شخصية «إريك شارون» الذى يتفاوض معه . فقد وصف «شارون» أحد المؤرخين الإسرائيليين بأنه : «مخادع ، كثير الحيل ، جلف ، أنانى ، ومختل عقليا» ويؤيد هذه الصفات ما فعله فى غزو لبنان وعلى أى الحالات فقد بقى حب «شارون» للسلطة سرا لا يعرفه إلا بعض المقربين من رجال الأمن . وقد حاول شارون فى يونيو ١٩٨٢ أن يسيطر على ترسانة الأسلحة النووية الإسرائيلية .

وكانت تسيطر على الأسلحة النووية الإسرائيلية لجنة مكونة من ثلاثة أشخاص : رئيس الوزراء ، وزير الدفاع ، ورئيس الموساد ولا يستطيع أى واحد منهم منفردا أن يطلق سلاحا ذريا . ويعتقد البعض أن اسرائيل ستستعمل سلاحها الذرى أما بإلقائه من الجو أو بإطلاق صاروخ يحمل رأسا نووية . ولكن حرب «يوم كيبور» حينما كاد السوريين أن يدخلوا شمال اسرائيل علمت الإسرائيليين أن يصنعوا «ألغاما نووية» وزرعوها فى مرتفعات الجولان ليحولوا دون تقدم السوريين .

ويقول أحد كبار المسئولين الأمريكيين المهتم بالأمور الإسرائيلية أن «شارون» ذهب إلى «بيجين» فى أول يوم من حرب لبنان وأخبره أنهم يواجهون موقفا صعبا فقد يهجم السوريون فى أى لحظة على «الجولان» . ولما كان الموقف يمكن أن يتطور بسرعة من دقيقة إلى أخرى وسوف يكون من الصعب على وزير الدفاع ـ شارون ـ الإتصال سريعا برئيس الموساد ـ «اسحق حوفى» الذى يكره شارون ـ فإنه يقترح على بيجين أن يحمله هو ـ

شارون ـ وحده هو المسئول عن إطلاق الأسلحة النووية.

وبالرغم من تأييد بجين لجميع خطط «شارون» فيما يتعلق بالحرب فإنه رفض الموافقة على هذا الإقتراح.

وسارت حرب لبنان مثل معظم الحروب التى سبقتها. قوة ضاربة قوية اسرائيلية تتقدم على الطريق الساحلى جنوب «بيروت» لتصل مع القوات المسيحية وتقطع خطر الرجعة على القوات السورية وقوات أخرى فى جبل الشوف ـ معقل الدروز ـ لتقطع طريق بيروت ـ دمشق . وقوة أخرى إلى الشرق لطرد السوريين من سهل البقاع حتى «بعلبك».

ولقد ظهر للعالم الخارجى أن اسرائيل انتصرت على الجيوش السورية ـ بفضل الأسلحة الأمريكية ـ وقد كتب مندوب «البنتاجون» فى الجيش الإسرائيلى تقريرا قال فيه «لقد تبين أن الأسلحة والتكتيك الأمريكى الذى استعمله الجيش الإسرائيلى يمكنه التغلب بسهولة على المقاتلات الروسية والصواريخ التى استعملها الجيش السورى» وكان الإسرائيليون حريصين على أن يأخذ الأمريكيون هذا الإنطباع عن أسلحتهم ووضعوا خططهم على هذا الأساس.

أما مالم يعرفه العالم الخارجى ـ فى هذه الأثناء ـ فهو أن الجيش الإسرائيلى فى معركة لبنان لم يكن هو الجيش الإسرائيلى الذى حارب ـ معركة ١٩٦٧ والذى اعتبرته الولايات المتحدة «مكسبا استراتيجيا» لها. فقد كان المفروض أن يتقدم الجيش الإسرائيلى ليصل ـ على محاوره الثلاثة ـ إلى هدفه فى خلال أربعة أيام. ولكنه فشل فى ذلك. فقد هاجم السوريون الفرقة المدرعة الإسرائيلية وهزموها عند بلدة «السلطان يعقوب» وفشلت أيضا محاولة قطع طريق بيروت ـ دمشق. وتأخر الإتصال بالمسيحيين بسبب شدة مقاومة الفدائيين الفلسطينيين وميليشيا الشيعة.

وبينما كان الجيش الإسرائيلى يتلقى هذه الهزائم كانت اسرائيل تتلقى أيضا هزيمة فى ناحية أخرى لم يسبق لها أن هزمت فيها من قبل وهى «العلاقات العامة».

فعندما غزت اسرائيل لبنان فى عام ١٩٨٢ كان على الجانب الآخر ـ فى لبنان ـ جيش من الصحفيين والمراسلين الأجانب ومعهم اتصالاتهم السلكية واللاسلكية والتليفزيونية عن طريق الأقمار الصناعية. ولما كان الجيش الإسرائيلى لا يفرق فى حربه بين الأهداف المدنية والعسكرية أو بين المدنيين والجيش فقد تكومت فى الحرب اللبنانية أكوام من جثث المدنيين أمام أعين الصحفيين والمراسلين الأجانب وطيَّرت وسائل الإعلام الصوتية والمرئية هذه الصور البشعة فى العالم أجمع. ورغم حرص وسائل الإعلام الأمريكيين على عدم نشر هذه الصور المثيرة للغثيان لأطفال ونساء وشيوخ وقد تناثرت جثثهم فى الشوارع والمدارس فقد استطاع البعض نشرها بطريقة أثارت سخط الرأى العام الأمريكى والإدارة الأمريكية وألقوا اللوم على «ألكساندر هيج» الذى أعطى اسرائيل الضوء الأخضر لبدء

هذه المذبحة كما لو أن موافقته هي الأولى من نوعها في تاريخ العلاقات الأمريكية الإسرائيلية وأخيرا استغنى عنه « ريجان » في ٢٣ يونيو ١٩٨٢ .

ولم يكن لرحيل أكبر مناصر لإسرائيل في أمريكا أي أثر في الحرب اللبنانية فبالرغم من أن السوريين لم يتم طردهم من لبنان فقد كان من الممكن لإسرائيل طرد رجال منظمة التحرير الفلسطينية وإقامة حكومة مسيحية عميلة في لبنان . وقد حاصرت قوات اسرائيل بيروت طوال شهري يوليو وأغسطس وأمطرتها بالقنابل . وأخيرا وافقت منظمة التحرير الفلسطينية على مغادرة بيروت بعد مفاوضات مع « فيليب حبيب » وتحت اشراف قوات الأمم المتحدة . وقد أرسلت أمريكا وحدة من مشاة البحرية للمساعدة وهي أول مرة منذ عام ٥٨ ترسل فيها الولايات المتحدة قوات عسكرية إلى الشرق الأوسط .

وبينما تعرض وزير الدفاع الإسرائيلي للنقد العام فقد بقي الموساد بعيدا ـ رغم أنه كان من أكبر المشجعين للغزو ـ وأخيرا تحقق حلم اسرائيل في ٢٣ اغسطس سنة ١٩٨٢ فبعد مزيد من التهديد والرشاوى ومساعدة اسرائيل لجمع أعضاء البرلمان اللبناني بالهليوكوبتر أمكن انتخاب « بشير الجميّل » رئيسا للبنان . وبينما كانت الإنتخابات لرئيس الجمهورية دائرة داخل البرلمان كان هناك ستة أشخاص مسلحين في ساحته الخارجية . ثلاثة منهم من حرس بشير الخاص والثلاثة الآخرون من الموساد . وعندما أعلن الراديو نبأ انتخاب « بشير » لرئيسا لجمهورية لبنان أطلق أحد رجال الموساد طلقات مدفعه « الكلاشينكوف » في الهواء ابتهاجا بينما رقص الباقون رقصات تعبر عن الفرج الهستيري وهم يحتضنون بعضهم البعض .

وقد انتهى شهر العسل سريعا بعد ثلاثة أسابيع عندما إنفجرت قنبلة في مكتب بشير الجميّل وهو داخله وقتلته . وأدى مقتل « بشير » ـ بتدبير من السوريين ـ إلى قرار من إسرائيل باحتلال غرب بيروت . ولما كان الأمريكيون قد قاموا بإجلاء الفدائيين من منظمة التحرير الفلسطينية فقد خلا الجو لإسرائيل وأفسحوا الطريق للإرهابيين من حزب الكتائب لدخول معسكري « صبرا » و « شاتيلا » حيث أعملوا القتل والذبح في السكان العزل وذلك تحت سمع وبصر نقط المراقبة الإسرائيلية الذين ساعدوهم بإنارة المنطقة بالكشافات . وقام رئيس الأركان الإسرائيلي « رافيل إيتان » بعد يوم واحد من ابتداء المذبحة بتهنئة قائد الكتائب على « قيامه بعمل جيد » وأقرضه « بلدوزر » ليتمكن من حفر قبور جماعية للقتلى وصرح له بالبقاء لمدة ١٢ ساعة أخرى في المعسكر .

وبإنتهاء المذبحة بدأ كأن الخطة العظيمة التي كانت في مخيلة اسرائيل بالنسبة للبنان قد انهارت . فقد استشاط العالم غضبا عند علمه بأنباء المذبحة ـ وكذلك جزء كبير من المجتمع الإسرائيلي ـ وشكلت الحكومة الإسرائيلية لجنة لتقصى الحقائق ألقت

المسئولية ـ بصفة غير مباشرة ـ على بعض أعضاء القيادة العليا وأهمهم «شارون» الذى إضطر أن يستقيل من وزارة الدفاع وإن كان لم يترك الحكومة .

ورغم أن ثلاثة من المسئولين عن غزو اسرائيل للبنان قد ذهبوا وهم «الكساندر هيج» و«بشير الجميل» و«إريك شارون» إلا أن ذلك لم يكن له تأثير كبير . فالمغامرة اللبنانية التى ولدت نتيجة التواطؤ الإسرائيلى مع واشنطن خلقت لنفسها دفعا ذاتيا . فقد استمر الإسرائيليون فى البحث عن رئيس مسيحى «أليف» وبذل «دافيد كمش» ـ وقد أصبح مديرا عاما فى وزارة الخارجية ـ وبجواره «ابراهام تامير» كل الجهود فى هذا الشأن . وأعاد الأمريكيون مشاه البحرية ثانية بعد المذبحة فى حين حاول جورج شولتز ـ الذى عين بدلا من «هيج» ـ بدء حوار بين اللبنانيين والإسرائيليين وكانت محصلة الحرب اللبنانية ـ التى روج لها خلال فترة حكم ريجان بأنها ستكون لمقاومة التأثير الشيوعى ـ كانت المحصلة أ ن تبع الأمريكيون الإسرائيليين فى خروجهم من لبنان وأصبحوا مسئولين بصفة مباشرة عن الحرب الأهلية فى لبنان مما كان له آثار كبيرة مدمرة . وبداية هذه الآثار المدمرة كانت فى ابريل سنة ١٩٨٣ حينما دمرت قنبلة انتحارية مبنى السفارة الأمريكية فى بيروت وقتل فيها بعض رجال وكالة المخابرات الأمريكية الذين كانوا فى إجتماع داخلها . وهناك ظلال من الشك تحوم حول أن الموساد هو الذى دبر هذا الإنفجار ليتخلص من وكالة المخابرات الأمريكية وينفرد هو وحده بأسرار الشرق الأوسط ويقول «تامير» عن شولتز باحتقار «إن «شولتز» لا يعرف خريطة الشرق الأوسط ، إنه يعتقد أن بإمكانه عزل سوريا» وقد كان شولتز قد نجح فى مايو ١٩٨٣ ـ بعد أن خلف هيج فى منصبه ـ فى أن يبرم اتفاقا للسلام بين الإسرائيليين و«أمين الجميل» الذى خلف أخاه «بشير» فى رئاسة الجمهورية . وذهب بعد ذلك إلى دمشق لدراسة الموقف مع «حافظ الأسد» وقد أبدى «حافظ الأسد» احتقارا شديدا للوزير الأمريكى «شولتز» وبدلا من دراسة إمكانيات إحلال السلام أخذ «حافظ الأسد» يتكلم مع «شولتز» عن الحرب الصليبية فى الوقت الذى كان أحفاده يدخلون ويخرجون من غرفة الإجتماع ويلعبون مع كلابهم . بإختصار كان هذا الإجتماع عبارة عن «دش بارد» لشولتز.

وهكذا انتهت آمال الأمريكيين بإحراز نصر كبير فى الحرب الباردة عن طريق غزو لبنان وذلك بإنسحاب الإسرائيليين فى سبتمبر ١٩٨٣ تاركين حلفاءهم من الكتائب تحت رحمة الدروز فى جبل الشوف وعادوا إلى حدودهم . وفى السنة التالية ونظرا لخسائر الجسيمة التى كانت ميليشيا الشيعة تكبدها للإسرائيليين انسحبت القوات الإسرائيلية إلى منطقة أكثر أمنا تبعد ٥ أميال عن حدودها الشمالية . وبهذا أصبحت قوات مشاة البحرية الأمريكية هى القوات الوحيدة التى تحمى حكومة «الجميل» . ولم يغب ذلك عن القوات المسلحة التى تحارب الجميل فركزت هجماتها على قوة «السلام» الأمريكية

المرابطة فى مطار بيروت .

وعين الرئيس ريجان « روبرت ماكفرلين Robert Mc Farlane " مسئولا عن مفاوضات السلام فى الشرق الأوسط . وبدأ ماكفرلين نشاطه بضرب ميليشيا المسلمين بمدافع الأسطول السادس ـ كما لو كان ليس لديه مشاكل أخرى ـ فى ١٩ سبتمبر ١٩٨٣ .

و« ماكفرلين » كولونيل سابق فى البحرية وقد اهتم بالشرق الأوسط من قبل أن يصعد « ريجان » إلى الحكم . وقد كان أحد الذين عينهم « ريجان » لمفاوضة الإيرانيين للإفراج عن الرهائن الأمريكية فى أكتوبر ١٩٨٠ . وشخصيته غير مستقرة . وله أراء غريبة عن استراتيجية الشرق الأوسط . ووجد فى «دافيد كمش» ـ عندما كان ماكفرلين مستشارا للدولة فى أوائل الثمانينات ـ مستمعا وصديقا له . ويذكر كمش ـ عندما كان مديرا عاما بوزارة الخارجية الإسرائيلية بعد عام ١٩٨٢ أنه كان يعقد مناقشات حامية مع « ماكفرلين » حول أجزاء كثيرة من العالم . وكانا يناقشان مشاكل العالم الثالث والشرق الأوسط وغيرها . وكان ماكفرلين هو دائما البادىء بالمناقشات . وقديما كانت هذه المناقشات تدور بين رجال المخابرات وداخل حجراتهم المغلقة ولكن الآن أصبح رجال مثل « هيج » و« ماكفرلين » يناقشونها مع أمثال «كمش» الذين أصبحوا رجالا مسئولين فى غفلة من الزمن ومثل هذه المناقشات السياسية عن كيفية أحلال السلام فى لبنان لايمكن فصلها عن العمليات السرية التى تتم فى الخفاء مثل التورط فى الحرب الإيرانية العراقية .

وبمرور الوقت أصبح ماكفرلين مهتما بعالم السياسة وعالم المخابرات معاً . فقد ورث نتائج غزو شارون والموساد للبنان بصفته المفاوض الرئيسى فى الشرق الأوسط . وبينما كان «كمشى» يحاول أن يقنع « أمين الجميل » بالوقوف فى وجه السوريين كان « ماكفرلين » يحاول نفس المحاولة ولكن عن طريق المدافع الضخمة للبارجة العجوز « نيوجرسى "New Jersey . وقد باءت كلتا المحاولتين بالفشل ولكن أمريكا هى التى دفعت الثمن . فقد دفع الفدائيون بسيارة نقل ضخمة محملة بالديناميت فى ٢٣ أكتوبر ١٩٨٣ يقودها سائق انتحارى اخترق بها حاجز الحراسة البسيط حول معسكرات مشاه البحرية الأمريكية فى مطار بيروت وانفجرت داخل المبنى الذى يضم عنابر نومهم وهم نيام فى الفجر وقتلت ٢٤١ جنديا ماتوا جميعا دون أن يفهموا لماذا هم فى لبنان على الإطلاق ويقول « فتكور استروفسكى Victor Oatrovsky" وهو أحد الضباط السابقين بالموساد ـ وقد حاولت اسرائيل منعه من أن يقول أى شىء عن الموساد ولم تفلح ـ أن مكتب الموساد فى بيروت قد بلغه ـ عن طريق أحد الجواسيس ـ أن ميليشيا الشيعة تدبر سيارة ملغومة كبيرة الحجم . وتوقع الموساد أن مشاة البحرية هى الهدف ولكنهم قرروا عدم اخطار الأمريكيين بالأمر حماية لجاسوسهم ونكاية فى الأمريكيين أنفسهم لأنهم دسوا أنفسهم فى مشكلة بيروت وعليهم إذن أن يتحملوا العواقب .

انسحبت القوات الأمريكية من بيروت فى فبراير ١٩٨٤ ولكن ذلك لم يعف حكومة ريجان من عواقب المغامرة المشتركة بينها وبين الإسرائيليين وكان عليهم أن يكونوا أكثر حرصا من ذلك خصوصا وأن حركات الإختطاف للرعايا الأمريكيين سبقت أعمال العنف وكان أول من كان ضمن المختطفين «وليم بكلى Wiliam Buckley" رئيس مكتب المخابرات الأمريكية فى بيروت أثناء سيره بدون تحفظ إلى مكتبه .

أصبحت كلمة «رهينة» تعطى انطباعا مخيفا أثناء انتخابات ١٩٨٠ فى السياسة الأمريكية . ورغم أن رهائن بيروت لم يكونوا فى حجم رهائن طهران إلا أنهم سببوا انزعاجا شديدا للحكومة الأمريكية . وقد تزايد هذا الإنزعاج بعد أن قامت ميليشيا الشيعة بإختطاف طائرة (TWA) فى يونيو ١٩٨٥ وداروا بها حول البحر الأبيض المتوسط وانتهى المطاف بها للهبوط فى مطار بيروت . وقد أنتهت المشكلة بعد أن تدخلت اسرائيل وايران فى حلها . فقد وافقت اسرائيل ـ دون أن تعلن ذلك على الملا ـ على الأفراج عن الأسرى الشيعة لديها. وقامت ايران بالضغط على أصدقائها الشيعة للإفراج عن الطائرة وركابها . وغادرت الطائرة المطار بركابها فيما عدا أحد جنود البحرية الذى قتله المختطفون . واستقبلهم رئيس الولايات المتحدة فى أمريكا استقبالا حارا ، فقد كان الدبلوماسيون المحتجزون فى طهران يسببون مشكلة كبرى لأمريكا وكانت على إستعداد لبذل أقصى جهد لها لحل مشكلة بيروت حتى لا تتكرر مشكلة طهران .

وأصبح المختطفون والخاطفون يشكلون عقدة لأمريكا . وساعدت هذه العقدة فى تزييت» العلاقات بين الولايات المتحدة والمخابرات الإسرائيلية . فقد كان «أوليفر نورث "Oliver North" من المخابرات الأمريكية على إتصال دائم بالمخابرات الإسرائيلية أثناء حادث إختطاف الباخرة الإيطالية «اكيلى لاورو Achille Lauro" فى أكتوبر ١٩٨٥ . ويفخر الإسرائيليون أنهم أمدوا «نورث» بكل المعلومات عن المختطفين قبل أن تتمكن المخابرات الأمريكية من معرفة شىء عنهم . ولما كانت خبرة الإسرائيليين فى مقاومة الإرهاب لايمكن إنكارها فقد حاولت الولايات المتحدة التشبه بهم وامتلأت فرق الجيش الأمريكى بوحدات مقاومة الإرهاب وكونت البحرية إدارة للإنذار المبكر للإرهاب مما مكن للجاسوس اليهودى الأمريكى «جوناثان بولارد» من تزويد الإسرائيليين بمعلومات كثيرة وخطيرة (راجع الفصل الثامن) .

امتلأت بيروت بالفرق الأمريكية المختلفة لمكافحة الإرهاب فى محاولة لإنقاذ الرهائن الأمريكيين منها «فرقة دلتا Delta Force U.S.Army" وفرقة «سباع البحر "Navys Seals من البحرية الأمريكية ولكنهم فشلو جميعا فى انقاذهم أو حتى على الأقل معرفة مكانهم فالفرق السرية كانت موجودة فى بيروت الشرقية (المسيحية) والأسرى كانوا محتجزين فى بيروت الغربية (المسلمة) والذين يعرفون بيروت يؤكدون أنه من المستحيل

وضع خطط فى شرق بيروت لتنفيذها فى غرب بيروت . ويزعم «استروفسكى» أن الموساد كان يعلم أين يحتجز الرهائن الأمريكيين ولكنه لم يبح بهذا السر حتى بعد أن أمرهم رئيس الوزراء «بيريز» بذلك .

ومن حسن حظ الرهائن ، أن المخططين فى واشنطن قرروا عدم استعمال القوة والعمل على استعمال الدهاء والرشوة لإنقاذهم وقد أظهرت حادثة اختطاف طائرة (TWA) كيف يمكن الإستفادة من الإيرانيين . وبدأوا يبذلون جهودهم كى يتدخل الإيرانيون لإنقاذ الرهائن خصوصا «وليم بكلى» ضابط الوكالة . وحتى هذه اللحظة كان الأمريكيون يغضون النظر عن تجارة الأسلحة المزدهرة بين اسرائيل وايران طالما كان هناك «وسيلة للمراقبة» لمعرفة كميه هذه الشحنات . وبسبب حجم التعامل كان يوجد فى تل أبيب عدد لا بأس به من تجار السلاح الأيرانيين لدرجة أن اسرائيل أنشات مكتبا خاصا فى قبرص للتعامل معهم . وكانت البضاعة المصدرة تشمل أسلحة اسرائيلية المنشأ بالإضافة إلى أسلحة أخرى يحصلون عليها من خلال اسرائيل .

تبدو عملية «إيران جيت Irangate" لبعض الإسرائيليون عملية مثيرة للضيق بين كثير من العمليات المربحة ويروى الجنرال تامير ـ الذى أصبح مديرا لمكتب رئيس الوزراء فى نهاية عام ١٩٨٤ «أنه لم يتغير شىء حتى عام ١٩٨٥ فقد استمرت اسرائيل تورد السلاح إلى إيران ولكن الولايات المتحدة كانت تريد رهائنها» . وعندما أصبح الأمر معروفا ومثيرا للحرج ظهرت فكرة «الرهائن مقابل السلاح» ويدعى ماكفرلين أن الفكرة نشأت أساسا من الإسرائيليين وأن «دافيد كمش» هو أول من طرح هذه الفكرة له فى يوليو وأوائل أغسطس سنة ١٩٨٥ . وقد قال له «كمش» أن الإيرانيين يرغبون فى الحصول على صواريخ «تو TOW" المضادة للدبابات واقترح كمش أن عدد ١٠٠ صاروخ من هذا الطراز كفيلة بالإفراج عن الرهائن . ورأى بعض الإيرانيين أن مثل هذا الإتصال المباشر مع الولايات المتحدة فيه فائدة لهم . وكانت الولايات المتحدة تقوم بتغذية كل من الجانبين عن طريق وكلائها . فهى التى شجعت العراق على أن تبدأ الحرب فى أول الأمر وبينما اسرائيل تقوم بتغذية الجانب الإيرانى بالأسلحة كانت المصانع المصرية تغذى العراق بالذخيرة . وخشى الإيرانيون أن تميل الولايات المتحدة إلى العراق أكثر من ذلك فقد علموا أنها منحت العراق قرضا بفائدة مخفضة فى عام ١٩٨٣ وأنها أعادت العلاقات الدبلوماسية بينها وبين العراق ـ بعد أن قطعت فى عام ٦٧ أثر حرب الستة أيام ـ وفى عام ١٩٨٤ . وفى نفس الوقت قامت شركة «بكتل Bechtel" وهى إحدى كبرى شركات التشييد فى أمريكا بمفاوضات كى تبنى خط أنابيب لنقل البترول من العراق عبر الأردن إلى خليج العقبة وهذا يهم العراق جدا حيث أن «حافظ الأسد» قطع خط الأنابيب الذى كان يمر عبر الأراضى السورية فى عام ١٩٨٢ . ولشركة بكتل تأثير كبير فى المجال السياسى

فقد كان كل من « جورج شولتز » و« كاسبر واينبرجر » من أعضاء مجلس إدارتها وتولى كل منهما وزارة الدفاع . وقد شجعت الإدارة الأمريكية المشروع حيث أنه سيمكن العراق من الحصول على مزيد من العملة الصعبة لتشترى به مزيدا من الأسلحة . وكان الإيرانيون يرغبون فى تحسين علاقتهم مع أمريكا ليتمكنوا من الحصول على صواريخ « تو » المضادة للدبابات الذى ذكرها « ماكفرلين » للإسرائيلى « كمشى » .

أما دوافع الإسرائيليين فكانت أكثر تعقيدا . فرغم أن عملية توريد اسرائيل للأسلحة قد بدأت قبل عام ١٩٨٤ إلا أنه فى هذا العام ـ فى أواخره ـ كانت هناك إنتخابات عامة فى إسرائيل ولم يكن الناخبون قد أفاقوا بعد من مغامرة غزو لبنان ولذلك لم يعطوا حزب الليكود ولا حزب العمال الأغلبية اللازمة فى الكينست . ولذلك اتفق كل من « اسحق شامير » و« شيمون بيريز » على أن يتبادلا المناصب دوريا . فيتولى بيريز رئاسة الوزارة لمدة سنتين يكون فيها شامير وزيرا للخارجية ثم يتبادلان موقعهما ومن الملاحظ أن الإجتماعات والرسائل والمؤامرات التى تم تسجيلها رسميا وخاصة بعملية « ايران جيت » قد تمت عندما كانت حكومة حزب العمل تتولى السلطة لأول مرة منذ عام ١٩٧٧ . ومن المعروف أن الحالة المالية للأحزاب السياسية الإسرائيلية ـ شأنها شان الأحزاب الأمريكية أيضا ـ تعانى من نقص السيولة . ومن المعروف أيضا أن تجار الأسلحة يقومون بتمويل الأحزاب السياسية لكى تسهل لهم الأعمال . ولذلك فمن الممكن أن يكون نشاط بيع الأسلحة إلى « إيران » الذى حدث فى أعقاب تولى « بيريز » السلطة له علاقة برغبته فى الحصول على بعض المال أو على الأقل لكى يجعل بعض أصدقائه أمثال « آل شفيمر » يحصلون على بعض منه . وقد ذكرت سكرتيرة « ماكفرلين » أنها لاحظت وصول رسالة عاجلة من « بيريز » إلى « ماكفرلين » حملها إليه « آل شفيمر » اليهودى الأمريكى الذى يمول « بيريز » . ومن الممكن أيضا أن « بيريز » وأصدقائه لم يجدوا لهم دورا فى تجارة الأسلحة مع إيران فارادوا المشاركة فيها واتخذوا من مسالة الرهائن غطاء لأعمالهم. وقد أيد هذا الرأى تاجر السلاح الإسرائيلى ـ وهو ضابط سابق بالموساد ـ « أريل بن مناشى "Ariel Ben Menashe" ، وقد قبضت عليه الجمارك الأمريكية لمحاولته تهريب طائرة من الولايات المتحدة إلى إيران فى عام ١٩٨٩ دورن إذن الجهات المختصة . وقد أفرجت عنه محكمة نيويورك عندما أثبت أنه كان يعمل بناء على تعليمات من الحكومة الإسرائيلية . ويؤكد « بن مناشى » أن الأسباب التى دعت « بيريز » وغيره ـ مثل « كمش » ـ يشجعون الأمريكيين على مبادلة أسراهم فى إيران بالأسلحة هى أن الموساد رفض أن يشترك رئيس الوزراء معهم فى هذه التجارة .

ومن الملاحظ أن جميع من اشتركوا فى عملية « إيران جيت » ـ أو على الأقل هؤلاء الذين عرفت أسماؤهم ـ من الجانب الإسرائيلى لم يكونوا أعضاء فى الموساد أمثال « دافيد كمش » الذى ترك الموساد منذ عام ١٩٨١ و« أميرام نير "Amiram Nir" ـ الذى كان واسطة

« بيريز » فى العملية ـ والذى عمل كمراسل تليفزيونى ثم عينه « بيريز » مستشارا له فى مقاومة الإرهاب خلفا « لرافى إينتان » .

كون الموساد وجهاز المخابرات الأسرائيلية معا مجموعة للتعامل مع إيران فى عام ١٩٨٠ . ومن المفروض أن يرجع إليهما فى حالة بيع صواريخ « هوك "Hawk" و« تو "TOW" الأمريكية إليها . ولكن جميع الوثائق الخاصة بهذا الموضوع تبين أن « بيريز » و« كمش » ـ الذى كان مديرا عاما بوزارة الخارجية ـ وكذلك « شفيمر » و« ياكوف نمرودى » هم المسئولون عن الصفقة السرية وحدهم . ولابد أن السبب هو أن الموساد والمخابرات الحربية رفضوا إدخال رئيس الوزراء الجديد وبطانته ضمن مجموعة بيع الأسلحة لإيران . وكان من جانبه على أتم استعداد لعمل أى شىء فى سبيل الحصول على المال .

وإذا عدنا ثانية إلى موضوع خط أنابيب البترول العراقى نجد أن الأمور تعقدت وخرجت عن يد شركة « بكتل » الأمريكية التى كلفت بعمل خط الأنابيب عبر الأردن والذى يتكلف حوالى مليار دولار . وتتلخص المشكلة فى أن اسرائيل تستطيع نسف هذا الخط بسهولة والعراق يريد تاكيد بأن ذلك لن يحدث . فذهبت شركة « بكتل » إلى الشخص المناسب للحصول على هذا التاكيد وهو « بروس رابابورت "Bruce Rapaport" اليهودى الصهيونى خريج عصابة الهاجاناه . وقد بنى « رابابورت » ثروته من خلال تجارته فى النفط واتخذ سويسرا مقرا له بعد أن ترك اسرائيل فى ظروف مريبة عام ١٩٥٤ .

و« شيمون بيريز » صديق حميم « لرابابورت » ويستضيفه الأخير فى قصره المنيف فى جنيف كثيرا وتبرع له بمبلغ مليون دولار فى حملته الإنتخابية فى اسرائيل عام ١٩٨٤ . ولذلك كان اختيار شركة « بكتل » موفقا حين اتخذته شريكا فى خط الأنابيب . وقد تمكن « رابابورت » ـ خلال أسبوعين من الحصول على خطاب من « بيريز » يتعهد فيه بعدم مهاجمة خط أنابيب البترول الذى يقيمه « صدام حسين » ولم يكن هذا كافيا للعراقيين فقد أرادوا نوعا من الضمان فى حالة نقض اسرائيل لوعدها . وتمكن « بيريز » و« رابابورت » من الإتصال بالمدعى العام للولايات المتحدة « ادوين ميز "Edwin Meese" من خلال صديقه « بوب والاش "Bob Walach" المحامى وحصلوا منه على منحة قدرها ٦٥ مليون دولار فى السنة لحزب العمل ـ الذى يرأسه بيريز ـ نظير وعده بعدم مهاجمة خط الأنابيب . وقام « بيريز » بتجميد مبلغ ٤٠٠ مليون دولار من معونة الولايات المتحدة لإسرائيل تدفع للعراق فى حالة مهاجمة خط الأنابيب . وتمكنوا من إدخال « روبرت ماكفرلين » معهم فى المؤامرة ـ وكان يشغل منصب مستشار الأمن القومى للرئيس ـ عن طريق صديقه « والاش »

ورغم كل الجهود المبذولة فلم تنجح عملية خط الأنابيب فقد ظهرت عقبات بيروقراطية بالنسبة لعملية التأمين ولما تولى « الادميرال جون بويندكستر "Admiral John

Boindexter منصب مستشار الأمن القومي خلفاً «لماكفرلين» ماتت الفكرة .

وهذه القصة مثل حي لعمل نظم الأمن الإسرائيلية والأمريكية وكيف يرتبط أحدهما بالآخر . فبينما يدرس كبار المسئولين الأمريكيين كيفية تزويد إيران بالأسلحة بطرق خفية بمساعدة إسرائيل تقوم في نفس الوقت بإقناع اسرائيل بترك عودة ايران ـ العراق ـ دون أي إضرار بها ولا ننسى أن قرارات أمريكا السرية هي السبب في إندلاع الحرب الأيرانية العراقية كما أن أمريكا قد قامت بمساعدة كل من الجانبين حتى لا يتغلب أحدهما على الآخر وأيضا فإنها وافقت على غزو لبنان . وقد قال أحد كبار المسئولين في المخابرات الأمريكية «إن مشكلة الأعمال السرية أنها ترتد إليك ثانية وتعضك» .

وقد اتسمت سياسية أمريكا الخارجية خلال الثمانينات بكثير من الأعمال السرية ولذلك كان من الملائم لها أن تتخذ اسرائيل حليفا لما لهذه الدولة من خبرة طويلة في مثل هذه الأمور .

ويصير كل شيء ممكنا في هذه الأجواء . وهذا مادعا كلا من «روبرت ماكفرلين "Robert Mc. Far;ane" و«أوليفر نورث "Oliver North" و«أميرام نير "Amiram Ni r" و«هوارد تايخر "Howard Teicher" ـ من لجنة الأمن القومي ـ و«جورج كيف "George Cave" ـ من رجال وكالة المخابرات الأمريكية ـ إلى السفر في مايو ١٩٨٦ حاملين كعكة اسرائيلية كهدية للخوميني لمفاوضته في موضوع الرهائن . وللأسف أكل الحرس الثوري الإيراني الكعكة في المطار ولم تتوصل اللجنة لمقابلة كبار المسئولين الذين أرادوا أن يقابلوهم ولم يفرج عن الرهائن وعادت اللجنة بخفي حنين .

ولم يكن حظ الأمريكيين في توريد الأسلحة لإيران حسنا دائما فقد حاول الإسرائيليون ـ الوسطاء ـ استبدال الأسلحة الأمريكية بطرازات أقل جودة وأرخص سعرا مما طلبه الإيرانيون . أما من الناحية المالية فقد حققت العملية التي قام بها الجنرال المتقاعد الأمريكي «ريتشارد سيكورد "Richard Secord" ربحا صافيا قدره ١٥ مليون دولار من عمليات بيع السلاح لإيران نال منه «سيكورد» نسبة محترمة ودفع الباقي لزعماء الكونترا.

ومن المؤسف أن تيري أندرسون "Terry Anderson" لا يزال محتجزا كرهينة في إيران حتى كتابة هذه السطور رغم انتضاح عملية ايران ـ كونترا منذ خريف عام ٨٦ .

وقد انتقد أحد الصحفيين الإسرائيليين المشهورين «بواز ايفرون "Boaz Evron" في صحيفة يديعوت أحارنوت» أوسع الصحف الإسرائيلية انتشارا موقف بلده من موضوع الأسلحة الإيرانية فقال «عندما تريد دولة ما أن تفعل أفعالا قذرة فإنها تبحث عن خادم يرضى أن يقوم بهذه الأعمال لسادته . ويكون هذا الخادم سعيدا بتاديته هذه الأعمال بل يفخر بها أيضا ويحاول أن يفتعل مبادىء تبرر له أداؤها ويسميها «سياسة الأمر الواقع»

ولما كان هذا الخادم لاخلاق له ولا مبادىء فإنه يجر سيده معه فى مستنقع العمليات القذرة . شأنه فى ذلك كشأن العاهرة التى تغمز بعينيها لرجل يعانى من التردد كى تستطيع اغواءه » ثم يستطرد فيقول : « نعم إن (اللوبى) الشهيرة سوف تخرجنا من هذه الورطة ولكن سوف يعلق الطين بثيابنا . وسوف يستغلونا مرة أخرى بالطبع ولكننا سنجد أنفسنا واقفين بباب الخدم وليس فى غرفة الإستقبال . وسوف يأتى اليوم الذى يستنكف سادتنا رؤيتنا حتى على باب الخدم وعندئذ سوف يجتمعوا بنا فى الغمارات القذرة قرب الشاطىء حيث يمكن رؤية جثث الخدم السابقين طافية على وجه الماء الآسن بعد الإنتهاء من خدماتهم » .

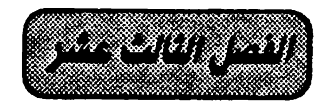
وقامت لجنة ـ بشكل غير رسمى بالتحقيق فى هذه الواقعة واسمتها «إيران ـ كنترا » وكتبت تقريرا من ٤٢٣ صفحة عن ملابساتها . ولكنها لم تتعرض لإسرائيل فى هذا التقرير إلا عرضا فى خمس صفحات فقط . وشهد «أوليفر نورث» أما م هذه اللجنة وقد ساله «أرثر ليمان Arthur Liman" رئيس اللجنة قائلا « هل كان أحد الأسباب التى دعت إلى اشراك اسرائيل فى هذا العمل هو أن نلقى اللوم على اسرائيل حيث أن الجميع يعلمون أن اسرائيل تبيع السلاح ؟ «فأجاب «نورث» قائلا : «اسرائيل كانت متورطة من قبل .... و لم نكن نريد أن نكشف دور الولايات المتحدة أو نشاطها فى هذا الشأن لقد أردنا أن نقلد الإسرائيليين كما قلت من قبل» .

ويعكس هذا السؤال وجوابه الصورة التى يرى بها صناع السياسة الأمريكية حليفتهم اسرائيل .

****

*****

**



اللعبــة الأخيــرة

سقطت القنابل الإسرائيلية على العراق منذ اللحظة الأولى لقيام حرب عام ١٩٩١ . وهى عبارة عن قذائف موجهة بالليزر أسمها الكودى «هاف ناپ "Have Nap" حملتها طائرات "B- 52" الأمريكية إلى أهدافها . واستعملت أمريكا هذه القنابل من إنتاج اسرائيل تتثق فيها أكثر من ثقتها فى القنابل المماثلة المصنعة فى الولايات المتحدة الأمريكية ولكن لم تعلن أى من الحكومتين عن هذه الحقيقة . كما لم يعلنان أيضا أن الأحذية التى ارتداها الجنود الأمريكيون فى هذه الحرب مكتوب عليها «صنع فى إسرائيل» بالعبرية والأنجليزية .

وحرب الشرق الأوسط مختلفة هذه المرة حيث يأخذ فيها الأمريكيون زمام المبادرة بينما الحليف الإستراتيجى المعتاد فى هذه المنطقة عليه أن يبقى بعيدا عن الأضواء . وقد قابل الشعب الأمريكى وكذا الشعب الإسرائيلى هذه الحرب بشعور من الرضا . وصرح «شيمون بيريز» قبل بدء الحرب ـ وشاركه فى ذلك كثير من الخبراء ـ أن أمريكا ستكسب الحرب خلال أربعة إلى أربعة وعشرين ساعة ولكن هذا الرأى لم يعد له قيمة بعد يومين من بدء الحرب .

وعد «صدام حسين» أكثر من مرة أن أى هجوم على العراق سوف يرد عليه بهجوم على اسرائيل . وعندما سقطت صواريخ «سكود "Scud" على تل أبيب مساء ١٧ يناير رأى الإسرائيليون أن «صدام» قد بر بوعده فلم تكن تل أبيب قد عانت خلال الحروب الخمسة التى سبقت هذه الحرب . وأنتاب سكانها نوع من الهستريا وخلت الشوارع إلا من قلة من المواطنين يحملون أقنعة الغازات السامة فى أيديهم . وهرع القادرون منهم إلى

عرباتهم واتجهوا إلى مدينة القدس ظنا منهم أن «صدام» لن يضرب القدس القديمة حيث أن بها المسجد الأقصى المقدس لدى المسلمين . وأصبحت مقاعد شركة العال الإسرائيلية محجوزة لأسابيع قادمة.

أما فى مطار «بن جوريون» فلم يكن هناك سائحون أو زوار بل طائرات «جالاكسى Galaxy C-5" للنقل تفرغ حمولتها من صواريخ «باتريوت Patriot" على عجل حيث يتم توزيعها على مراكز مختلفة حول «تل أبيب» .

وصوت صفارات الإنذار مرة ثانية فى مساء ٢٥ يناير معلنة أن الأقمار الصناعية قد رصدت صاروخ «سكود» ينطلق من غرب العراق . وسارع الإسرائيليون إلى غرف محكمة ضد تسرب الغازات وهم يحاولون إرتداء الأقنعة ضد الغازات السامة . وبعد أقل من دقيقة أضاءت السماء أثر إنطلاق أحد صواريخ باتريوت الذى إنفجر فى الجو بعد إنطلاقه بثوان وتساقطت أشلاؤه على المدينة المظلمة وقد رأى ذلك بعض المراسلون الذين فضلوا مراقبة الموقف من غرفة فندق هيلتون بدلا من الهبوط إلى المخابىء وانطلق صاروخ آخر ولم يكن حظه أسعد من الذى قبله فلم يطر إلا قليلا هبط بعد ذلك إلى الأرض ثم إنفجر وتبعهما ثالث ورابع بنفس النتيجة . وفى صبيحة اليوم التالى صد بيان رسمى يقول أنه قد أطلقت على تل أبيب سبعة صواريخ «سكود» وقد تم تدميرها جميعا!!

وفى الحقيقة فإن صواريخ «باتريوت» قد سببت دمارا فى تل أبيب يعادل ماسببته صواريخ «سكود» العراقية ونتج عنها مقتل شخص واحد وجرح سبعون آخرون . ولكن لم ينشر ذلك فى إسرائيل لأن الإسرائيليين حريصون على عدم إحراج حلفائهم الأمريكيين .

ومع وصول صواريخ «باتريوت» إلى مطار «بن جوريون» كان يصل أيضا المهاجرون اليهود من الروس فقد كان يصل حوالى أربع طائرات يوميا حتى فى أيام الحرب . وكان أول ماتعلموه بمجرد وصولهم إلى «تل أبيب» هو كيفية ارتداء القناع الواقى من الغازات وكيفية مقاومة غاز الأعصاب بحقن المصاب بمادة «الأتروبين» وقد أعطى كل واحد من هؤلاء المهاجرين مبلغ ١٠و٠٠٠ دولار كى يواجه بها تكاليف الحياة فى الفترة الأولى من وصوله إلى اسرائيل . وخطة الحكومة الإسرائيلية تقضى باستيعاب مليون مهاجر من روسيا خلال السنوات الثلاث القادمة .

ولكن بعد ٤٥ عاما من الصراع الأمريكى والسوفيتى على القوة فى العالم كانت لهذا الصراع نتائج غير محببة فى اسرائيل . فالدولة الإسرائيلية هى فى الحقيقة ـ

كما رأينا - وليدة الحرب الباردة والعلاقات الحميمة بين الولايات المتحدة واسرائيل وبلايين الدولارات التى تدفعها أمريكا لإسرائيل هى مقابل خدمات تقوم بها اسرائيل لخدمتها فى هذا الصراع . وحتى قبل أن تحصل اسرائيل على لقب «المكسب الإستراتيجى للولايات المتحدة» نظرا لأنها كانت السبب فى إذلال عبدالناصر فى حرب ١٩٦٧ ، كانت عمليات «الجبل ك ك "Mountain KK" - التى كانت اسرائيل تقوم بها بتكليف مباشر من وكالة المخابرات الأمريكية (راجع الفصل الخامس) - قد أطلقت لها الحبل على الغارب للتصرف مع دول العالم الثالث وهى غارقة فى أموال الوكالة وغفرت لها ابحاثها الذرية وتصنيعها للقنبلة الهيدروجينية على أساس أنها دولة «شديدة العداء للشيوعية» ولها حق الدفاع عن نفسها وهكذا قامت اسرائيل بالهجوم على الأردن لتحطيم منظمة التحرير الفلسطينية مدعية أنها - أى المنظمة - تمثل التدخل الشيوعى فى الأردن فى ١٩٧٠ كما ساهمت فى جعل مصر تتجه إلى أمريكا بعد عام ١٩٧٣ وهاجمت سوريا فى ١٩٨٢ مرة ثانية وساندت ايران فى الثمانينات كما كان لها دورها البارز فى أمريكا الوسطى وجنوب أفريقيا .

ولكن قرار «ميخائيل جورباتشوف» بعدم اللجوء إلى المواجهة العسكرية والسياسية ضد الولايات المتحدة وحلفائها يعنى أن اسرائيل لم تعد تواجه العملاء السوفييت فى الشرق الأوسط . وقد اختارت مصر الإنضمام إلى الولايات المتحدة والإستفادة من مساعداتها فى السبعينيات . وسوريا - التى هى الند الوحيد الباقى من الدول العربية - لم تعد تتلقى السلاح بتسهيلات مالية من روسيا . كما أن الحرب الباردة فى معظم أنحاء العالم قد ماتت مما يجعل فرصة اسرائيل فى تشغيل مصانعها للسلاح ضئيلة جدا .

صدرت اسرائيل ٧٥٪ من إنتاجها الحربى بما يعادل حوالى ٦و١ مليار دولار . ولكن بالنسبة للإنخفاض من المتوقع فى ميزانية الدفاع فى العالم كله فقد صرح أحد المسئولين عن صناعة السلاح الإسرائيلية لجريدة «هاآرتس» فى نوفمبر ١٩٨٩ فقال «إن منتجى ومصدرى السلاح الإسرائيلى ينتابهم القلق لهذا الإتجاه فالمستقبل مظلم لأن معظم الخلافات فى العالم فى سبيلها للإنتهاء ولا يلوح فى الأفق أى بوادر لخلافات جديدة فنحن نواجه بخطر السلام .....» .

لم يبق إلا حاكم عربى واحد هو الذى كان لا يهدد بالسلام . فقد

انتصر صدام حسين فى عام ١٩٨٨ بعد انتصارات محدودة على الإيرانيين بعد ثمان سنوات من الحرب وحوالى مليون مواطن بين قتيل وجريح . وتركت حربه غير المحسوبة ضد الخومينى العراق المنكوبة محملة بأثقال الديون . ولكنه لم يترك أطماعه التوسعية . فقد قام بتنمية الجيش العراقى إلى مليون مقاتل وأنفق ملايين الجنيهات على مشروع «المدفع الكبير» الذى قام بتصميمه المهندس الكندى «جيرى بول» (راجع الفصل الحادى عشر) .

فى يونيو سنة ١٩٩٠ قام مراسل كندى بسؤال «صدام حسين» إذا كان يأمل أن يكون جمال عبدالناصر «الثانى» فى الشرق الأوسط فأجاب «صدام» «لا ساكون أول صدام» .

ويختلف «صدام» عن «عبدالناصر» كثيرا فهو ـ أى صدام ـ يستعين بالقوى العظمى لتأييده ـ ولو إلى حين . ورغم أنه تلقى مساعدات كثيرة من الإتحاد السوفيتى إلا أن نجاحه فى النهاية فى حربه مع إيران يعود إلى الغرب وخصوصا الولايات المتحدة . فتدخل الأسطول الأمريكى فى الخليج ضد ايران فى السنة الأخيرة من الحرب وكذلك إمداده بمعلومات المخابرات الأمريكية وتحركات الجيوش الإيرانية التى رصدتها الأقمار الصناعية ساعدت فى ترجيح كفة العراقيين .

وبينما صدام حسين يحتفل بإنتصاراته المحدودة فى بغداد كان الإسرائيليون يعلمون جيدا أنهم يواجهون عدوا جديدا فى هذه المنطقة فقد احتفظ العراقيون بجيوشهم التى تبلغ ثلاثة أرباع مليون مقاتل حتى بعد وقف إطلاق النار ولم يتوقف «صدام» عن جعجعته واستمر فى العمل فى برامج الأسلحة الكيماوية والصواريخ بعيدة المدى والحرب الذرية .

ورغم أن وجود زعيم عربى قوى فى دولة عربية مسلحة تسليحا جيدا ـ ولا يردعه أحد ـ يشكل خطورة شديدة على إسرائيل إلا أنها انتهجت سياسة فيها كثير من التناقض مع العراق أما فيما يتعلق بصدام نفسه فقد حاول أن يكون لينأ مع إسرائيل مقابل أن تتوقف عن تزويد ايران بالإسلحة . وقد قال «صدام» لعضو الشيوخ الأمريكى «ستيفن سولاز "Stephen Solaz" المعروف بتحيزه لإسرائيل ـ فى عام ١٩٨٢ ـ أن العراق يعترف بحق اسرائيل فى الامن ولايوجد حاكم عربى الآن يضع فى سياسته ما كان يقال من قبل من محو إسرائيل من الوجود .

قام وزير الدفاع الإسرائيلي «رابين» في خريف ١٩٨٩ - طبقا للتقارير الإسرائيلية - بعرض اقتراح للإجتماع مع «صدام حسين» . وقد فوض الرئيس العراقي أحد كبار رجال البترول الأمريكيين من أصل عربي في الإجتماع من «رابين» أثناء زيارة الأخير لأمريكا في حملة لجمع التبرعات لإسرائيل . وقد تحددت بعض التواريخ للإجتماع المرتقب بين صدام ورابين في أوربا ولكن صدام أرجأ الأجتماع لميعاد اخر واقترح أن يتم في بغداد . ولم يعرف رد فعل هذا التأجيل على «رابين» وقد قام الوسيط بنقل كل تفاصيل مفاوضاته إلى البيت الأبيض .

ورغم ما أبداه الطرفان من رغبة في الإجتماع فإن هذه المفاوضات انتهت إلى لا شيء فقد أوحى إلى «صدام» أن هذه المفاوضات ما هي إلا خدعة حتى تتمكن اسرائيل من مهاجمته . واتخذ «صدام» خطا سياسيا عنيفا مع إسرائيل والولايات المتحدة ووصفهما بانهما دول معتدية . وكان أكثر عنفا في إبريل من نفس العام بإعلانه أن العراق يمتلك أسلحة كيماوية متقدمة وهدد قائلا «سنجعل النار تأكل نصف اسرائيل إذا قامت بأى عمل عدواني ضد العراق» .

والواقع أن اسرائيل هاجمت العراق من قبل حينما ضربت المفاعل العراقي في عام ١٩٨١ بالطائرات . ولكن ذلك لم يفت في عضد «صدام» فقد استمر في بناء ترسانة أسلحة الدمار الشامل وقد عتقدت اسرائيل أن العراق لن تستطيع القيام بأى نشاط ذرى في القريب العاجل بعد تدميرهم للمفاعل العراقي ولكن الرئيس بوش كان له رأى مخالف في هذا الشأن .

ولكن أسلحة «صدام» الكيماوية كانت شأنا أخر فقد استخدمها بكثرة ضد أعدائه من الإيرانيين والقبائل الكردية الثائرة ضد حكمه وهدد باستخدامها ضد اسرائيل بواسطة صورايخه بعيدة المدى .

وادعى الرئيس «صدام» وحلفاؤه - خلال أزمة الخليج - أن النية كانت مبيتة لتدمير العراق ليس بسبب إحتلاله للكويت ولكن بسبب المؤامرة بين اسرائيل والولايات المتحدة للهجوم عليه وتدمير العراق .

وقال صدام في إحدى خطبه - في ١٥ فبراير سنة ١٩٩١ - في آخر محاوله له لوقف المذبحة التي يقوم بها الأمريكيون «منذ أن تبين للولايات المتحدة وحلفاؤها من الصهاينة والدول الغربية الإستعمارية أن العراق قادر على أن يكون قوة لها تأثيرها في الشرق الأوسط قام كل هؤلاء بإتخاذ الخطوات التي تؤدى إلى تحطيم دولتنا القوية» .

وعندما قال الرئيس العراقي هذه المقولة لم يكن أحد في الولايات المتحدة بل في

العالم أجمع على إستعداد لتصديق كلمة واحدة من كلامه . ورفضت الولايات المتحدة كل محاولاته لربط إنسحاب العراق من الكويت بالقضية الفلسطينية واحقاقا للحق فإن ما قاله «صدام حسين» عن رغبة اسرائيل فى تحطين أسلحة العراق غير التقليدية صحيح رغم عدم تصريح المسئولين الإسرائيليين بذلك (بصفة رسمية) . وقد قال «يهوشوا ساجى Yehosua Saguy" الذى كان رئيسا للمخابرات العسكرية الإسرائيلية وقت ضرب المفاعل الذرى العراقى أن إسرائيل فكرت فى ضرب مصانع الأسلحة الكيماوية العراقية بعد نجاحها فى ضرب المفاعل الذرى . وكانت الخطة تقضى بضربها من الأرض ـ وليس بالطائرات كعملية المفاعل الذرى ـ وتكونت فرق من الكوماندوز وبدأوا تدريبها على ذلك كى يتم إسقاطها بالطائرات . واستمرت التدريبات على مدى أربع سنوات على أن تتم العملية فى شهر يونيو . ولكن الولايات المتحدة اعترضت على ذلك ـ مما أثار استياءا شديدا فى الأوساط العسكرية الإسرائيلية ـ وتم إلغاء العملية . وبمقارنة هذه الواقعة بالغارة الإسرائيلية التى حطمت المفاعل الذرى الإسرائيلى فأن حكومة «ريجان» كانت تعلم كل تفاصيل الغارة الإسرائيلية قبلها بشهور عديدة ولم تتخذ أى خطوة لوقفها .

وبوصول «جورج بوش» و«جيمس بيكر» إلى الحكم فإن اسرائيل تعانى الآن من برودة فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية لم تكن تعانى منها أيام «الكساندر هيج» و«جورج شولتز» . وسئل «جيمس بيكر» بعد أن صار وزيرا للخارجية عن تعليقه فى أن معظم وزراء الخارجية السابقين قد تركوا وظائفهم بإنطباع سيء عن الفرنسيين والإسرائيليين فاجاب «بيكر» ضاحكا «ماذا نقول عن وزير الخارجية الذى يبدأ وظيفته بهذا الإنطباع؟!».

إن فريق «بوش ـ بيكر» قد أبدى استيائه علنا من إسرائيل التى ترغب فى بذل أى محاولة لمفاوضات السلام لحل مشكلة الفلسطينيين الذين يعاونون من الحكم العسكرى الإسرائيلى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأبدى الرئيس «بوش» استياءه مرارا من أن «اسحق شامير» الذى خرق وعده أكثر من مرة بعدم بناء مستوطنات جديدة فى الضفة الغربية . كما أبدى غضبه من تصرف المخابرات الإسرائيلية منفردة ـ دون الرجوع إلى المخابرات الأمريكية ـ فى بعض الأحوال . فقد قامت بإختطاف رجل دين شيعى فى عام ٨٩ من لبنان دون إخطار سابق للمخابرات الأمريكية . اضف إلى ذلك أن المخابرات الإسرائيلية لم تخطر المخابرات الأمريكية بمقتل الكولونيل الأمريكى «وليام هيجنز William Higgins" الذى إختطفه الشيعة ردا على إختطاف الزعيم الشيعى . و هكذا أصبحت هناك بقع سوداء تلوث العلاقة الخفية بين أجهزة مخابرات البلدين .

وعلى الرغم من كل ذلك وعلى الرغم من خمود الحرب الباردة وتعنت «اسحاق شامير» الذى لا مبرر له فى موضوع السلام فقد توحدت سياسة الدولتين بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط كما لم يحدث من قبل .

لا يستطيع أحد أن يعرف ماذا كانت خطط الرئيس «بوش» قبل أيام - أو أسابيع - من غزو صدام للكويت . فهى - حتى هذه اللحظة - سر من الأسرار . إن الحوار الذى دار بين السفيرة الأمريكية «أبريل جلاسبى "April Glaspie" وصدام حسين فى ٢٥ يوليو والذى سجله صدام حسين بنذاله وأذاعه على الملا يعكس شعورا طيبا للأمريكيين فى مواجهة نيات صدام حسين الشريرة . فقد قالت له السفيرة أن الولايات المتحدة لا تهتم بمشاكل الحدود الاقليمية بين العراق والكويت وأنها - أى أمريكا - تسعى لتحسين العلاقات مع العراق . وقام «وليم ويبستر "Williom Web-ster" مدير الوكالة الأمريكية للمخابرات بتحذير الرئيس «بوش» من نيات العراق الشريرة ضد الكويت . وقال ويبستر أن صدام حسين يسعى لغزو الكويت للإستيلاء على حقل الرميلة للنفط الواقع على الحدود بالإضافة إلى الجزيرتين «وربه» و«بوبيان» اللذين يقعان بجوار الشواطىء العراقية . وكان رد فعل الرئيس «بوش» عاديا . فقد أرسل «بوش» برقية إلى «صدام» يقول فيها أن الولايات المتحدة قلقة بالنسبة للتهديدات العراقية باستعمال القوة ضد جيرانها ولكنه كرر أن الولايات المتحدة ترغب فى علاقات جيدة مع العراق . وأكد نائب وزير الخارجية الأمريكى «جون كيلى "John Kelly" أمام لجنة من الكونجرس أن الولايات المتحدة ليس لديها أى معاهدات دفاعية مع الكويت وذلك فى ٣١ يوليو أى قبل يومين من غزو الحرس الجمهورى العراقى للكويت .

دب النشاط فى عروق الرئيس جورج بوش بمجرد أن أحتل صدام حسين الكويت . فقد حركت الولايات المتحدة «الأمم المتحدة» لتصدر قرارا بشجب الغزو العراقى ولفرض عقوبات للعراق فى حالة عدم إنسحابه . وقامت فى نفس الوقت بإرسال قوات كبيرة ومعدات عسكرية إلى السعودية . وكانت الحجة لإرسال قوات للسعودية هى أن صدام هدد بغزو السعودية نفسها ولو أن المسئولين فى الوكالة الأمريكية للمخابرات يؤكدون أنه لم يكن لدى «صدام» أى نية لغزو السعودية ولكن «ريتشارد شينى» Richard Cheney وزير الدفاع الأمريكى أخطر الملك فهد أن هناك خطرا كبيرا يهدد عرشه من «صدام» وأن هذا هو ماتفيده تقارير وكالة المخابرات الأمريكية . واقتنع الملك فهد بذلك ووافق على وجود القوات

الامريكية على الاراضى السعودية .

ابتهج الإسرائيليون كثيرا لوقوف الرئيس «بوش» ضد صدام حسين ونصحه الإسرائيليون بعدم استعمال الرحمة مع صدام . بل لقد طلب رئيس الدولة الإسرائيلية «حاييم هرتزوج Chaim Herzog" من «بوش» استعمال الأسلحة النووية وقد اختلف الأمريكيون أنفسهم فى الرأى بالنسبة لحرب الكويت . فرأى بعضهم أن الولايات المتحدة إضطرت لمواجهة عسكرية لكى تخدم مصالح اسرائيل وقد كتب الصحفى الأمريكى «باتريك بوكانان "Patrick Buchanan من الجناح اليمينى يعبر عن وجهة النظر هذه بصراحة ووقاحة قائلا فى برنامج تليفزيونى أن القوة الوحيدة التى دفعتنا للحرب هى «اسرائيل ومؤيدوها هنا فى كابيتول هيل» .

والواقع أن الرئيس «بوش» كان مصمما على سحق صدام حسين ـ شأنه فى ذلك شأن الإسرائيليين ـ ولو أن الإدارة الأمريكية اقترحت البدء أولا بالحصار الإقتصادى وأن تكون الحرب هى الحل الأخيرة ويقول أحد المقربين من «البيت الأبيض» أنه منذ اليوم الرابع لغزو الكويت وهو يعلم ماذا سوف يحدث عن طريق تزايد التعبئة فى الجيش ورفض جميع المحاولات التى اقترحها «صدام» لحل المشكلة . فقد كان «بوش» مصمما على الحرب منذ البداية . ولكن الشيء الغامض فى هذا الموضوع هو لماذا تعامل الرئيس «بوش» مع «صدام حسين» والشعب العراقى بهذه القسوة ؟ .

لم تكن الأمور السياسية فى هذا الوقت على مايرام من وجهة نظر البيت الأبيض . فالحالة الإقتصادية ينتابها الركود ، وفضيحة القروض وصناديق التوفير على كل لسان وأضف إلى ذلك أن أبن الرئيس «نيل» متهم فى إحدى القضايا . فإذا تركنا هذه المسائل جانبا وجدنا أسبابا رئيسية وراء المواجهة العسكرية فى الخليج . فلم يكن الإسرائيليون وحدهم هم الذين وجدوا السلام «نكبة» من السماء فقد قال أحد المسئولين بوزارة الحربية أن الجو فى الوزارة قد أصبح مثيرا للقلق «لايوجد أحد يدرى ماذا يصنع فقد انتهى التهديد السوفيتى ماذا يمكننا أن نصنع بميزانية قدرها ٣٠٠ ميار دولار ليس هناك إلا مكان واحد يمكننا أن ننفق فيه هذه المبالغ : العراق فهى بعيدة هنا مما يحتم ضرورة النقل الجوى وهذا سيجعل سلاح الطيران سعيدا ـ والعدد الضخم الذى يملكه «صدام» من الدبابات يتطلب إرسال عدد كبير من القوات البرية» .

وقد تبين صحة هذه المقولة مع تطور الأحداث فعملية «درع الصحراء» كما أطلق على حرب العراق أصبحت تسمى درع الميزانية "Budget Shield" داخل أروقة الوزارة . وكان من المتوقع إنفاق ٢٩٠ مليار

دولار على وزارة الحربية قبل المعركة فرفعتها المعركة إلى ٣٤١ مليار دولار ولم تكن المعركة قد انتهت بعد ، وانتهى الكلام عن ضغط الميزانية والإقلال من الإنفاق .

وهناك حافز آخر للمعركة لا يمكن إهماله . فمنذ مقابلة الرئيس «روزفلت» للملك عبدالعزيز آل سعود فى المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٥ وآبار النفط السعودية هى أحد الأماكن الإستراتيجية فى الشرق الأوسط . وكانت اسرائيل ـ كما رأينا ـ هى الحارس للمنطقة ضد كل التهديدات المحيطة بها من جمال عبدالناصر وغيره . ورغم علم البيت الأبيض تماما فى ٢ ، ٣ أغسطس أن «صدام» ليس لديه أى نية للتوغل حتى الرياض إلا أن سيطرة العراقيين على آبار الكويت سوف تجعله فى موقف يمكنه أن يؤثر فى المنطقة كلها ويتحدى نفوذ أمريكا والدول الغربية هناك . وهذا غير مقبول على الإطلاق بالنسبة للبيت الأبيض .

ومشكلة اسرائيل أنهم على قدر ماسعدوا بالمواجهة الأمريكية ضد «صدام» وهو الرئيس العربى الوحيد الذى يشكل تهديدا حقيقيا لإسرائيل بما لديه من قوى عسكرية بقدر ما صدموا بأن الأمريكيين استعانوا بمجموعة استراتيجية أخرى ليس فيها اسرائيل بل فيها مصر ومن هو أسوأ من ذلك ، سوريا ورئيسها «حافظ الأسد» ولم تكن اسرائيل فى حاجة لمن يقول لها أنها غير مدعوة لهذا الحفل فقد كان السبب واضحا للجميع . إن حلفاء أمريكا الجدد من العرب لن يتحدوا مع بعضهم ضد صدام إذا حاربت اسرائيل مع أمريكا .

وقد اشتكى وزير الدفاع الإسرائيلى موشى ارينز فى إحدى زياراته الدورية للولايات المتحدة فى خريف ١٩٩٠ إلى مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى «برنت سكوكروفت "Brent Scowcroft" من أن المخابرات الأمريكية لم تخبرهم بأماكن صواريخ «سكود» فسأله «سكوكروفت» عن السبب الذى يدعوهم إلى ضرورة معرفة مواقع الصواريخ فأجاب «أرينز» «حتى نستطيع أن نوجه إليها ضربة تحمينا منها» فأجابه سكوكروفت «هذا بالضبط هو السبب فى عدم أخباركم بمكانها» .

وليس واضحا ما إذا كان الإسرائيليون على دراية بمدى تصميم «بوش» على سحق قوة صدام العسكرية والإقتصادية أم لا . وبينما تظاهر اليهود بالهدوء تحقيقا لرغبة أمريكا إلا أنهم كانوا يعبرون عن رأيهم بصراحة من آن لآخر وهو خوفهم من خديعة أمريكية . وقد استدعى «دافيد ليفى» ـ وزير خارجية اسرائيل ـ السفير الأمريكى وليم براون "William Brown" وقال له بلغة التهديد «إن اسرائيل تطلب من الولايات

المتحدة تحقيق كل الأهداف التى رسمتها لنفسها قبل بدء حرب الخليج ... وإذا لم تهاجم الولايات المتحدة العراق فإن اسرائيل ستفعل ذلك وحدها» . وكان هذا هو السبب المباشر الذى من أجله طلبت الولايات المتحدة من مخابراتها تقريرا كاملا عن إمكانيات اسرائيل النووية . وقد قال مسئول فى الوكالة (C.I.A) نحن نعرف بالتفصيل ماذا لديهم ولكننا أردنا أن نتأكد من مدى استعدادهم لإستعمالها» .

وبعد أيام من هذا التهديد سافر رئيس الوزراء «شامير» إلى واشنطن لمقابلة الرئيس «بوش» لأول مرة منذ أكثر من عام . وقد خرج «شامير» بعد الإجتماع وهو يفرك يديه فى سعادة والإبتسامة تعلو شفتيه ويقول أنه يشعر بالغبطة لما سمعه من الرئيس «بوش» وسبب الغبطة أمران : الأول أنه فهم من الرئيس «بوش» تصميمه على سحق «صدام حسين» والثانى كما يقول السفير الإسرائيلى السابق فى واشنطن «سمحا دينيتز "Simcha Dinitz" أن بوش أفهم «شامير» أن إختلاف وجهات النظر حول بناء المستوطنات فى الضفة الغربية سوف يؤجل بحثه إلى المستقبل . ولكن ذلك لا يعنى أن الإجتماع كان سهلا كله . فقد طلب «بوش» من «شامير» أن لايحاول رد الإعتداء إذا بادرت العراق بالإعتداء عليه فرفض «شامير» ذلك فطلب منه الرئيس بوش أن يجعل رده لإعتداء العراق ـ فى حالة حدوثه ـ مشروطا بموافقة أمريكا فراوغ شامير فى الرد إلا أنه هدأ عندما أخبره «بوش» أنه سيؤجل بحث المواضيع الأخرى . ويعد هذا إنقلابا فى الإسلوب التقليدى للأداء . فبدلا من مكافأة اسرائيل مقابل عملها شيئا ما بسبب وضعها كحليف استراتيجى للولايات المتحدة أصبحت تكافأ الآن لكى لاتعمل شيئا على الإطلاق .

لم تكن أمريكا فى حاجة إلى نصيحة اسرائيل أو رجال مخابراتها لكى تضع خطة مهاجمة «صدام» . وقد استمع المخططون بهدوء إلى نصيحة اسرائيل التى تقول أن أحسن الطرق لإيذاء صدام هو تهديد عائلته ، وحرسه الخاص ، ومشيئته . وهذا هو مانقله منهم أحد كبار ضباط سلاح الطيران وأفشاه لمحررى الصحف ! وعلى أى حال فإن المخابرات الإسرائيلية ليست محل تقدير من زملائهم فى المخابرات الأمريكية وقد أفاد أحد كبار الضباط الأمريكيين أن اسرائيل ليس لديها شىء يذكر من الجواسيس فى العراق . وقمرهم الصناعى لايعتمد عليه وتحليلهم للأخبار بدائى . إن لديهم من يرسل لهم اشارات ولكن نحن

نتفوق عليهم كثيرا فى هذا المضمار أيضا . انهم يعتمدون أساسا على أخبار الصحف . وفى الحقيقة فإن الموساد أثبت فشلا ذريعا فى عملية غزو الكويت . فقد أكد أن هذا شيء غير وارد فى مخلية صدام . وكان رئيس مخابراتهم العربية يعقد قرانه عندما كان الحرس الجمهورى يجتاح الكويت .

يفخر الإسرائيليون بانهم خير من يعرف الأسلحة السوفيتة من خلال حروبهم المتكررة مع القوات العربية وكانت هذه هى إحدى الفوائد التى استفاد منها الامريكيون . ولكى نبرهن بمثل حى على فوائد انهاء الحرب الباردة بين الأمريكيين والروس فقد ذهب العسكريون الامريكيون - لأول مرة فى تاريخهم - مباشرة إلى الروس وطلبوا منهم مواصفات الأسلحة التى أمدوا بها العراقيين . وقد وافق الروس على إعطاء الأمريكيين عينات من الأسلحة التى باعوها إلى العراقيين بثمن باهظ كى يفحصوها ويخططوا لمقاومتها .

وهكذا ذهبت أمريكا لمحاربة صدام حسين بدون اسرائيل وقد تبين «لصدام حسين» - كما تبين أيضا للبيت الأبيض أن التدخل السافر لإسرائيل فى الحرب سوف يحرج العرب ولذلك قام بضرب تل أبيب بصواريخ سكود ليدفعها دفعا إلى ذلك . وكان رد فعل الرئيس «بوش» سريعا وقال أن أى ثمن تدفعه أمريكا فى مقابل عدم دخول اسرائيل الحرب يمكن تحمله واتصل «بوش» تليفونيا بشامير - رغم كراهيته له - ليلة الغزو وقال له أن أمريكا مستعدة لتحمل أى تكاليف مقابل عدم دخول اسرائيل الحرب ضد العراق وأرسل له نائب الوزير «لورنس إيجلبرجر "Lawrence Eagleburger" إلى تل أبيب حيث قام بمعاينة الدمار الذى أحدثته الصواريخ وحددوا ثمنهم كى يبتعدوا عن الحرب وهو ١٣ مليار دولار ثلاثة منها فورا لمعالجة آثار الحرب والباقى لبناء المستوطنات لإسكان اليهود المهاجرين من روسيا.

وقد سر الإسرائيليون بتعاون إدارة الرئيس «بوش» معهم فهم يعلمون حق العلم أنهم لن يستطيعوا التفوق على الطيارين الأمريكيين فى تحطيم منصات إطلاق صواريخ «سكود» وقد أقر بهذه الحقيقة أحد كبار الطيارين الإسرائيليين السابقين «يالو شافيت "Yalo Shavit" حيث قال أن الطيارين الإسرائيليين ليس لديهم خبرة طيارى الحلفاء فى الطيران فى مثل هذه الأجواء. وقد زاد سرورهم عندما علموا أن أمريكا ستدفع لهم مقابل عدم تدخلهم فى الحرب . وأظهر استطلاع للرأى العام أن معظم الإسرائيليين لايرحبون بالإنتقام من العراق .

ذهب موشى أرينز - وزير الدفاع الإسرائيلى - إلى واشنطن فى ١١ فبراير سنة ١٩٩١ وهدد الإدارة الأمريكية بأن اسرائيل لديها خطة كاملة للهجوم على العراق بالقوات البرية الخاصة التى يتم إنزالها فى غرب العراق حيث توجد منصات إطلاق صواريخ «سكود» . وقد سبق أن قال هذا الكلام منذ أسبوعين فى تل أبيب رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية السابق «ياهوشوا ساجى Saguy Yehoshua"

وشكى «أرينز» للقيادة الأمريكية من أنه رغم الضرب المكثف بالطائرات للعراق فلا يوجد أى تأثير على الصواريخ .

وانزعج الأمريكيون من فكرة دخول اسرائيل الحرب ضد العراق كما ضايقهم أن «أرينز» ألمح إلى أن القوات الإسرائيلية تستطيع أن تفعل مالم تستطع القوات الأمريكية أن تفعله . ورفضوا هذه الفكرة ولكن «أرينز» صرح بأن اسرائيل قد تضطر إلى تنفيذ هذه الخطة وحدها إذا لزم الأمر.

وانتهت حرب العراق بعد أسبوعين دون أى تدخل من الإسرائيليين . وأصبحت العراق انقاضا فقد سقطت عليها ١٦٠ مليون رطل من المواد شديدة الإنفجار (حوالى ٨٠٠٠٠ طن) وأرجعت البلاد إلى العصر الحجرى أو على الأقل إلى ماقبل عصر النهضة الصناعية . وأصبحت بغداد ومعظم البلاد بدون كهرباء وبدون وقود أو صرف صحى أو أدوية . وبدأت الأوبئة تتفشى ومات من أهلها حوالى ١٠٠٠٠٠ شخص .

ولم تكن اسرائيل تتمنى أكثر من ذلك . ولكن السؤال الحائر الآن هو ماذا سوف يكون دور اسرائيل بعد ذلك ؟ فليس هناك حروب خفية ضد الإتحاد السوفيتى . وليس هناك زعيم عربى ينتمى إلى الكتلة الشرقية حتى تسارع اسرائيل إلى اذلاله نيابة عن أمريكا . ويوم أن انتهت حرب الخليج ترددت فى أجواء تل أبيب النكة الآتية «يمكننا الآن أن نبيع للعراقيين أسلحة بدلا من الأسلحة التى دمرها الأمريكيون» .

* * * * * * *

* * * *

* *

وللمترجم كلمة :

السياسة الدولية تشبه حبل الثلج العائم فى المحيط . مايبدو منه للعين لايتجاوز عشر ماهو تحت الماء . والذى يختفى تحت الماء هو ـ فى السياسة ـ ماتبذله الحكومات من جهود غير معروفة للرأى العام ـ أى خفية ـ لكى تبرز للعالم النتائج النهائية لسياسة الدولة وكلما كانت الأعمال الخفية قليلة و«نظيفة» كانت النتائج أنصع بياضا وأكثر دواما فى التاريخ . ومن أهم الأعمال الخفية ـ التى لا يعلم عنها الجمهور شيئا ـ هى أعمال التجسس والمخابرات التى تقوم بها أجهزة خاصة . ولايوجد دولة فى العالم ليس لها هذه الأجهزة ولكن الدول الراقية هى التى تجعل أجهزة المخابرات فى خدمة السياسة أما إذا انعكس الحال وأصبحت السياسة فى خدمة أجهزة المخابرات اختل ميزان القوى فى هذه البلد وتفشت فيها كل النقائص من فساد ورشوة وخيانة وأنانية .

ويبين لنا هذا الكتاب نماذج كثيرة من كلا الحالتين وكيف يمكن أن تسيطر أجهزة المخابرات على سياسة الدولة وتنحرف بها إلى الحضيض ومن الناحية الأخرى كيف يمكن للقيادة السياسية استغلال الأعمال الخفية لهذه الأجهزة فى الوصول إلى أحسن النتائج وذلك من خلال العلاقات بين دولتين احداهما من الدول العظمى فى العالم وهى الولايات المتحدة الأمريكية والأخرى وإن كانت صغيرة جدا إلا أن لها باع طويل فى الخداع والمؤامرات ولا يهمها شىء فى العالم سوى مصلحتها وهى اسرائيل .

احمد صدقى مراد

الفهرس

رقم الإيداع : ٩٧٧٤ / ١٩٩١

I. S. B. N. 977 - 5040 - 04 - 3